مؤسسة القديس أنطونيوس



المركز الأرثوذكسى للدراسات الأبائية بالقاهرة
نصوص آبائية - ١٨٩ -

المقالات الثلاثة



ضد الآريوسيين

(الشهادة لألوهة المسيح)



للقديس البابا أثناسيوس الرسولي
بطريرك الأسكندرية العشرين

نصوص آبائية - ١٨٩.

ضد الآريوسيين

للقديس البابا أثناسيوس الرسولي



[إذًا فالكلمة هو في الواقع وبالحقيقة واحد مع الآب في الجوهر. أما نحن فقد أُعطِيَ لنا نتشبّه بهذه الطبيعة كما سبق أن قيل لأنه أضاف مباشرةً "أنا فيهم وأنت فيّ، ليكونوا مكمّلين إلى واحد" (يو ١٧:٢٣).

ولذا فالرَّب هنا يطلب لأجلنا شيئًا أعظم وأكمل. لأنه واضح أن الكلمة قد جاء لكي يكون فينا لأنه قد لبس جسدنا. وبقوله "وأنت أيها الآب فيّ" فهو يعني "لأني أنا كَلِمَتك، وحيث إنك أنت فيّ، بسبب كوني كَلِمَتك، وأنا فيهم بسبب الجسد، ومنك يتحقق خلاص البشر فيّ، لذلك أسأل أن يصيروا هم واحدًا، بسبب الجسد الذي فيّ وبحسب كماله لكي يصيروا هم أيضًا كاملين إذ يكون لهم وحدة مع الجسد، ولأنهم قد صاروا واحدًا في هذا الجسد، فإنهم كما لو كانوا محمولين فيّ، يصيرون جميعًا جسدًا واحدًا وروحًا واحدًا (أف ٤:١٣) لأننا جميعًا، باشتراكنا فيه، نصير جسدًا واحدًا، لأننا نحصل على الرب الواحد في أنفسنا.]

الفصل ٢٥ / ١١

يطلب هذا الكتاب من:
+ المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية تليفاكس: ٠٢٣-٢٢٤١٤٠
E-mail: opcc2007@yahoo.com Website: www.patristiccairo.com
+ بيت التكريس لخدمة الكرازة ت: ٢٦٧٤٥٢١٩
+ المكتبات والكنائس بالقاهرة والأقاليم

الثمن: ٤٠,٠٠ جنيه

القديس أثناسيوس الرسولى



+ وُلد عام ٢٩٧ م
+ سيَم بطريركاً لكرسي الأسكندرية ٣٢٨م.
+ إستمر على الكرسي الرسولى لمدة ٤٥ عاماً حتى تنيح فى سنة ٣٧٣م.
+ من آباء مدرسة الإسكندرية العظام ومن معلّمى المسكونة كلها.
+ دافع بكل قوة وحزم عن إيمان الكنيسة ضد الهرطقة الآريوسية التى أنكرت ألوهية السيد المسيح.
+ نُفى خمس مرات عن كرسيه (جملتها ١٧ عاماً تقريباً) بسبب مواجهته للآريوسيين ومساندة الإمبراطور لهم.
+ تعيّد له الكنيسة القبطية فى ٧ بشنس - ١٥ مايو، وتحتفل بعودة رفاته إلى مصر يوم ٢ بشنس - ١٠مايو، ويوم ٣٠ توت - ١٠ أكتوبر تذكار الآية التى صنعها الرب معه.

من كتاباته العديدة: (غير ضد الآريوسيين)

١- تجسد الكلمة.
٢- ضد الوثنيين.
٣- رسائله إلى سرابيون عن الروح القدس.
٤- رسائله عن السيد المسيح.
٥- عن التجسد وضد الآريوسيين.
٦- الرسائل الفصحية.
٧- حياة القديس أنطونيوس.
٨- رسالته إلى مارسيللينوس عن المزامير
٩- دفاعه عن مجمع نيقية.
١٠- دفاعه عن هروبه.
١١- رسالة عن البتولية ، وله رسائل أخرى كثيرة فى موضوعات متنوعة.

++++++++++++++++++

من كلمة قداسة البابا شنودة الثالث فى عشية عيد مرور ١٦٠٠ سنة على انتقال القديس العظيم أثناسيوس الرسولى:



"أمام أثناسيوس يصمت الكل ويتكلّمّ هو ... لأنه لا يستطيع إنسان أن يقول كل شئ عن أثناسيوس... مَن يقرأ كتابات أثناسيوس يرى فيها اللاهوت الممزوج بالروحيات... فحين تقرأ له لاتستطيع أن تدرك هل هذه الكتابة لاهوت أم روحيات أم فلسفة أم تفسير للكتاب أم كل هذا معاً. لقد جمع بين اللاهوت والرهبنة، بين العقل اللاهوتى العميق، وبين الروح النسكيّ الرهبانيّ[1]"

---

(١) مجلة مدارس الأحد: العددان ٦،٧ السنة ٢٧. يونيو ويوليو ١٩٧٣. القاهرة. ص ١٠،٨.

قالوا عن القديس أثناسيوس:

+ **من عظة للقديس غريغوريوس النزينزى فى عيد نياحة القديس أثناسيوس الرسولى:** حينما أمدح أثناسيوس فأنا أمدح الفضيلة
+ **من كلمة قداسة البطريرك الأنطاكى مار أغناطيوس يعقوب فى أحتفال الكنيسة بتذكار مرور ١٦٠٠ سنة على أنتقال القديس أثناسيوس الرسولى:**

بذل قديسنا مار أثناسيوس جهودًا جبارة بنضاله المرير دفاعًا عن عقيدة ألوهية السيد المسيح، ولأنه كان راسخاً فى عقيدته رسوخ الرواسى ... لم يقلق ولم يتسرب اليأس إلى نفسه لكنه صمد وثابر وصبر رغم ما ألمّ به من صنوف المكاره، وكان يؤمن بأنه لابد أن يتكلل صبره يومًا بالظفر.

+ **رأى علماء اللاهوت و دارسي الآباء:**

- لقد صار أثناسيوس معيار الأرثوذكسيين الحى.
- محبة أثناسيوس للمسيح هى المفتاح لفهم حياة أثناسيوس وكل كتاباته.
- إن أثناسيوس هو الذى أمسك بدفة الكنيسة لينقذ تعليمها اللاهوتى من الانحراف وراء النظريات الفلسفية اليونانية عن اللوغوس إلى الالتزام بالأمانة المطلقة للنص الكتابى عن الله.
- كان له الفضل الأعظم فى نشر الوعى الكتابى فى الأوساط الرهبانية بمصر وأنه كان أكثر من اهتم بذلك بغيرة وبقدرة على الإقناع.
- إن التأمل - فى رأى القديس أثناسيوس - ليس مجرد دراسة فكرية ولكنه يؤول بالضرورة إلى الممارسة العملية التقوية لجميع الفضائل.
- إن أعظم فضل لأثناسيوس يتركز فى أنه دافع عن المسيحية التقليدية وحفظها من خطر التلوث بالفكر اليونانى الكامن فى هرطقة أريوس وأتباعه.
- لقد كان أثناسيوس متمكناً فى العقيدة حتى لم يكن له مثيل فى ذلك، فإنى لا أجد أحدًا فى القرن الرابع يضاهيه... ولاسيما فى عمق حاسته المسيحية التى كانت تدفعه تلقائيًا إلى أن يكشف فى العقيدة عن الجانب الذى يجعلها متصلة بصميم الحياة الروحية، لإحياء النفوس وإنعاشها وتجديد حياتها الروحية واندفاعها نحو الصلاح.
- لن نتعلم من احد اخر افضل منه كيف يمكن ان تنبع من العقائد حتى اصعبها على الإدراك البشرى - ينابيع مياه حية ودفعات روحية عالية. فالثالوث ليس عند ق .أثناسيوس مجرد حقيقة نظرية يلزمنا الإيمان بأن نقبلها بعقولنا دون أن يكون لها أثر فعال فى سلوكنا العملى، بل إن الثالوث عنده كل شئ فى الحياة الروحية كما فى العقيدة المسيحية على حد سواء.
- لقد ضرب أثناسيوس جذوره عميقًا جدًا فى تربة الكنيسة، وقد كان أثناسيوس لا يعرف نفسه إلا فيها ، فكان ماضيها حاضرًا دائمًا أمامه وقد أخذ على عاتقه أن لايقدم المسيح يسوع إلا متحدًا بكنيسته من الداخل، وفى كلمة واحدة كان المسيح هو نفسه الكنيسة. لقد صارت الأرثوذكسية الجامعة متجسدة فى شخص أثناسيوس.

مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسيّ
للدراسات الآبائية
بالقاهرة
نصوص آبائية
- ١٨٩ -

المقالات الثلاثة ضد الآريوسيين

الشهادة لألوهة المسيح

للقديس البابا أثناسيوس الرسوليّ
بطريرك الإسكندرية العشرون

ترجمه عن اليونانية
أ. صموئيل كامل عبد السيد
د. نصحي عبد الشهيد بطرس
د. مجدي صموئيل

مراجعة
د. جوزيف موريس فلتس

الطبعة الأولى
٢٠١٥

اسم الكتاب : المقالات الثلاثة ضد الآريوسيين

اسم المؤلف :البابا أثناسيوس الرسولي بطريرك الإسكندرية العشرون.

اسم المترجم : د. نصحي عبد الشهيد وآخرون

الطبعة الأولى : ٢٠١٥م

الناشر : مؤسسة القديس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة ٨ (ب) ش إسماعيل الفلكي، الدور الأول، محطة المحكمة، مصر الجديدة تليفاكس: ٢٢٤١٤٠٢٣

E-Mail:opcc2007@yahoo.com

Web site:patristiccairo.com

رقم الإيداع : ٢٢٤١٣ / ٢٠١٥

الترقيم الدولي : I.S.B.N 978-977-487-032-3

المطبعـــــه : مطابع النوبار - العبور



قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



المحتويات









مقدِّمـة تاريخية ولاهوتية

كان الشغل الشاغل للقديس أثناسيوس، بل وعمل حياته كلها الذي من أجله كرَّس كل وقته وكل قواه وكل جهوده هو «الشهادة لألوهة المسيح» التي أعتبرها بحق حجر الزاوية في بناء الإيمان المسيحي كله، والتي بدونها لم يكن يتصوَّر حدوث أى فداء أو خلاص للإنسان.

ومن أجل هذه حقيقة «ألوهة المسيح»، صرف ق.أثناسيوس كل وقته وبَذَل كل طاقاته، ولأجل هذه الحقيقة أحتمل العزل من كرسيه البطريركي واحتمل النفي خمس مرَّات، بلغت مدَّتها معًا ما يقرب من العشرين عام، بل ولأجل هذا الحق كان مستعدًا في أى لحظة أن يُسفَك دمه بكل سرور.

وتعتبر «المقالات ضد الآريوسيين» هى الكتاب الرئيسي من بين «كتابات القديس أثناسيوس اللاهوتية»، التي يدافع فيها عن ألوهية المسيح ضد البدعة الآريوسية.

تاريخ هذه المقالات:

طلب القديس سرابيون (أسقف تيميس بشمال الدلتا صديق القديس أثناسيوس والمعاصر له) في رسالة بعث بها إلى القديس أثناسيوس، طلب منه ثلاثة أشياء هى:

١ـ تاريخ للأحداث الجارية (أي تاريخ البدعة الآريوسية وقتئذ).

٢ـ شرح ومناقشة للبدعة الآريوسية وردًّ على أفكارها.

٣ـ تأريخ دقيق حول موت آريوس.

وفى رده على سرابيون يكتب ق. أثناسيوس تأريخ لموت آريوس، ثم يرسل له بخصوص الطلبين الأول والثاني ما كان قد كتبه في رساله «إلى الرهبان ضد البدعة الآريوسية» (رسالة ٥٤:٢)، حينما كان منفيًا ومختبئًا في وسطهم (في الفترة ما بين ٣٥٨ - ٣٦٢م). وعلى هذا الأساس يعتبر علماء الباترولوجى أن القديس أثناسيوس يقصد بهذا كتابيه إلى الرهبان، وهما «تاريخ الآريوسيين»، «المقالات ضد الآريوسيين»، وبذلك يعتبرون أن التاريخ الذي كتب فيه القديس أثناسيوس هذه المقالات هو فترة نفيه الثالث، أى ما بين ٣٥٨-٣٦٢م. ويتضّح من كلام القديس أثناسيوس نفسه أنه لم يكتبها ويقدِّمها معًا مرَّة واحدة، إنما قدَّمها على فترات في تلك السنوات (مقاله٢ فصل١).

محتويات المقالات الثلاثة:

يقدِّم القديس أثناسيوس في المقالة الأولى، ملخصًّا لتعليم البدعة الآريوسية كما جاءت في كتاب «الثاليا» تأليف آريوس، ثم يقدِّم دفاعًا عن تعليم مجمع نيقية المسكونى الأول ضد الآريوسية ، بأن المسيح ابن الله هو أزلّي وغير مخلوق وغير متغيَّر، وعن وحدة الجوهر أو المساواة فى الجوهر الواحد الآب والابن، كما يفنِّد اعتراضات الآريوسيين على هذا الإيمان النيقاوى الأرثوذكسي. وبعد ذلك يتناول بالشرح والبحث بعض نصوص الكتاب المقدس التي كان الآريوسيون يحرِّفون معناها للطعن في ألوهية المسيح، فيقدِّم شرحًا مفصلاً ودقيقًا للنصوص الكتابية مبرهنًا بواسطتها على صحة إيمان الكنيسة بألوهية المسيح. فتناول بالشرح هذه الآيات : -

أولاً - فيلبى ٢: ٩، ١٠ «لذلك رفعه الله أيضًا وأعطاه اسمًا».

ثانيًا - مزمور٤٥: ٧، ٨ «من أجل ذلك مسحك الله إلهك».

ثالثًا - عبرانيين ١: ٤ «صائرًا أعظم من الملائكة..».



وفى المقالتين الثانية والثالثة يُكمل شرح النصوص: (عبرانيين ٣:٢)، (وأعمال ٣٦:٢)، (وأمثال ٢٢:٨) ونصوص من إنجيل يوحنا حول بنُّوة المسيح لله وعلاقة الابن بالآب والنصوص (متى ١٨:٢٨)، (يوحنا٥٣:٣)، (مرقس٣٢:١٣)، (لوقا٥٢:٢)، (متى٣٩:٢٦، يوحنا٢٧:١٢) حول تَجسُّد المسيح.

ومن الجدير بالذكر أن هذه المقالات قد صارت هي المصدر الرئيس الذي ظلَّ المدافعون عن ألوهيه المسيح ينهلون منه على مدى القرون الماضية وحتى الآن. وقد استطاع ق. أثناسيوس بقدرته المتَّزنة الثابتة على الإمساك بالحقائق الأولية خاصة فيما يتعلَّق بوحدة جوهر الله، وببنُّوة المسيح الحقيقية الطبيعية للآب، وقدرته على النفاذ إلى اعتراضات الآريوسيين وتحليلها ودحضها، وبتتبعه للمنطق الآريوسى إلى نهاية نتائجه، استطاع ق.أثناسيوس أن يبيِّن أن الآريوسية هي في الواقع فلسفة متناقضة مضَّادة للعقل ومضادة للتقوى معًا.

وأهم ما يُلفت النظر فى هذه المقالات هو تركيز القديس أثناسيوس الثابت والشديد علي «الجانب الخلاصى» وهو يدافع عن ألوهية المسيح. فهو يؤكد على الأهمية القصوى لألوهيته كي ننال نحن ثمر الفداء ونوال النعمة المخلِّصه، ولأجل معرفة الله التي تُوهَبْ لإنسان الخاطئ، بواسطة المسيح (انظر مقالة ٣٥:١، ٥٠:٤٩، ومقالة ٦٧:٢، ٧٠، ٦٩).

فمن الواضح أن تعليم القديس أثناسيوس اللاهوتى إنما يرتكز على أساس عقيدة الفداء: أى أن شركتنا مع الله، ونوالنا التبني كأبناء لله ما كان ممكنًا أن يتحقق لو لم يعطنا المسيح مما هو خاص به (مقالة١ :١٦).

مصادر هذه المقالات والترجمة العربية:

أصل النص اليوناني ظهر في المجلد ٢٦ من مجموعة الآباء باليونانية لمينى (MG 26 : 12 – 526).



ونفس النص اليوناني الذي تمّت عنه هذه الترجمة إلى العربية هو النص المنشور في «سلسلة آباء الكنيسة» .E.II.E تحت عنوان:

«كتابات أثناسيوس الأسكندرى الكبير، دار نشر الآباء، تسالونيكى، ١٩٧٤. مجلد ٢»

كما تمّت مقارنة الترجمة العربية، بالترجمة الإنجليزية التي أنجزها سنة ١٨٤٤ العالم الكاردينال نيومان Newman والمنشورة بالمجلد الرابع من المجموعة الثانية من سلسلة آباء نيقية وما بعد نيقية.

وفى مقدّمة هذه المقالات الذي نشرته «دار نشر الآباء بتسالونيكى»، توجد مقدّمة هامة عن «آريوس والآريوسية» لعالم الآباء المعروف الأستاذ ب. خريستو P.Christou استاذ الآباء بجامعة تسالونيكى، كانت قد نشرت أصلاً في المجلة اللاهوتية التى تصدرها الكنيسة اليونانية. وقام «الأستاذ صموئيل كامل» بتعريبها عن اليونانية.

ويسُرّ «مركز دراسات الآباء» أن يقوم بنشر هذه المقالات الثلاثة، في مجلد واحد بعد أن تمّ مراجعتها وتنقيحها.

وللمسيح إلهنا الحي المتجسّد لأجل خلاصنا كل مجد وسجود وتسبيح مع الآب والروح القدس الإله الواحد الآن وإلى كل الدهور.. أمين.

٢١ يناير ٢٠١٥م	**المركز الأرثوذكسى**
١٣ طوبه ١٧٣١ش	**للدراسات الآبائية**
عيدعرس قانا الجليل	**د. نصحي عبد الشهيد**



الآريوسيـــة

للبروفسور ب. ك خريستو

أستاذ الآباء بجامعة تسالونيكى باليونان[1]

وُلِدَ آريوس فى ليبيا بعد منتصف القرن الثالث بقليل، ودَرَسَ بمدرسة لوكيانوس بأنطاكية حيث كان زميل دراسة لبعض الأشخاص الذين أرتقوا فيما بعد إلى درجات الرئاسة الكهنوتية. وهم الذين عضَّدوه ودفعوا به للمُضى في طريقه لأجل نشر أفكاره.

وكل هؤلاء الزملاء الذين درسوا في مدرسة لوكيانوس صاروا يلقبون بأسم «اللوكيانيين» أو «الاتحاد اللوكيانى». وهذا لا يمنع أن آريوس دَرَسَ أيضًا في مدرسة الأسكندرية اللاهوتية قبل دراسته بأنطاكية.

ويمكن أن يقال إن آريوس جمع في تعليمه بين إتجاهين مختلفين لمدرستى أنطاكية والأسكندرية. وفيما بعد أخذ المنتمون لمدرسة أنطاكية يهاجمونه ويتهمونه بأنه أسكندرى الفكر، في حين أن المنتمين إلى مدرسة الأسكندرية كانوا يحاربونه متهمينه بأنه أنطاكى التوجه.

إستوطن آريوس في الأسكندرية حيث رسمه البابا بطرس كاهنًا . وأظهر في أول حياته ميولاً متعصّبة متمرِّدة لأنه قبل رسامته وبعدها كان منضمًا للأسقف المنشق ميليتوس أسقف ليكوبوليس (أسيوط).

---

[1] ترجمة أ. صموئيل كامل.



ولهذا السبب جُرِدَّ من رتبته الكهنوتية، إلاَّ أنه فيما بعد أُعيد مرَّة أخرى إلى رتبته على يد البابا أخيلاوس خليفة البابا بطرس. وما لبث أن عمل على تأييد إنتخاب ق.الكسندروس بطريركًا للأسكندرية خلفًا البابا أخيلاوس. وإن كان آريوس نفسه قد أستطاع بتأثير ثقافته وصفاته الشخصية أن يصير ذو شأن كبير في المدينة.

إلاّ أنه بعد بضعة سنوات (حوالي عام ٣١٨م) اصطدم مع البابا الكسندروس بسبب الإختلاف حول تفسير نص في الكتاب المقدس خاص بشخص ابن الله. وكان البابا الكسندروس قد أعطاه ـ كما أعتاد البابا أن يفعل مع الكهنة ـ موضوعًا ليبحثه. وفى الشرح الذي قدَّمه آريوس حاول أن يُعبرَّ عن ابن الله بمفاهيم مخالفة للإيمان المستقيم.

رأى ق. الكسندروس في تقرير آريوس محاولة للتقليل من شأن ابن الله وتحقيره... وأثبتت الاتصالات بين الرجلين على أن آريوس أصرَّ على رأيه وأعتبر أفكار ق. الكسندروس أنها سابيلية[٢]. وبالرغم من هذا فإن البابا لم يتعجَّل في اتخاذ أى إجراء ضد كاهنه. إلاَّ أنه فيما بعد أضطر البابا أن يتخذ قرارًا بالتشاور مع مجمع قسوس الكنيسة، أدان فيه آريوس بسبب بدعته وقَطعِه من شركة الكنيسة.

رحل آريوس إلى فلسطين ثم اتجه إلى سوريا وبعدها إلي آسيا الصغرى. وتمكَّن من أن يجمع حوله عدداً من الأساقفة الذين وافقوه على آرائه، وكان من بين هؤلاء

---

[٢] نسبة إلى سابيليوس صاحبة البدعة السابيلية المعروفة باسمه، والذى ظهر فى روما أوائل القرن الثالث. والسابيلية تعلّم بأن الآب والابن والروح القدس هم شخص واحد وليس ثلاثة أقانيم. فتقول «أن الآب أعطى الناموس في العهد القديم، ثم ظهر هو نفسه باسم الابن فى التجسد، وبعد أن اختفى المسيح بالصعود ظهر هو نفسه باسم الروح القدس. أى أن الثالوث هو ثلاث ظهورات متوالية في التاريخ لشخص واحد، وليس ثلاثة أقانيم لهم جوهر واحد (المعرب).



«يوسابيوس أسقف نيقوميديا» اللوكيانى، و «أوسابيوس أسقف قيصرية» الأوريجانى. وكان الأساقفة الذين تجمَّعوا حوله قد أيدوه وبرأوه في مجمع عقدوه، وطالبوا بأن يعود مرَّة أخرى إلى الكنيسة.. وسرعان ما كتب آريوس أقرارًا وافقوا عليه في مجمع عقدوه في نيقوميديا، وأرسله كرسالة إلى بابا الأسكندرية الذي رفضه، ودعا بالطبع إلى مجمع بالأسكندرية سنة ٣١٨م اعتمد إدانة آريوس.

وبعد ذلك بقليل، بسبب الاضطرابات التي نشأت نتيجة للمصادمات التي وقعت بين قسطنطين الكبير وليكينيوس، تَمكنَّ آريوس من العودة مرَّة أخرى إلى الأسكندرية. حيث أخذ يعمل بحماس شديد وبأساليب مبتكرة لأجل ترويج أرائه ونشرها بين الجماهير عن طريق العظات والأشعار... وقد ساعد على نشر آريوسيته ما كان يظهر به آريوس من مظاهر الورع والتقوى إلى جانب ما يتصف به من الكبرياء والتباهي وحبه للمجادلة، ولأنه كان يُجرى مجادلاته اللاهوتية مع الشعب فقد أنتهز الوثنيون تلك الفرصة وأخذوا يسخرون من المسيحية في مسارحهم بسبب تلك المناقشات[3].

وهكذا أثار هذا الموقف قلق قادة الكنيسة، كما أزعج الإمبراطور أيضًا، الذي رأى أن هذه المشاكل ستكون خطرًا على السلام الذي حققه في الامبراطورية بجهود مضنية وكفاح مرير ولكنه لم يتوقع أن تكون خطرًا على السلام على المدى البعيد. لذلك فهو إذ رأى أن هذه المعركة تبدو أمرًا تافهًا لا يستحق أن يصدر بشأنه قرارًا امبراطوريًا، فانه اكتفى بأن أرسل «هوسيوس» أسقف قرطبة بأسبانيا إلى الأسكندرية بخطاب إلى رؤساء الأطراف المتنازعة[4]. ولكن هذه المحاولة لم

---

[3] انظر يوسابيوس المؤرخ: حياة قسطنطين (٢: ٦١) والتاريخ الكنسى لسقراط (١: ٧).

[4] يوسابيوس: المرجع السابق (٢: ٦٤).



تأت بأية نتيجة. عندئذ دعا الإمبراطور إلى مجمع عام يعقد في نيقية عام ٣٢٥ والذي اشتهر باسم، «المجمع المسكوني الأول»...

وقد أدان هذا المجمع تعاليم آريوس وحرم أسقف نيقوميدية مع ثلاثة أساقفة آخرين لتأييدهم لتعاليم آريوس. أما آريوس فإنه في البدء أُرسل إلى نيقوميديا مكبلاً بالقيود، ثم نفى بعد ذلك إلى الليريا... ألاّ أنه على الرغم من هذه التدابير فإن هذه المحاولة للتهدئة لم تنجح، لأن أصدقاء آريوس استمروا في نشر مبادئه وتعاليمه... ولذا إقتنع قسطنطين ـ بواسطة العناصر المهادنة للآريوسية والمحبة لها، وتأثر بهم، مما جعله يستدعى آريوس من منفاه عام ٣٢٧. وبعد تحريض من أسقف نيقوميديا عرضوا صيغة اعتراف إيمان على الإمبراطور أخفوا عنه فيها حقيقة عقيدة آريوس. وكانت كنيسة نيقوميديا قد وافقت على هذه الصيغة في المجمع الذي عقد بها، إلاّ أن الأرثوذكسيين لم يستعجلوا في منح آريوس العفو، حتى أن ق. الكسندروس بابا الأسكندرية وق. أثناسيوس الذي خلفه لم يقبلاه في الأسكندرية.

ولم يرغب قسطنطين حينئذ أن يؤزم المسائل أكثر بأن يفرض على بابا الأسكندرية بأن يقبل آريوس بل أنه في الواقع عندما طلب أنصار آريوس من الإمبراطور ـ برسالة محررة بلهجة شديدة ـ أن يتدخل لأجل تأمين عودة آريوس إلى الأسكندرية، غضب قسطنطين وأعاد أدانتهم بمرسوم آخر أسماهم فيه «بالبورفوريين» أى أنهم مشايعون لتعليم «بورفيريوس»[٥].

وبعد وساطات متعددة غيَّروا مرَّة أخرى من مشاعر قسطنطين ورحل آريوس إلى القسطنطينية حيث أعترف بالإيمان الأرثوذكسي أمام الإمبراطور وتمسَّك بأن

---

[٥] التاريخ الكنسي لسقراط (٩:١) بوفيريوس هو أحد فلاسفة «الأفلاطونية الجديدة» الوثنيين قرب نهاية القرن الثالث. هاجم المسيحية بعنف وخاصة هاجم ألوهية المسيح (المعرب).



يصير مقبولاً بطريقة رسمية على نطاق أوسع بالكنيسة. إلاَّ أن الأمر بتحديد موعد بقبوله في كنيسة القسطنطينية قد تلاشى نهائيًا، إذ أن آريوس سقط ومات في مرحاض عام فجأة ليلة الموعد المحدد لقبوله[٦].

مؤلفاته:

استحوذ آريوس على مركز هام في التاريخ الكنسي، لكنه لم يترك مؤلفات كثيرة. فقد كتب أعمالاً قليلة نسبيًا وصلنا منها النذر اليسير. وهذه الكتابات التي وصلتنا عبارة عن رسائل عامة. إلاَّ أنها في واقع الأمر تحوى إعترافاته وهى:

(أ) رسالة إلى أسقف نيقوميدية:

وقد حفظها لنا إبيفانيوس في كتابه «باناريون»[٧]. وكذلك ثيئودوريتس في كتابه «التاريخ الكنسى»[٨]. وفى هذه الرسالة يحتج على تحامل ق.الكسندروس ضده وضد أتباعه ويعرض آراءه وتعاليمه في صراحة تامة. ويقول إن الابن إله لكنه ليس «غير مولود» «ولا جزء من غير المولود» وفى النهاية يستنجد بيوسابيوس أسقف نيقوميديا مسميًا إياه أنه من «الاتحاد اللوكيانى».

(ب) رسالة إلى الكسندروس بابا الأسكندرية:

حُفظت هذه الرسالة في أعمال «ق. أثناسيوس عن المجامع»[٩]. وفى كتاب «باناريون» لابيفانيوس[١٠]. كما حفظت باللغة اللاتينية في كتاب «الثالوث

---

[٦] الرسالة الدورية إلى الأساقفة بقلم أثناسيوس ١٨:٥.

[٧] باناريون معناها خزانة الأدوية.

[٨] التاريخ الكنسى لثيئودوريتس (٤:١) انظر «باناريون» لإبيفانيوس (٦:٦٩).

[٩] «ق. أثناسيوس عن المجامع» ١٦.

[١٠] «باناريون» لإبيفانيوس (٧:٢٩).



لهيلاري»[١١]، وهى الاعتراف الإجمالي الذي كان قد قدَّمه لمجمع نيقوميديا الأول والذي عقده الآريوسيون المنفيون. وفى هذه الرسالة تحاشى التعبيرات المثيرة وأعتبر أن «الابن قد وُلِدَ قبل كل الدهور» وأضاف قائلا : إلاَّ أنه لم يكن موجودًا من قبل أن يولد.

(ج) إعتراف الإيمان:

حُفظت هذه الرسالة في التاريخ الكنسي لسقراط[١٢] والتاريخ الكنسي لسوزومينوس[١٣] . وفى هذه الرسالة حجب عقيدته الحقيقية وقال بإن الابن قد وُلِدَ قبل كل الدهور لأنه لو كتبت كلمة γεγεννημένος (المولود) بحذف حرف ν منها وصارت γεγενημένος لتغيَّر معناها وأصبحت تعنى المخلوق وليس المولود.

(د) "ثاليـا":

حفظ ق. أثناسيوس في كتاباته بعض نصوص هذا الكتاب[١٤]. وكلمة «ثالثا» معناها مأدبة أدبية. وقد دبجها كلها تقريبًا بأبيات منظومة وبلحن يليق بالنساء فقط. وفى افتتاحيتها نجده يُظهر نفسه أنه مملوء بالعقيدة والعواطف الشجية عندما يتعرَّض للحديث عن الله فيقول:

«بحسب إيمان مختارى الله... عارفى الله...

أبناء القديسين.. ذوى التعاليم الشرعية الثابتة.. الحاصلين على روح الله القدوس...

---

[١١] «هيلاري عن الثالوث» (١٢:٤، ٦:٥هـ).

[١٢] «التاريخ الكنيسى لسقراط» (٢٦:١).

[١٣] التاريخ الكنسى لسوزومينوس» (٢٧:٢).

[١٤] أثناسيوس ضد الأريوسيين (٥:١-٦).



أنا نفسى تعلمَّت هذا .. ممن سبقوني وممن لديهم هذه الحكمة ..

ومن عارفى الله..

حسب كل أقوال الحكماء.. أتيت أنا مقتفيًا أثر كل هؤلاء..

وأنا ذو السمعة الحميدة.. متمسكًا بنفس العقيدة..

ومتحمَّل كثيرًا من أجل مجد الله.. ومتعلمًا من الحكمة الإلهية..

وفيما عدا هذا، يبدو أنه كان لآريوس مجموعة أخرى من الأشعار لكل مناسبة من مناسبات الحياة[15]، (كما أشار بذلك ق. أثناسيوس) في المجموعة التي تسمى «البحرية»، «الرحى» ، «الرحلة».. الخ.

ووفقًا لما يقوله ق. أثناسيوس فإن كل هذه القصائد قد دبجت بلهجة ونغمة داعرة مثل التي كان يكتب بها سوتيادوس أشعاره القومية.. وكانوا يتغنّون بها في مأدبهم بضجيج صخب وعبث..

تعاليم أريوس:

في كل ما وصلنا من نصوص لتعاليم آريوس، لا يتضح لنا أنه يوجد تناسق في هذه التعاليم، وحيث إن معظم كتاباته كانت دفاعية فإنها كانت مضلّلة تخفي الحقيقة. ويبدو هذا جليًا في رسالته إلى أسقف نيقوميدية، وفى باقته الشعرية «ثاليا». ولم تقتصر تعاليمه هذه على مدرسة واحدة، كما قال كثيرون - أى أنها لم تنطلق لا عن وحدانية الله كما عبرّت عنها نصوص الكتاب المقدس والتي أعتنقها الأنطاكيون المتطرفون الذين اعتقدوا بأن الابن تهذَّب وتشكَّل بهبوط قوَّة إلهية مجردَّة على يسوع..، كما أنها لم تنطلق من فكرة الوحدانية التي أعتنقها السكندريون المتطرفون الذين اعتقدوا بأن هذه الوحدانية الإلهية اتسعت لتحوى

---

[15] ق. أثناسيوس عن مجمع نيقية ١٦ — فيلوستورغيوس التاريخ الكنسى (٢:٢).



كل الكائنات الإلهية، بل أن تعاليمه نشأت عن وحدانية مبنية علي الفلسفة. وحيث إن آريوس كان موحدًا متطرّفًا فإنه أراد أن يؤكد أن الله كان واحدًا وأنه في نفس الوقت متعالي. وهو يرى أن التمييز بين الآب والإبن سيناقض معنى الواحدنية في الله كما أن خلقةُ الله للعالم «الشرير» سيناقض تعاليه.

وبحسب هذه الأفكار، فإن الله واحد، غير مولود وحده، سرمدى وحده، ليس له بداية وحده. الحقيقي وحده، الذي له الخلود وحده[16]. وبجانب الله، لا يوجد كائن آخر.. ولكن عن طريقه توجد قوَّة عامة (لا شخصية) هى «**الحكمة والكلمة**».. وهذه التعاليم مأخوذة عن «الوحدانية الديناميكية» التي علّم بها بولس الساموساطى. ويعكس فكره اللاهوتي إعتماد بالأكثر على «الآباء المدافعين». وتأثره بأفكار «الغنوسيين» إلي الحد الذى كان يعلم بأنه فيما أن الله كان واحدًا فهو لم يكن أبًا «الله لم يكن دائمًا أبًا. أما فيما بعد فقد صار أبًا»[17].

ويقول لقد صار الله أبًا عندما أراد أن يخلق العالم وعندئذ خلق كائنًا واحدًا. هذا الكائن أسماه الابن، ويسمى استعاريًا الكلمة أو الحكمة.

إذن فحسب تعاليم آريوس توجد حكمتان:

١. قوَّة الله الواحدة العامة.

٢. وكائن إلهي ذاتي واحد. وهذا الكائن هو الحكمة الثانية الذي جاء إلى الوجود من العدم ومن ثم فهو مخلوق. إذ يقول آريوس إن «كلمة الله ذاته خُلِقَ من العدم.. وكان هناك وقت ما حينما لم يكن موجودًا. وقبل أن يصير لم يكن موجودًا.. بل أنه هو نفسه أول الخليقة لأنه «صار» ويقول أيضًا «الله وحده كان

---

[16] آريوس فى رسالته إلى الكسندروس وجدت فى كتاب أثناسيوس عن المجامع ١٦.

[17] ثاليًا: انظر ق. أثناسيوس: ضد الأريوسيين ١:٥.



وحده دون أن يكون هناك الكلمة والحكمة.. ومن بعد ذلك عندما أراد أن يخلقنا عندئذ بالضبط خلق شخصًا وهو الذي دعاه الكلمة والابن، وذلك كي يخلقنا بواسطته»[18]. ولكي يؤيد تعاليمه استخدم نصًا خاصًا اقتبسه من سفر الأمثال: «الرب خلقني أول طرقه..» (أم٨:٢٢)، وكان أوريجانوس من قبل قد تحدَّث عن «خضوع الابن»، كما تحدَّث عن «ميلاد الكلمة الأزلي» وهنا أخذ آريوس الجزء الأول فقط من تعليم أوريجانوس، وذلك عندما أضطر فيما بعد أن يقر «بالميلاد قبل الدهور» مفسرًا ذلك بأنه يعنى فقط الزمن الذي سبق خلقه العالم.

فعند آريوس، يبدأ هذا العالم بخلق الابن، وحينئذ يبدأ الزمن أيضًا أن يوجد.. والابن هو المولود الأول ومهندس الخليقة.. ومن المستحيل عنده الإيمان بإن الابن إله كامل بل أنه يعتبر أن معرفة الابن محدودة لأنه لا يرى الآب ولا يعرفه.. والأمر الأكثر أهمية أنه يمكن أن يتحوَّل ويتغيَّر كما يتحوَّل ويتغيَّر البشر»وبحسب الطبيعة فإنه مثل جميع الكائنات، هكذا أيضًا الكلمة ذاته قابل للتغيَّر والتحوَّل بأرادته الذاتية المطلقة، إن رغب فإنه يمكنه أن يبقى صالحًا، حينئذ. وعندما يريد فإنه في استطاعته هو أيضًا أن يتحول مثلنا، حيث أن طبيعته قابلة للتغير»[19].

أن بولس الساموساطى استعمل اصطلاح «القدرة علي ان يكون كاملاً» الذي أتخذ منه آريوس كل تعبيراته.. ووفقًا لتعليمه أن المسيح هو ظهور بسيط للكلمة في الإنسان. ومن ناحية أخرى فهو يعتبر إنسان كامل فقط وليس إله كامل.. وبالتالي فإن الابن يمكن أن يدعى الله بطريقة إستعاريًا فقط. وهو نفس الاسم الذي يمكن أن يدعى به البسطاء من الناس أيضًا حينما يصلون إلى درجة كاملة من

---

[18] المرجع السابق.

[19] "ثاليا" كما جاء فى أثناسيوس ضد الأريوسيين مقالة ١:٥.



الروحانية والأخلاق.. وهنا يتضح كل التعاليم التي نادت بها هرطقة «التبني Adoptionism» عن المسيح.

النتيجة الأولى لهذا التعليم:

هو أن الإيمان بالثالوث يتلاشى ويذوب.. فلقد تحدّث آريوس بالطبع عن الثالوث إلاّ أنه اعتبره أنه قد صدر متأخرًا ولم يكن أصليًا وأزليًا. لأنه وفقًا لتعليمه فإن الآب وحده كان إلهًا أزليًا.

أما النتيجة الثانية:

فهى أن الحياة الجديدة للإنسان التي صيغت كنتيجة لتأنس الكلمة، لا تتشكل نتيجة تأليه الإنسان بل بواسطة سمو روحي وأخلاقي.. وبهذا يمكن للمرء أن يقول إن هذا الموقف قد اقتبسه آريوس من موقف المدافعين[20] الذين تأثروا بالفكر الفلسفي في عصرهم وبناء عليه فهموا تعاليم المسيحية. إلاّ أن موقف «المدافعين» يجد له مبررًا بسبب العصر الذي عاشوا فيه والعالم الذي كانوا يتوجهون إليه بالحديث. أما فيما يتعلّق بآريوس فإن الموقف يظهر ركود أفكاره والتي حتى وإن كانت جزئية إلاّ أنها خالية من المرونة والعمق.

ونتيجة لتعاليم آريوس بإن كلمة الله مخلوق وقوله عن المسيح إنه إنسان مُؤَّله بسبب كماله الروحي والخِلقي، نجم نزاع شديد زعزع أركان الكنيسة والدولة الرومانية.. لأن البدعة الآريوسية لم يتم تنظيمها بطريقة سرّية مثل غيرها من البدع والهرطقات، بل انضم إلي صفوفها رجال رسميّن فى الكنيسة وفى الدولة. وهددت بالاستيلاء على النظام الكنسي بأكمله.. ومن الجدير بالذكر ان

[20] هم معلمى الكنيسة الذين قاموا بالدفاع عن المسيحية والمسيحيين أمام الأباطرة الوثنيين. وأمام الفلسفات الوثنية المعاصرة وأحيانًا ضد الهجمات اليهودية. خلال القرنين الثاني والثالث، ومن أشهر المدافعين يوستينوس. وتاتيان واثيناغوراس وأوريجانوس (المعرب).



المصالحة السياسية قد استمرت حتى وقت موت آريوس وقسطنطين ومع هذا لم تنتج في الالتزام بتعليمات مجمع نيقية بل تحايلت عليهاعن طريق تفسير الاريوسيين المتباين والمؤول بطريقة يشوبها الالتباس لهذه القرارات. ولم تأت تعاليمهم بأية نتائج، وذلك لأن زعماء الأرثوذكسية لم يقبلوا آريوس في الكنيسة بسبب اعترافاته المشتبه فيها. وفي الواقع تلاحظ أثناء هذه الفترة تقدُّم ملحوظ في العمل الذي قاد أيضًا إلى تفوق طفيف للآريوسية. فقد عمل الآريوسيون - بواسطة سلسلة المجامع التي أشرفوا عليها بأنفسهم - علي تنحية وأبعاد القادة الأرثوذكسين من خصومهم بإتهامهم بإتهامات باطلة واهية، كان من بينهم ق. أوستاتيوس الأنطاكي عام ٣٣٠م. وق. أثناسيوس الأسكندرى عام ٣٣٥م، وماركيلوس الانقيرى عام ٣٣٦م.

هذا ولقد ساءت الأحوال بعد وفاة قسطنطين الكبير، لأن حاكم الشرق قسطنديوس، فرض الآريوسية على المناطق التي كان يحكمها.. أما بعد وفاة أخيه قسطنس عام ٣٥٠م، فقد فرضها على جميع أنحاء الإمبراطورية.. وسحق هذا الحاكم نشاط معارضيه ومقاوميه الأرثوذكسيين وانشغل بإحلال أساقفة آريوسيين بدلاً من الأساقفة الشرعيين في أهم مراكز الشرق وبعض جهات الغرب.

وبعد وفاة قسطنديوس انهار فجأة بناء الآريوسيين الشامخ، لأن يوليانوس الذي كان يدين بالعقيدة الوثنية عامل جميع المذاهب المسيحية معاملة متساوية، وعندئذ عاد المنفيون إلى أماكنهم وبدأت الأرثوذكسية في أعادة تنظيم شملها مما جعلها تسود وتنتصر. وقد وصلت إلى أكبر درجة من السيادة أثناء حكم الإمبراطور الأرثوذكسي يوفيانوس...

الفرق الآريوسية:

كان البناء الآريوسى فى عهد قسطنديوس ـ على الأقل ـ يبدو عظيمًا في الظاهر.. إلاّ أنه كان من البدء عملاً مزعزعًا. وذلك ليس فقط لأنه حصل على

قوَّته من عناصر كنسيَّة منشقة، ولكن أيضًا لأن إتجاهه اللاهوتي لم يكن متحدًا.. فإن جميع الآريوسيين رفضوا اصطلاحات مجمع نيقية.. ولكن ليس لأجل الأسباب عينها دائمًا.. لذا فإن الخلافات فيما بينهم انكشفت وتحدَّدت عند كثيرين منهم عن طريق موقفهم من اصطلاحات هذا المجمع.

ولقد استخدم أباء مجمع نيقية في قانون الإيمان إصطلاح «هوموأوسيوس» ὁμοούσοος أى «الواحد في الجوهر مع .. أو المساوي في الجوهر لـ..». وأرادوا أن يثبتوا بهذا الاصطلاح أن الابن مع الآب هما واحد. وأن هذا الجوهر هو كائن واحد أزليٌّ.. وأضاف هؤلاء الآباء أنفسهم، بعد قانون الإيمان - بسبب الحرومات - نصًا قالوا فيه بإن الابن «ليس من هيبوستاسيس آخر» ἐξ ἑτερος ὑτοστασεως أى « ليس من جوهر آخر».. وهكذا فقد أغضب الاصطلاح الأول الآريوسيين المتشددين، أما الإصطلاح الثاني فقد أغضب الآريوسيين المعتدلين.. (أو أنصاف الآريوسيين Semi – arians) ويبدو أن القانون دبجه لاهوتي غربي من المحتمل أن يكون "هوسيوس" أسقف قرطبة. وكلمة «ὑπόστοις»[٢١] «هيبوستاسيس» التي وردت فيه هى ترجمة للكلمة اللاتينية «Substantia» إلاَّ أنه في الغرب - نظرًا لعجز اللغة اللاتينية حيث كانت كلمة Substantia تعنى كلاً من «أوسيا» οὐσία أى الجوهر أو الكيان. وكلمة «هيبوستاسيس» ὑποστασιν أى القوام أو الأقنوم- لذا أوضح أباء نيقية وحدة تطابق هذين الاصطلاحين لأنهم كانوا يخشون لو أنهم اعترفوا باثنين هيبوستاسيس (أى قوامين) ، أن يتهموا بأنهم يقبلون الاعتراف بجوهرين أى يكونوا مثل الآريوسيين الذين نادوا بعدم وحدة الجوهر للآب والإبن.

---

[٢١] كلمة «هيبوستاسيس Hyposasis» اليونانية تعنى القوام، أو الأساس ــ أو ما يقف عليه الشيء ــ "الدعامة" أو طبيعة الشيء، أو الشخص، أو أقنوم (المعرب).



١ـ الآريوسيون المعتدلون:

كان الآريوسيون المعتدلون (Semi – Arians) أوريجانيين قدامى وكان يتزعمهم أسقف قيصرية أوسابيوس، وهم الذين قبلوا بتعاطف عن رضى تعليمًا واحدًا يرتكز على النظرية الأوريجانية الخاصة بخضوع الابن، هؤلاء أصروا على التمييز المشدَّد بين الآب والابن.. ورفضوا أيضًا اصطلاحي مجمع نيقيا واعتبروهما سابيليان، لأنهما لم يردا بين نصوص الإنجيل.. إلاّ أنهم كانوا على استعداد لقبول معنى «التساوى في الجوهر ὁμοούσιος» لكن بتعبير مخالف.. لهذا تمسكوا بالتعبير « «ομοιον κατά πάντα τῷ πατρι«مماثل للآب فى كل شئ»[٢٢].

وبعد موت يوسابيوس قام باسيليوس أسقف أنقرا وجورجيوس اللاوديكى بتنظيم هؤلاء الأريوسيين المعتدلين. وتميَّز هؤلاء بالوضوح أكثر عن الآريوسيين الآخرين، في مجمع ميديولانوس عام ٣٥٥م حيث أنهم قبلوا «تماثل الجوهر» أو التشابه في الجوهر «ὁμοιοτητα» الأمر الذي من أجله أطلق عليهم اسم «ομοιουσιανοι» وكانوا يختلفون عن القائلين «بالتساوى في الجوهر» ««ομουσιανους أى «الهوموأوسيين» قليلاً، حيث الفرق في اللغة بين الاثنين هو حرف (ι).

٢ـ الآريوسيون المتشددون:

هؤلاء كانوا على عكس المعتدلين. وهؤلاء المتشددون كانوا قد نشأوا عن اللوكيانيين الذين قبلوا تعليم «بدعة التبني».. وكان يرأسهم في البدء يوسابيوس النيقوميدى. وفيما بعد يوسابيوس القسطنطينى. وهذا الفريق تشدَّد في الفصل بين الآب والابن بدرجة أكبر.. وإن كانوا أحيانًا يخفون آراءهم لأسباب تكتيكية. إلاّ أنهم كانوا متشددين.. وبعد موت يوسابيوس هذا فى عام ٣٤١، برز بين صفوفهم «ايتيوس» الأنطاكى الذي اندفع إلى التمسك بتعاليم أريوس الأشد تطرفًا من أجل

---

[٢٢] أوسابيوس: رسالة إلى كنيسته في كتاب "التاريخ الكنسى لسقراط".



تكوين فريق أريوسى جديد. وهذا الفريق الجديد تشكّل بطريقة أكثر تنسيقاً على يد تلميذه «يونوميوس». كما أن المنتمين إلى هذا الفريق وضعوا مناهج وأساليب متكاملة.. وتدخلوا بفكرهم ليفحصوا جوهر كل الكائنات. بما فيها الله أيضًا.. وزعموا أن جوهر الله هو فى عدم الولادة أما جوهر الابن فهو فى كونه مولود.. ومن ثمَّ فإن جوهرى الآب والابن ليسا فقط لم يكونا شبيهين بل نقيضين تمامًا.. ولكى يؤكدوا تمييزهم لله الآب بفرادة خاصة وحده، اعتادوا أن يمارسوا المعمودية بغطسة واحدة فقط بدلاً من ثلاثة غطسات.

١ـ بسبب التباين بينهم، تشكل فريق ثالث بإيحاء من الإمبراطور قسطنديوس. هو فريق «الاوميويين» «τών ὁμοιών» أى (الشبيهين) وهؤلاء استخدموا الإصطلاح «أوميوس ὅμοιος» (أى شبيه أو مثيل)، ألاَّ أنه لم يكن لهم تعاليم لاهوتية خاصة بهم.. بل ـ بحسب الظروف ـ كانوا ينحازون لفريق أو لأخر. وقد أدى ذلك إلى إضفاء تفسيرين على كلمة «أوميوس ὅμοιος» فصار من الممكن أن تعنى أما «تشابه الجوهر» أو تشابه المشيئة.. وأتخذ مشايعو هذا الفريق لزعامتهم أساقفة الحدود الشمالية أمثال أورساكيوس السنجدونى، وأولتتاس المورصى وكذلك أكاكيوس القيصرى، وهؤلاء فرضوا وجهات نظرهم في المجمع الذي أنعقد فى سرميوس عام ٣٥٩م.

مواجهة الآريوسية:

هز الآريوسيون أرجاء الكنيسة بسبب الطريقة التي ظهروا بها، حيث إنهم ـ على وجه الخصوص ـ نشروا وفرضوا أفكارهم بكل ضرب من ضروب البدع الغريبة على ذلك العصر. فهم لم يستعينوا فقط بالعظات الدينية، وتحرير الرسائل اللاهوتية ونشر عقائدهم على هيئة أفكار منتظمة قانونية، كما تأمر بذلك «تعاليم الرسل» بل كما سبق أن قيل أيضًا، فإنهم استخدموا كذلك اشعارهم الغنائية التي كانوا يتغنون بها في كل مناسبة. أما سلاحهم الأكثر مضاء



وصلابة، فكان استغلالهم للقوى السياسية التي أقحموها للتدخل - لأول مرَّة - في شئون الكنيسة الداخلية. وهكذا أبعدوا خصومهم بوسائل عنيفة وأرغموا ق. أثناسيوس على أن يبارح كرسيه خمس مرات وفى مرّتين منها أقاموا أساقفتهم على هذا الكرسى.. وكان تفوقهم الساحق أكثر ثباتًا واستقروا فى أنطاكيا، بعد عزل الأسقف يوستاتيوس عام ٣٣٠م. وفى عام ٣٦٠ أقاموا هناك صديقهم ميليتيوس الذي ما لبث أن أعرب في الحال عن اتجاهه إلى قانون إيمان نيقيا..

أما في أسيا فكان نفوذهم أقل، ولو أن موقفهم هناك كان أكثر هدوءاً، الأمر الذي لأجله كان موقف الأرثوذكسيين مرنًا..

وفى القسطنطينية - على مدى أربعين سنة - خلف أربعة أساقفة آريوسيين الواحد الآخر.. وهكذا عندما صار ق. غريغوريوس الثيئولوغوس أسقفًا للقسطنطينية أستقر في بيت صغير للصلاة (Chapel)، لأن الأريوسيين كانوا قد أستولوا على جميع الكنائس، ولكن ق .غريغوريوس خلَّص القسطنطينية منهم.. وفى الغرب حصلوا على نجاح محدود حيث استولوا فقط على بعض مراكز هامة قليلة مثل المديولانيين وذلك لعدة سنوات قليلة فقط.. إلاَّ أنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى كرسي أسقفية روما.

وكانت حالة المسيحية في ذلك العصر تثير الحزن والأسى. فبينما أُعطيت لها الفرصة لأول مَّرة لكي تمد كرازتها في كل مكان، اضطر قادتها أن يهملوا ذلك قهرا. واضطروا للإنشغال بأمور عقائدية دقيقة.

كانت شوارع الأسكندرية تعج باستمرار بالأساقفة الذين، أما كانوا يفدون نحو منفاهم وأما كانوا يتوجهون للاشتراك في المجامع العديدة وفى وسط هذه المحازفات والمخاطر أظهرت قيادة الأرثوذكسية شجاعة مقترنة بدبلوماسية تجاه مضطهديهم، كما أظهرت تمسكًا شديدًا بالتقليد والإيمان المسلّم.. فكانوا إما ينادون بعقائدهم وينفون بسببها وإما كانوا يحافظون على هذه العقائد ويمكثون



في أماكنهم كي يصونوا الإيمان الأرثوذكسي الذي لا يخمد، ومن حول هؤلاء كانت خلايا المؤيدين المخلصين تصارع وتتصادم من أجل عقيدة مجمع نيقية.

ولقد تحملَّ مسئولية الدفاع عن هذه العقيدة أولاً، مجموعة من القادة الكنسيين مثل البابا الكسندروس السكندرى. ويوستاتيوس الأنطاكى، وهوسيوس القرطبى.

ثم بعد ذلك بقليل وقع عبء الدفاع عن عقيدة نيقية على أكتاف القديس أثناسيوس الكبير الذي أدار النضال طيلة خمسين عامًا تقريبًا.. مُعضدًا أيضًا من الآباء الآخرين أمثال كيرلس الأورشليمى وسرابيون أسقف تيميس، وديديموس الضرير، وهيلاريوس البكتافى وأخيرًا الآباء الكبادوكيين العظام: باسيليوس أسقف قيصرية وغريغوريوس الثيئولوغوس وغريغوريس النيسي، وهؤلاء اللاهوتيين هما قاموا – باستنادهم على حجج وبراهين من الكتاب المقدس والتقليد الأصيل – بتجريد تعاليم آريوس اللاهوتية من غطائها المتستر بالكتاب المقدس. وكشفوا أن الآريوسية إنما هى دراسة فلسفية جافة وعقيمة تُظهر الله بدون حياة أو حركة..

كما كشف ق. أثناسيوس الكبير أن تعاليم آريوس أدت إلى أمرين غير لائقين:

أولهما: أنه لاشيء التعليم بالثالوث القدوس، وفتح الطريق أمام الاعتقاد بتعدد الآلهة، إذ أنه سمح بعبادة المخلوق.

وثانيهما: أنه قلب «بناء الخلاص» كليَّة. فالمخلِّص الذي أخذ على عاتقه خلاص البشرية يلزم أن يكون هو نفسه فيه ملء اللاهوت،

ما دام قد أخذ على عاتقه أن يؤله الإنسان. وعليه فكيف يكون من الممكن أن الكلمة الذي يؤله الإنسان لا يكون واحدًا في الجوهر مع الله؟ إن قمة براهين ق. أثناسيوس هى أن المسيح لم يصر أبنًا لله كجزاء لكماله الأدبي بل على العكس فإنه هو الذي ألَّهنا. فيقول ق.أثناسيوس «إذن فالمسيح لم يكن انسانًا وفيما بعد



صار إلهًا، بل أنه كان إلها ثم صار إنسانًا لكي يؤلهنا» (المقالة الأولى ضد الآريوسيين فقرة ٣٩).

وعلى الرغم من صرامته وحزمه لم يكن ق. أثناسيوس متصلّبًا بل كان يعرف كيف يتدبر الأمر بتفهم وتسامح . وعندما تخلّص من الضغط السياسي الخطير عرض المشكلة بحذر ويقظة أكثر وأعاد فحص الموقف كله وعندئذ تحقق من قصور وعجز بعض الحجج وسعى لكي يجد لها علاجًا.. فالمطابقة المشار إليها سابقًا بين الاصطلاحين «اوسيا» (أى الجوهر). و«هيبوستاسيس» (أى القوام) كانت مقبولة في الغرب بدون اعتراض، ولكن في الشرق رأى كثير من اللاهوتيين أن فيها خطر البدعة «السابيلية». وأدرك ق. أثناسيوس هذه الحيرة وقام بحركة توفيق فعالّة أثناء مجمع الأسكندرية عام ٣٦٢م حيث أقر بأن كل مَنْ لا يرغب في الإعتراف بصيغة «الاوموأوسيوس» (أى المساواة أو الوحدة فى الجوهر)، ولكنه يقبل في نفس الوقت بوحدة «الآب والابن فإنه يوجد على الطريق المستقيم». وقام بخطوة العودة للتقليد الشرقي فيما يخص للثالوث مع التفريق بين معنى الاصطلاحين «أوسيا»، و«هيبوستاسيس» مع إضافة معنى «طريقة الوجود الخاص بالكيان» إلى «الهيبوستاسيس». وهكذا فإن الله يكون من جوهر واحد ولكنه يوجد في ثلاث أقانيم (هيبوستاسيس) أو أشخاص (بروسوبا)، وهذه الصيغة توسع فيها أكثر الآباء الكبادوكيين بعد ذلك. ومن ذلك الوقت فتح الباب أمام جماعة «الهوميواوسيين» «ομοιουσιαγους». كما أن غالبية الذين رجعوا وانضموا إلى أتباع مجمع نيقيا الأرثوذكسيين، وصلوا أيضًا بعد ذلك إلى قبول مبدأ «الهوموأوسيوس» «ομοουσιος» (التساوي أو الوحدة في الجوهر) ولكن البعض من هؤلاء لم يكونوا على استعداد لقبول الاعتقاد بمساواة الروح فى الجوهر أيضًا (أى مع الآب والابن) . ولهذا السبب تضمن قانون الايمان في مجمع نيقيه، مجرد عبارة «وبالروح القدس» بدون أيَّة خاصية أو صفة أخرى، وكان هؤلاء يعتقدون بثنائى فقط في الله بدلاً من الثالوث. ولهذا أطلق عليهم أسم «أعداء الروح» ولأنه



كان يتزعمهم «مقدونيوس» الذى جرَّده «الأوميوون» «ὁμοίων » من رتبته لهذا أُطلق عليهم أيضًا أسم «المقدونيون». وهؤلاء حُكم عليهم بواسطة مجمع أنطاكية سنة ٣٧٩م. والمجمع المسكونى الثاني بالقسطنطينية سنة ٣٨١م. ولكي يتجنَّب الآباء أى مخاطرات جديدة أو أى إساءة فهم للأمور، فإنهم لم يستخدموا فى هذا المجمع الأخير أى اصطلاحات مثيرة، مثل «الهوماوسيوس» «ομοουσιος» بل استخدموا عبارات متباينة وهى عبارات توضح «المساواة في الكرامة» وهم في هذا قد أتبعوا السياسة الحكيمة التي كان يسير عليها ق. باسيليوس الكبير. ثم أصدر الامبراطور ثيئودوسيوس قرارًا بوضع حد لهذا الصراع داخل إمبراطوريته، فكانت النهاية الحاسمة، مما أدى إلى الاعتراف بشكل دينى واحد وهو المسيحية الأرثوذكسية التي أقرها «داماسوس» أسقف روما. «وبطرس» بابا الأسكندرية. وبالتالي أنضم غالبية الآريوسيين إلى الكنيسة، أما البقية الذين تخلَّفوا فقد انضموا على التوالي إلى بدع وهرطقات أخرى، وخاصة النسطورية، وهى البدعة التي حاولت أن تنقص من ألوهية المسيح بطريقة أخرى.

المقـــــالة الأولى

(الفصول ١-١٣)



الفصل الأول

مقدِّمه

سبب الكتابة :

١ـ بقدر ما نأت وابتعدت الهرطقات عن الحقيقة، بقدر ذلك ابتدعت واستنبطت لنفسها جنونًا وخبلاً بات جليًا واضحًا. وصار كفر وتجديف هؤلاء الناس ظاهرًا بيِّنا للجميع منذ القدم. لأن خروج الذين ابتدعوا أمور الخداع هذه، عنا ـ من الممكن أن نثبته ونوضّحه كما كتب المغبوط يوحنا[٢٣] ، فإن فِكرْ مثل هؤلاء القوم لم يكن له وجود قط قبل ذلك، كما أنه لا يتفق مع ما نعتقده نحن الآن ونؤمن به. ولذلك أيضًا فكما يقول المخلّص، فإن الذين لا يجمعون معنا هم يفرقون مع الشيطان[٢٤]، متعقبين النائمين، حتى إذا نفثوا فيهم سمهم المُهلك يضمنون اشراكهم معهم فى الموت. وحيث إن واحدة من الهرطقات، وهى الهرطقة الأخيرة ـ التى ظهرت الآن كتمهيد لضد المسيح (المسيح الدجال) ـ وهى التى ـ تسمى الآريوسية، وإذ هى باطلة وخبيثة وماكرة، فقد لاحظت أن اخواتها من الهرطقات الأخرى الأقدم منها، قد فُضِحت جهارًا، ولذلك فإنها ـ مثل أبيها ـ الشيطان ـ تظاهرت بلبس كلمات الكتاب المقدس، لتحاول الدخول مرَّة أخرى إلى فردوس الكنيسة لكى تظهر ـ بغير وجه حق ـ كأنها تعاليم مسيحيّة، وأن تخدع البعض لكى يفكروا ضد المسيح، معتمدة على أباطيلها الزائفة. إذ ليس فيها شئ من الصواب. وها هى قد أغرت بعض الحمقى من هؤلاء الذين لم يهلكوا فقط

---

[٢٣] ١يو٢:١٩.

[٢٤] لو١١:٢٣.



بالسماع بل أيضًا ـ مثل حواء ـ أخذوا وتذوقوا، حتى أنهم ـ بسبب جهلهم وعدم درايتهم صاروا يعتبرون المرّ حلوًا[25] وأخذوا يطلقون على هرطقتهم الشنيعة أنها حسنة. ولهذا أعتقدتُ ـ بعد أن طلبتم منى ـ أنه صار ضروريًا أن أحطم قوّة درع هذه الهرطقة الدنسة، وأن اكشف عن نتانة حماقتها، وعفن وقاحتها، لكى يتجنَّبها الذين ما زالوا بعيدين عن هذه البدعة، وأيضًا لكى يندم الذين خدعوا بها، فيتوبوا. ولكى يدركوا بعيون قلوبهم المفتوحة أنه كما أن الظلام ليس نورا، والكذب ليس حقيقة، هكذا فليست الآريوسية بدعة حسنة، لكن بعض هؤلاء أيضًا الذين يسمون مسيحيين، كثيرًا ما يُخدعون لأنهم لا يقرأون الكتب المقدسة، ولا يعرفون المسيحية قط، ولا يدركون الإيمان بها.

الآريوسية مختلفة تمامًا عن الإيمان الحقيقى:

٢ـ أى شبه رآه هؤلاء إذن، بين هذه البدعة وبين الإيمان الحقيقى. حتى أنهم يقولون بإنه لا يوجد شئ ردئ فيما يعلّمه أولئك (المبتدعون)؟ ومعنى هذا فى الحقيقة، أنهم يعتبرون قيافا مسيحيًا. وأيضًا لا يزالون يحسبون يهوذا الخائن بين الرسل، ويقولون عن أولئك الذين طالبوا بإطلاق سراح باراباس بدلاً من المخلَّص، أنهم ما اقترفوا أى أثم، وهم يمدحون هيمينايس والاسكندر[26] على أن اعتقادهما قويم، ويعتبرون أن الرسول يكذب بخصوصهما.

---

[25] إش٥: ٢٠.

[26] قارن ١ تيمو١: ٢٠ و ٢ تيمو ٢: ١٧ هيمينايس والاسكندر هما اثنان من المعلّمين المبتدعين فى المسيحية الأولى، اللذين حرمهما بولس الرسول من الخدمة فى الكنيسة لأنهما آمنا وعلّما بأن قيامة الأموات العامة قد صارت.



إلاّ أن المسيحي لايحتمل سماع كل هذة الأشياء، كما أن ذلك الذى يجرؤ أن يتحدّث بمثل هذه الأقوال، لا يمكن إعتباره سليم العقل والإدراك.

فبالنسبة للآريوسيين يُعتبر آريوس لديهم بدلاً من المسيح، مثل مانى عند المانويين، وفى مقابل موسى والقديسين الأخرين عندهم سوتيادس[27] الذى كان يهزأ بالاممين (الوثنيين). وكذلك ابنة هيروديا[28].

لأن آريوس وهو يكتب الثاليا[29]. كان يقلّد الأسلوب النسائى المنسوب إلى سوتيادس. وكما أبهرت ابنة هيروديا هيرودس برقصها، كذلك آريوس سخّر الرقص واللهو فى التشهير والإفتراء على المخلّص.. وهو قد فعل هذا. من ناحية لكى يموّه ويضلّل عقول هؤلاء الذين انغمسوا فى الهرطقة لدرجة الجنون. ومن ناحية أخرى لكى يبدّل اسم ربُّ المجد إلى شبه صورة إنسان زائل[30]. وهكذا يتخذ مشايعوه اسم الآريوسيين بدلاً من لقب المسيحيين ويكون هذا دليلاً قاطعًا على كفرهم.

الآريوسيون ليسو مسيحيين:

فلا تدعهم إذن يجدون لأنفسهم عذرًا. ولا تدعهم يتهكّمون مفترين على هؤلاء الذين هم ليسوا فى الحقيقى مثلهم. فيسمون المسيحيين بأسماء معلّميهم، لكى

---

[27] سوتيادس شاعر يونانى قديم من مارونيا، ذاع صيته أيام حكم بطليموس فيلاديفوس. وكان موضوع أشعاره من الميثولوجيا اليونانية ذات الأسلوب الفاضح الوقح، ولذلك سمى بالشاعر الداعر.

[28] ابنة هيروديا، كانت قد أبهجت صدر هيرودس برقصاتها المغرية لدرجة أنها طلبت منه أن يقدّم لها رأس يوحنا السابق على طبق أنظر متى ١٤ :١ — ١٢، مر١٧:٦ — ٢٩.

[29] الثاليا هى أشعار وقصائد ألفّها آريوس بهدف نشر هرطقته بما فيها من تعاليم خاصة.

[30] رو ٢٣:١.



يظهروا هم أيضًا بهذه الطريقة أنهم مسيحيون[٣١]. ومرّة أخرى لا تدعهم يمزحون، وهم يستحون من اسمهم الذى جلب عليهم مثل هذا العار والخزى، فلو كانوا حقًا يخجلون فليغطوا عريهم أو فليتحوا عن ضلالهم. لأنه لم يحدث قط فى أى وقت، أن أتخذ الشعب المسيحي أسماء أساقفتهم ليكونوا تابعين لهم، بل اتخذوا اسم الرَّب وحده الذى به نؤمن. ولذلك فنحن أيضًا الذين اتخذنا تعاليمنا من الرسل المغبوطين الذين خدموا انجيل المخلّص، فإننا لم ننتسب إلى أسمهم ولم نُدعَ به، بل نُسمى فقط باسم المسيح، لذلك فنحن مسيحيون وهذا هو لقبنا. أما أولئك الذين ينتمون إلى آخرين ويأخذون منهم العقيدة التى يعترفون بها، فإنهم من الطبيعى بالنسبة لهم أن يحملوا أسماءهم أيضًا، لأنهم قد صاروا مِلكًا لهؤلاء المعلّمين.

٣. وحيث إن لنا الإيمان اليقيني بالمسيح، لذلك فأننا ندعى مسيحيين. وقديمًا عندما طُرِدَ ماركيون وألقى بعيدًا لأنه ابتدع الهرطقة، فإن هؤلاء الذين كانوا معه ورفضوه عندما حُرِمَ من الكنيسة ظلوا مسيحيين، فى حين أن الذين تبعوا مركيون وشايعوه لم يسموا بعَد مسيحيين بل لقبوا ماركيونيين. وهكذا أيضًا فالنتينوس وباسيليدس ومانى وسيمون الساحر، فأنهم نقلوا وأعطوا لأتباعهم أسماءهم الخاصة، ولذلك صار البعض يلقبون فالنتينيين والبعض الآخر باسيليديين وآخرين سيمونيين، والبعض الآخر الذين هم من فريجيا لقبوا فريجيين، والذين من نوفاتيس نوفاتيين.

وهكذا أيضًا ميليتيوس عندما طرده وحَرَمَه بطرس الأسقف والشهيد، لم يعد يُطلق على أتباعه اسم مسيحيين بل ميليتيين. وهكذا فقد حدث نفس الشئ أيضًا

---

[٣١] يبدو أن القديس أثناسيوس يشير إلى أن البعض كان يطلق على المؤمنين المستقيمى الرأى اسم أثناسيوس، لكى يجدوا بهذا مبررًا لأنفسهم وهم يسمون أتباعهم بأسمائهم، وأن يعتبروا أنفسهم مسيحيين.



حينما حَرَمَ ألكسندروس المطوّب الذكر آريوس، فإن الذين ظلّوا مع الكسندروس بقوا مسيحيين أما الذين خرجوا منشقين مع آريوس، فإنهم تخلّوا ـ لنا نحن الذين بقينا مع الكسندروس ـ عن اسم المسيح ومن ثم أُطلِقَ على أولئك اسم الآريوسيين. وها هو الآن بعد موت الكسندروس، فإن الذين لهم شركة مع خليفته أثناسيوس، وأولئك الذين ارتبط أثناسيوس نفسه معهم فى الشركة الكنسيّة لهم نفس الميزة. فإن أحدًا من أولئك لم يُطلَق عليه اسم أثناسيوس، كما أن أثناسيوس لم يطلق عليه اسم أى واحد من أولئك المرتبطين به، ولكنهم ـ وفقًا للوضع المألوف ـ يسمون جميعًا مسيحيين. لأنه وإن كان لدينا سلسلة متتابعة من خلفاء المعلّمين ... وقد صرنا نحن تلاميذ هؤلاء، ولكن حيث إننا نتعلّم منهم أمور المسيح وكل ما يختص به، لذلك فمما لا شك فيه، فأننا مسيحيون وهكذا نُدعى. أما أولئك الذين يتبعون الهراطقة، فحتى لو كان لديهم آلاف الخلفاء، فأنهم حتمًا يتخذون لهم اسم مَنْ ابتدع الهرطقة، وهكذا فإنه حتى بعد أن مات آريوس، رغم أن عددًا كبيرًا خلفه فى هرطقته، إلاّ أن هؤلاء الذين اعتقدوا بتعاليم ذلك الرجل والمعروفين بمشايعتهم لآريوس، فإنهم يسمون آريوسيون.

والبرهان العجيب على هذا، أن أولئك الوثنيين الذين دخلوا الى الكنيسة ـ ولا يزالون يدخلون فيها حتى الآن، فإذ يهجرون ضلالة الأوثان، فأنهم لا يُدعون بأسماء الذين علّموهم أصول الإيمان، بل يُدعون باسم المخلّص، وصاروا يدعون مسيحيين بدلاً من وثنيين، بينما أولئك الذين ينضمون إلى الهراطقة والذين يتركون الكنيسة ويتبعون الهراطقة، فإنهم يهجرون اسم المسيح، وتبعًا لذلك يتخذون اسم الآريوسيين، إذ لم يعد لهم إيمان بالمسيح قط، بل صاروا خلفاء لجنون آريوس وخَبَله.



٤ـ كيف يمكن إذن أن يكونوا مسيحيين أولئك الذين هم ليسوا بمسيحيين بل هم مجانين الآريوسية؟ أو كيف ينتمى هؤلاء الى الكنيسة الجامعة، وَهمْ قد انفضّوا عن الإيمان الرسولى ونبذوه وصاروا مبتدعين شرورًا جديدة، وبعد أن نبذوا أقوال الكتابات الالهية، فأنهم يسمون ثاليا آريوس حكمة جديدة؟ وما يقولونه يُثبت حقًا أنهم يبشرون بهرطقة جديدة. ولهذا السبب أيضًا فإن الإنسان ليدهش، أنه فى حين أن كثيرين كتبوا مؤلفات كثيرة وعظات أكثر عددًا حول العهدين القديم والجديد، فليس فى أى منها شئ مما ابتدعه كتاب الثاليا، بل حتى لا يوجد شئ منها عند كبار الأمميين وعظمائهم... ولكنها موجودة فقط بين أولئك الذين ينشدون ويتغنّون وهم ثمالى وسكارى بين قرقعة الكؤوس والصخب والسخريّة أثناء عبثهم ولهوهم ليثيروا ضحك الآخرين.

إن آريوس الغريب، فى الواقع لم يقلّد أحدًا وقورًا، وإذ كان يجهل كتابات الرجال الوقورين من عظماء القوم، فإنه كان يختلس كثيرًا من الهرطقات الأخرى. ولا يوجد له منافس فى مجال الهزل والسخرية غير سوتيادس[٣٢] وحده. لأنه ماذا كان فى وسعه أن يعمل سوى أن يرغب فى التحوّل ضد المخلّص، بأناشيده الراقصة، معبِّرًا بثرثرته الموقتة وطنطنته البغيضة عن كُفره وإلحاده، مستخدمًا فى ذلك رخامة ألحانه المنحرفة الفاسقة؟ وهذا كى يتأكد ويتضح فساد ما كتبه من تلك الأقوال التى تتضح بعد نضح الروح وفساد الذهن، وذلك كما تقول الحكمة تمامًا «يُعرف المرء من الكلمة الصادرة عنه»[٣٣] ولأن الضلال لم يكن سهوا، بل هو متعدّد الوجوه، ومُتَعمَد أيضًا، فهو مثل الثعبان الذى يلتف حول نفسه

---

[٣٢] انظر صـــ (٢) هامش (٢).

[٣٣] انظر ابن سيراخ ١٩:٢٩.



صاعدًا هابطًا، ولكنه - (أى آريوس) قد سقط فى ضلال الفريسيين عندما أرادوا مخالفة الشريعة، فأنهم تظاهروا بأنهم غيورون على أقوال الناموس، وعندما أرادوا إنكار ألوهية الربّ المنتظر، بينما كان هو نفسه حاضرًا بينهم ... فإنهم إدعوا بأنهم يستشهدون بالله، ولكنهم أثبتوا بذلك أنهم يجدّفون بقولهم: «لماذا وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا»[٣٤]، وتقول «أنا والآب معا واحد». هكذا أيضًا آريوس المزيّف والذى حذا حذو سوتيادس، فإنه يزعم أنه يتحدّث عن الله، مستخدمًا كلمات الكتاب المقدس، ولكنه أثبت من كل النواحى أنه كافر وذلك بإنكاره الوهية الابن، معتبرًا أياه من بين المخلوقات.

---

[٣٤] يو١٠:٣٣.

الفصل الثانى

مقتطفات من ثاليا آريوس[35]

٥- إن بدء ثاليا آريوس عبارة عن أقوال ركيكة جوفاء. وقد أتخذت لها أسلوبًا أنثويا وهى هكذا: «حسب إيمان مختارى الله الذين لهم أدراك ووعى بالله من الرجال القديسين الذين يتصّفون بالعقائد المستقيمة، هؤلاء الذين حصلوا على روح الله القدوس. وأنا على الأقل تعلّمت هذه الأمور من أناس لهم نصيب كبير من الحكمة، أناس مدهشون من المعلّمين لأمور الله، وعمومًا فإنهم يعتبرون من الحكماء. وقد أقتفيت أنا آثار هؤلاء وسرت على دربهم. وها أنا أسير فى نفس الطريق، معلّمًا لنفس هذه المبادئ، أنا الذائع الصيت، ولقد عانيت الكثير لأجل مجد الله، وعرفت الحكمة والمعرفة، وهى التعاليم المستقاه من الله»[36].

أن مثل هذه الثرثرة الجوفاء يتشدّق بها في الثاليا، والتي ينبغى تجنبها والابتعاد عنها، إذ هى مليئة بالكفر والضلال، إذ قد جاء فيها «لم يكن الله أبًا فى كل حين بل كان هناك وقت حين كان الله وحده، ولم يكن أبًا بعد، بل قد صار أبًا فيما بعد... والابن لم يكن موجودًا دائمًا. لأن كل الأشياء قد خُلقت من العدم، وكان هناك وقت لم يكن فيه الابن موجودًا، ولم يكن له وجود قبل أن يصير، بل هو نفسه كان له بداية تكوين وخلقة» ويقول أيضًا: «لأن الله كان وحده؛ ولم يكن هناك الكلمة والحكمة بعد.. من ثم فعندما أراد الله أن يخلقنا،

---

[35] راجع صـــ ٢ هامش (٤).

[36] ما بين الأقواس بخط مختلف هو نص الثاليا.



فإنه عندئذ قام بصنع كائن ما وسماه اللوغوس والحكمة والابن، كى يخلقنا بواسطته» ولذلك فهو يقول أن هناك حكمتان: الأولى مستقلة وموجودة مع الله. أما الابن فقد جاء من خلال هذه الحكمة الأولى، وقد سمى الحكمة والكلمة بسبب اشتراكه فقط فى هذه الحكمة الأولى، لأنه يقول « إن الحكمة جاء إلى الوجود بواسطة الحكمة وبمشيئة الله الحكيم».

وهكذا يقول أيضًا: « إنه توجد كلمة أخرى فى الله غير الابن. وأيضًا إن الابن قد سمى كلمة وابنًا بسبب مشاركته للكلمة حسب النعمة».

التعليم الآتي أيضًا إنما هو أحد الأفكار الخاصة بهرطقتهم كما يتضح من مؤلفاتهم الأخرى إذ يقولون «إنه توجد قوّات كثيرة، أحداها هى قوّة الله ذاته بحسب طبيعته الذاتية الأبدية. أما المسيح فليس هو قوّة الله الحقيقية، بل أنه هو أيضًا قوة من تلك التى تدعى قوات. والتى تعتبر احداها هى قوّة الله ذاته بحسب طبيعته الذاتية الأبدية، أما المسيح فليس هو قوّة الله الحقيقية، بل أنه هو أيضًا قوّة من تلك التى تدعى قوّات، والتى تُعتبر احداها أيضًا «الجرادة» و «الدودة». وهى ليست قوّة وحسب بل أعلن عنها أيضًا أنها قوّة عظيمة[٣٧]. أما القوات الأخرى المتعددة فهى مثل الابن. وأن داود أنشد عنها بقوله: «ربّ القوات»[٣٨]. والكلمة نفسه أيضًا، مثل كل القوّات، متغيّر بحسب طبيعته، ويبقى صالحًا بإرادته الحرّة ـ الى أى وقت يريده، ولكنه حينما يريد، فإنه يستطيع أن يتحوّل مثلنا، إذ أنه ذو طبيعة متغيّرة». ويقول أيضًا «بما أن الله عرف بسبق علمه بأن الكلمة سيكون صالحًا فقد منحه هذا المجد، مقدمًا وهو المجد الذي حصل عليه بعد ذلك كإنسان، بسبب الفضيلة.

---

[٣٧] انظر (يوئيل ٢:٢٥) حيث يشير الى الجراد والطيار بلقب ''جيش الله العظيم''.

[٣٨] مز ٢٤:١٠.



ولهذا فإن الله ـ بسبب أعماله التى كان يعرفها بسبق علمه أنها ستُعمَل ـ خلقه بمثل هذه الصورة التى صار عليها الآن».

٦ـ بل أن آريوس قد تجاسر مرّة أخرى أن يقول إن « الكلمة ليس إلهًا حقيقيًا، وحتى إن كان يدعى إلهًا لكنه ليس إلهًا حقيقيًا. وإنما هو إله بمشاركة النعمة مثل جميع الآخرين، وهكذا فإنه يسمى إلهًا بالاسم فقط. وكما أن جميع الكائنات غريبة عن طبيعة الله ومختلفة عنه فى الجوهر. هكذا الكلمة أيضًا يعتبر غريبًا عن جوهر الآب وذاتيته ومختلفًا عنه، بل هو ينتمى إلى الأشياء المخلوقة والمصنوعة. وهو نفسه أحد هذه المخلوقات».

وفضلاً عن ذلك، فإن آريوس كما لو كان قد صار خليقة للشيطان ووارثًا لتهوّره ووقاحته، فقد ذكر فى «الثاليا» ما يلى: « وحتى الابن، فإنه لا يرى الآب» وأن «الكلمة لا يستطيع أن يرى أو أن يعرف أباه تمامًا بصورة كاملة. ولكن ما يعرفه وما يراه، فإنه يعرفه ويراه بقدر طاقته الذاتية، مثلما نعرف نحن أيضًا بقدر طاقتنا الذاتية». كما يقول «إن الابن ليس فقط لا يعرف تمام المعرفة، إذ هو يعجز عن هذا الإدراك، بل أن الابن نفسه لا يعرف حتى جوهره الخاص به. وأن كل من الآب والابن والروح القدس، جوهره منفصل عن الآخر حسب الطبيعة. وأنهم مقسمون ومتباعدون وغرباء عن بعضهم البعض، وليس لهم شركة أحدهم مع الآخر» وهو نفسه يدعى « أنهم غير متشابهين تمامًا فى الجوهر والمجد بلا نهاية». ويقول « إنه فيما يتعلّق بتشابه المجد والجوهر فإن الكلمة يعتبر مختلفًا تمامًا عن كل من الآب والروح القدس».

وهكذا بمثل هذه الكلمات يزعم ذلك العديم التقوى أن « الابن منفصل بذاته وليس له شركة مع الآب إطلاقًا».

هذه إذن مقتطفات من النصوص الأسطورية كما جاءت فى كتابات آريوس الهزلية.



٧- فمَنْ هو الذى يسمع مثل هذه الأقوال، ومثل هذا النغم فى الثاليا، ولا يبغض آريوس وهو يقوم بتمثيليته هذه؟ وبينما هو يدعو باسم الله ويتحدَّث عنه، فمَنْ لا يعتبر هذا الرجل مثل الحيّة التى قدّمت المشورة للمرأة؟ ومَنْ لا يرى - وهو يقرأ ما كتبه - تجديفه وتضليله، مثلما فعلت الحيّة وهى تحاول إغواء المرأة؟ فمَنْ لا يفزع من هول هذه التجاديف؟ فكما يقول النبى «السماء تتذهل، والأرض تقشعر»[٣٩] من جراء التعدى على الشريعة. أما الشمس فإذ لم تحتمل تلك الإهانات المثيرة التى وقعت على جسد الرب المشترَك لنا جميعًا والتى احتملها هو نفسه من أجلنا، بإرادته. فإنها أستدارت وحجبت أشعتها، وجعلت ذلك اليوم بلا شمس. وأزاء تجديفات آريوس، كيف لا تتمرَّد حياة البشريّة فتصاب بعدم النطق، فيصمون آذانهم، ويغلقون عيونهم، هربًا من سماع هذه التجديفات، ومن رؤية وجه كاتبها؟

وبالأحرى كيف لا يصرخ الرّب ذاته ضد هؤلاء العديمى التقوى، بل والجاحدين أيضًا بتلك الكلمات التى سبق ونطق بها على لسان هوشع النبى «وَيْلٌ لَهُمْ لأَنَّهُمْ هَرَبُوا عَنِّي. تَبّاً لَهُمْ لأَنَّهُمْ أَذْنَبُوا إِلَيَّ. أَنَا أَفْدِيهِمْ وَهُمْ تَكَلَّمُوا عَلَيَّ بِكَذِبٍ.»[٤٠]. وبعد ذلك بقليل «وَهُمْ يُفَكِّرُونَ عَلَيَّ بِالشَّرِّ». «وعادوا الى العدم»[٤١]؟

لأنهم بعد أن أبتعدوا عن كلمة الله الذى هو كائن، ابتكروا لأنفسهم ما هو غير كائن. فسقطوا فى العدم ومن أجل ذلك السبب أيضًا، فإن المجمع المسكونى[٤٢] طَرَدَ، آريوس الذى علّم بهذه الأمور، من الكنيسة وحَرَمَه، إذ لم

---

[٣٩] إر٢:١٢.

[٤٠] هو٧:١٣.

[٤١] هو٧:١٦س.

[٤٢] يقصد مجمع نيقية المسكونى الأول الذى أنعقد سنة ٣٢٥م.



يحتمل المجمع كفره وجحوده. ومنذ ذلك الحين، فقد أعتبر ضلال آريوس، هرطقة تفوق سائر الهرطقات، حيث لُقب بعدو المسيح، وممهدًا للمسيح الدجال.

ولكن رغم أن هذا الحكم ضد الآريوسية، يعتبر فى ذاته كاف جدًا لأن يجعل الناس يهربون بعيدًا عن هذه الهرطقة الكافرة، إلاّ أنه، كما سبق أن قلت، يوجد البعض من الذين يُدعَون مسيحيين، يعتبرون - عن جهل أو عن تظاهر بالجهل - أن هذه الهرطقة لا تختلف إلاّ قليلاً عن الحق، ولذلك يسمون الذين يعترفون بها، مسيحيين.

لذلك هيًا بنا إذن بكل ما عندنا من جهد، لنكشف القناع عن حيل الآريوسية وخداعها بأن نضع أمامهم بعض أسئلة، حتى أنه بعد أن تُدحَض آراؤها، فأنهم سينفضّون من حولها ويهربون كما لو كانوا يهربون من وجه أفعى.

الفصل الثالث

خطورة الموضوع

٨ فلو أن استعمالهم لبعض كلمات من الكتاب الإلهى، فى الثاليا، يحوّل - بحسب ظنهم - التجديف والكفر الذى فى الثاليا الى كلمات مديح وثناء، فإنهم حينما يرون يهود هذه الأيام وهم يقرأون الشريعة والأنبياء فبلا شك يلزمهم على هذا الأساس أن ينكروا المسيح مثل أولئك اليهود. وربما لو استمعوا إلى المانويين[٤٣] وهم يترنّمون ببعض مقتطفات من الإنجيل، فإنه سينكرون مثلهم الشريعة والأنبياء.

فإن كانوا يتململون ويثرثرون هكذا، بسبب جهلهم.. إذن فليعلموا من الكتب المقدسة، أن الشيطان - وهو مبتكر الهرطقات ومؤلفها - يستعير أقوال الكتب المقدسة كغطاء يتستَّر من ورائه لكى ينفث سمومه الخاصة به ليخدع البسطاء، وذلك ليخفى الرائحة العفنة الكريهة الكامنة فى شرّه الخاص. وهكذا خدع حواء، وهكذا حاك الهرطقات الأخرى، وهكذا الآن أيضًا فإنه حثّ آريوس لكى يدعَّى أنه يحتج ضد الهراطقة ويقاومهم وبهذه الطريقة فإنه يدخل هرطقته هو فى غفلة من الجميع.

---

[٤٣] المانويين: هم أصحاب بدعة ماني (٢١٦م ــ ٢٧٦م) الكاهن من بلاد فارس والذي كان يعلّم بوجود إلهين إله الخير وإله الشر والذي تأثر بأنكار الغنوسيين.



ومع ذلك فإن هذا الداهية الخبيث لم يتمكن من الإفلات. فلأنه كفر بالله الكلمة. فإنه أفرغ كل ما لديه فى الحال، وانكشف أمام الجميع جهله بالهرطقات الأخرى أيضًا، وأنه لم يكن فى عقيدته أى شئ مستقيم، ولذلك كان ينافق ويراءى.

لأنه كيف يمكن أن يتكلّم بإستقامة عن الآب، وهو ينكر الابن الذى يكشف الآب ويعلنه؟ أو كيف يمكن أن يعتقد اعتقادًا قويمًا فيما يخص الروح القدس، بينما هو يفترى على الكلمة الذى يهب الروح ويعطيه؟ ومَنْ سيثق به عندما يتحدّث عن القيامة، ما دام هو شخصيًا ينكر المسيح، الذى صار البكر من الأموات، من أجلنا[٤٤]؟ وكيف لن ينخدع فيما يخص حضوره بالجسد، وهو يجهل كليّة الميلاد الحقيقى للابن من الآب؟ فإنه هكذا أيضًا حدث مع اليهود حينما أنكروا الكلمة وقالوا «ليس لنا ملك إلاّ قيصر»[٤٥]، فإنهم فقدوا كل شئ دفعة واحدة وبقوا بدون نور المصباح وبدون رائحة الطيب، وبدون معرفة النبوّة، وبدون الحق ذاته، وهم حتى الآن، لا يفهمون شيئًا، كمَنْ يسيرون فى الظلام. لأنه مَنْ سمع بمثل هذه التعاليم فى أى عصر من العصور حتى الآن، أو من أين أو ممن سمع هؤلاء هذه الأمور، أولئك المنافقون والمأجورون لنشر الهرطقة؟ ومَنْ علّم هؤلاء مثل هذه العقيدة حينما كانوا يلقنونهم دروس الدين؟ ومَنْ قال لهم بعد أن انصرفوا عن عبادة الخليقة، تعالوا من جديد لتعبدوا المخلوق والمصنوع؟ وإن كان هؤلاء أنفسهم يعترفون بأنهم قد سمعوا بمثل هذه التعاليم لأول مرّة الآن، فليكفوا إذن عن إنكارهم بأن هذه الهرطقة إنما هى غريبة، ولم يتسلّموها عن الآباء. والذى لم يأت

---

[٤٤] كو١:١٩.

[٤٥] يو١٩:١٥.



من الآباء بل أبتدع الآن لن يكون شيئًا آخرً، سوى ما تنبأ به المغبوط بولس بقوله «فى الأزمنة الأخيرة ينحرف البعض عن الايمان القويم تابعين أرواحًا مضلّة وتعاليم شياطين فى نفاق الكذابين الموسومة ضمائرهم الذاتية»[٤٦]. وأيضًا «مرتدين عن الحق».

الإيمان الصحيح عن الابن:

٩ـ ها نحن إذن نتحدّث بحريّة عن الإيمان الصحيح النابع من الكتب الإلهية، ونضع هذا الإيمان كسراج على المنارة فنقول: ابن حقيقى حسب الطبيعة للآب ومن نفس جوهره، وهو الحكمة وحيد الجنس وهو الكلمة الحقيقى الوحيد لله وهو ليس مخلوقًا ولا مصنوعًا، ولكنه مولود حقيقى من ذات جوهر الآب، ولهذا فهو إله حق إذ هو واحد فى الجوهر ὁμοούσιος مع الآب الحقيقى.

أما بالنسبة للكائنات الآخرى، التى قال لها: «أنا قلت: أنتم آلهة»[٤٧]، فإنها حصلت على هذه النعمة من الآب وذلك فقط بمشاركتها للكلمة عن طريق الروح القدس لأنه هو رسم جوهر الآب، هو نور من نور، وهو قوّة وصورة حقيقية لجوهر الآب. لأن هذا ما قاله الرب أيضًا: «من رآنى فقد رآى الآب»[٤٨]. فهو موجودًا علي الدوام، وهو كائن كل حين، ولم يكن قط غير موجود، وكما أن الآب أزليٌّ، هكذا أيضًا فإن كلمته وحكمته يجب أن يكون أزليًا.

---

[٤٦] ١تى٤: ١، ٢،١٤.

[٤٧] مز٨٢: ٦.

[٤٨] يو١٤: ٩.



ثم فلنر إذن ما يتشدّق به هؤلاء مما يقدّمونه لنا من مزاعم مما جاء فى الثاليا الذميمة

دعهم أولاً يقرأونها مقلّدين أسلوب كاتبها، كى يتعلّموا - حتى وإن كانوا يسخرون من الآخرين - إلى أى ضلال قد انحدروا. وبعد ذلك فليقولوا، ولكن ماذا فى وسعهم أن يقولوا عنه سوى: «إن الله لم يكن دائمًا أبًا. ولكنه صار أبًا فيما بعد. والابن لم يكن موجودًا دائمًا، لأنه لم يكن موجودًا قبل أن يولد، وأنه ليس من الآب، ولكنه هو أيضًا خُلِقَ من العدم، وهو ليس من نفس جوهر الآب لأنه مخلوق ومصنوع»؟ وأن «المسيح لم يكن إلهًا حقيقيًا، بل هو نفسه صار الهًا بالمشاركة. والابن لم يعرف الآب معرفة تامة، والكلمة لم ير أباه بصورة كاملة. والكلمة لم يفهم ولم يعرف أباه على وجه الدقة. ولم يكن هو نفسه. الكلمة الحقيقى الوحيد للآب، ولكن بالأسم فقط يدعى كلمة وحكمة، وهو بالنعمة فقط يدعى ابنًا وقوّة. وهو ليس غير قابل للتغيُّر مثل الآب، ولكنه متغيّر بالطبيعة كالمخلوقات. وهو قاصر عن إدراك معرفة الآب إدراكًا كاملاً».

غريب أمر هذه الهرطقة حقًا، إذ ليس هناك أى احتمال فى استقامة تعاليمها، بل هى تتخيّل أنه لا وجود لذلك الذى له وجود فى الواقع، بل تنشر على الملأ مهاترات كفرية تمامًا بدلاً من الأقوال الورعة التقيّة. إذن، إن قام أحد الناس بالتصدى لبحث تعاليم الفريقين وتساءل إلى إيمان أى منهما ينحاز وأى منهما يتكلّم الكلام اللائق عن الله أو بالأحرى دع هؤلاء الذين يحرّضون على الكفر بنفاق، يقولون: بماذا يجب أن يجاب عندما يسأل إنسان عن الله، (لأن «الكلمة كان الله»)، فإنه من الاجابة على هذه السؤال سيعرف كل ما يتعلّق بكلتا المسألتين، أى ماذا يجب أن يقوله الشخص: هل «كان» أم «لم يكن»؟ هل هو «دائم» أم «صار من قبل» هل هو «أزليّ» أم «منذ متى، وحتى متى». هو هو « اله حق» أم «بالوضع والمشاركة



والاختلاق» هل هناك مَنْ يقبل القول بإنه (أى الكلمة) «واحد من بين المخلوقات» أم أنه «مشابه الآب». وأنه «غير مشابه للآب حسب الجوهر». أم أنه «مشابه للآب وخاص به» وأنه «مخلوق» أم أن «به قد خُلقت المخلوقات».

إنه «هو ذاته كلمة الآب»، أم أن هناك «كلمة آخر» بالاضافة إليه، وأنه تكوّن عن طريق هذا الكلمة الآخر وعن طريق حكمة أخرى.. وأنه إنما لُقِبَ حكمة وكلمة بالاسم فقط، وأنه صار شريكًا لتلك الحكمة وتاليًا لها.

١٠ـ فأقوال مَنْ أذن، هى التى تعتبر لاهوتية وتوضح أن ربنا يسوع المسيح هو إله وابن الآب؟ هل هى تلك الأقوال التى تقيأتموها أنتم، أم تلك التى قلناها نحن ولا نزال نقولها من الكتب المقدسة.

إذن فإن كان المخلّص ليس إله وليس كلمة وليس ابنًا فأنه يكون من الجائز لكم (فى هذه الحالة) أن تقولوا ما تريدون كما هو جائز للوثنيين واليهود فى أيامنا.

أما إن كان هو كلمة الآب والابن الحقيقى. وإله من إله، و «الْكَائِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلَهاً مُبَارَكاً إِلَى الأَبَدِ»[49]، فكيف لا يكون لائقًا أن نزيل ونمحو الأقوال المغايرة والثاليا الآريوسية، كصورة للشرور، تلك المليئة بكل أنواع الإلحاد والكفر؟ والتى عندما يسقط فيها أحد، «فإنه لا يعرف أن الأشباح سيهلكون بواسطتها، وأنه سيلتقون بها فى عمق الهاوية»[50] أنهم يعرفون هذا الأمر، وهم أنفسهم فى الواقع كمخادعين يخفون هذه الأمور لأنهم لا يملكون الشجاعة أن

---

[49] رو٩: ٥.

[50] أم٩: ١٨س.



ينطقوا بها علنًا، ولكنهم يقولون أشياء أخرى قريبة منها، لأنهم أن تكلّموا علنا فسوف يلامون، وإن تعرّضوا للشُبهة (بسبب الإنحراف) فإن الجميع سيتصدّون لهم ببراهين من الكتب المقدسة. ولذلك، فبما أنهم أبناء هذا الجيل، فإنهم بدهاء، قد أوقدوا المصباح الذى أعتبروه خاصًا بهم، بزيت خام، ولكنهم خوفًا من أن ينطفئ بسرعة لأنه قد قيل «نُورُ الأَشْرَارِ يَنْطَفِئُ»[٥١]، فإنهم أخفوه تحت مكيال النفاق والرياء. ويدلون بأقوال مغايرة، مستعينين بحماية الأصدقاء مهددين بقسطنديوس[٥٢] وذلك حتى لا يرى، أولئك الذين ينضمون إليهم، نجاسة الآريوسية ونتانتها وذلك بواسطة دهائهم وأقوالهم التى ينطقون بها. كيف إذن لا تكون هذه الهرطقة مستحقة للكراهية مرَّة أخرى، بحسب هذا أيضًا، وهى فى الواقع تُخفى بواسطة مشايعيها أنفسهم ـ إذ أنها لا تتجاسر أن تظهر علنًا وتتكلَّم بحرِّية ـ بل هى تتربى ويُعتنى بها كالحيّة؟

لأنهم من أين جمعوا لأنفسهم تلك الترهات؟ أو ممن حصلوا إذن على مثل هذه الأقوال التى يتجاسرون على التشدّق بها؟ فليس فى وسعهم أن يحددوا الشخص الذى سبق أن تسلّموا منه هذه الأقوال. لأنه مَنْ من الناس، سواء كان يونانيًا أو بربريًا يجسر أن يقول عن ذلك الذى يُقر ويُعتَرف به أنه إله، بأنه واحد من المخلوقات، وأنه لم يكن موجودًا قبل أن يُخلق؟ ومَنْ هو ذلك الذى يؤمن بالله، ولا يصدق الله القائل «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ»[٥٣] ويزعم بأن الابن ليس ابنًا بل مخلوقا؟ بل أن مثل هذه التعاليم سوف تثير سخط الجميع أكثر ضدهم.

---

[٥١] أي ١٨:٥.

[٥٢] كان الإمبراطور قسطنديوس يحمى الآريوسيين ولذلك فإنه نفى أثناسيوس مرتين فى عامى ٣٤٠م، ٣٥٦م.

[٥٣] مت١٧:٥.



فإنهم لم يتخذوا براهينهم حتى من الكتب المقدسة، لأنه سبق أن كشفنا مرارًا، كما سنكشف الآن أيضًا بأن هذه التعاليم مخالفة وغريبة عن الأقوال الإلهية، إذن، إذ لم يتبق إلاّ أن نقول بأنهم قد أصابهم الجنون بعد أن تلقوا هذه التعاليم من الشيطان (لأنه هو وحده الذى يزرع مثل هذه التعاليم). لذلك هيًّا بنا لنقاومه، لأنه سيكون لنا صراع ضده عن طريقهم. وبمشيئة الرب، بعد أن يعجز كالمعتاد بواسطة البراهين، فإنهم سيصابون بالخزى عندما يرون ذلك الذى زرع هذه الهرطقة فيهم، خاليًا من أيَّة قوَّة، فيتعلّمون، ولو متأخرًا، أنه بما أنهم آريوسيون، فهم ليسوا مسيحيين.

الفصل الرابع

الابن أزليّ وغير مخلوق

١١- قد قلتم واعتقدتم حسب اقتراح (الشيطان) عليكم، بإنه «كان وقت لم يكن فيه الابن موجودًا»، ولأن ثوب أفكار بدعتكم هذا، هو الذى يجب أن ينزع أولاً، إذن قولوا لنا أيها المهاترون عديمي التقوى، ما المقصود بالوقت الذى لم يكن فيه الابن موجودًا؟ فإن كنتم تشيرون بهذا إلى الآب فإن تجديفكم يكون أعظم. لأنه من غير اللائق أن يقال عنه «كان فى وقت ما» أو أن يشار إليه بكلمة «وقت»، لأنه كائن دائمًا وهو موجود الآن. وحيث إن الابن أيضًا موجود فهو (الآب) أيضًا موجود، وهو نفسه الكائن، وأبو الابن. فإن كنتم تقولون إن الابن كان موجودًا مرّة، حينما لم يكن موجودًا، فالجواب هو أن هذا كلام صبيانى أحمق. إذ كيف يكون هو نفسه موجودًا وغير موجود؟ وإذ تجدون أنفسكم فى حيرة أمام هذا التضارب فى الأقوال، فإنكم ستضطرون ان تقولوا، إنه كان هناك «وقت ما» حينما لم يكن الكلمة موجودًا، لأن هذا هو المعنى الطبيعى لظرف الزمان «ποτέ»[٥٤] الذى تستخدمونه. والقول الذى سجلتموه بعد ذلك هو «الابن لم يكن موجودًا قبل أن يولد»، هو مساو تمامًا لقولكم «كان هناك وقت ما لم يكن موجودًا» فسواء هذا القول أو القول الآخر، فكلاهما يعنى أنه كان هناك زمن سابق على الكلمة. إذن من أين أتيتم بهذه الأقوال؟ لماذا تزمجرون كالأمم وتقولون

---

[٥٤] ποτέ ظرف زمان غير محدد يعنى أبدًا أو إطلاقًا، أي أن الحدث لم يحدث بالمرّة في أي زمن.



كلمات فارغة زائفة ضد الربَّ وضد مسيحه[٥٥]؟ لأنه لم يسبق لأى سِفرْ من الكتب المقدسة أن استخدم تعبيرًا مثل هذه التعبيرات عن المخلّص، بل بالأحرى تقول عنه «الدائم»، «الأزليّ» والمشارك دائمًا مع الآب فى الوجود لأنه «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّه»[٥٦] ويقول عنه سفر الرؤيا ما يلى «الْكَائِنِ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي»[٥٧] فمَن يستطيع إذن أن ينتزع الأزليَّة من ذلك «الكائن». «والذى كان»؟ ولأجل هذا الأمر عينه كتب بولس وهو يتكلّم عن اليهود فى الرسالة الى أهل رومية قائلاً «وَمِنْهُمُ الْمَسِيحُ حَسَبَ الْجَسَدِ، الْكَائِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلَهاً مُبَارَكاً إِلَى الأَبَدِ». وحين كان يتكلّم مع الأمميين قال «لأَنَّ مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ تُرَى أُمُورُهُ غَيْرُ الْمَنْظُورَةِ وَقُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلاَهُوتُهُ»[٥٨] وما هى قوّة الله؟ بولس نفسه يعلّم فى مرّة أخرى قائلاً «الْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ الله»[٥٩] وهو بالتأكيد لم يكن يقصد الآب بهذه الكلمات، كما كنتم تتهامسون كثيرًا فيما بينكم قائلين إن «الأب هو قوّته الأزليّة» ولكن الأمر ليس هكذا. لأنه لم يقل «إن الله ذاته هو القوّة» بل إن «القوّة هى قوّته». فمن الواضح الجليّ للجميع أنه استخدم الهاء فى «قوّته» (ضمير الاضافة فى الغائب المفرد) ولم يستخدم «هو» (ضمير الغائب المفرد فى حالة الفاعل) ولكنه ليس غريبا (عن الاب) بل هو (الابن)

---

[٥٥] مز ٢: ١.

[٥٦] يو ١: ١.

[٥٧] رؤ ١: ٤.

[٥٨] رو ١: ٢٠.

[٥٩] ١ كو ١: ٢٤.



خاص به ذاته[٦٠]. أقرأوا أيضًا سياق الكلام «وأرجعوا إلى الربِّ»، «وَأَمَّا الرَّبُّ فَهُوَ الرُّوحُ»[٦١] وسترون أن هذا النص يشير إلى الابن.

١٢ـ لأنه (بولس) وهو يتحدَّث عن الخليقة، فإنه يستمر أيضًا فى الكتابة عن قوة الخالق فى خليقته، تلك القوَّة التى هى «كلمة الله»، والذى من خلاله (بواسطته) قد خَلَقَ كل شئ. فلو أن الخليقة تقدر بذاتها وحدها أن تعرف الله بدون الابن، فالتفتوا لئلا تسقطوا فى الغواية، فتظنوا أنه بدون الابن أيضًا قد خُلِقَت الخليقة. ولكن إن كانت الخليقة قد خُلِقَت عن طريق الابن، وأنه «فيه تَثبتُ (تقوم) كل الأشياء فى الوجود»[٦٢] فإن الذى يتأمل الخليقة بطريقة مستقيمة، فلابد أن يرى أيضًا بالضرورة الكلمة الذى خلقها، ومن خلال الكلمة يبدأ أن يدرك الآب وإن كان حسب قول المخلّص «وَلاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الاِبْنُ وَمَنْ أَرَادَ الاِبْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ»[٦٣] وحينما سأل فيلبس «أرنا الآب» لم يقل له، انظر الخليقة، بل قال له «من رآنى فقد رآى الآب». فإن بولس بصواب وأدراك، يتهم اليونانيين بأنهم، بينما يرون تناسق الخليقة ونظامها فإنهم لا يدركون الكلمة خالقها (لأن المخلوقات تُعلن عن خالقها)، لكى يدركوا الإله الحقيقي من خلال المخلوقات، ويكفوا عن عبادة المخلوقات، ولذلك قال بولس «قدرته السرمدية ولاهوته» لكى يشير بذلك إلى الابن. وحينما يقول القديسون «الكائن قبل الدهور»، «والذى به صنع الدهور» فإنهم بذلك يبشرون بخلود الابن وأزليّته، وهم حينما يقولون الابن فهم يقصدون الله نفسه.

---

[٦٠] أى أن القوَّة منسوبة للآب وخاصة به. ولكنه لم يقل إن الاب نفسه هو القوَّة ذاتها. بل أن الابن هو قوَّة الاب (المعرب).

[٦١] ٢ كو١٧:٣.

[٦٢] كو١٧:١.

[٦٣] مت٢٧:١١.



ولذلك يقول إشعياء «إِلَهُ الدَّهْرِ الرَّبُّ، خَالِقُ أَطْرَافِ الأَرْضِ»[٦٤] وقالت سوسنه «أَيُّهَا الإِلهُ الأَزَلِيُّ»[٦٥]. أما باروخ فكتب «قد صرخت إلى الأبدى مدى أيامى»[٦٦]. وبعد قليل يقول «لأنى أنا أعتمدت فى رجائى على الأبدى، لأجل خلاصكم، وغمرنى فرح من لدن القدوس»[٦٧]. لذلك يقول الرسول أيضًا وهو يكتب للعبرانيين، «الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ»[٦٨] وداود ينشد فى المزمور التاسع والثمانين قائلاً «فليكن بهاء الرب إلهنا علينا»[٦٩]، وأيضًا «بِنُورِكَ نَرَى نُوراً»[٧٠]، فمَن يكن حمقًا لدرجة أنه يشك فى أن الابن كائن على الدوام؟ لأنه مَنْ رأى نورًا قط بدون بريق وميضه، حتى يقول عن الابن إنه «كان هناك وقت ما لم يكن فيه موجودًا»، أو «إن الابن لم يكن موجودًا قبل أن يولد»؟ وما قيل فى المزمور الرابع والأربعين بعد المائة، موجهًا قوله للابن «مُلْكُكَ مُلْكُ كُلِّ الدُّهُورِ»[٧١] فلا يجوز لأى شخص، أن يتخيّل أى فترة ـ مهما كانت وجيزة ـ لم يكن فيها الكلمة موجودًا. لأنه إن كانت كل فترة زمنية تقاس من خلال الدهور، والكلمة هو ملك وصانع كل الدهور، لذلك فبالضرورة، حيث إنه لا توجد قبله أيَّة فترة زمنية من أى نوع، فإنه يعتبر ضربًا من الجنون أن يقال «كان هناك وقت عندما لم يكن الأزليّ موجودًا». وأن

---

[٦٤] إش ٢٨:٤٠.

[٦٥] دانيال (سوسنة ٤٢).

[٦٦] باروخ ٢٠:٤.

[٦٧] باروخ ٢٢:٤.

[٦٨] عب ٣:١.

[٦٩] مز ١٧:٨٩ (س).

[٧٠] مز ١٠:٣٥ (فى ترجمة جمعية الكتاب المقدس مز ٩:٣٦).

[٧١] مز١٤٤ :١٣ (أي مز ١٤٥ :١٣).



«الابن هو من عدم» حيث إن الربَّ نفسه يقول «أنا هو الحق»[٧٢] ولم يقل «صرت الحق»، بل هو يكرّر دائمًا «أنا هو» فيقول «أنا هو الراعى»[٧٣] و «أنا هو النور»[٧٤] ومرَّة أخرى يقول « ألستم أنتم تقولون أنى أنا الرب والمعلّم وحسنًا تقولون، لأنى أنا هو»[٧٥] ومَن عندما يسمع مثل هذا القول، من الله، والحكمة وكلمة الآب، متحدثًا عن ذاته، يظل حائرًا بخصوص الحقيقة، ولا يؤمن فى الحال، بأن عبارة «أنا هو» تعنى أن الابن أبدى، وأزليَّ قبل كل الدهور.

١٣ـ مما سبق ذكره يتضّح أن ما تقوله الكتب المقدسة عن الابن يبرهن أنه أزليَّ. أما ما يتفوّه به الآريوسيون متشدقين بالألفاظ: «لم يكن»، «من قبل»، «متى؟» فإن الكتب المقدسة تشير بهذه الألفاظ الى المخلوقات، وهذا سيتضح مرّة أخرى مما سنذكره فيما يلى: فمثلاً، عندما تحدَّث موسى عن الأمور المختصة بتكوين الخليقة، قال «كل خضرة الحقل لم تكن بعد فى الأرض وكل عشب الحقل لم يكن قد نبت بعد لأن الله لم يكن قد أمطر على الأرض، ولا كان إنسان ليعمل فى الأرض»[٧٦] وجاء فى التثنية «حِينَ قَسَمَ العَلِيُّ لِلأُمَمِ»[٧٧]. وكان الرب يقول عن نفسه «لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ، لأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الآبِ، لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي. [٢٩]وَقُلْتُ لَكُمُ الآنَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ حَتَّى مَتَى كَانَ تُؤْمِنُونَ»[٧٨]

---

[٧٢] يوحنا٨:١٢.

[٧٣] يو١٠:١٤.

[٧٤] يوحنا٨:١٢.

[٧٥] يو ١٣:١٣.

[٧٦] تكوين ٢:٥ (الترجمة السبعينية).

[٧٧] تث ٣٢:٨.

[٧٨] يو١٤:٢٨، ٢٩.



أما عن الخليقة فيقول على فم سليمان «قبل خَلْقِ الأرض، قبل صنع الأعماق، وقبل تدفق ينابيع المياه، وقبل أن ترسخ الجبال، وقبل جميع التلال، ولدنى»[٧٩] وأيضًا «قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ»[٨٠] ويقول عن إرميا «قَبْلَمَا صَوَّرْتُكَ فِي الْبَطْنِ عَرَفْتُكَ»[٨١] وداود يرنم قائلاً «يَا رَبُّ، مَلْجَأً كُنْتَ لَنَا فِي دَوْرٍ فَدَوْرٍ. مِنْ قَبْلِ أَنْ تُولَدَ الْجِبَالُ أَوْ أَبْدَأْتَ الأَرْضَ وَالْمَسْكُونَةَ، مُنْذُ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ أَنْتَ اللهُ»[٨٢]. وفى سفر دانيال «فَصَرَخَتْ سُوسَنَّةُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَتْ: «أَيُّهَا الإِلهُ الأَزَلِيُّ الْبَصِيرُ بِالْخَفَايَا، الْعَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ»[٨٣].

وهكذا إذن يظهر أن الألفاظ «لم يكن فى وقت ما». و «قبل أن يصير»، و«عندما» ومثل هذه التعبيرات انما تنطبق على الكلام بخصوص المنشآت والمخلوقات التى جُبلَت من العدم. ولكنها غريبة تمامًا بالنسبة للكلمة. فإن كانت الكتب المقدسة تستخدم هذه التعبيرات عن المخلوقات، بينما تقول عن الابن إنه «الدائم»، إذن فيا محاربى الله، إن الابن لم يصر من العدم، ولا يحسب فى عداد المخلوقات اطلاقًا، بل هو صورة الآب وهو الكلمة، ولم يكن قط غير موجود، بل هو موجود على الدوام، وهو الشعاع الأزليَّ لنور هو أزليّ. لماذا إذن تتخيلون أن هناك أزمنة سابقة على الابن؟ أو لماذا تجدّفون على الكلمة بأنه لاحق وتالى للدهور وهو الذى به قد صارت الدهور؟

---

[٧٩] أم ٨:٢٣ — ٢٥ (السبعينية).

[٨٠] يو ٨:٥٨.

[٨١] إرميا ١:٥.

[٨٢] مز ٨٩ (٩٠): ١ — ٢.

[٨٣] دانيال (سوسنة٤٢).



لأنه كيف يوجد زمن أو دهر بالمرّة. بينما لم يكن الكلمة قد ظهر بعد حسبما تقولون أنتم، وهو الذى به قد «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»[٨٤]، أو إن كنتم تقصدون زمنًا ما، فلماذا لا تقولون جهارًا إنه «كان هناك زمن لم يكن فيه الكلمة موجودًا». ولكن بينما أنتم تهربون من استخدام تعبير «الزمن»، لكى تخدعوا البسطاء، ولكنكم من ناحية أخرى لا تخفون أفكاركم الخاصة الخاص على وجه الاطلاق، ولكن ـ حتى لو أخفيتموها فإنكم لا تستطيعون أن تفلتوا من إنكشاف أمركم، لأنكم لا تزالون تقصدون الأزمنة عندما تقولون «كان مرَّة حينما لم يكن موجودًا»، وأيضًا «لم يكن موجودًا قبل أن يولد».

---

[٨٤] يو ١:٣.

الفصل الخامس

البنوّة الالهية غير البنوّة البشريَّة

١٤ـ وهكذا بعد برهَّنا هذه الامور وأثبتناها، فإنهم لا يزالون يجدّفون أكثر قائلين: «إن لم يكن هناك وقت ما، لم يكن فيه الابن موجودًا، بل هو أزليٌّ فى وجوده مع الآب، إذن فلا يعود يسمى بعد ابنًا بل أخًا للآب». يا لكم من حمقى، مغرمين بالتشاحن والمخاصمة! لأنه إن كنَّا نقول إنه هو وحده كائن أزليًا مع الآب، دون أن نقول ـ فى نفس الوقت ـ إنه ابن، لكان هناك بعض العذر لتوقيرهم ولتدقيقهم المصطنع هذا، ولكن إن كنا فى نفس الوقت الذى نقول فيه إنه أزليٌّ، فإننا نعترف أيضًا أنه ابن من آب فكيف يكون ممكنًا أن يعتبر المولود أخًا للذى ولده؟ فإن كان إيماننا هو بالآب والابن، فأى رابطة أخوَّية توجد بينهما؟ إذ كيف يمكن أن يدعى الكلمة أخًا لذلك الذى (أى الآب) هو أيضًا كلمة له؟ إن هذا الاعتراض ليس من قوم يجهلون حقيقة الأمور، لأنهم هم أنفسهم يعرفون الحقيقة. ولكن هذه الحجة إنما هى حجة يهودية، آتية من قوم «بمشيئتهم يعتزلون الحقيقة» كما يقول سليمان[85]. فالآب والابن لم يولدا من أصل سابق عليهما فى الوجود، حتى يمكن أعتبارهما أخوين، ولكن الآب هو أصل الابن وهو والده. والآب هو آب، وهو لم يكن ابنًا لأحد، والابن هو ابن وليس بأخ.

فإن كانِ هو يُدعى ابنًا أزليًّا للآب، فحسنًا يقال. لأن جوهر الآب لم يكن ناقصًا أبدًا، حتى يضاف إليه (ابنه) الخاص به فيما بعد. وأيضًا فإن الابن لم يولد

---

[85] أمثال ١٨:١ (س).



(من الآب) كما يولد إنسان من إنسان، حتى يعتبر انه قد جاء الى الوجود بعد وجود الآب، بل هو مولود الله، ولكونه ابن الله الذى هو من ذاته (من ذات الله) الموجود من الأزل، لذلك فإنه هو نفسه (أى الابن) موجود من الازل. فبينما خاصية طبيعة البشر أنهم يلدون فى زمن معين، بسبب أن طبيعتهم غير كاملة، أما مولود الله فهو أزليَّ، بسبب الكمال الدائم لطبيعته، فإذا لم يكن ابنًا، بل مخلوقًا وُجِد من العدم، فعليهم أن يثبتوا ذلك أولاً، وبعد ذلك إذ يتصورونه مخلوقًا، يمكنهم أن يصيحوا قائلين « كان هناك وقت عندما لم يكن الابن موجودًا، لأن المخلوقات لم تكن موجودة قبل أن تخلق» أما أن يكن هو ابنًا ـ كما يقول الآب وكما تنادى به الكتب المقدسة ـ فإن «الابن» ليس شيئًا آخر سوى أنه المولود من الآب. والمولود من الآب هو كلمته وحكمته وبهاؤه. وما يجب أن نقوله، هو أن الذين يعتقدون أنه «كان هناك وقت عندما لم يكن الابن موجودًا» أنهم يسلبون الله كلمته، ويعلّمون بمذاهب معادية كليَّة لله معتبرين أن الله كان فى وقت ما بدون الكلمة الذاتى وبدون الحكمة وكان النور فى وقت ما بدون بهاء، وكان النبع جافًا مجدبًا.

حقًا أنه يتظاهرون أنهم يخشون ذكر اسم «الزمن»، بسبب أولئك الذين يعيرونهم، ويقولون، بإن (الابن) كان قبل الأزمنة إلاّ أنهم يحددون أوقاتًا معيَّنة، فيها يتخيلون عدم وجوده، مبتدعين أزمنة ويا لسوء ما ابتدعوا ـ فإنهم بذلك ينسبون لله انه عديم الكلمة (أى عدم العقل) وبذلك فإنهم يكفرون كفرًا شنيعًا.

١٥ـ وحتى إن اعترفوا معنا، باسم «الابن» وذلك لأنهم لا يريدون أن يدانوا علنًا من الجميع، إلاّ أنهم ينكرون أن الابن هو المولود الذاتى لجوهر الآب ويبنون إنكارهم على أساس أن الابن ـ بحسب كلامهم ـ يوجد، بلا شك، من جوهر يتجزأ وينقسم الى أقسام. وهذا الكلام لا يقل بالمرّة عن إنكارهم أنه ابن حقيقى، وإنما هم يلقبونه بلقب ابن، بالاسم فقط. أفلا يرتكبون خطأ جسيمًا حينما



يتصورون أفكارًا جسديّة وينسبونها لغير الجسدى (اللاجسدى). وبسبب ضعف طبيعتهم الخاصة، فإنهم ينكرون طبيعة الآب وذاتيته؟

لقد حان الوقت لهؤلاء الذين لا يفهمون كيفيّة وجود الله ولا ماهية هيئة الآب، أن ينكروه أيضًا، لأن هؤلاء الناس الأغبياء يقيسون مولود الآب بمقاييسهم البشرية الذاتية. وأن أناسًا يفكرون بمثل هذه الطريقة أنه لا يمكن أن يكون هناك ابن لله، فإن هذا أمر يستحق العطف والرثاء. ولكن يلزم أن نستمر فى سؤالهم وفضح أفكارهم.

إذن فإن كان الابن - كما تقولون - تكوّن من العدم، ولم يكن موجودًا قبل أن يولد، فإنه - على ذلك - يدعى ابنًا وإلهًا وحكمة بحسب المشاركة فقط مثله مثل كل الأشياء الأخرى، فإن كل هذه الأشياء الأخرى (أى المخلوقات) قد تكوّنت وتقدّست وتمجّدت بالمشاركة أيضًا. إذن فهناك حاجة ملّحة أن تقولوا لنا، مَنْ هو الذى يشاركه (الابن)، ما دامت كل الأشياء الأخرى لها شركة فى الروح (القدس)، أما هو - فبحسب قولكم - لمن يستطيع أن يكون (الابن) مشاركًا؟ هل للروح؟ بل كما قال هو ذاته حقًا بالأحرى إن الروح نفسه يأخذ من الابن[٨٦] ومن غير المعقول القول بإن هذا (الابن) يُقدَّس من ذلك (الروح)، ولا يتقبى بعد ذلك بالضرورة إلاّ أن نقول إن الآب هو الذى يشاركه الابن. إذن مَنْ هو يمكن ان يشارك الابن، ومن أين هو؟ فلو أن هذا (المشارك فيه) كان شيئًا من الخارج، مُدبرًا من الآب، فلن يكون فى الإمكان أن يشارك الابن الآب، بل يشارك ذاك الذى هو من خارج الآب. ولن يكون الابن بعد ذلك، ثانيًا بعد الآب، إذ أن ذاك الذى من خارج

---

[٨٦] يوحنا ١٦: ١٤.



سيكون سابقًا على (الابن) ذاته، ولن يكون ممكنًا أن يدعى ابن الآب، بل ابنًا لذلك الذى باشتراكه فيه دُعيّ ابنًا وإلهًا.

وإن كان هذا أمر غير لائق وكفرى، إذ أن الآب يقول «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ»[87] وأيضًا يقول الابن إن الله أبوه[88]، فيكون واضحًا إذن، أن ما يشترك فيه ليس من الخارج، وإنما هو من جوهر الآب، ومرَّة أخرى، إن كانت هذه المشاركة، شيئًا آخر، غير جوهر الابن، سيحدث نفس الخطأ، إذ فى هذه الحالة - سيكون هناك شئ فى الوسط بين ما هو من الآب وبين جوهر الابن أيًّا كان هذا الشئ.

١٦- وإذ يتضح أن مثل هذه الأفكار غير اللائقة إنما هى بعيدة عن الحقيقة، لذلك فمن الضرورى أن نقول إن ما هو من جوهر الآب الذاتى كليّة، إنما هو الابن. لأن القول بإن الله يشترك فيه كليّة هو نفس القول بأن الله يلد، وأن الله يلد، ماذا يعنى هذا القول سوى أنه يلد ابنًا؟

وكل الأشياء تشترك فى الابن بحسب النعمة النابعة من الروح. ويتضح من هذ أن الابن نفسه ليس مشاركًا لشئ ما، وأما ما يُشتَرك فيه من الآب، فهذا هو الابن - لأنه بإشتراكنا فى الابن، يقال عنا أننا نشارك فى الله، وهذا ما قاله بطرس: «لِكَيْ تَصِيرُوا بِهَا شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلَهِيَّة»[89] وكما يقول الرسول أيضًا «أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ»[90] وأيضًا «لأننا نحن هيكل الله الحيّ». وعندما نرى الابن فإننا نرى الآب، لأن إدراك الإبن ومعرفته، إنما هى معرفة الآب، لأن الابن هو

---

[87] متى ١٧:٥.

[88] يوحنا ٥:١٨.

[89] ٢بط ١:٤.

[90] ١ كو ٣:١٦.



مولود من ذات جوهره. وكما أن الله يُشتَرَك فيه. فلا يستطيع أحد أن يقول أن هذا (الاشتراك فيه) هو تغيُّر وتقسيم لجوهر الآب [(لأنه قد صار أمرًا واضحًا ومعترفًا به أن الله يُشتَرك فيه، والاشتراك فى الله هو نفسه الولادة (هو نفسه أن الله يلد)]. وهكذا يتضح أن المولود ليس بتغيُّر ولا بتقسيم لذلك الجوهر المبارك. وليس كفرًا (أى من عدم الإيمان) أن يكون لله ولد، مولود من ذات جوهره وحينما نقول إنه «ابن» و «مولود» فلا يعني هذا تغيرًا ولا تقسيمًا لجوهر الله بل بالاحرى، نحن نعترف أنه ابن الله الوحيد الجنس، الأصيل والحقيقى، وهذا هو ما نؤمن به.

فإن كان المولود من جوهر الآب إنما هو الابن ـ كما أوضحنا وأثبتنا ـ فليس هناك أدنى شك، بل هو أمر ظاهر جلّى للكل أن هذا المولود هو نفسه، حكمة الله وكلمته والذى به ومن خلاله خَلَقَ (الآب) كل الأشياء وصنعها. وهذا المولود هو بهاء الآب الذي ينير به كل الأشياء، والذى به يُعلن نفسه لأولئك الذين يريد أن يُعلن لهم. وهذا المولود هو أيضًا شكله (أي رسمه المُعبَر) وصورته التى فيها يُرى ويُعرف، لذا فإنه «هو والآب واحد»، ولأن مَنْ يرى الابن فإنه يرى الآب أيضًا.

وهذا (المولود) أيضًا هو المسيح، الذى به قد افتُدِيتْ كل الأشياء، وبه أيضًا خُلِقَت الخليقة الجديدة[٩١](٤٦). وأيضًا فإذا كان الابن هكذا، فلا يكون ملائمًا ـ بل أن هذا يكون خطرًا جسيمًا ـ أن يقال إنه «مخلوق من العدم» أو إنه «لم يكن موجودًا قبل أن يولد» لأن مَنْ يتكلَّم هكذا عن المولود من ذات جوهر الآب، يكون قد جدّف مسبقًا على ذات الآب، إذ أنه يعتقد عن الآب بمثل هذه التعاليم التى يخادع بها فى تخيلاته عن المولود منه.

---

[٩١] انظر ٢كو٥:٧.

الفصل السادس

الابن الوحيد والثالوث

١٧- ومع أن هذا وحده كاف لدحض وهدم الهرطقة الآريوسية، ولكن عدم أرثوذكسيتها يمكن أن يظهر أيضًا مما يأتى :

إن كان الله خالقًا وصانعًا، وهو يخلق مخلوقاته بواسطة الابن، ولا يستطيع أحد أن يرى الأشياء المخلوقة بأيَّة طريقة أخرى، سوى بإعتبارها مخلوقة بواسطة الكلمة، أفلا يكون تجديفًا - إذ بينما أن الله هو الخالق - أن يأتى أحد فيقول إن كلمته الخالقة وحكمته، لم يكن موجودًا فى يوم ما؟ فإن هذا مشابه للقول، بإنه حتى الله لم يكن خالقًا، إذ أنه لا يملك كلمته الخالق الذاتى، الذى هو منه، بل ما يخلق به، إنما يكون (فى هذه الحالة) قد جُلِبَ إليه من خارجة، ويكون غريبًا عنه، ويكون غير مماثل له حسب الجوهر.

وبعد ذلك، فليقولوا لنا - أو بالأحرى ليتهم يرون من هذا، مقدار ضلالهم وعدم تقواهم فى قولهم «كان وقت عندما لم يكن موجودًا» وأيضًا «لم يكن موجودًا قبل أن يولد» - لأنه إن لم يكن الكلمة دائمًا أزليًا مع الآب، فلا يكون الثالوث أزليًا، بل واحد مفرد في البداية، وفيما بعد صار ثالوثًا بالإضافة، وهكذا بمرور الزمن - حسب رأيهم - فقد تزايدت المعرفة عن الله وتشكلّت. وأيضًا إن لم يكن الابن مولودًا من ذات الآب، بل قد خُلِقَ من العدم، إذن يكون الثالوث قد تكوّن من العدم، وكان هناك وقت ما عندما لم يكن هناك ثالوث، بل واحد مفرد. وهكذا يكون الثالوث فى وقت ما ناقصًا، ثم فى مرَّة أخرى يكون كاملاً، فيكون ناقصًا قبل صيرورة الابن، ويكون كاملاً حينما صار الابن، وهكذا (على أساس هذا الكلام)، تُحسَب الخليقة مع الخالق، والذى لم يكن موجودًا



فى وقت ما يُحسَب مساويًا مع الله الذى هو كائن على الدوام، ويمجّد معه. وما هو أردأ من هذا حقًا، أن الثالوث يوجد غير متماثل مع ذاته إذ يكون مكونًا من طبائع وجواهر غريبة ومختلفة عن بعضها.

وهذا القول ليس شيئًا آخر سوى أن الثالوث أصله مخلوق. إذن ما كنه هذه العقيدة عن الله، التى لا تتماثل حتى مع ذاتها بل تسير الى الاكتمال عن طريق الاضافات مع مرور الأيام، ففى وقت ما لا يكون موجودًا هكذا، وفى وقت آخر يكون موجودًا هكذا ؟!.

وهكذا يكون طبيعيًا أنه يمكن أن ينال اضافة جديدة، ويستمر (فى نوال الاضافة) بلا نهاية، كما حدث مرَّة فى البدء وأتخذ أصله بطريق الاضافة. وبالتالي يكون هناك إذن شك أنه يمكن أن يحدث فيه تناقص، لأن الأشياء التى تضاف وتزاد، من الواضح، أنها يمكن أيضًا أن تُطرَح وتُنقَص.

١٨- ولكن، حاشا لله، أن يكون الأمر هكذا، فالثالوث ليس مخلوقًا، بل هو أزليّ، بل يوجد لاهوت واحد فى ثالوث، وهناك مجد واحد للثالوث القدوس. وأنتم تتجاسرون على تمزيقه إلى طبائع مختلفة، ومع أن الآب أزليّ، فإنكم، تقولون عن الكلمة الجالس معه إنه « كان هناك وقت ما لم يكن فيه موجودًا»، ومع أن الابن جالس مع الآب، إلاّ أنكم أنتم تريدون أن تبعدوه عنه. فالثالوث منشئ وخالق وأنتم لا تتورعون أن تحطوا من قدره إلى مستوى المخلوقات التى وجدت من العدم. أنكم لا تخجلون أن تساووا بين الكائنات التى فى حالة العبودية، وبين رفعة الثالوث، وأن تضعوا الملك ربُّ الصباؤوت فى مرتبة واحدة مع رعاياه. كفوا عن التفكير فى خلط الأشياء التى لا يمكن أن تتحد معًا، أو بالاحرى كفوا عن التفكير فى مزج الأشياء غير الموجودة مع ذلك الذى هو الكائن. ليس ممكنًا أن تقولوا هذه الأقوال على زعم أنكم تقدّموا مجدًا وكرامة للربِّ، بل العكس، فأنتم تجلبون له عارًا وهوانًا، لأن مَنْ لا يكرم الابن فأنه لا يكرم الآب أيضًا. لأنه



أن كان التعليم عن الله الآن كاملاً على أساس ادراكه كثالوث، ستكون هذه الديانة (العبادة) هي الحقيقية والوحيدة، وسيكون هذا هو الصلاح والحق، وما يجب أن يكون أمر دائمًا هكذا، حتى لا يكون الصلاح والحق هى أشياء قد صارت فيما بعد، ويكون كمال اللاهوت يحدث من طريق الاضافة. فمن اللازم، أن يكون هذا التعليم هكذا كان منذ الأزل، لأنه إن لم يكن أزليًا (كثالوث)، فليس من الواجب أن يكون هكذا الآن (ليس من الواجب أن يكون ثالوثًا الآن حسب افتراضهم). ولكن ما هو خلاف ذلك ـ كما تدعون أنتم أنه هكذا من البدء ـ فإنه لا يكون حتى الآن ثالوثًا.

ولا يستطيع أحد من المسيحيين أن يحتمل مثل هؤلاء الهراطقة لأنه يناسب الأمميين أن يتحدّثوا عن ثالوث مخلوق، يضعونه فى مساواة مع المخلوقات، إذ من خصائص المخلوقات أنها تقبل النقص والزيادة.

أما إيمان المسيحيين فإنه يعرف الثالوث المبارك على أنه غير قابل للتغيّر، وأنه كامل وإنه هو هكذا أزليًا وعلى الدوام، فإيمانهم لم يضف شيئًا أكثر إلى الثالوث، ولم يعتبر أنه كان فى وقت ما، ناقصًا، لأن أيًّا من هذه الأمرين إنما هو ضلال، ولذلك فإن ايمانهم يعرف الثالوث بصورة نقيّة ولا يخلطونه مع المخلوقات، مقدِّما السجود للثالوث غير المنقسم، وحافظًا له وحدته اللاهوتية وايمانهم يتجنب تجديفات الآريوسيين، ويعترف ويعرف أن الابن موجود على الدوام مع الآب لأنه أزليٌّ، والذى له كلمته الأزليّ أيضًا.

لذا فلنفحص هذا الأمر مرَّة ثانية الآن.



١٩. إن كان يقال عن الله إنه ينبوع حكمة وحياة، كما جاء فى سفر إرميا، « تَرَكُونِي أَنَا يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ»[٩٢] وأيضًا «كُرْسِيُّ مَجْدٍ مُرْتَفِعٌ مِنَ الابْتِدَاءِ هُوَ مَوْضِعُ مَقْدِسِنَا، أَيُّهَا الرَّبُّ رَجَاءُ إِسْرَائِيلَ، كُلُّ الَّذِينَ يَتْرُكُونَكَ يَخْزَوْنَ. الْحَائِدُونَ عَنِّي فِي التُّرَابِ يُكْتَبُونَ، لأَنَّهُمْ تَرَكُوا الرَّبَّ يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ»[٩٣] وقد كُتب فى باروخ، «إِنَّكَ قَدْ تَرَكْتَ يَنْبُوعَ الْحِكْمَةِ»[٩٤]. وهذا يتضمّن أن الحياة والحكمة لم يكونا غريبين عن جوهر الينبوع، بل هما خاصة له، ولم يكونا أبدًا غير موجودين، بل كانا دائمًا موجودين. والآن فإن الابن هو كل هذه الأشياء وهو الذى يقول «أَنَا هُوَ الْحَيَاةُ»[٩٥]، وأيضًا «أَنَا الْحِكْمَةُ أَسْكُنُ الذَّكَاءَ»[٩٦]. كيف إذن لا يكون كافرًا مَنْ يقول « كان وقت ما عندما لم يكن الابن فيه موجودًا؟» لأن هذا مثل الذى يقول تمامًا «كان هناك وقت كان فيه الينبوع جافًا خاليًا من الحياة ومن الحكمة». ولكن مثل هذا الينبوع لا يكون ينبوعًا، لأن الذى لا يَلِد من ذاته لا يكون ينبوعًا. يا لكثرة السخافات التى فى هذا القول لأن الله يَعِدُ الذين يصنعون مشيئته أنهم سيكونون كينبوع لا تنضب مياهه اطلاقًا، كما يقول إشعياء النبى «وَيَقُودُكَ الرَّبُّ عَلَى الدَّوَامِ، وَيُشْبِعُ فِي الْجُدُوبِ نَفْسَكَ، وَيُنَشِّطُ عِظَامَكَ، فَتَصِيرُ كَجَنَّةٍ رَيَّا، وَكَنَبْعِ مِيَاهٍ لاَ تَنْقَطِعُ مِيَاهُهُ»[٩٧] فبينما أن الذى يقال عنه، والذى هو فى الحقيقة ينبوع الحكمة، يتجاسر هؤلاء ويجدّفون عليه قائلين

---

[٩٢] إرميا ٢:١٣.

[٩٣] إرميا ١٧:١٢، ١٣.

[٩٤] باروخ ٣:١٢.

[٩٥] يو ١٤:٦.

[٩٦] أم ٨:١٢.

[٩٧] إش ٥٨:١١.



أنه عقيم ومجدب من حكمته الذاتية. إلاّ أن أقوالهم هذه الصادرة عنهم، إنما هي أقوال زائفة، أما الحقيقة فتشهد بأن الله هو الينبوع الأزليّ لحكمته الذاتية، ولما كان الينبوع أزليّاً، فبالضرورة يجب أن تكون الحكمة أزليَّة أيضًا، لأنه من خلال هذه الحكمة خُلِقَت كل الأشياء، كما يرتل (يزمر) داود فى المزامير «كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ»[98] ويقول سليمان «الرَّبُّ بِالْحِكْمَةِ أَسَّسَ الأَرْضَ. أَثْبَتَ السَّمَاوَاتِ بِالْفَهْمِ»[99].

ونفس هذه الحكمة هو الكلمة، «وبه» كما يقول يوحنا «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»[100].

وهذا الكلمة هو المسيح، لأنه يوجد «لَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ: الآبُ، الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ بِهِ»[101] فان كانت كل الأشياء قد خُلِقَت به. فهو لا يمكن أن يكون بين جميع هذه الاشياء. فالذى يتجاسر أن يقول عن (ذلك) «الذى به خُلِقَت جميع الأشياء»، إنه واحد من بين جميع هذه الأشياء، فبالتأكيد أنه يفكر نفس هذه الأفكار عن الله نفسه «الذى منه جميع الأشياء» وإن كان أحد يتحاشى هذا القول كأمر شنيع، ويستبعد الله عن جميع الأشياء حاسبًا إياه، آخر، فإنه يواصل نفس القول أيضًا بأن «الابن» الوحيد الجنس الذي من ذات جوهر «الآب»، هو آخر مختلف عن جميع الأشياء.

---

[98] مز١٠٣: ٢٤ (السبعينية) مز١٠٤: ٢٤ فى الطبعة الشائعة.

[99] أم ٣: ١٩.

[100] يو١: ٣.

[101] ١ كو٨: ٦.



ولكونه ليس واحدًا من بين الجميع، فليس من الصواب أن نقول عنه « كان وقت ما لم يكن فيه موجودًا»، و «لم يكن موجودًا قبل أن يولد». لأن مثل هذه الأدعاءات تليق أن تقال عن المخلوقات أما «الابن» نفسه فمثله مثل «الآب»، وهذا الابن هو مولود الآب من ذات جوهره. وهو «كلمته» الذاتى وهو «حكمته» الذاتية. وهذه هى علاقة «الابن» الذاتية نحو «الآب» وهذا عينه يدل على أن «الآب» هو «أب الابن». لكى لا يقول أحد عن الله أنه كان «بدون كلمة: ςογολα [١٠٢]) فى وقت ما. ولا يقول عن «الابن» أنه لم يكن له وجود فى وقت ما، لأنه ماذا يكون «الابن» بالنسبة لله إن لم يكن منه؟ أو ماذا يكون «الكلمة» و«الحكمة» إن لم يكونا من ذاته على الدوام؟

٤ـ متى إذن، كان الله موجودًا بدون ما هو خاص به ذاتيًا؟ أو كيف يظن أحد أن ما هو خاص به ذاتيًا إنما هو غريب عنه ومن جوهر مختلف؟ لأن الأشياء الأخرى كمخلوقات ليس لها مشابهة قط مع الخالق حسب الجوهر، بل هى من خارجة، قد خُلِقَت بنعمته ومشيئته بالكلمة ولأجل الكلمة. ولذلك فإنها يمكن أيضًا أن تتوقف (عن الوجود) يومًا ما، إن أراد الخالق ذلك، لأنه هكذا هى الطبيعة الخاصة بالمخلوقات.

كيف لا يكون من الجسارة والكفر أن يقول أحد عن مَنْ هو من ذات جوهر الآب (وهذا هو الذى سبق أن اعترفنا به أنه هو الابن)، إنه جاء من عدم، وإنه «لم يكن موجودًا قبل أن يولد» بل أُضيف عَرَضًا، ويمكن ألاّ يكون موجودًا فى وقت ما فى المستقبل؟

---

[١٠٢] λαγος تعني «كلمة» وأيضًا «عقل»، αλογος تعني انه بدون كلمة أي غير عاقل.



فالشخص الذى يفكر بإمعان فى هذا الأمر، فإنه سيميّز أنه يحدث أنقاص لكمال وملء جوهر الآب، وهو سيرى أيضًا بوضوح أكثر شناعة وعدم معقولية هذه الهرطقة، إذا فكر بأن الابن هو صورة وبهاء الآب، وهو رسمه وهو حقيقته.

لأنه بما أن النور موجود هكذا صورته أيضًا، أى بهاؤه وكيانه الحقيقى وهو رسمه الذى يُعبر عن تعبيرًا كاملاً.

وأيضًا بما أن الآب كائن هكذا تكون حقيقته (أى الابن)، أما أولئك الذين يقيسون صورة اللاهوت وهيئته بمقياس الزمن فليعتبروا مدى هوة الضلال التى ينحدرون إليها.

لأنه أن لم يكن الابن موجودًا قبل أن يولد، فلا يكون الحق موجودًا فى الله دائمًا، وليس من الصواب أن نقول مثل هذا القول لأنه بما أن الآب كائن فالحق كائن فيه دائمًا والذى هو الابن الذى قال «أَنَا هُوَالْحَقّ»[١٠٣]، والكيان الموجود يجب أن يكون فى نفس الوقت هو الرسم المُعبر والصورة، لأن صورة الله ليست مرسومة من الخارج، بل أن الله نفسه هو والدها، والتى فيها ينظر هو ذاته ويبتهج بسببها، كما يقول الابن نفسه «كنت أنا بهجته»[١٠٤].

فمتى إذن، لم يكن الآب يرى نفسه فى صورته؟ أو متى لم يكن يبتهج، حتى يتجاسر أحد ويقول إن «الصورة هى من عدم». و«لم يكن الآب مبتهجًا قبل أن تُخلق الصورة»؟ وكيف يستطيع الخالق والصانع أن يرى نفسه فى جوهر مخلوق وصائر؟ فمثلما يكون الآب هكذا يجب أن تكون صورته.

---

[١٠٣] يو ١٤: ٦.

[١٠٤] أم ٨: ٣٠ (السبعينية).



٥. هلّم بنا إذن لنرى خصائص الآب بتدقيق لكى ندرك أن الصورة هى صورته الذاتية.

فالآب هو أزليّ، غير مائت، قدير، نور، ملك، ضابط الكل، إله، رب، خالق، وصانع.

فإن لم تكن هذه الخصائص موجودة (فى الصورة) . كما يظن الآريوسيون . إن الابن مخلوق وليس أزليًّا (ففى هذه الحالة) لن تكون هذه هى صورة الآب الحقيقية، ولن يكون أمامهم سوى أنهم يرفعوا برقع الحياء، ويقولون، إن كلمة «الصورة» التى تُطلق على الابن ليست علامة مميّزة لجوهر مماثل، إنما هى فقط مجرد اسم له.

ولكن، مرَّة أخرى، فإن هذا، يا أعداء المسيح، ليس بصورة وليس رسمًا، لأنه أى شبه بين المخلوقات التى هى من عدم وبين ذلك الذى أَحَضَرَ الأشياء من العدم الى الوجود؟

لأنه كيف يمكن أن يكون ما هو غير كائن، شبيهًا بذاك الذى هو الكائن حقيقة، إذ أنه كان فى وقت ما ناقصًا عنه لكونه لم يكن موجودًا، ولأنه كان له مكان داخل نظام الأشياء المخلوقة؟

لأن الآريوسيين، وهم يرغبون أن يكون الابن هكذا، يستحسنون تعليلات ابتكروها لأنفسهم قائلين: إن كان الابن هو مولود الآب وصورته، وإنه شبيه بالآب فى كل شئ، يلزم إنه كما أن الابن قد وُلِدَ منه، هكذا لابد أن يَلِدُ هو أيضًا، ويصير هو أيضًا أبًا لابن.

وأيضًا فإن الذى يُولَد (من الابن) يلزم أن يَلِدُ هو أيضًا وهكذا إلى ما لا نهاية، فهذا هو ما يجعل المولود شبيه بالذى ولده.



حقاً أن أعداء الله هؤلاء، إنما يخترعون تشنيعات وافتراءات إذ أنهم لكى لا يعترفوا بأن الابن هو صورة الآب، فإنهم يتصورون صفات جسديّة وأرضيّة فيما يخص الآب ذاته، ناسبين إليه التقسيمات والتوالد، والحمل إذن فإن كان الله مثل الإنسان، فإنه يكون والدًا كالإنسان، لكى يكون الابن أيضًا والدًا لابن أخر، وهكذا على التوالى وهكذا يصير الواحد من الآخر - حتى يزداد عدد الآلهة بالتعاقب، كما يظنون.

فلو أن الله ليس مثل الإنسان (وهو فى الحقيقة ليس مثله)، فلا ينبغى أن تطبق الخصائص الإنسانية عليه على الله.

لأن الحيوانات غير الناطقة، وكذلك البشر، إنما يتوالدون على التوالى الواحد من الآخر، منذ بدء الخليقة، والمولود الذى وُلِدَ من أب، هذا الأب هو وُلِدَ (من أب) ومن الطبيعى أن يصير هذا المولود أيضًا والدًا لغيره، متخذًا خاصية الولادة فى داخله من أبيه، تلك الخاصية التى تَكونُّ هو نفسه بها. ولهذا من الممكن أن يُطلق على مثل هؤلاء الناس اسم أب أو اسم ابن بالصفة الخصوصية. إذ لا يكمن فيهم اطلاقًا ما هو خاص «بالاب» (أى صفة الأبوة)، وما هو خاص «بالابن» (أى صفة البنوَّة). لأنه (أى الابن) هو نفسه ابن لوالده، وفى نفس الوقت هو أب للمولود منه.

ولكن الأمر ليس كذلك فيما يخص الألوهة لأن الله ليس مثل الإنسان، لأن الآب هو ليس من أب، ولذلك فهو لا يلد آخر يصير أبًا فيما بعد، والابن أيضًا لا يخرج من الآب بالتوالد. وهو (أى الأبن) ليس مولودًا من أب سبق له أن ولَدَ، لذلك فهو (أى الابن) لم يُولَد لكى يلد.

لذلك ففيما يخص اللاهوت وحده، فإن الآب هو آب بصفة مطلقة، والأبن هو ابن بصفة مطلقة، وفى هذين وحدهما، وحدهما فقط، يَظلَّ: الآب آب دائمًا، والابن ابن دائمًا.

الفصل السابع

اعتراضات الآريوسيين والرّد عليها

٢٢- إذن فالذى يبحث متسائلاً، لماذا لا يكون الابن والدًا لابن؟ فليبحث أولاً، لماذا لم يكن للآب والد؟ ولكن كلا هذين الأمرين بعيد عن الصواب، وملئ بكل أنواع الكفر والجحود. لأنه كما أن الآب هو دائمًا أب، وأنه لا يستطيع أن يصير ابنًا فى يوم من الأيام، هكذا بنفس الطريقة، فإن الابن هو دائمًا ابن، ولن يصبح أبًا فى يوم من الأيام. لأنه فى هذا بالأحرى يثبت ويتضّح أنه رسم الآب وصورته، ويَظلّ باقيًا كما هو بدون تغيُّر، لكنه قد حصل على ذاتيته من الآب ومماثلته له.

أما أن كان الآب يتغيّر، فان الصورة أيضًا ستتغيّر فى هذه الحالة. فإنه هكذا تَظلّ الصورة والبهاء ثابتة تجاه ذاك الذى ولدها.

فإن كان الآب غير متغيّر ويبقى هكذا دائمًا كما هو، فمن الضرورى أيضًا أن تبقى صورته كما هى ولن تتغيّر.

إذن فالابن هو ابن من الآب، ولذلك فهو لن يصير شيئًا أخر سوى ذاك الذى هو من جوهر الآب الذاتى.

إذن فمن العبث أن يخترع الحمقى هذا (الاعتراض) أيضًا وهم الذين يرغبون فى فصل وأبعاد «الصورة» عن الآب، لكى يساووا الابن بالمخلوقات.



وبناء على ذلك، فإن مشايعى آريوس ـ وضعوا الابن بين مصاف المخلوقات ـ بحسب تعليم يوسابيوس ـ[105] معتبرين كأنه مثل الأشياء التى خُلِقَت بواسطته، وبذلك فانهم ابتعدوا عن الحقيقة.

وهم فى بداية اختراعهم لهذه الهرطقة، كانوا يجولون معبأين بكليمات خداع ماكرة، جمعوها معًا، بل وهم إلى الآن، عندما يلتقى بعضهم مع الصبية، ويسألونهم، ليس من الكتب المقدسة طبعًا، بل من «فضلة قلوبهم» يتقيأون قائلين: «مَن هو ذاك الذى خَلَقَه الكائن من الكائن هل هو ذلك غير كائن أم هو الكائن؟ « فهل إذن قد خلقه (الابن) وهو كائن أم وهو غير كائن؟. «وهل يوجد واحد فقط غير مخلوق ἀγένητον أم اثنان غير مخلوقين؟». «وهل هو ذو أرادة حرّة، ولا يتغيّر بإختياره الذاتى، رغم أنه من طبيعة متغيّرة؟» لأنه ليس كالحجر يظلّ ثابتًا بلا حركة من ذاته، ثم يتقدّمون بعد ذلك الى النسوة الغريرات، ويخاطبوهن أيضًا، بكليمات مخنّثة قائلين: «هل كان لك ولد قبل أن تلديه»؟ فكما أنه لم يكن لك ولد هكذا أيضًا ابن الله لم يكن موجودًا قبل أن يولد» وهكذا فان عديمى الشرف يتلاعبون بمثل هذه الأقوال وهم يسخرون مشبّهين الله بالبشر، زاعمين أنهم مسيحيون ويبدلون مجد الله «بشبه صور الإنسان الذى يفنى»[106].

---

[105] كان يوسابيوس أسقفًا لنيقوميدية وكان زميلاً لآريوس فى مدرسة لوسيان بأنطاكية وظلّ صديقًا له على الدوام. وأخذ على عتقه أن يقوم بتأييد آريوس تأييدًا مطلقًا بعد أدانته بواسطة المجمع المسكونى الأول (نيقية ٣٢٥) وعمل بجد عملاً متواصلاً لأجل قبول آريوس من جديد فى الكنيسة وعلى الرغم من عدم نجاحه فى ذلك، فان الآريوسية تدين له بأنها لم تتلاش وتختف فورًا بل ظلّت كخطر داهم جسيم لفترة طويلة على الكنيسة.

[106] انظر رو ١:٢٣.



٢٣ـ ومثل هذه الأقوال المفرطة فى الغباء والحماقة كان يجب ألاّ يردُّ أحد عليها، إلاّ أنه، لكى لا تبدو هرطقتهم وكأنها أمر أكيد، فإنه يكون من الواجب أن نفندها، خاصة من أجل النساء الغريرات اللاتى أنخدعن منهم بسهولة.

وما داموا يقولون هذه الأقوال، فينبغى عليهم أن يسألوا المهندس أيضًا هكذا «هل تستطيع أن تبنى بدون استخدام المواد الضرورية؟» فكما أنك أنت لا تستطيع فهكذا الله أيضًا لم يكن ليستطيع أن يخلق كل شئ بدون استخدام المواد الضرورية.

أو كان من الواجب أن يسألوا كل إنسان « هل يمكنك أن تكون موجودًا بغير مكان؟ فكما أنك لا تستطيع هكذا فان الله أيضًا يوجد فى كل مكان». ليتهم يواجهون السامعين، وعندئذ سيخجلون منهم.

أو فلماذا عندما يسمعون أن لله ابنًا، ينكرون هذا الأمر، مفسرين هذا الإنكار بما يحدث بينهم؟

فى حين أنهم إن سمعوا أن الله يخلق ويصنع، لا يعودوا يعارضون ذلك؟ وكان يجب عليهم فى حالة الخلق أيضًا أن يفهموها بحسب ما يحدث بين البشر، وأن يزودوا الله مقدَّمًا بالمادة اللازمة، وبذلك فإنهم ينكرون أن الله هو الخالق، وتبعًا لذلك فإنهم يصلون إلى التمرغ فى الوحل مع المانويين.

فإن كانت الفكرة عن الله تسمو فوق هذه الأفكار فإن مَنْ يسمعها يؤمن ويعرف أن الله موجود ليس كما نوجد نحن، بل أنه موجود بكونه هو الله، وإنه يخلق لا كما يخلق الناس، بل هو يخلق بكونه هو الله. ومن هذا يتضح أنه يلد ليس كما يلد الناس، بل هو يلد بكونه هو الله. لأن الله لا يقتدى بالبشر، بل الأحرى البشر (هم الذين يقتدون بالله) لأن الله ـ على وجه الخصوص ـ هو وحده حقًا الآب لابنه الذاتى، أما الآباء (البشريون) فقد دعوا كذلك آباء لأولادهم، من



الله «الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الأَرْضِ»[107] وإن كان ما يقولونه يبقى بدون تحقيق أو مراجعة، فإنه سيظنون أن كلامهم معقول، وأما عند مراجعة كلامهم بفهم واع، فسنجد أن كلامهم هذا يستدعى الضحك والسخرية الشديدة.

٢٤ـ أول كل شئ، فإن أول سؤال من أسئلتهم هذه، يعتبر لا معنى له بل هو غامض، لأنهم لا يوضحون، مَنْ هو الذى يسألون عنه، حتى يجيب عليه مَنْ وجّه إليه السؤال، فهم يقولون بسذاجة «الكائن، هو ذلك الذى لا يكون موجودًا».

إذن، فمَنْ هو الكائن، وما هى الأشياء غير الكائنة أيها الآريوسيون؟ أو مَنْ هو «الكائن» ومَنْ هو «غير الكائن»؟ ومَنْ الذى يقال عنه «كائن» أو «غير كائن»؟ إذ أنه فى وسع ذلك الذى هو الكائن أن يصنع الأشياء غير الكائنة، والأشياء الكائنة، والأشياء التى كانت من قبل.

إذن فالنجار والصائغ والفخارى، كل منهم بحسب فنه الخاص، يشكّل المادة الموجودة قبلاً، صانعًا منها الشكل الذى يريده.

والله ذاته، إله الكل، إذ قد أخذ من تراب الأرض الذى كان موجودًا، جعل منه الإنسان فى الحال، وهذه الأرض نفسها التى خَلَقَ منها الإنسان لم تكن موجودة من قبل، ومن ثمَّ أتى هو بها الى الوجود بواسطة كلمته الذاتى.

فإن كانوا يتساءلون هكذا عن الأمور، فإنه يتضح أن الخليقة لم تكن موجودة قبل أن تُخلق، فى حين أن البشر (أى النجار والصائغ والفخارى)، يشكّلون المادة الموجودة قبلاً، وهكذا يظهر كلامهم مفككًا غير مترابط. ولذا فإن كلَّ من الكائنات وغير الكائنات يمكن أن تُخلَق كما سبق أن قلنا.

---

[107] أفسس ٣:١٥.



ولكن إن كانوا يتحدثون عن الله وعن **كلمته**، فليضيفوا على سؤالهم ما ينقصه، ودعهم يسألون هكذا: «هل كان الله، الذى هو كائن، موجودًا فى وقت ما، بدون **كلمة**؟» وكونه هو نور، فهل كان بلا ضياء (هل كان مظلمًا)؟ أم أنه كان هو دائمًا أبا **الكلمة**؟

أو بمعنى آخر: «هل خَلَق الآب الذى هو كائن، **الكلمة** غير الكائن، أم أن **الكلمة** الذى هو مولود من جوهره الذاتى، كان دائمًا موجودًا عنده فى داخله؟

وهذه الأسئلة تجعلهم يعرفون أنهم إنما يتجاسرون ويقحمون أنفسهم فى اختراعات ومغالطات عن الله وعن ذلك الذى هو منه. فمن يستطيع أن يحتَّمل سماعهم وهم يقولون إن الله كان فى وقت ما بدون **كلمة**؟ لأنهم يسقطون ثانية ويهوون فيما هم عليه من ضلالات سابقة وبالرغم من محاولاتهم للتهَّرب من هذا وإخفائه بمغالطاتهم ودهائهم المضلّل، لكنهم لم ينجحوا فى ذلك.

فلا يرغب أحد إطلاقًا أن يسمعهم وهم يشكّكون قائلين إن الله لم يكن أبًا دائمًا، بل صار أبًا فيما بعد، لكى يتخيّلوا أن **كلمته** أيضًا، لم يكن موجودًا فى وقت ما.

إذ أنه توجد براهين كثيرة سبق ذكرها، تدحض وتكذّب أقوالهم، فها هو يوحنا يقول «كَانَ الْكَلِمَةُ»[١٠٨] وهذا بولس يكتب أيضًا «الّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ»[١٠٩] وأيضًا «الْكَائِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلَهاً مُبَارَكاً إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ»[١١٠].

---

[١٠٨] يو ١:١.

[١٠٩] عب ٣:١.

[١١٠] رو ٩:٥.



٢٥ـ كان من الأفضل لهم أن يهدأوا ويصمتوا ، ولكن بما أنهم لا يصمتون، فلا يتبقى إلاَّ أن يقوم أحد بالرِّد بجرأة على سؤالهم الوقح. فربما عندما يرون أنفسهم وهم مقيدون بنفس هذه السخافات والضلالات، فقد يتوقفون عن الصراع ضد الحق.

وإننا ندعو الله بشدة أن يترآف علينا ، ويأتى لمعونتنا لكى نتمكَّن من الرَّد عليهم عندما يتساءلون ويقولون: «هل الله الكائن قد صار إلى الوجود فى حين أنه لم يكن موجودًا؟ أم أنه كان موجودًا قبل أن يصير إلى الوجود؟ فإن كان هو كائن، فهل هو صنع نفسه أم أنه جاء من العدم وأظهر نفسه بغتة؟». إن مثل هذا التساؤل لهو سخيف ومنافٍ للعقل، بل أكثر من ذلك فهو ليس منافيًا للعقل فقط بل هو ملئ بالتجديف أيضًا ، إلاَّ أنه فى الواقع لا يختلف عما هو عندهم. لأن أقوالهم الأخرى (أى جوابهم على السؤال) مليئة بكل أنواع الكفر وعدم التقوى. لأنه إن كان أحد يتساءل عن الله بهذا الأسلوب، فيُعتبر هذا تجديفًا وكفرًا شنيعًا ، فإنه يُعتَبر أيضًا تجديفًا أن يسأل أحد نفس هذه الأسئلة عن كلمته. فلأجل دحض مثل تساؤلهم الأحمق وغير المعقول هذا ، فمن الضرورى إذن أن نجيب هكذا : إن الله كائن وهو كائن منذ الأزل، وحيث إن الآب كائن دائمًا ، فإن بهاءه أيضًا الذى هو كلمته، هو أزلّى كذلك، وأيضًا فإن الله الكائن، عنده الكلمة من ذاته وهو أيضًا كائن.

فلا الكلمة أتى الى الوجود فيما بعد، أى بعد أن لم يكن موجودًا من قبل، ولا الآب كان فى وقت ما بدون كلمة. لأن التجاسر المتهوِّر على الابن يؤدى إلى التجديف على الآب، كما لو كان قد ابتدع لنفسه من خارجه حكمة وكلمة وابنًا. لأنك أن استخدمت واحدة من هذه ا(الألقاب الثلاثة)، فإنما هى تعنى المولود من الآب كما سبق أن قيل.



ولذلك فإن سؤالهم هذا يعتبر متناقضًا، ولأنهم ينكرون الكلمة، فمن الطبيعي أن يكون سؤالهم مناقضًا للعقل والمنطق.

وكما أنه عندما يرى أحدهم الشمس، فيأخذ في التساؤل عن بهائها ويقول: «هل ما هو كائن (أي الشمس)، قد صَنَع ما هو غير موجود أم ما هو موجود» فمثل هذا الشخص الذي يسأل هكذا يُعتَبر أنه لا يفكر تفكيرًا سليمًا، بل يُعتَبر خَرِقًا فاقد اللّب، لأنه يتصوَّر أن ما هو صادر بكليَّته عن النور، أنه من خارج النور، ويتساءل عنه قائلاً متى؟ وأين؟ وعندما؟ فإن كانت (الشمس) قد صُنِعَت، فإنه يتصوَّر مثل هذه الأشياء عن الابن وعن الآب، ويأخذ في التساؤل عنهما بنفس الطريقة ولكن تساؤله يكون بجنون أعظم بكثير، متصوَّرًا أن الآب جلب إليه الكلمة من خارج ذاته، ويقول عن الذي هو بطبيعته مولود، إنه مخلوق، وهو يجادل بذهن مبلبل قائلاً « إنه لم يكن موجودًا قبل أن يولد» فليسمعوا الجواب على سؤالهم، بإن الآب الكائن قد صنع الابن الكائن، لأن «الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً»[111]. وبينما هو ابن الله فقد جعله ابن الإنسان أيضًا عند انقضاء الدهور، إلاّ إذا قالوا حسب تعليم الساموساطي[112]، أنه لم يكن موجودًا قبل أن يصير إنسانًا، ويكفيهم هذا ردًا منَّا على سؤالهم الأول.

٢٦- يا معشر الآريوسيين، وأنتم تذكرون نفس أقوالكم، خبّرونا: «هل الذي هو كائن، في حاجة إلى مَنْ هو غير كائن، أم إلى مَنْ هو كائن، لأجل خِلْقَة كل

---

[111] يو ١:١٤.

[112] كان بولس الساموساطي أسقفًا لانطاكية (٢٦٠ – ٢٦٨) وأدين في عام ٢٦٨م بعد سلسلة من المجامع التي من خلالها ظهر ضلال عقائده. وحسب تعليم هرطقته اعتبر أن المسيح كان مجرَّد إنسانًا عاديًا ثم صار إلها بسبب جدارة عظمة شخصيته التي استحقها بسبب التبني (ولذلك) سمّي مشايعوه باسم أصحاب التبني وهكذا أنكر الساموساطي تعليم الثالوث القدوس وتعليم التجسد ولكنه اعترف فقط أن المسيح أفضل من موسى والأنبياء.



الأشياء؟» لأنكم قلتم إنه صاغ لنفسه الابن كأداة لكى يخلق بواسطته كل الأشياء. أيهما أفضل، أذن هل الذى يحتاج أم الذى يسد الاحتياج؟

أم أن كلاً منهما يستكمل احتياج الواحد للآخر؟ لأنه بقولكم مثل هذا الكلام فإنكم تثبتون ضعف الخالق، إن كان لا يقوى وحده على أن يخلق كل الأشياء بل يبتكر لنفسه أداة من الخارج، كما لو أن نجاراً أو صانع سفينة لا يستطيع أن يعمل أى شئ بدون مطرقة أو منشار. هل هناك، إذن، ما هو أكثر كفراً من هذا؟ أو ما الذى يدعو عموماً للانشغال بمثل هذه الأمور المخيفة، إذا كان ما سبق أن قيل يكفى لاثبات أن اقوالهم ما هى إلاّ محض وهم وخيال.

الفصل الثامن

الاعتراضات والرَّد عليها (بقيَّة)

وأما من جهة تساؤلهم الآخر الشديد فى سخافته وحماقته وهو التساؤل الذى وجّهوه الى النسوة الغريرات وحتى بخصوص هذا التساؤل، فلم يكن ينبغى أن يجاب عليه من أحد بما سبق أن قلناه فقط، فإنه لا يجب مقارنة الولادة التى من الله بالولادة فى طبيعة البشر.

ولكن جدير بنا أن نرّدَ عليهم بهذا الأسلوب لكى يدينوا أنفسهم بخصوص هذا الأمر، ولذلك نقول: إنه من المؤكد، لو أنهم سألوا الوالدين عن أبنهم، دعهم يفكرون من أين جاء الطفل المولود. لأنه إن لم يكن للوالد ولد قبل أن ينجبه، فإنه حتى بعد الحصول عليه، لم يكن حصوله عليه طبعًا من خارجه ولا غريبًا عنه بل هو من ذات جوهره ومطابق لصورته، حتى أن هذا (الآب) يُرى فى ذاك (الولد) وذاك (الولد) يُرى فى هذا (الآب).

فإن كانوا ينتقون عنصر الزمن من الأمثلة البشرية عن الولادة فَلِما لا يأخذون بالمِثل من هذه الأمثلة البشرية، أن الأبناء يُولَدونَ بحسب طبيعة آبائهم ومن ذاتهم، بدلاً من أن يعملوا (أى الآريوسيين) كالحيّات التى تنتقى من الأرض، ما يلائم فقط أن يصير سمًّا.

فكان إذن من الواجب، أنهم حينما يتباحثون مع الوالدين قائلين لهم: «هل كان لك ولد قبل أن تنجبه؟» كان ينبغى أن يضيفوا ويقولوا: «إن كنت قد حصلت على ولد، فهل أنت اشتريته من الخارج كما تشترى بيتًا أو أى ممتلكات أخرى؟» وحينئذ فإنهم يجيبونك قائلين «إنه ليس من خارجى، بل هو من ذاتى، لأن



الممتلكات هى من خارج وتنتقل من واحد إلى آخر، أما الابن فهو منى من ذات جوهرى ومطابق له، حيث إنه لم يأت إلى من آخر، بل هو قد وُلِدَ منى، ولهذا السبب فإنى بكل كيانى موجود فيه، بينما أظلّ أنا نفسى كما أنا».

لأن هذا هو واقع الحال، حتى إن اختلف الوالد (عن الله الآب) من ناحية الزمن، لأنه كإنسان قد أتى الوجود في الزمن، ولكنه هو أيضًا كان يمكن أن يكون عنده ابنه موجود معه دائمًا، لو لم تمنعه طبيعته من ذلك، أى لو كانت القدرة الإنجابية لا تعوقه عن ذلك.

حقًا أن لاوى كان لا يزال فى صلب جده الأكبر (إبراهيم)[١١٣] قبل أن يُولَد هو، وقبل أن يُولَد جده (اسحق). إذن حينما يبلغ الإنسان هذه السن الملائمة، التى تمكّنه فيها الطبيعة من الإنجاب، فإن المرء يصير حالاً، أبًا لابن يولد منه، ما دامت الطبيعة لا تعوقه.

٢٧ـ ولذلك إن كانوا عندما يسألون الوالدين عن الأولاد، ويعرفون منهم بأن الأولاد الذين بالطبيعة ليسوا من خارج، بل هم من والديهم، دعهم إذن يعترفون أيضًا بخصوص كلمة الله بأنه من الآب كليّة.

وعندما يجادلون بخصوص الزمن، دعهم يقولون ما الذى يمنع الله من أن يكون هو أبو الابن على الدوام ـ دعهم يقولون ما الذى يمنعه من ذلك (لأنه ينبغى البرهنة على أنهم كافرين مما يسألون عنه وهم ساخرون)، لأنه قد تَّم الاقرار والاعتراف بأن كل مَنْ هو مولود إنما يأتى من أب.

---

[١١٣] انظر عب٧:٥ــ١٠.



إذن فهُم مثلما سألوا النساء عن الأزمنة، دعهم أيضًا يسألون عن الشمس بخصوص اشعاعها، وعن الينبوع بخصوص الماء الذى يتدفق منه، وذلك لكى يحكموا كليَّة على أنفسهم، عندما يفكرون بشيء من هذا القبيل عن الله، وذلك حتى يتعلّموا أنه بالرغم من أن كل هذه الأشياء مولودة، إلاّ أنها كائنة دائمًا مع تلك الأشياء التى خرجت منها.

فإن كان مثل هؤلاء الوالدين لهم مع أبنائهم، قرابة بالطبيعة، وأيضًا «وجود دائم» معهم، فإذا كانوا يظنون أن الله أقلَّ من المخلوقات. فلماذا لا يصرحون بكفرهم علانية؟ ولكن إن كانوا لا يتجاسرون أن يقولوا هذا علانية، بينما أن الابن يُعتَرف به بأنه ليس من خارج (الآب)، بل هو مولود بالطبيعة من الآب، وأنه لا يوجد أى شئ يعوق الله (لأن الله ليس مثل الإنسان، بل هو أعظم من الشمس، بل بالحرى فإنه إله الشمس)، فيتضح من ذلك أن الكلمة هو من الآب وأنه موجود معه دائمًا، والذى بواسطته قد أحضرَ الآب إلى الوجود كل الأشياء التى لم تكن موجودة من قبل ولأن الابن إذن لم يأت من العدم بل هو أزليٌّ ومن الآب، فإن هذا يثبت الأمر نفسه.

أما سؤال الهراطقة الموجّه للوالدين. فإنه يكشف خبثهم وسوء نيتهم. فأنهم عرفوا ما هو بحسب الطبيعة، والآن قد تم فضحهم بخصوص موضوع الزمن.

٢٨ـ ولادة الله لا يجب أن تقارن بولادة البشر، وكذلك لا يجب إعتبار ابن (الله) جزءًا من الله، أو إعتبار أن الولادة تعنى أى ضعف أو تقسيم على الإطلاق. وإذ نحن نكتفى بما سبق لنا قوله، فإننا الآن نعيد نفس الكلام وهو أن وجود الله ليس كوجود الإنسان.



فإن البشر يَلِدون نتيجة تغيير ما في طبيعتهم، حيث أن لهم طبيعة غير ثابتة، وهم ينتظرون إلى الوقت (للولادة)، نظرًا لضعف طبيعتهم ذاتها، ولكن لا يمكن أن نقول هذا الكلام بالنسبة لله، لأن الله غير مركّب من أجزاء. بل بسبب كونه غير منقسم أو متغير. كما أنه بسيط غير مركّب[114]، لذلك فهو أبو الابن دون حدوث تغيير فيه ودون انفصال. وهذا الأمر يوجد بشأنه دليل وبرهان قاطع من الكتب الإلهية.

لأن كلمة الله هو ابنه، والابن هو كلمة الآب وحكمته، فإن الكلمة والحكمة ليس مخلوقًا، وليس هو جزءًا من ذلك الذى له كلمته (أى الآب)، ولا هو مولود نتيجة تقسيم أو انفصال. فكلا (اللقبان) وحدَّهما الكتاب وأعطاهما لقب «ابن» بصورة مؤكدة، لكى يُبشّر به أنه المولود الطبيعى والحقيقى للجوهر، وذلك حتى لا يظن أحد أن المولود هو مولود بشرّى بينما الكتاب يقصد جوهره، ولهذا يقول الكتاب أيضًا إنه الكلمة والحكمة والبهاء، وذلك لكى ندرك من هذا أن الولادة بلا تقسيم أو انفصال، وأنها أزليَّة ولائقة بالله. إذن فأى تغيير أو انفصال هناك، أو أى جزء من الآب يكون الكلمة والحكمة والبهاء؟ وهذا ما يمكن لهؤلاء الحمقى أن يتعلَّموه ويفهموه أيضًا. لأنهم كما يسألون النساء عن الابن أيضًا يجب أن يسألوا الرجال عن الكلمة. وذلك لكى يعرفوا أن القول الذى ينطقون به لا يسبب تغييرًا لهم. ولا هو جزءًا من عقلهم. فإن كانت كلمة البشر بمثل هذه الكيفية، رغم أنهم يخضعون للتغيير وعدم الثبات، ورغم كونهم متجزئين، فلماذا يفكرون فى التغيير والإنقسام بالنسبة لله غير الجسدى وغير المنقسم لكى عن طريق التظاهر بتوقير الله، ينكرون ولادة الابن الحقيقية والطبيعية؟

---

[114] تعبير أن طبيعة الله هى طبيعة بسيطة غير مركبة تعني أنه غير منقسم إذ أن التركيب هو بداية الإنقسام.



إن ولادة اللّه ليست نتيجة انقسام أو تغيير. وما سبق يكفي لإثبات هذا ، خاصة وقد تمَّ الآن إثبات أن الكلمة ليس مولودًا بحسب الضعف أو التقسيم. فليسمعوا أيضًا نفس الكلام عن الحكمة فإن اللّه ليس مثل الإنسان، ولا يتخيَّلوا عنه شيئًا بشريًا. لأن البشر خلقوا لتقبّل الحكمة، أما اللّه، فهو لا يشترك فى شئ، بل هو نفسه أب لحكمته الخاصة، التى يلقب المشتركون فيها عادة بلقب حكماء. والحكمة نفسها أيضًا ليست تقسيم أو تغييرًا، وهى ليست جزءًا ولكنها المولود الذاتى للآب، لذلك فهو دائمًا أب، وخاصية الآب ليست خاصية أضيفت للّه فيما بعد، وذلك لكى لا يعتبر أنه خاضع للتحوّل، لأنه إن كان من الصلاح أن يكون اللّه أبًا، ولكنه لم يكن دائمًا أبًا إذن، فواعجبى ألاَّ يكون الصلاح موجودًا فى اللّه دائمًا!.

٢٩ـ يقولون «ها هو اللّه كان على الدوام خالقًا، وإن قدرته على الخلق ليست إضافية بالنسبة له، فهل إذن لأن اللّه خالق، تكون مخلوقاته أزليَّة، وهل يكون من الصواب أن نقول عن هذه المخلوقات أنها كانت موجودة قبل أن توجد؟» يا لجنون الآيوسيين، فأى مشابهة هناك بين الابن والخليقة، حتى يقولوا عن مَنْ هو خاص بالآب نفس ما يقولونه عما يخص المخلوقات؟! وكيف يُصّر هؤلاء على جهلهم بعد ما تبيّن مما سبق الفرق العظيم بين المولود والمخلوق؟ لذلك فمن الضرورى أن نعيد نفس الكلام ونقول إن الخليقة هى من خارج الخالق، كما سبق القول، فى حين إن الابن هو المولود الذاتى من الجوهر، لذلك فليس هناك حاجة لوجود الخليقة دائمًا، لأن الخالق يصنعها حينما يشاء، أما المولود فلا يخضع فى وجوده للمشيئة، بل هو خاص بذات الجوهر، فالصانع يُلقّب صانعًا ويكون كذلك، حتى لو لم تكن له مصنوعات بعد، أما الأب فلا يلقب أبًا ولا يكون كذلك ما لم يكن له ابن موجود.



أما إن كانوا يبحثون الأمر بفضول وحب استطلاع قائلين: « لماذا لا يخلق الله على الدوام، وهو القادر أن يخلق دائمًا»، فإن جسارتهم هذه جسارة المجانين، لأن «لأَنْ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ؟ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيراً؟»[115] أو «كيف تقول الجبلة للخزاف، لماذا صنعتنى هكذا؟»[116] ولكن لكى لا نصمت عن الرّد على منطقهم الضعيف هذا، فليسمعوا: إنه بالرغم من أن الله له القدرة على الدوام أن يخلق، إلاّ أنه ليس فى استطاعة المخلوقات أن تكون أزليَّة، لأن هذه المخلوقات وُجِدَت من العدم ولم تكن موجودة قبل أن تُخلَق. فكيف يمكن إذن لهذه المخلوقات التى لم تكن موجود قبل أن تُخلَق، أن تكون موجودة مع الله الكائن علي الدوام؟

ولذلك فإن الله وهو يهتم بما فيه منفعة الخلائق، فإنه قد خَلَقَ كل الأشياء، عندما رأى أن هذه الأشياء يمكنها أن تبقى بعد أن تُخلَق.

وكما أنه قادرًا من البدء، أن يُرسِل **كلمته** فى أيام آدم أو فى أيام نوح، أو فى أيام موسى، ولكنه لم يرسله إلاّ فى آخر الدهور، لأنه رأى أن هذا نافع لكل الخليقة، هكذا أيضًا فإنه خَلَقَ المخلوقات عندما أراد، وعندما كان هذا نافعًا لهم.

أما الابن ـ فلكونه غير مخلوق، بل هو من ذات جوهر الآب ـ فإنه موجود دائمًا.

ولأن الآب موجود دائمًا، فلابد أن يكون الذى هو من ذات جوهره، موجود دائمًا أيضًا، والذى هو حقًا كلمته وحكمته.

---

[115] رو ١١:٣٤

[116] رو ٩:٢٠



أما الخلائق، وإن لم تكن قد وُجِدَت بعد، فإن هذا لا يُنقِص من شأن الخالق، لأن له القدرة أن يَخلِقُ عندما يشاء، أما المولود فإن كان غير كائن على الدوام مع الآب، فإن هذا يُنقِص من كمال جوهره. ولأجل هذا فإن المخلوقات قد خُلِقَت عندما شاء هو من خلال كلمته. أما الإبن فهو - على الدوام - المولود الذاتى لجوهر الآب.

الفصل التاسع

عبارة «غير المخلوق»

٣٠ـ إن أقوالنا هذه تبهج المؤمنين، ولكنها تحزن الهراطقة الذين يرون هرطقتهم وقد دُحِضَت وأُبطِلَتْ، بهذه الأقوال.

وأيضًا فإن سؤالهم ذلك الذى يقولون فيه «هل هناك واحد فقط غير مخلوق (ἀγένητον) أم أثنان؟»، يثبت أن تفكيرهم ليس مستقيمًا، بل هو مريب وملئ بالغش والخداع. فإنهم لا يسألون هذا السؤال من أجل إكرام الآب، بل من أجل إهانة الكلمة. فلو أن أحد الناس وهو يجهل خبثهم ودهاءهم أجابهم بأن غير المخلوق هو واحد، ففى الحال ينفثون سمومهم قائلين: « إذن فالابن ينتمى إلى المخلوقات، وحسنًا ما قلناه بأنه لم يكن موجودًا قبل أن يولد»، وهكذا فإنهم يخلطون كل الأشياء وبهذا يثيرون الإضطرابات، وذلك لكى يفصلوا الكلمة عن الآب، ويحسبوا الذى هو خالق الكل، أنه من بين المخلوقات.

إنهم يستحقون الإدانة والتنديد بهم، أولاً: لأنهم بينما يلومون الأساقفة الذين اجتمعوا فى نيقية[١١٧] بسبب استخدامهم لعبارات ليست من الكتاب المقدس - رغم أنها ليس عبارات مضادة للإيمان بل قد وُضِعَتَ بهدف فضح كفرهم، فقد وَقَعوا هم أنفسهم فى نفس الأمر، أى أنهم نطقوا بعبارات ليست من الكتاب المقدس وابتدعوا إهانات ضد الرب، «وَهُمْ لاَ يَفْهَمُونَ مَا يَقُولُونَ وَلاَ مَا يُقَرِّرُونَهُ. »[١١٨] .

---

[١١٧] الآباء الأساقفة الـــ ٣١٨ الذين اجتمعوا فى المجمع المسكونى الأول فى نيقية، والذى أدان الهرطقة الآريوسية.

[١١٨] ١تيمو ١: ٧



لذلك فليسألوا إذن، اليونانيين، الذين سبق أن سمعوا منهم ما قالوه (لأنه ليس من الكتب المقدسة بل من اختراعهم) وذلك لكى يسمعوا منهم أيضًا، كم للفظ (غير المخلوق ـ غير الصائر) من معان عديدة، وعندئذ سيتعلّمون أنهم لا يعرفوا حتى أن يسألوا السؤال الصائب، ولا حتى بخصوص الأشياء التى يتحدّثون عنها.

لأنى أنا أيضًا ـ بسببهم ـ قد سألت وعَرِفت أن (عبارة)، «غير المخلوق» (غير الصائر) يقصد بها ذلك الذى لم يصر له وجود، ولكنه من الممكن أن يصير. وذلك مثل الخشبة التى لم تكن قد صارت سفينة بعد ولكنها من الممكن أن تصير كذلك. وأيضًا فإن «غير المخلوق» (أو غير الصائر)، هو ذاك الشئ الذى لم يصر بعد، وليس من الممكن أن يصير أبدًا، مثل المثلث الذى لا يمكن أن يصير مربعًا أو العدد الزوجى أن يصير فرديًا. ذلك لأن المثلث لم يصر قط مربعًا ولا يمكن أن يكونه أبدًا، كما لم يحدث قط أن صار العدد الزوجى فرديًا ولا يمكن أن يكونه.

وأيضًا يُقصَد بكلمة «غير الصائر – (غير المخلوق)» «ما هو موجود، دون أن يصير من أحد، وليس له والد بالمرّة».

وقد أضاف أيضًا أستيريوس[119] السفسطائي الخبيث، وهو المدافع عن هذه الهرطقة فى مقالته قائلاً: «بأن غير المخلوق ـ (غير الصائر)، هو الذى لم يُخلق ولكنه كائن دائمًا».

---

[119] كان أستيريوس مثل آريوس وأوسابيوس النيقوميدى، تلاميذ لوكيانوس الأنطاكى. وقد تبع استيريوس التعاليم الآريوسية وكتب لهم دستور عقيدتهم، وقد لعب دورًا هامًا فى نشر الآريوسية بواسطة رحلاته المستمرة التى كان يقوم فيها بالدعاية للآريوسية.



فكان ينبغى إذن حينما يسألون السؤال، أن يضيفوا ما المعنى الذى يفهمون به كلمة غير المخلوق - (غير الصائر)، حتى أن الذى يسألونه يستطيع أن يجيب الإجابة الصائبة.

٣١ـ إن كانوا يحسبون أنهم يسألون السؤال الصائب، بقولهم «هل هناك واحد فقط غير مخلوق (غير صائر) أم اثنان؟» فإنهم أولاً سيسمعون الجواب - بإعتبارهم جهلة - أن الأشياء غير المخلوقة (غير الصائرة) كثيرة، وليس لها وجود، كما أن الأشياء التى يمكن أن تُخلق (أن تصير) هى أكثر جدًا، وغير الكائن ليس فى إمكانه أن يصير كما سبق أن قيل.

أما إن كانوا يسألون عن نفس الموضوع، على غرار أستيريوس بأن غير المخلوق (غير الصائر) هو الذى لم يُخلَق ولكنه كائن دائمًا، فليسمعوا لا مرّة واحدة بل مرّات كثيرة، بأنه من الممكن أيضًا أن يقال عن الابن، إنه غير مخلوق (غير صائر) بحسب هذا المعنى المقبول عندهم، لأنه لا يُحسَب بين الأشياء المخلوقة، ولا هو مخلوق بل بالعكس فإنه كائن منذ الأزل مع الآب، كما سبق أن أتضح وذلك رغم تقلباتهم (أى تقلبات الآريوسيين) الكثيرة، والتى ليس لها من هدف سوى أن يتكلّموا ضد الرب قائلين « أنه وُجِدَ من العدم»، وأنه «لم يكن موجودًا قبل أن يُولَد».

وهكذا فبعد أن خُذِلوا من كل ناحية، فإنهم أخذوا يسألون أيضًا بخصوص ذلك المعنى الذى يكون بمقتضاه «غير المخلوق (غير الصائر) هو ذلك الذى يكون موجودًا، بدون أن يكون مولودًا من أحد، وليس له أب خاص به» لهذا فأنهم سيسمعون منا أيضًا أن المقصود «بغير المخلوق» (غير الصائر) هو بهذا المعنى واحد فقط وهو الآب ولن يحصلوا على أى شئ أكثر مما سمعوه.

لأن القول بإن الله «غير مخلوق» (غير صائر) بهذا المعنى، لن يبرهن القول بإن الابن مخلوق (صائر)، وفقًا للبراهين السابقة. إذ يتضّح أن **الكلمة** هو مثل ذاك الذى



وَلَدَه. وتبعًا لذلك، فإن كان الله غير مخلوق (غير صائر)، فصورته - أى كلمته وحكمته ليس بمخلوق بل هو مولود. لأنه أى مشابهة هناك بين المخلوق (الصائر) وغير المخلوق (غير الصائر)؟ (لأنه ينبغى ألاّ نكل من تكرار نفس الكلام).

فإن كانوا يريدون أن يجعلوا المخلوق مشابهًا لغير المخلوق فيكون أن مَنْ يرى هذا كمَنْ يرى ذاك، فليس بعيدًا عليهم إذن أن يقولوا، إن غير المخلوق هو صورة خلائقه، وبذلك تكون كل الأشياء قد اختلطت فى أذهانهم، وبذلك يساوون بين المخلوقات وغير المخلوق، وهذا يعتبر إلغاء لغير المخلوق وقياسه بقياس المخلوقات. وكل هذا إنما يفعلونه فقط لكى يحطوا من قدر الابن ويحسبونه فى عداد المخلوقات.

٣٢ـ ولكنى أظن أنهم لا يرغبون أن يستمروا مداومين على مثل هذه الأقوال، إن كانوا حقًا يشايعون أستيريوس السفسطائى. فإنه رغم اهتمامه بالدفاع عن الهرطقة الآريوسية بقوله إن غير المخلوق (غير الصائر) هو واحد، فإنه يناقضها مؤكدًا أن حكمة الله أيضًا غير مخلوق وليس له بداية وهاك بعض المقاطع مما كتبه: «لم يقل المغبوط بولس إنه كرز بالمسيح على أنه القوّة التى لله والحكمة التى لله[١٢٠]» ولكنه بدون استعمال أداة تعريف قال، قوّة الله وحكمة الله، وهكذا كرز بأن قوّة الله الذاتية، التى هى من طبيعته، والكائنة معه أزليًا، إنما هى قوّة أخرى. وبعد قليل أيضًا يقول «ولكن قوّته الأزلية وحكمته التى يوضح منطق الحق إنها حقًا بلا بداية وغير مخلوقة (غير صائرة)، إنما هى واحدة بالتأكيد». لأنه وإن كان لم يفهم كلمات الرسول فهمًا سليمًا بظنه أن هناك حكمتان، ولكنه مع ذلك بقبوله القول بحكمة مشاركة معه فى الوجود دائمًا،

---

١٢٠ اللغة اليونانية تستعمل أداة التعريف قبل المضاف وقبل المضاف إليه والمقصود "قوة الله وحكمة الله" (المعرب).



فهو يقول إن غير المخلوق (غير الصائر) ليس واحدًا بعد، بل إن هناك غير مخلوق (غير صائر) آخر معه لأن المُشارِك فى الوجود لا يتشارك فى الوجود مع نفسه بل مع آخر. ولذلك فليكف أولئك المشايعون لاستيريوس عن التساؤل: «هل غير المخلوق (غير الصائر) واحدًا أم اثنان وإلاّ فإنهم سيصطدمون به فى هذا الأمر ويرتابون فيه. ومن الناحية الأخرى، فإن كانوا يقاومونه فى ذلك أيضًا فليكفوا عن الأعتماد على كتابه، لئلا ينهشوا بعضهم بعضًا ويفنوا بعضهم بعضًا. هذا هو ما قالوه بسبب جهالتهم، وماذا يستطيع أى شخص أن يقول أزاء مكرهم هذا؟ ومَنْ هو الذى لن يكره بحق أولئك المتهوسين إلى هذه الدرجة؟

فما داموا لا يتجاسرون أن يقولوا صراحة «إنه من العدم». وإنه «لم يكن موجودًا قبل أن يولد». لذلك أخترعوا لأنفسهم عبارة «غير مخلوق» (غير صائر)، لكى بقولهم عن الابن إنه «مخلوق» (صائر)، وسط السذج البسطاء، فإنهم يقصدون نفس تعبيراتهم السابقة تلك وهى «إنه من العدم» وإنه «لم يكن موجودًا قط قبل أن يولد». لانهم يعنون بهذه العبارات «الأشياء الصائرة والمخلوقة».

٣٣ـ فلو كانت لديهم الثقة فى ما يقولونه، لكان من الواجب عليهم أن يظلوا ثابتين على موقفهم، ولا يتغيّرون بطرق متنوعة، ولكنهم يرفضون ذلك، ظانين أنه يمكنهم أن ينجحوا بسهولة، إذا هم أخفوا هرطقتهم تحت ستار كلمة «غير المخلوق» (غير الصائر) وفى الواقع فإن لفظة «غير المخلوق» هذه، لا تستعمل (عن الله) بالنسبة إلى الابن[١٢١] ـ ولو أنهم يتذمرون ـ بل بالنسبة إلى المخلوقات، وهكذا يمكن أن نرى نفس الشئ فى كلمة «ضابط الكل»، وكلمة «ربُّ القوات». فلو أن الآب يضبط ويسود كل الأشياء من خلال الكلمة، والابن يملك مملكة الآب

---

[١٢١] لأن هذا يعنى حسب تفكيرهم ـــ إن الإبن سيصير مخلوقًا، ويصبح من ضمن المخلوقات وهذا ما كان يهدف إليه المراطقة.



وتكون له السيادة على الكل، حيث إنه هو كلمة الآب وصورته فيكون واضحاً إذن أن الابن لا يُحسَب من بين الكل، ولا يسمى الله «ضابط الكل»، «والرب» بالنسبة إلى الابن، بل بالنسبة إلى المخلوقات التى (تكوّنت) عن طريق الابن، وهى تلك التى يضبطها ويسودها بواسطة الكلمة. وهكذا فإن لفظة «غير مخلوق» لا تستعمل (عن الله) بالنسبة إلى الإبن ولكن بالنسبة إلى المخلوقات التى خُلقت عن طريق الابن، وإن هذا لصواب، حيث إنه ليس مثل المخلوقات. بل هو خالقها وصانعها بواسطة (من خلال) الإبن. كما أن لفظة «غير مخلوق» تستعمل (عن الله) بالنسبة إلى المخلوقات، هكذا أيضًا فإن كلمة «الآب» تعلن عن الابن. فإن مَنْ يُسمي الله صانعًا وخالقًا وغير مخلوق، فإنه يرى ويفهم الأشياء المخلوقة والمصنوعة، أما الذى يُسمى الله أبًا فإنه فى الحال يُدرك الابن ويعرفه. ولذلك فقد يدهش البعض من حبهم للجدال مع عدم تقواهم، لأنه بالرغم من أن لكلمة «غير المخلوق» معنى حسن - سبق أن أشرنا إليه - بحيث يمكن أن نذكر هذه الكلمة بورع وتقوى، أما هم فيتكلّمون بها لأجل إهانة الإبن بحسب هرطقتهم، وهم لم يقرأوا، أن الذى يُكرِم الابن، إنما هو يُكرِم الآب والذى لا يُكرم الابن، إنما هو لا يُكرِم الآب[122] لأنهم لو كان لديهم أى أهتمام – على وجه العموم – بتمجيد وتكريم الآب، لكان من واجبهم بالأحرى، أن يعترفوا بأن الله أب ويلقبونه كذلك، بدلاً من أن يسمونه بهذه الطريقة (أى يدعونه غير المخلوق)، وكان هذا سيكون أفضل وأعظم.

أما أن يسمّوا الله «غير المخلوق» متخذين هذه التسميَّة من أعماله المخلوقة، كما سبق أن قلنا – وهكذا يلقبونه خالقًا وصانعًا فقط، ظانين أنهم بهذا يستطيعون أن يعتبروا الكلمة مخلوقًا حسب أهوائهم. أما الذى يدعو الله أبًا، فإنه

---

[122] يو ٥:٢٣



يسمّيه هكذا نسبة إلى الإبن بدون أن ينكر أنه ما دام يوجد ابن، فبالضرورة فإن كل المخلوقات قد خُلقت عن طريق الإبن. وأولئك عندما يسمّون الله «غير المخلوق» فإنما يشيرون إليه فقط من جهة نسبته إلى المخلوقات، وهم بذلك لا يعرفون الابن مثلهم مثل الامميين. أما الذى يدعو الله أبًا، فإنه يسمّيه هكذا نسبة إلى الكلمة. والذى يعرف الكلمة، فإنه فى نفس الوقت يعرف أنه الخالق، ويفهم أنه كل شئ به قد كان (قد صار)[123].

٣٤ـ لذلك فإنه بالحق سيكون أكثر تقوى، لو أنهم أشاروا إلى الله (الآب) مبتدئين من الابن، وهكذا يلقبونه أبًا، بدلاً من أن يسمّونه نسبة إلى أعماله فقط فيلقبونه «غير المخلوق». لأن هذا اللقب (الأخير) يشير فقط إلى كل خليقة ـ كما سبق أن قلت ـ وعموما فإن هذا اللقب يشير إلى كل الأعمال التى خُلِقَت بإرادة الله من خلال الكلمة. فى حين أن لقب الآب يفهم وله دلالته فقط بالنسب إلى الابن. وبقدر ما يختلف الكلمة عن سائر الموجودات، فبمثل هذا القدر بل وأكثر، يكون الاختلاف بين أن يدعى الله «أبًا»، وبين أن يدعى «غير المخلوق». لأن هذا اللقب (الأخير) غير مستقى من الكتب المقدسة بل ويثير الريبة والشك، لأنه يحوى فى الواقع معانٍ متعدّدة، لدرجة أنه فى حالة التساؤل عن هذا اللقب، فإن الفكر ينتابه الحيرة والإضطراب، أما لقب «الآب» فهو لقب بسيط مستقى من الكتاب المقدس، وهو لقب أكثر صوابًا وحقًا، وهو يشير إلى «الابن» فقط.

أما لقب «غير المخلوق» فهو كلمة موجودة عند اليونانيين (الامميين) الذين لم يكونوا يعرفون «الابن». أما لقب «الآب» فقد صار معروفًا إذ قد أنعم به الرب (يسوع) علينا. لأنه قد عَرِفَ ـ فى الواقع ـ ابن مَنْ هو، عندما قال «أَنَا فِي الآبِ

---

[123] يو ١: ٣



وَالآبَ فِيَّ»[١٢٤] وأيضًا «الَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ»[١٢٥] وأيضًا «أَنَا وَالآبُ وَاحِد»[١٢٦]، ولا يوجد فى أحد هذه الشواهد أى إشارة بتلقيب الآب بلقب «غير المخلوق» بل حين علّمنا أن نصلى، لم يقل حينما تصلون قولوا: أيها الإله غير المخلوق، بل بالحرى قال «فَصَلُّوا أَنْتُمْ هَكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ»[١٢٧] وهو بهذا قد أراد أن يركّز على أساس إيماننا عندما أمرنا أن تكون معموديتنا ليس باسم «غير المخلوق» والمخلوق ولا باسم «الخالق» و «المخلوق» بل باسم «الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ»[١٢٨] لأننا وإذ نحن من بين المخلوقات، نصير هكذا مكتملين وبهذا نصير أبناء، وإذ ندعو اسم الآب، فإننا من هذا (الاسم) نعرف أيضًا الكلمة الذى هو من ذات الآب. إذن فما يجادلون به بخصوص لفظة «غير المخلوق»، إنما يدلّ على عبث، وليس هو أكثر مما هو فى خيالهم وحده.

---

١٢٤ يو١٤: ١٠

١٢٥ يو١٤: ٩

١٢٦ يو١٠: ٣٠

١٢٧ مت٦: ٩

١٢٨ مت٢٨: ١٩

الفصل العاشر

عدم تغيّر الابن

٣٥ـ أما بخصوص قولهم إن الكلمة متغيّر، فإن مناقشة هذا الأمر غير ذات نفع، لأنه يكفى فقط أن أسجل ما يقولونه لتوضيح مدى جسارتهم وعدم تقواهم. فها هى الأقوال التى يهذون ويثرثرون بها متسائلين: «هل هو حر (فى ذاته) أم هو ليس كذلك؟ هل هو صالح من تلقاء نفسه بحسب هذه الحريّة الذاتية وهل يستطيع بذلك أن يتغيّر - إن أراد - لكونه من طبيعة متغيّرة أم أنه مثل الحجر والخشب، لا يملك حرية الحركة والإتجاه إلى هذه الناحية أو تلك؟» «فليس غريبًا على هرطقتهم أن يتكلّموا ويفكروا بمثل هذه الأمور. ففى احدى المرّات اخترعوا لأنفسهم مثل هذه الأقوال التى تناسب المخلوقات، وحيث إنهم فى مجادلتهم مع رجال الكنيسة يستمعون منهم عن كلمة الآب الوحيد الحقيقى، ومع ذلك يتجاسرون أن يتفوّهوا عنه بمثل تلك الأقوال، فمَن يستطيع اذن أن يرى أدنس من هذه العقيدة؟

ومَن هو الذى بمجرَّد استماعه لهؤلاء، لا ينزعج ويصم آذانه - حتى إن لم يكن فى وسعه أن يدحض أقوالهم - ويقف مشدوهًا من تلك الأقوال التى يرددها هؤلاء، وهو يستمع إلى كلماتهم المبتدعة التى يعتبر مجرّد النطق بها كفرًا وتجديفًا؟ لأنه إن كان الكلمة متغيَّرًا وقابلاً للتحوّل، ففى أى نقطة إذن سيتوقف (عن التغيير)، وماذا ستكون نهاية عملية تطوَّره هذه؟ وكيف يمكن أن يكون المتغيَّر مشابهًا لغير المتغيَّر؟ وكيف يمكن أن يُعتَبر الذى رأى المتغيّر أنه قد رأى غير المتغيّر؟ وما هى الحالة التى يجب أن يصير إليها حتى يستطيع الواحد منا أن يرى الآب فيه؟



إذ يكون من الجليّ (حسب أفكارهم) أننا لن نرى الآب فيه فى كل الأوقات، إذ يكون الابن دائم التغيّر، ويكون من طبيعة متغيّرة دائمًا. ولأن الآب غير متغيّر وغير متحوّل، وهو دائمًا هو نفسه كذلك (أى بدون تغيّر)، أما الابن فإن كان حسب أفكارهم متغيَّرًا، وهو ليس دائمًا هو ذاته، بل تكون له طبيعة دائمة التغيّر، كيف يمكن أن يكون مثل هذا هو صورة الآب، وهو ليس مثله فى عدم التغيّر؟ وكيف يمكن أن يكون (الابن) فى الآب كليَّة، إن كان هدفه وقصده مشكوكًا فيه؟ بل ربما بسبب كونه متغيّرًا، ودائم التقدّم، فلا يكون كاملاً بعد.

ولكن فليتلاشى مثل هذا الجنون الذى للآريوسيين، أما الحق فليلمع ويبرق ليكشف أنهم مجانين.

لأنه كيف لا يكون كاملاً هذا الذى هو مساوٍ لله؟ أو كيف لا يكون غير متغيّر هذا الذى هو واحد مع الآب، وهو نفسه ابنه من ذات جوهره؟ ولأن جوهر الآب غير متغيّر، فبالضرورة يكون نتاجه الذاتى أيضًا غير متغيّر.

فإن كانوا يفترون هكذا بنسبتهم التغيّر للكلمة. فليتعلّموا مدى الخطورة الكامنة فى فكرهم، لأن «مِنَ الثَّمَرِ تُعْرَفُ الشَّجَرَةُ»[129]، ولهذا أيضًا «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ»[130]، ولهذا أيضًا فإن معرفة الابن هى أيضًا معرفة الآب.

٣٦ـ ولذلك فإن صورة الله غير المتغيّرة ينبغى أن تكون ثابتة غير متغيّرة، لأن «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ»[131] وداود يقول مترنمًا به: «أَنْتَ يَا رَبُّ

---

[129] مت١٢: ٣٣.

[130] يو١٤: ٩.

[131] عب١٣: ٨.



فِي الْبَدْءِ أَسَّسْتَ الأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ. هِيَ تَبِيدُ وَلَكِنْ أَنْتَ تَبْقَى، وَكُلُّهَا كَثَوْبٍ تَبْلَى، وَكَرِدَاءٍ تَطْوِيهَا فَتَتَغَيَّرُ. وَلَكِنْ أَنْتَ أَنْتَ، وَسِنُوكَ لَنْ تَفْنَى»[١٣٢].

والرب نفسه يقول عن نفسه بواسطة النبى «أُنْظُرُوا الآنَ! أَنَا أَنَا هُوَ»[١٣٣] وأيضًا « لاَ أَتَغَيَّرُ»[١٣٤] وربما يقول أحد أن المقصود هنا هو الآب، ولكنه يناسب أن يُطلَق هذا على الابن أيضًا، وخاصة لأنه حينما يصير إنسانًا، فإنه يظهر شخصيته كما هى ويُظهر عدم تغيّره، وذلك بالنسبة لأولئك الذين يتصوّرون أنه بما أنه أتخذ جسدًا فإنه قد تغيّر وصار آخرًا.

إن القديسين أصدق عهدًا وأمانة من سوء نيَّة عديمي التقوى، فكم بالاحرى يكون الرب. فإن الكتاب ـ كما جاء فى قراءة المزمور سالف الذكر ـ عن طريق اشارته إلى السماء والأرض، يذكر أن طبيعة كل المخلوقات وكل الكائنات، هى متغيّرة ومتحوّلة وبإستبعاده الابن عنها (أى عن المخلوقات)، فإنه يبيّن بأنه (أى الابن) ليس مخلوقًا على الإطلاق بل هو بالاحرى يغيّر الأشياء، بينما هو نفسه لا يتغيّر. كما يعلّم (الكتاب) بقوله « أَنْتَ أَنْتَ، وَسِنُوكَ لَنْ تَفْنَى»[١٣٥] أنه (أى الابن) لا يتبدّل ولا يتغيّر. وهذا حقًا أمر طبيعى، لأن الأشياء المخلوقة بما أنها نشأت من العدم، ولكونها لم تكن كائنة قبل أن تخلق، لذلك فإن لها طبيعة متغيّرة حيث إنها عمومًا قد خُلِقَت من العدم. أما الابن فإنه كائن في الآب وهو من ذات جوهر الآب، لذلك فإنه غير متغير أو متبدّل مثل الآب نفسه. لأنه ليس من العدل أن يقول

---

[١٣٢] مز١٠٢: ٢٦ـــ٢٨، و٢عب١: ١٠ـــ١٢.

[١٣٣] تث٣٢: ٣٩.

[١٣٤] ملاخى٣: ٦.

[١٣٥] عب١: ١٢.

أحد أن من جوهر غير المتغيّر يُوَلد كلمة متغيّر، وحكمة قابلة للتحوّل. إذ كيف يمكن أن يكون هو الكلمة أن يكن قابلاً للتغيّر؟ أو كيف يمكن أن تكون حكمة تلك التى تكون قابلة للتحوَّل؟ إلاّ إذا كانت عرضًا فى الجوهر. كما ربما يريدون أن يبيّنوا أنه هكذا: أى أنه فى حالة جوهر ما، تكون هناك نعمة ما أو ممارسة فضيلة بشكل عارض، وهكذا يسمون هذا أنه كلمة وابن وحكمة بحيث يكون قابلاً للانتقاص منه أو الاضافة عليه. لأنهم يعتقدون بمثل هذه الأمور وكثيرًا ما تحدّثوا عنها، إلاّ أن عقيدتهم هذه ليست من الإيمان المسيحى لأنهم لا يظهرون أنه الكلمة وابن الله بالحقيقة، ولا (يُظهرون) أن الحكمة هى حكمة حقيقية.

لأن ما يتحوّل ويتبدّل وليس ثابتًا على نفس الحال الواحد كيف يمكن أن يكون حقيقيا؟.

بينما يقول الرب «أَنَا هُوَالْحَقُّ»[١٣٦]، فإن كان الرب نفسه يقول هذا القول عن ذاته وهو يشير بهذا الى وجوب عدم قابليته الذاتية للتغيّر، والقديسون تعلّموا نفس هذه الحقيقة وشهدوا بها، فإن كانت الأفكار عن الله تعرف هذا الأمر بورع وتقوى فمن أين إذن ابتدع هؤلاء الناس عديمو التقوى، هذه الآراء؟ نعم، أنهم من قلوبهم، يتقيأون هذا الفساد.

---

[١٣٦] يو٦:١٤.

الفصل الحادى عشر

شرح نصوص: أولاً: فيلبى ٢:٩، ١٠

«لذلك رفّعه الله أيضًا»

٣٧ـ لكن بما أنهم يتعلّلون بالأقوال الإلهية، ويفرضون عليها تفسيرًا منحرفًا محرّفين أياها بحسب فكرهم الخاص، لذلك صار من الضرورى أن نرُدّ عليهم من أجل أن تثبت صحة الأقوال الآلهية، ونوضح أنها تحوى الفكر المستقيم، بينما أولئك يفكرون تفكيرًا ضالاً.

فهم إذن يقولون إن الرسول كتب يقول «لِذَلِكَ رَفَّعَهُ اللَّهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ، لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ»[١٣٧]. كما يقول داود «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَسَحَكَ اللَّهُ إِلَهُكَ بِزَيْتِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ شُرَكَائِكَ»[١٣٨]. ويضيفون كما لو كانوا يقولون شيئًا حكيمًا. هكذا لو أنه «لذلك» مُجّد وحصل على نعمة، «ومن أجل ذلك» قد مُسِحَ وحصل على أجر اختياره الحر. وبما أنه أنجز الأمر بمشيئته الحرَّة، فإنه يكون بلا شك ذا طبيعة متغيّرة. وهذا ما تجاسر يوسابيوس وآريوس ليس فقط على قوله بل على كتابته

---

[١٣٧] في ٢:٩-١٠.

[١٣٨] مز ٤٥:٧، عب ١:٩.



أيضًا. أما مَنْ يشايعونهما فإنهم لا يجفلون عن ترديد ذلك وسط السوق وهم لا يرون قدر الجنون الذى يحويه قولهم الآتي:

«لأنه إن حصل على ما كان لديه كأجر لاختياره الحر، فأنه لم يكن ليحصل عليه لو لم يكن عمله هذا عن احتياج وعوز، إذن بما أنه قد حصل على ما كان لديه بسبب فضيلته وتقدمه وتحسنه، وبسبب هذا فمن الانصاف أن يلقب بلقب ابن ولقب إله، دون أن يكون ابنا حقيقيًا لأن الذى يكون من شخص ما بحسب الطبيعة، فإنه يكون مولودًا حقيقيًا، مثلما كان اسحق بالنسبة لابراهيم، ويوسف بالنسبة ليعقوب، والشعاع بالنسبة الى الشمس، أما الذين يدعون (أبناء) بالنسبة للفضيلة والنعمة، فإنهم يحصلون على النعمة التى يكتسبونها بدلاً من الولادة الطبيعية، وهم شئ آخر غير ما أُعطى لهم. وذلك مثل الناس الذين نالوا الروح بحسب المشاركة والذين قال عنهم «ولدت بنين ونشأتهم. أما هم فتمردوا عليّ» (إش١ :٢ س) ولكن بما أنهم ليسوا أبناء بحسب الطبيعة، لذلك، فإنهم بمجرد أن يتغيروا ينزع منهم الروح، ويتبرأ منهم. ولكنهم مرة أخرى ـ عندما يتوبون فإنه الله الذى كان قد أعطاهم النعمة فى الأول، فأنه بنفس الطريقة، يعطيهم النور مرة أخرى ويدعوهم أبناء ثانية».

٣٨ـ فإن كانوا يقولون هكذا أيضًا عن المخلّص، فيتبع هذا أنه لا يكون (مخلّصًا) حقيقيًا، وأنه ليس إلهًا. وليس ابنًا ولا هو مثل الأب، ولا يكون له علاقة على الإطلاق مع الله الآب بحسب الجوهر بل بمجرَّد إعطاء نعمة له، أى أن يكون الله هو خالق له بحسب الجوهر مشابهًا فى ذلك كل المخلوقات. فإن كان هو هكذا، كما يقول هؤلاء، فيتضح أنه لم يكن له اسم «ابن» منذ البدء، إن كان قد حصل على هذا الاسم كمكافأة على أعماله وتقدّمه، أى أنه حصل على هذه المكافأة ليس بسبب تقدَّم آخر، بل بسبب ما أظهره عندما صار إنسانًا، وأتخذ صورة عبد، لأنه عندئذ، حينما صار «مطيعًا حتى الموت» فإنه كما يقول النص



«مجدَّه مجدًا عاليًا، وحصل على الاسم كنعمة، «لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة».

فماذا إذن كان قبل هذا (أى قبل أن يصير إنسانًا)، إن كان الآن يرتفع، وقد بدأ الآن أن يُعبَد، والآن دُعيَّ ابنًا عندما صار إنسانا؟ لأنه (بهذا) يبدو أن الجسد لم يَترَقَ قط، بل بالأحرى أنه هو الذى ترقى بواسطة الجسد، فإن كان قد مُجّد مجدًا عاليًا وسمىَّ ابنًا عندما صار إنسانًا ـ وذلك بحسب سوء نيتهم ـ فماذا كان إذن قبل هذا؟ ـ فهناك حاجة ملّحة أن نسألهم مرَّة أخرى ـ وذلك لكى تتضح النتيجة التى يصل إليها كفرهم، لأنه إن كان الرب هو الله وهو الابن وهو الكلمة، ولكنه لم يكن هكذا قبل أن يصير إنسانًا، عندئذ كما قلنا – إما أنه كان شيئًا آخر غير هذه (الصفات)، ثم اشترك فيها بعد ذلك بسبب فضيلته، وإلاّ فأنهم مضطرون أن يقولوا البديل ـ (الأمر الآخر) الذى سيرتد على روؤسهم وهو أنه لم يكن موجودًا قبل هذا، ولكنه كان إنسانًا بالتمام حسب الطبيعة وليس أكثر، ولكن هذا الفكر ليس من الكنيسة، ولكنه فكر الساموساطى واليهود المعاصرين.

لماذا إذن، وهم يعتقدون مثل اليهود، لا يختتنون مثلهم، بل يتظاهرون بالمسيحية، بينما هم يحاربونها، لأنه لو كان غير موجود، أو لو كان موجودًا ثم رقيَّ فيما بعد، فكيف خُلِقَت كل الأشياء بواسطته، وكيف يفرح به الآب لو لم يكن كاملاً ؟[139] ومن الناحية الأخرى، إن كان هو قد ترقى الآن، فكيف كان يبتهج أمام الآب قبل أن يترقى؟ وان كان قد حصل على العبادة بعد موته، فكيف يظهر أن ابراهيم يسجد له فى الخيمة، وموسى يسجد له فى العليقة وكما رأى

---

[139] أم ٩: ٣٠.



دانيال «أُلُوفُ أُلُوفٍ تَخْدِمُهُ وَرَبَوَاتُ رَبَوَاتٍ وُقُوفٌ قُدَّامَهُ»[١٤٠]. وان كان ـ كما يقولون ـ قد حصل علي الترقى الآن، فكيف يشير الابن نفسه إلى مجده الذاتى الذى يفوق الطبيعة والذى كان له قبل إنشاء العالم عندما قال «وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ»[١٤١]، وإن كان ـ حسبما يقولون ـ قد مُجّد الآن مجدًا عاليًا، فكيف «طأطأ السموات» ونزل قبل ذلك، وأيضًا «وَالْعَلِيُّ أَعْطَى صَوْتَهُ»[١٤٢] لذلك فإن كان للابن ذلك المجد حتى قبل خِلقة العالم، وكان هو ربَّ المجد وهو العليّ، ونزل من السماء وهو معبود على الدوام، فينتج من ذلك أنه لم يَترَقَ بنزوله، بل بالأحرى هو نفسه الذى رقى الأشياء التى يعوزها الترقى. وإن كان قد نزل من أجل ترقيتها، لذلك فإنه لم يحصل على اسم ابن وإله كمكافأة، بل بالأحرى فإنه هو نفسه جعلنا أبناء للآب وألّه البشر بكونه صار إنسانًا.

٣٩ـ لذلك، فهو لم يكن إنسانًا ثم صار فيما بعد إلهًا، بل كان إلهًا وفيما بعد صار إنسانًا بالأحرى كى يؤلهنا. لأنه إن كان عندما صار إنسانًا قد سميَّ عندئذ ابنًا وإلهًا، وإن كان الله قد دعا الشعوب قديما، أبناء، وذلك قبل أن يصير هو إنسانًا، وجعل الله موسى إلهًا لفرعون. والكتاب المقدس يقول فى مواضع كثيرة «اَللهُ قَائِمٌ فِي مَجْمَعِ اللهِ. فِي وَسَطِ الآلِهَةِ»[١٤٣]، فمن الواضح إذن أنه قد دُعيّ ابنًا وإلهًا بعدهم. فكيف إذن خُلِقَت كل الأشياء عن طريقه، وكيف أنه هو كائن

[١٤٠] دانيال ٧:١٠.

[١٤١] يو١٧:٥

[١٤٢] مز١٣:١٨.

[١٤٣] مز٨٢:١



قبل كل الأشياء؟ أو كيف يكون هو «بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ»[١٤٤]، ما دام هناك آخرون قبله يطلق عليهم أبناء وآلهة؟.

وهؤلاء المشاركون الأولون كيف لا يشاركون اللوغوس؟ وهذا التعليم ليس حقيقيًا، بل هو بدعة المتهودين المعاصرين. فكيف إذن فى هذه الحالة - يمكن لأى أحد على الإطلاق، أن يتعرَّف على الله كآب؟ لأن من غير المستطاع أن يحدث التبني بغير الابن الحقيقى، وهو نفسه القائل: «وَلاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْنُ وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ»[١٤٥].

وكيف يحدث التأليه بدون اللوغوس، وقبله؟ هذا بالرغم أنه هو نفسه القائل لليهود أخوة هؤلاء المبتدعين. «إِنْ قَالَ آلِهَةٌ لأُولَئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللَّهِ»[١٤٦].

فإن كان كل الذين دعوا أبناء وإلهة سواء على الأرض أم فى السموات قد نالوا التبنِّى وصاروا متألهين من خلال اللوغوس، وإن كان الابن نفسه هو اللوغوس، فمن الجلَّى أن الجميع قد صاروا أبناء من خلاله، وكان هو قبل الجميع، وبالحرى فقد كان هو الابن الحقيقى وحده، وهو وحده إله حق من إله حق - ولم يحصل على هذه (الصفات) كمكافأة لفضيلته، وليس هو آخر غير هذه (الصفات) بل هو كل هذه (الصفات) بحسب الطبيعة وبحسب الجوهر، لأنه مولود من جوهر الآب حتى لا يشك أحد أنه وبحسب صورة الآب غير المتغيِّر، يكون اللوغوس أيضًا غير متغيّر.

---

[١٤٤] كو١:١٥

[١٤٥] مت١١:٢٧

[١٤٦] يو ١٠:٣٥



٤٠ـ ونحن إلى الآن، قد استعملنا أفكارًا حقيقية عن الابن للاجابة على ابتداعاتهم غير المعقولة، ولكن يجمل بنا الآن إذن أن نستشهد بالأقوال الإلهية لكى نبرهن أيضًا بدرجة أكثر كثيرًا على عدم تغيّر الابن وعدم تغيّر طبيعته الأبوية[١٤٧] الثابتة، كما يتبرهن أيضًا مدى انحرافهم وضلالهم.

وإذن عندما كتب الرسول إلى أهل فيلبى يقول: «فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هَذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضاً الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ، لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ، مَوْتَ الصَّلِيبِ لِذَلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ، لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ، لِمَجْدِ اللهِ الآبِ»[١٤٨]. أيَّة أقوال أوضح وأكثر بيانًا من هذه الأقوال؟ إن الرب لم يكن أصلاً فى حالة وضيعة ثم رقيَّ، بل بالأحرى إذ كان إلهًا فقد اتخذ صورة عبد، وبإتخاذه صورة العبد. لم يرتقِ بل أذل (وَضَعَ) نفسه. إذن فأين هو أجر الفضيلة فى هذه الأمور؟ أو أى تقدّم أو ترقى يمكن أن يكون فى الإذلال؟ لأنه إن كان وهو الإله، قد صار إنسانًا، وبتنازله من علُّوه لا يزال يقال إنه يُرّفع (أى يمجّد مجدًا عاليًا). فمن أين يُرّفع وهو الله؟ ويتضح من هذا أيضًا، أنه بما أن الله هو الأعلى والأكثر رفعة من الكل، فبالضرورة أيضًا، أن يكون كلمته هو الأعلى والأكثر رفعة فوق الكل، وهذا الذى هو فى الآب ومثل الآب فى كل شئ، من أين إذن يمكنه أن يُرّفع عاليًا أكثر من ذلك؟ إذن فهو ليس فى حاجة إلى أى ازدياد، وليس الأمر كما يفهمه الآريوسيون. لأنه وإن كان اللوغوس قد نزل من

---

[١٤٧] أى التى من الآب (المعرب)

[١٤٨] فيلبى٢: ٥ـ ١١



أجل أن يُرفع عاليًا ـ وهكذا هو مكتوب ـ فأيّة حاجة كانت هناك على الإطلاق تدفعه لأن يذل نفسه، أى لكى يسعى للحصول على ذلك الشئ الذى كان لديه أصلاً؟ وما هى النعمة التى ينالها واهب النعمة؟ أو كيف نال هو «الاسم» للعبادة وهو الذى كان دائمًا معبودًا باسمه؟ ومن قبل أن يصير هو إنسانًا، كان القديسون حينئذ يتوسلون إليه قائلين «اَللهُمَّ بِاسْمِكَ خَلِّصْنِي»[149] وأيضًا «هَؤُلاَءِ بِالْمَرْكَبَاتِ وَهَؤُلاَءِ بِالْخَيْلِ - أَمَّا نَحْنُ فَاسْمَ الرَّبِّ إِلَهِنَا نَذْكُرُ»[150]. وهو الذى كان يسجد له البطاركة (رؤساء الآباء)، إذ قد كُتِبَ عن الملائكة «وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللّهِ»[151].

٤١ـ فإن كان داود ينشد فى المزمور الحادى والسبعين قائلاً: «اسمه دائم قبل الشمس»، وأيضًا: «وقبل القمر الى أبد الآبدين»[152]. فكيف إذن ينال ما كان له دائمًا حتى قبل أن يحصل عليه الآن (أى فى الجسد)؟ أو كيف يُرّفع مع كونه قبل ترفيعه (أو تمجيده) كان هو العالى (فوق الكل)؟ أو كيف حصل على (حق) العبادة، وهو الذى كان دائمًا معبودًا من قبل أن يحصل على هذا الحق الآن؟ إذن فهذا ليس بلغز بل هو سرٌّ إلهى «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ»[153] وهو لأجلنا فيما بعد «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً»[154] وعبارة «رفّعه» (مجدّه مجدًا عاليًا) التى نتحدّث عنها الآن، لا تَعنِ أن جوهر الكلمة قد

---

[149] مز٥٤: ١

[150] مز٢٠: ٧

[151] مز٩٧: ٧، عب١: ٦.

[152] مز٧١ فى الترجمة السبعينية ويقابل مز٧٢: ١٧، مز٧٢: ٥.

[153] يو١: ١

[154] يو١: ١٤



ارتفع، لأنه كان دائمًا وهو لا يزال كائن فى الله، ولكنها تعنى ارتفاع (أو ترفّع) بشريته. إذن فهذه الأقوال لم تكن تقال من قبل إلاّ عندما صار الكلمة جسدًا، لكى يصير واضحًا أن «أذل نفسه»، «وتمجدً مجدًا عاليًا» إنما تشير إلى إنسانيته، لأنه حيثما تكون هناك حالة الاذلال تكون هناك الرفعة أيضًا. فإن كان بسبب اتخاذه للجسد قد كُتب «الإذلال» عنه، فمن الواضح أن التمجيد (أو الرفعة) تقال عنه بسبب الجسد، لأن الإنسان كان فى مسيس الحاجة إلى هذا (التمجيد)، بسبب وضاعة الجسد. وبسبب الموت.

وبما أن الكلمة وهو صورة الآب، وهو غير مائت، قد أتخذ صورة عبد، وكإنسان عانى الموت بجسده من أجلنا. لكى بذلك يبذل نفسه للآب بالموت من أجلنا، لأجل هذا السبب يقال عنه إنه كإنسان مُجّد أيضًا نيابة عنّا ومن أجلنا، لكى كما بموته قد متنا جميعًا فى المسيح، وعلى نفس المنوال أيضًا، فإننا فى المسيح نفسه أيضًا قد مُجّدنا مجدًا عاليًا، مقامين من بين الأموات وصاعدين إلى السموات «حَيْثُ دَخَلَ يَسُوعُ كَسَابِقٍ لَأجْلِنَا»[١٥٥]، «لأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدٍ أَشْبَاهِ الْحَقِيقِيَّةِ، بَلْ إِلَى السَّمَاءِ عَيْنِهَا، لِيَظْهَرَ الآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللهِ لأَجْلِنَا »[١٥٦]. فإن كان المسيح قد دخل الآن إلى السماء عينها لأجلنا، رغم أنه من قبل هذا الحدث، كان هو دائمًا الرب وخالق السموات، فتبعًا لذلك تكون هذه الرفعة الحالية قد كُتِبَت أيضًا من أجلنا نحن.

وكما أنه وهو الذى يقدّس الجميع، يقول أيضًا أنه يقدّس نفسه للآب من أجلنا ـ ليس بالطبع لكى يكون اللوغوس مقدّسًا ـ بل لكى بتقديس ذاته يقدّسنا جميعًا

---

[١٥٥] عب٦: ٢٠

[١٥٦] عب٩: ٢٤



فى ذاته. وهكذا بنفس المعنى ينبغى أن نفهم ما يقال الآن أنه «تمجَّد». ليس لكى يُمجِد هو (أى اللوغوس) نفسه - إذ أنه هو الأعلى. بل لكى هو ذاته «يصير برًّا» من أجلنا، أما نحن فلكى نتمجّد (نُرفّع) فيه ولندخل إلى أبواب السماء، التى قد فتحها هو ذاته من أجلنا، حيث يقول السابقون «اِرْفَعْنَ أَيَّتُهَا الأَرْتَاجُ رُؤُوسَكُنَّ، وَارْتَفِعْنَ أَيَّتُهَا الأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ، فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ»[١٥٧]. وهنا أيضًا لم تكن الأبواب مغلقة أمامه هو إذ هو ربٌّ وخالق كل الأشياء، بل بسببنا كُتِبَ هذا الكلام، نحن الذين أُغلقت أمامنا أبواب الفردوس.

لذلك يقال عنه من الناحية البشرية، بسبب الجسد الذى كان قد لبسه: «إرفعوا الأبواب»، كما يقال أيضًا: «ليدخل» كما لو كان إنسانًا سيدخل. ولكن من الناحية الإلهية - حيث إن «اللوغوس هو الله» - يقال عنه أيضًا إنه «الرب» و «ملك المجد» وقد سبق الروح فقال فى المزمور التاسع والثمانين عن مثل هذه الرفعة التى صارت إلينا «لأَنَّكَ أَنْتَ فَخْرُ قُوَّتِهِمْ، وَبِرِضَاكَ يَنْتَصِبُ قَرْنُنَا»[١٥٨]، فإن كان الابن هو البرَّ، إذن فهو لم يرتفع بذاته كما لو كان فى حاجة إلى الرفعة، بل نحن الذين أرتفعنا (تمجَّدنا) بسبب البرِّ الذى هو (المسيح) ذاته.

٤٢- وهكذا أيضًا فإن عبارة «أعطاه اسمًا» لم تكتب لأجل اللوغوس ذاته - فإنه حتى قبل أن يصير إنسانًا فقد كان معبودًا أيضًا من الملائكة ومن كل الخليقة، بحسب ذاتيته الأبوية[١٥٩] بل كُتبت هذه العبارة عنه بسببنا ولأجلنا. لأنه كما مات المسيح ثم رُفّع كإنسان، فبالمثل قيل عنه إنه أخذ كإنسان ما كان له دائمًا كإله وذلك لكى تصل إلينا عطيَّة مثل هذه النعمة، فإن اللوغوس لم يحط قدره بإتخاذه

---

[١٥٧] مز٢٤:٧

[١٥٨] مز٨٩:١٧

[١٥٩] أى بحسب كونه الابن الذى من ذات الآب (المعرب).



جسدًا حتى يسعى للحصول على نعمة أيضًا ، بل بالأحرى فإن الجسد الذى لبسه قد تألّه، بل وأكثر من ذلك، فقد أنعم بهذه النعمة على جنس البشر، بدرجة أكثر.

فكما أنه كان يُعبَد دائمًا لكونه اللوغوس «الكائن فى صورة الله» ـ هكذا ظلّ هو نفسه كما هو وصار إنسانًا ودعى يسوع ـ فليس أقل من أن كل الخليقة ـ تَظلّ كما كانت دائمًا ـ تحت قدميه، وهى التى تجثو بركبها له بهذا الاسم (يسوع). وتعترف أن اللوغوس صار جسدًا ، وأنه احتمل الموت بجسده ولم يحدث له كل هذا كإهانة لمجد ألوهيته بل «لمجد الله الآب».

لأن مجد الله الآب هو: أن يوجد الإنسان الذى كان قد خُلِقَ ثم هلك، وهو: أن يحيا الذى مات، وهو: أن يصير الإنسان هيكل الله. ولأن القوات السمائية من ملائكة ورؤساء ملائكة كانت تعبده دائمًا ، فإنهم الآن أيضًا يسجدون للرب باسم يسوع، فهذه النعمة وهذا التمجيد العالى إنما هو لنا ، وإنه بالرغم من أنه صار إنسانًا وهو ابن الله فإنه يُعبَد. لذلك لن تُدهَش القوات السمائية حينما ترانا نحن جميعًا ـ المتحدين معه فى نفس الجسد ـ داخلين إلى مناطقهم (السمائية)، وهذا قطعًا ـ لم يكن ممكنًا أن يحدث بأية طريقة أخرى، اللهم إلاّ إذ كان هذا الذى كان موجودًا فى صورة الله، قد أتخذ لنفسه صورة العبد، وأذل ذاته، راضيًا بأن يصل جسده حتى إلى الموت.

٤٣ـ انظروا إذن، كيف أن ذلك الذى يعتبر عند الناس، جهالة الله بسبب تحقير الصليب، قد صار أكثر الأشياء كرامة، ذلك أن قيامتنا به معتمدة عليه، وليس اسرائيل وحده الذى يعتمد عليه بل كل الأمم ـ كما سبق وأنبأ النبى: يتركون أصنامهم ويتعرّفون على الإله الحقيقى أبى المسيح، وابتداعات الشياطين قد أُبطِلَت، والإله الحقيقى وحده هو الذى يُعبَد باسم ربنا يسوع المسيح. أما عبادة الرب الذى صار فى الجسد البشرى، ودعى يسوع، والإيمان به كابن الله ـ والتعرّف على الآب بواسطته، فهو أمر جليٌّ، كما قلنا ، أنه ليس اللوغوس بسبب كونه لوغوس



هو الذى حصل على مثل هذه النعمة، بل نحن. لأنه بسبب علاقتنا بجسده فقد صرنا نحن أيضًا هيكل الله – وتبعًا لذلك قد جُعِلنا أبناء الله وذلك حتى يُعبَد الرب فينا أيضًا، والذين يبصروننا يعلنون ـ كما قال الرسول «أَنَّ اللّهَ بِالْحَقِيقَةِ فِيكُمْ»[160]. وكما قال يوحنا أيضًا فى إنجيله «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللّهِ»[161]. وكما كتب فى رسالته «وَبِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّهُ يَثْبُتُ فِينَا مِنَ الرُّوحِ الَّذِي أَعْطَانَا»[162].

إن ما يميز الصلاح الصائر منه إلينا، هو أننا نُمجّد بسبب وجود الرب العالى فينا، وأن النعمة قد أعُطيت له من خلالنا[163] ـ بسبب أن الرب الذى هو مانح النعمة قد صار إنسانًا مثلنا. والمخلّص نفسه أذل نفسه بإتخاذه «جسد تواضعنا» وأتخذ صورة عبد، لابسًا ذلك الجسد الذى كان مستعبدًا للخطيئة.

وهو فى الحقيقة لم يحصل على شئ منّا يرتقى به لأن كلمة الله ليس فى احتياج إلى شئ، لأنه كامل، بل بالأحرى نحن الذين نلنا منه الارتقاء. لأنه هو «النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِياً إِلَى الْعَالَمِ»[164]. إن الآريوسيين يركّزون بلا جدوى على أداة الربط: «لذلك» لأن بولس قال «لِذَلِكَ رَفَّعَهُ اللّهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ»[165]. فهو بهذا القول لم يكن يعنى مكافأة لفضيلة ولا أرتقاء نتيجة

---

[160] ١كو١٤: ٢٥.

[161] يو١: ١٢.

[162] ١يو٣: ٢٤.

[163] بسبب أن طبيعة المسيح البشرية التي هي مثل طبيعتنا في كل شيء ما خلا الخطية، قد حصلت علي النعمة بسبب أن الكلمة مانح النعمة قد صار إنسان.

[164] يو١: ٩

[165] فى٢: ٨



تقدّم داخلى، ولكنه يقصد السبب فى العلو والتمجيد والارتفاع الذى صار فينا. وما هو هذا السبب إلاّ أن يكون أن الذى كان فى صورة الله وهو ابن لآب نبيل، قد أذّل نفسه وصار بدلاً منّا ومن أجلنا؟ فلو لم يكن الرب قد صار إنسانًا، لما كان فى وسعنا أن نُفتَدى (نتحرّر) من الخطيئة وأن نقوم من بين الأموات، بل لبقينا أمواتًا تحت الأرض، ولما كنا لنُرفع (لنمجّد) إلى السماء، بل لرقدنا فى الجحيم.

إذن، فمن أجلنا، ولمصلحتنا، كتبت هذه الكلمات «مجّده مجدًا عاليًا»، «وأعطاه اسما».

٤٤ـ أعتقد إذن أن هذا هو قصد النص الكتابى، وهو قصد كنسى تمامًا. ولكن ربما كانت هناك طريقة أخرى لشرح النص لأعطاء معنى مطابق تمامًا. أى أن النص لا يعنى تمجيد اللوغوس ذاته بإعتباره لوغوس (لأنه كما سبق أن قيل منذ قليل، أنه عال وأنه مثل الآب)، ولكن النص يشير إلى قيامته من بين الأموات بسبب تأنسه. فقوله «أذل نفسه حتى الموت» ثم أضاف «لذلك مجّده مجدًا عاليًا» راغبًا أن يبيّن أنه كإنسان كان يقال عنه أنه قد مات، ولكن لكونه الحياة رُفِعَ بالقيامة «اَلَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضاً فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ»[١٦٦]. لأنه نزل بالجسد، إلاّ أنه قام لأنه هو نفسه كان إلهًا فى الجسد. وهذا أيضا هو السبب الذى من أجله قد مهّد السبيل الى هذا المعنى باستخدام أداة الربط «لذلك»، والذى لا يعنى أجر فضيلة ولا ترقى، ولكنه يكشف السبب الذى بواسطته قد صارت القيامة. ولهذا السبب نفسه مات سائر البشر منذ آدم وحتى الآن، وظلّوا أمواتًا، أما هذا وحده فهو الذى قام من بين الأموات كاملاً متكاملاً. وهذا هو السبب الذى من أجله سبق الرسول نفسه وقال: إنه بالرغم من كونه إلهًا فقد صار إنسانًا. أما

---

[١٦٦] أف٤: ١٠



سائر البشر فقد ماتوا لأنهم من نسل آدم. وقد كان للموت سيادة عليهم[167]. أما هذا فهو «الإِنْسَانُ الثَّانِي الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ»[168]، وذلك لأن «اَلْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً»[169] ويقول إن مثل هذا الإنسان «من السماء» و «سماوى»[170] ذلك لأن الكلمة «قد نزل من السماء»[171] ولهذا فلم يُقهَر (يمسك) من الموت.

فرغم أنه أذَّل نفسه، مسلّمًا جسده الخاص به حتى الموت، وذلك بسبب قبوله الموت، إلاّ أنه رُفِعَ رفعة عظيمة من الأرض، ذلك لأنه هو ابن الله فى الجسد. لذلك فإن ما يقال هنا «لذلك رفّعه الله أيضًا» مساو أيضًا لما قاله بطرس فى سفر الأعمال «اَلَّذِي أَقَامَهُ اللّهُ نَاقِضاً أَوْجَاعَ الْمَوْتِ إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِناً أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ.»[172]. فكما كتب بولس «الذى إذ كان فى صورة الله قد صار إنسانًا»، و «وأذل نفسه حتى الموت ولذلك مجّده الله مجدًا عاليًا». وبالمثل يقول بطرس، وحيث إنه إذ كان إلهًا قد صار إنسانًا، فإن الآيات والعجائب كشفت أيضًا للناظرين أنه الله، ولذلك «فلم يكن ممكنًا أن يمسكه الموت»[173].

والإنسان لم يكن يستطيع أن ينجح فى تحقيق هذا، لأن الموت هو خاص بالإنسان. ولهذا فإن الكلمة الله صار جسدًا، لكى يحيينا بقوّته بعد أن مات بالجسد.

---

[167] رو٥:١٤

[168] ١كو١٥:٤٧

[169] يو١:١٤

[170] ١كو١٥:٤٧،٤٨

[171] يو٦:٣٨

[172] انظر أع٢:٢٤

[173] انظر أع٢:٢٤



٤٥ـ وبما أنه يقال إنه «مجَّده ورفّعه»، وأن الله «أعطاه» فالهراطقة يظنون أن هذا نقيصة، أو عيبًا خاصًا بجوهر اللوغوس. فمن الضرورى أن نقول، بأى معنى تقال هذه الكلمات. إذ يقول إنه رُفِعَ وأُصعِدَ من أقسام الأرض السفلى[١٧٤]. لأن الموت صار خاصًا به أيضًا. وكلا الأمران يقالان عنه حيث إنهما خاصان به وليس بآخر غيره. إذن فالجسد الذى أقيم من بين الأموات هو الذى رُفِعَ إلى السموات. وحيث إن الجسد كان يخصه ولا يوجد للجسد كيان إلاّ باللوغوس نفسه، لذى فمن الطبيعى أنه بتمجيد وترفيع الجسد يقال أيضًا إنه كإنسان قد إرتفع بسبب الجسد.

إذن فلو لم يكن قد صار إنسانًا، لما كانت لتقال عنه هذه الأقوال. أما عبارة «الكلمة صار جسدًا» فإنه كانت هناك ضرورة، أن يقال عنه إنه قام وتمجّد كما يقال عن إنسان، لكى يكون هذا الموت الذى يشار به إليه، فداءًا لخطية البشر، وأبطالاً للموت، أما القيامة والتمجيد فإنهما يدومان فينا بالضرورة بسببه.

وفى كلتا الحالتين قال عنه «مجدَّه الله مجدًا عاليًا»، و «الله أعطاه» كى يبيَّن بهذا أنه ليس الآب هو الذى صار بل كلمته هو الذى صار إنسانًا، فإنه بحسب النمط البشرى، يأخذ من الآب ويتمجَّد منه. كما سبق أن قال.

فيكون واضحًا ـ ولا يستطيع أحد أن يشكّك فى ذلك ـ أن تلك الأشياء التى يعطيها الآب، إنما يعطيها عن طريق الابن، ويكون عجيبًا، وأمرًا مثيرًا للاستغراب حقًا أن النعمة التى يعطيها الابن من لدن الآب، نفس هذه النعمة، يقال أن الابن ذاته قد قبلها، والرفعة التى حققها الابن من لدن الآب، بهذه الرفعة نفسها يُرفّع الابن نفسه.

---

[١٧٤] «الذي نزل هو الذي صعد أيضًا فوق جميع السموات لكي يملأ الكل» (أف٤:٩).



إذن فإذ هو ابن الله نفسه قد صار ابن الإنسان أيضًا، ولأنه هو اللوغوس فهو يعطى الأشياء من لدن الآب، لأن كل ما يصنعه ويعطيه الآب، إنما يصنعه ويعطيه من خلاله.

وكابن الإنسان فيقال إنه بحسب بشريَّته ينال ما يخصه من ذاته، بسبب أن جسده ليس سوى جسده الخاص به الذى هو بطبيعته يتقبل النعمة كما قد قيل.

وبحسب هذه الرفعة إذن، أخذ الإنسان فى داخله، وكانت هذه الرفعة من أجل تأليه الإنسان أما اللوغوس فله خاصية (التأليه) هذه بحسب الالوهية والكمال الأبوى الخاصين به.

الفصل الثانى عشر

شرح نصوص: ثانيًا: مزمور ٤٥:٨،٧

«من أجل ذلك مسحك الله إلهك»

٤٦- إن هذا الشرح كما كتبه الرسول، إنما يدحض هؤلاء العديمى التقوى، وما قاله المرنّم له أيضًا نفس المعنى المستقيم الذى أساء هؤلاء فهمه، فى حين أن منشد المزامير يوضح التقوى لأنه هو أيضًا يقول «كُرْسِيُّكَ يَا اللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ. أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلَهُكَ بِدُهْنِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ»[١٧٥].

انظروا أيها الآريوسيون وميزّوا الحقيقة هنا أيضًا. فالمرنم يقول، إننا جميعًا «شركاء» الرب فلو كان اللوغوس من العدم وكان هو واحدًا من المخلوقات، لكان هو أيضًا واحدًا من الشركاء، فماذا يجب أن يفهمه الواحد منّا، غير أنه آخر غير المخلوقات (مختلف عن المخلوقات) وأنه هو وحده كلمة الله الحق، وهو البهاء والحكمة التى تُشارك فيه جميع المخلوقات، وهى تتقدّس منه بالروح؟ ولذلك فهو هنا «يُمسح» لا لكى يصير إلهًا، لأنه كان إلهًا حتى قبل أن يُمسح، ولا لكى يصير ملكًا، لأنه قد كان هو المالك على الدوام، إذ أنه صورة الله كما يقول الوحى[١٧٦]. بل إن هذا أيضًا (أى أنه مُسِحَ) قد كتب من أجلنا. لأنه عندما كان الملوك - أيام أسرائيل - يُمسحون، فعندئذ فقط كانوا يصيرون ملوكًا، حيث

---

[١٧٥] مز٤٥: ٧ــ٨.

[١٧٦] انظر ٢كو٤:٤، كو١:١٥.



إنهم لم يكونوا ملوكاً قبل مسحهم، وذلك مثل داود وحزقيا ويوشيا وغيرهم. أما المخلّص فهو على العكس، حيث إنه إذ هو الله، يزاول دائمًا حكم مملكة الآب وهو نفسه مانح الروح القدس، إلاّ أنه يقال الآن إنه يُمسَح. فهو كإنسان يقال عنه إنه يُمسَح بالروح وذلك حتى يبنى فينا نحن البشر سكنى الروح وألفته تمامًا مثلما وهبنا الرفعة والقيامة. وهذا ما عناه هو نفسه عندما أكدَّ الرب عن نفسه فى الإنجيل بحسب يوحنا «كَمَا أَرْسَلْتَنِي إِلَى الْعَالَمِ أَرْسَلْتُهُمْ أَنَا إِلَى الْعَالَمِ، وَلأَجْلِهِمْ أُقَدِّسُ أَنَا ذَاتِي لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً مُقَدَّسِينَ فِي الْحَقِّ»[177]. وقد أوضح بقوله هذا إنه ليس هو المقدَّس بل المقدِّس. لأنه لم يُقدَّس من آخر بل هو يقدِّس ذاته. حتى نتقدّس نحن فى الحق. وهذا الذى يقدِّس ذاته إنما هو رب التقديس. كيف إذن حدث هذا؟ وماذا يريد أن يقول بهذا سوى إنه: « كونى أنا كلمة الآب، فأنا نفسى أعطى ذاتى الروح حينما أصير إنسانًا. وأنا الصائر إنسانًا أقدَّس نفسي (في الآب) لكي يتقدّس الجميع فيّ. وأنا الذي هو الحق. لأن (كلاَمُكَ هُوَ حَقٌ)»[178].

٤٧ـ إذن فإن كان يقدَّس ذاته من أجلنا وهو يفعل هذا لأنه قد صار إنسانًا ، فمن الواضح جدًا أن نزول الروح عليه فى الأردن، إنما كان نزولاً علينا نحن، بسبب لبسه جسدنا. وهذا لم يصر من أجل ترقية اللوغوس، بل من أجل تقديسنا من جديد، ولكى نشترك فى مسحته، ولكى يقال عنّا «أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟»[179] فحينما أغتسل الرب فى الأردن كإنسان، كنَّا نحن الذين نغتسل فيه وبواسطته. وحينما أقتبل الروح، كنَّا نحن الذين صرنا

---

[177] يو١٧: ١٨ــ١٩.

[178] يو١٧: ١٧.

[179] ١كو٣: ١٦.



مقتبلين للروح بواسطته. ولهذا السبب، فهو ليس كهارون. أو داود أو الباقين ـ قد مسح بالزيت هكذا ـ بل بطريقة مغايرة لجميع الذين هم شركاؤه ـ أى «بزيت الإبتهاج» ـ التى فُسرَّ أنه يعنى الروح ـ قائلاً بالنبى «رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي»[١٨٠]. كما قال الرسول أيضًا «كَيْفَ مَسَحَهُ اللهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ»[١٨١]. متى قيلت عنه هذه الأشياء – إلّا عندما صار فى الجسد وأعتمد فى الأردن «ونزل عليه الروح»؟[١٨٢]. وحقًا يقول الرب لتلاميذه إن «الروح سيأخذ مما لِيَّ»[١٨٣]. و «أنا أرسله»[١٨٤]. و «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ»[١٨٥]. إلاّ أنه فى الواقع هذا الذى يُعطي للآخرين كلمة وبهاء الآب، يقال الآن إنه يتقدّس وهذا من حيث إنه قد صار إنسانًا، والذى يتقدّس هو جسده ذاته.

إذن فمن ذلك (الجسد) قد بدأنا نحن الحصول على المسحة والختم، مثلما يقول يوحنا «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَكُمْ مَسْحَةٌ مِنَ الْقُدُّوسِ»[١٨٦]. والرسول يقول «خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوس»[١٨٧]. ومن ثمَّ فإن هذه الأقوال هى بسببنا ومن أجلنا. فأى تقدم فى الإرتقاء، وأى أجر فضيلة أو عمومًا أى أجر عمل للرب، يتضح من هذا؟

---

[١٨٠] إش١:٦١.

[١٨١] أع٣٨:١٠.

[١٨٢] مت١٦:٣.

[١٨٣] يو١٦:١٤.

[١٨٤] يو٧:١٦.

[١٨٥] يو٢٢:٢٠.

[١٨٦] ١يو٢٠:٢.

[١٨٧] أف١٣:١.



فلو أنه لم يكن إلهًا، ثم صار إلهًا، ولو كان قد رُقيّ إلى ملك وهو لم يكن ملكًا، فإنه يكون لقولكم بعض الظل من الإحتمال.

أما إن كان هو الله، ويكون «عرش ملكه أبدى» فإلى أى مدى يمكن أن يرتقى الله؟ أو ماذا ينقص هذا الذى هو جالس على عرش الآب؟ وكما قال الرب نفسه، إن كان الروح هو روحه والروح أخذ منه، وهو نفسه أرسل الروح[١٨٨] إذن، فلا يكون اللوغوس بإعتباره اللوغوس والحكمة هو الذى يُمسح من الروح، الذى يعطيه هو ذاته، بل الجسد الذى قد أتخذه، هو الذى يُمسح فيه ومنه، وذلك لكى يصير التقديس الصائر إلى الرب كإنسان، يصير (هذا التقديس) إلى جميع البشر به. لأن يقول: «إن الروح لا يتكلّم من نفسه»[١٨٩] بل اللوغوس هو الذى يُعطي هذا (الروح) للمستحقين. فإن هذا يشبه ما سبق من قول، لأنه كما كتب الرسول «الّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ، [٧] لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ»[١٩٠]. وبالمثل يرنم داود للرب إنه إله وملك أبدى، مُرسَل إلينا ومتخذًا جسدنا الذى هو مائت لأن هذا هو المقصود فى المزمور بالقول «كُلُّ ثِيَابِكَ مُرٌّ وَعُودٌ وَسَلِيخَةٌ»[١٩١] ويتضح نفس الشئ مما فعله نيقوديموس والنسوة اللائى مع مريم حينما جاء نيقوديموس حاملاً «مَزِيجَ مُرٍّ وَعُودٍ نَحْوَ مِئَةِ مَنًا»[١٩٢]. وكانت النسوة قد أعددن الحنوط لجسد الرب[١٩٣].

---

[١٨٨] انظر يو١٦: ١٤، يو١٦: ٧.

[١٨٩] انظر يو١٦: ١٣.

[١٩٠] في٢: ٦: ٧.

[١٩١] مز٤٥: ٨.

[١٩٢] يو١٩: ٣٩.



٤٨ـ فأى تقدم هو إذن بالنسبة لغير المائت عندما يتخذ ما هو مائت؟ وأى أرتقاء هو للأزليَّ عندما يلبس ما هو وقتى وأى أجر يمكن أن يكون بالنسبة لله والملك الأبدى الذى هو فى حضن الآب؟ ألا تدركون أن هذا قد صار وكُتِبَ بسببنا ومن أجلنا، لأنه إذ قد صار الرب إنسانًا، لكى يصوغنا نحن المائتين والوقتيين ويجعلنا غير مائتين ولكى يدخلنا إلى ملكوت السموات الأبدى؟ ألا تستحون وأنتم تزيفون الأقوال الإلهية؟ لأنه بنزول ربنا يسوع المسيح وأقامته بيننا، فإننا بالحقيقة قد أرتقينا لأننا تحررنا من الخطيئة، أما هو فهو باقٍ هو هو ولا يتغيَّر بصيرورته إنسانًا (لأنه يلزم أن نكرر نفس القول)، بل كما هو مكتوب فإن «وَأَمَّا كَلِمَةُ إِلَهِنَا فَتَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ»[١٩٤].

إذن، مثلما كان قبل تأنسه ـ إذ أنه كان اللوغوس، فإنه منح الروح للقديسين بإعتباره خاصًا به ـ وهكذا عندما صار إنسانًا فإنه قدَّس الجميع بالروح وقال لتلاميذه، «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ»[١٩٥]، وقد أعطى (الروح) لموسى وللسبعين الآخرين[١٩٦]. والذى به صلى داود للآب قائلاً: «وَرُوحَكَ الْقُدُّوسَ لاَ تَنْزِعْهُ مِنِّي»[١٩٧].

أما عندما صار إنسانًا فقد قال «سأرسل لكم المعزى روح الحق»[١٩٨]، وبالفعل أرسله، لأن كلمة الله منزه عن الكذب. إذن فإن «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ

[١٩٣] لو٢٤:١.

[١٩٤] إش٤٠:٨.

[١٩٥] يو٢٠:٢٢.

[١٩٦] انظر عدد١١:١٦.

[١٩٧] مز٥١:١١.

[١٩٨] يو١٥:٢٦.



وَإِلَى الأَبَدِ»[199] وحيث إنه يظلّ غير متغيّر وهو ذاته العاطى والآخذ: فهو يُعطِي كونه هو كلمة الله، ويأخذ كونه هو إنسان، وتبعًا لذلك فليس اللوغوس - بإعتباره بالحقيقة لوغوس - هو الذى إرتقى، إذ كانت له دائمًا، وله على الدوام - كل الأشياء. أما البشر - الذين يأخذون البداية منه وبسببه - فهؤلاء هم الذين يرتقون. لأنه حينما يقال بحسب الوجهة البشرية إنه الآن يُمسَح - نكون نحن، الذين نُمسَح فى شخصه، حيث إنه حينما اعتمد، نكون نحن الذين نعتمد فى شخصه. ويوضح المخلّص بالأحرى كل هذه الأمور حينما يقول للآب: «وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِداً، كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ»[200]. وتبعًا لذلك فإنه كان يطلب المجد أيضًا من أجلنا. وبسببنا أيضًا أستخدم كلمة «أخذ» وكلمة «أعطى» وكلمة «مُجَّد مجدًا عاليًا». وذلك لكى نأخذ نحن أيضًا، ولكى يُعطي لنا، ولكى نُمجَّد نحن فيه مجدًا عاليًا. وذلك كما يقدِّس ذاته من أجلنا، لكى نتقدَّس نحن فى شخصه.

٤٩- وإن كان هؤلاء - بسبب ما جاء فى المزمور «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلَهُكَ»[201] يستخدمون التعبير «من أجل هذا» تحقيقًا لرغباتهم الخاصة، فليعرف هؤلاء الذين يجهلون الكتب المقدسة، والذين انكشف عدم تقواهم، أن تعبير «من أجل هذا» هنا أيضًا، لا يعنى أجر فضيلة أو سلوكًا خاصًا باللوغوس، بل يعنى السبب الذى من أجله نزل إلينا، ويعنى السبب فى مسحة الروح التى مُسِحَ بها من أجلنا. لأنه لم يقل «من أجل هذا مسحك» لكى يصير هو إله أو ملك أو ابن أو لوغوس،

---

[199] عب١٣: ٨.

[200] يو١٧: ٢٢

[201] مز٤٥: ٧.



لأنه كان هكذا وهو دائمًا هكذا من قبل أن يُمسح، كما سبق أن أظهرنا، بل بالأحرى، بما أنك أنت إله وملك، من أجل ذلك أيضًا مُسِحَت. حيث إنه لم يكن فى وسع أحد آخر أن يوحّد الإنسان بالروح القدس، سواك أنت الذى هو صورة الله، تلك الصورة التى بحسبها خُلقنا منذ البدء، لأن الروح هو روحك أنت. وكل هذا حدث لأن طبيعة المخلوقات لا يركن إليها بخصوص هذا الأمر. ففى حين تمرَّد الملائكة، فإن البشر كانوا عصاة. لذلك كان الأمر يحتاج بالضرورة إلى تدخل الله ـ « لأن اللوغوس هو الله»[٢٠٢]، وذلك لكى يحرر الذين صاروا تحت عبء اللعنة. فلو كان هو من العدم لكان واحدًا بين الجميع وشريكًا لهم، ولما كان هو المسيح.

ولكن بما أنه إله لكونه ابن الله، فهو ملك أبدى، نظرًا لأنه بهاء الآب وصورته. من أجل ذلك فمن اللائق أن يكون هذا هو المسيح المنتظر، الذى وعد الآب البشر به، كما كشف عنه لأنبيائه القديسين، لكى كما خُلقنا به، يصير به هكذا أيضًا خلاص الجميع من خطاياهم، ولكى تكون كل الأشياء تحت حكمه. وهذا هو سبب المسحة التى صارت له، وسبب «الحضور المتجسّد للوغوس». وهذا السبب هو الذى تنبأ به مرنم المزامير مسبّحًا بألوهيته وملكوته الأبوى، عندما هتف قائلاً «كُرْسِيُّكَ يَا اللّهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ»[٢٠٣]، ثم يعلن نزوله إلينا بقوله: «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَسَحَكَ اللّهُ إِلَهُكَ بِدُهْنِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ»[٢٠٤].

---

[٢٠٢] يو ١:١.

[٢٠٣] مز ٤٥:٦.

[٢٠٤] مز ٤٥:٧.



٥٠. لماذا يكون مثيرًا للدهشة، أو بعيدًا عن الإعتقاد، إن كان الرب، وهو واهب الروح، يقال عنه الآن إنه مُسَحَ بالروح حينما تستلزم الحاجة ذلك، فإنه لا يرفض القول عن نفسه أنه هو أدنى شأنًا من الروح ـ بسبب طبيعته البشرية ـ لأنه عندما قال اليهود إنه «يخرج الشياطين بيعلزبول»[٢٠٥] فإنه لكى يكشف تجديفهم، أجاب وقال لهم «أَنَا بِرُوحِ اللَّهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ»[٢٠٦]. فها هوذا واهب الروح يقول الآن إنه يخرج الشياطين بالروح، وهذا القول لم يكن ليقال لأى سبب آخر، سوى من ناحية الجسد. لأنه كما أن طبيعة الإنسان لم تكن كافية من ذاتها أن تطرد الشياطين بدون قوّة الروح، من أجل هذا كان كإنسان يقول «إنى بروح الله أخرج الشياطين». وطبيعى أن التجديف الذى صار ضد الروح القدس، أعظم من التجديف الذى يكون ضد طبيعة البشرية، ولذلك قال: «كل مَن قال كلمة تجديف ضد ابن الإنسان يُغفر له مثل من قالوا: «أَلَيْسَ هَذَا ابْنَ النَّجَّارِ؟»[٢٠٧]. أما الذين يجدّفون على الروح القدس، وينسبون أعمال اللوغوس للشيطان فهؤلاء سيكون لهم عقاب لا مناص منه. إذن فإن الرب قال مثل هذه الأقوال لليهود كإنسان، أما التلاميذ فقد بيَّن لهم ألوهيته وجلاله، مشيرًا إلى ذاته أنه ليس أقل إطلاقًا من الروح بل مساوٍ له. وأعطاهم الروح وقال: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ»[٢٠٨] وأيضًا «أنا أرسله»[٢٠٩]، و«ذاك يمجدني»[٢١٠]، و «كل ما يسمع يتكلّم به»[٢١١]. وبالمثل إذن فإن الرب مانح

---

[٢٠٥] مت١٢: ٢٤.

[٢٠٦] مت١٢: ٢٨.

[٢٠٧] مت١٣: ٥٥.

[٢٠٨] يو٢٠: ٢٢.

[٢٠٩] يو١٦: ٧.

[٢١٠] يو١٦: ١٤.



الروح نفسه، لا يكف عن القول إنه بالروح يخرج الشياطين كإنسان، وبنفس الطريقة، حيث إنه هو ذاته واهب الروح، فإنه لا يتوقف عن القول: «رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي»[٢١٢]، وذلك بسبب أنه قد صار جسدًا[٢١٣] كما قال يوحنا، لكى يتضح فى هذين الأمرين، أننا نحن الذين نكون محتاجين لنعمة الروح لكى نتمجَّد، وأنه ليس فى وسعنا أن نخرج الشياطين بدون قوَّة الروح.

بواسطة مَنْ إذن، وممن كان يجب أن يُمنح الروح إلاّ بواسطة الابن. وهو الذى يعتبر الروح أيضًا روحه؟ ومتى كان فى استطاعتنا نحن الحصول على الروح إلاّ عندما صار اللوغوس إنسانا؟[٢١٤]. وهذا ما يتضح تمامًا من قول الرسول، أننا لم نحصل على الفداء ولا على التمجيد مجدًا عاليًا، لو لم «يتخذ صورة عبد، ذاك الذى كان فى صورة الله»[٢١٥].

هكذا يرينا داود أيضًا أنه ليست هناك طريقة أخرى، لكى نشارك الروح، ونتقدَّس لو لم يقل اللوغوس ذاته، واهب الروح بأنه هو ذاته، مُسِحَ بالروح من أجلنا، ولهذا السبب طبعًا أخذنا الروح، إذ أنه هو الذى قيل فيه إنه قد مُسِحَ بالجسد. حيث إن جسده الخاص هو الذى تقدَّس أولاً. وإذ قيل عنه كإنسان أن

---

[٢١١] يو١٦:١٣.

[٢١٢] إش٦١:١.

[٢١٣] يو١:١٤.

[٢١٤] انظر يو١:١٦.

[٢١٥] فى٢:٦ـ٧.



جسده قد أتخذ هذا (الروح)، فلأجل هذا، فنحن نمتلك نتيجة لذلك، نعمة الروح، آخذين أياها «من ملئه»[٢١٦].

٥١ـ وأما الآية الواردة فى المزمور: «أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ»[٢١٧]، فهى ليست مثلما تفهمونها أنتم أنها تبيِّن أن طبيعة اللوغوس متغيِّرة، بل بالأحرى فإنها تعنى أن اللوغوس غير متغيِّر. لأنه بما أن طبيعة المخلوقات متغيِّرة والبعض تعدوا الوصية، والبعض الآخر قد تمردوا، كما سبق أن قيل فإن أعمالهم ليست أكيدة، بل يحدث كثيرًا أن ذلك الذى هو صالح الآن، يتحوَّل بعد ذلك ويصير شيئًا آخر. فمثلاً هذا الذى يكون الآن عادلاً، وبعد قليل يكون ظالمًا، لذا أيضًا، كان هناك احتياج إلى واحد غير متغيِّر، لكى يحصل البشر على عدم تغيّر برّ اللوغوس، كصورة ومثال لأجل تحقيق الفضيلة. أما مثل هذا التفكير فله أيضًا سبب معقول للذين يفكرون بإستقامة، لأنه بما أن الإنسان الأول آدم[٢١٨] تعرَّض للتغيَّر، وبسبب الخطية دخل الموت إلى العالم[٢١٩]، من أجل هذا وجب أن يكون آدم الثانى غير متغيَّر، حتى ولو استمرت الحيَّة تزاول عملها، فإن خداعها يضعف، أما الرب، فلكونه غير متغيِّر وثابت، تصير الحية عاجزة عن مساعيها ضد الجميع. لأنه مثلما سقط أدم فى العصيان، فإن الخطيَّة «اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ»[٢٢٠]، وهكذا

---

[٢١٦] انظر يو١:١٦.

[٢١٧] مز٤٥:٧.

[٢١٨] ١كو١٥:٤٥.

[٢١٩] رو٥:١٢.

[٢٢٠] رو٥:١٢.



حينما صار الربُّ إنسانا، وحطم الحيَّة، فإن قوته العظيمة هذه قد إنتقلت إلى جميع الناس، حتى يقول كل واحد منَّا «لأَنَّنَا لاَ نَجْهَلُ أَفْكَارَه»[٢٢١].

ومن الصواب إذن، إن الرب، الذى هو دائمًا بحسب طبيعته غير متغيِّر، وهو الذى يحب البرِّ، ويبغض الأثم، مُسِحَ وأُرسِلِ هو ذاته، لكونه هو ذاته وهو باقٍ هو هو، بإتخاذه جسدًا متغيرًا، لكى يدين الخطيِّة فى الجسد[٢٢٢]، ولكى يجعل ذات هذا الجسد حرًا، ولكى يستطيع من الآن فصاعدًا أن يتمم به حكم الشريعة، ولكى نستطيع أن نقول «نحن لسنا فى الجسد فى الروح، إن كان حقًا روح الله ساكنًا فى داخلنا»[٢٢٣].

٥٢. أيها الآريوسيون، قد صار عبثًا مثل هذا الشك الذى صار فيكم، وعبثًا ما تدعونه وما تتعللون به من أقوال الإنجيل، لأن اللوغوس الذى هو كلمة الله إنما هو غير متغيِّر، وهو مستمر دائمًا فى حالة واحدة، ليس كيفما أتفق، بل هو مثل الآب. لأنه كيف يكون مثله، أن لم يكن هو نفسه كذلك؟

أو كيف يكون كل ما هو للآب، هو للابن أيضًا[٢٢٤] إن لم يكن للإبن صفة عدم تغيرّ الآب ودوامه؟ وبما أنه غير خاضع للقوانين الطبيعية بأن ينحاز لواحد ضد آخر، فهو إذن لا يحب الواحد ويكره الآخر.

---

[٢٢١] ٢كو٢:١١.

[٢٢٢] انظر رو٨:٣.

[٢٢٣] رو٨:٩.

[٢٢٤] انظر يو١٦:١٥.



فلو أنه بسبب الخوف من السقوط ينحاز إلى واحد، فإنه حينئذ سينكشف من الجهة الآخرى، أنه متغيرٌ. ولكنه لكونه إله وكلمة الآب، فهو قاض عادل ومحب للفضيلة، وبالأحرى هو مانح الفضيلة. إذن فهو عادل وقدوس بطبيعته. فلهذا يقال إنه يحب البرَّ ويبغض الإثم[٢٢٥]. وهذا يعادل القول القائل إنه يحب الصالحين ويعينهم. أما الظالمون فإنه ينفر منهم ويبغضهم لأن الكتب المقدسة تقول نفس القول عن الآب: «الرَّبَّ عَادِلٌ وَيُحِبُّ الْعَدْلَ»[٢٢٦]. و «أَبْغَضْتَ كُلَّ فَاعِلِي الإِثْمِ»[٢٢٧]، و «الرَّبُّ أَحَبَّ أَبْوَابَ صِهْيَوْنَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ مَسَاكِنِ يَعْقُوبَ»[٢٢٨]، و«أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسُوَ»[٢٢٩]. وفى إشعياء كان صوت الرب أيضًا قائلاً «لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُحِبُّ الْعَدْلِ، مُبْغِضُ الْمُخْتَلِسِ بِالظُّلْمِ»[٢٣٠] فينبغى إذن عليهم، إما أن يفسروا تلك الأقوال بنفس المعانى التى تعنيها هذه الأقوال أيضًا ـ لأن تلك الأقوال قد كتبت عن صورة اللّه ـ وإما فإنهم بإساءتهم تفسير هذه الأقوال كتلك، أيضًا، فإنهم سيضطرون إلى القول إن الآب هو متغيرٌ أيضًا.

ولكن بما أن مجرَّد سماع الآخرين يقولون هذا القول، هو أمر له أخطار كثيرة، لهذا فإننا نفكر بالصواب بقولنا إن «اللّه يحب العدل ويبغض الاختلاس والظلم». وهذا لا يعنى أنه له ميل تجاه الواحد أو تجاه الآخر، ويقبل ما هو مضاد، لدرجة أنه يفضل هذا ولا يفضل ذاك، فهذه هى سمة المخلوقات، بل يعنى أنه

---

[٢٢٥] انظر إش٦١: ٨.

[٢٢٦] مز١١: ٧.

[٢٢٧] مز٥: ٦.

[٢٢٨] مز٨٧: ٢.

[٢٢٩] ملاخى١: ٢، ٣.

[٢٣٠] إش٦١: ٨.



كقاض، يحب الأبرار ويعينهم ويعزف عن الأشرار. وتبعًا لهذا إذن، ينبغى أن نفكر بمثل هذه الأفكار عن «صورة الله» أيضًا بأنه هكذا يحب ويكره، لأن هذا ما يجب أن تكون عليه طبيعة «الصورة» مثل طبيعة الآب، حتى ولو كان الآريوسيون ـ لأنهم عميان ـ لا يرونها ولا يرون شيئًا آخر من الأقوال الإلهية.

وبسبب تناقص الأفكار فى قلوبهم أو بالأحرى سوء أفكارهم وخبلهم. فإنهم يلوذون مرّة أخرى بنصوص الكتب المقدسة، التى عادة لا يشعرون بها، فلا يدركون معناها الصحيح ـ ولكنهم جعلوا من عدم تقواهم الذاتى قاعدة طابقوا عليها كل هذه الأقوال الإلهية وحرَّفوها. وعند مجرَّد ذكر مثل هذا التعليم فإنهم لا يستحقون سماع شئ آخر سوى «تَضِلُّونَ إِذْ لاَ تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلاَ قُوَّةَ اللَّهِ»[٢٣١]، وأن تشبثوا بكلامهم فمن الواجب أن نسكتهم بالقول «أَعْطُوا إِذاً مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ، وَمَا لِلَّهِ لِلَّه»[٢٣٢].

---

[٢٣١] مت٢٢:٢٩.

[٢٣٢] انظر متى٢٢:٢١.

الفصل الثالث عشر

شرح نصوص: ثالثا: عبرانيين ١:٤

«صائرًا أعظم من الملائكة»

٥٣- ولكنهم يقولون إنه مكتوب فى الأمثال «الرب أقامنى أول طرقه لأجل أعماله»[٢٣٣]. وإنه فى الرسالة الى العبرانيين يقول الرسول «صَائِراً أَعْظَمَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ بِمِقْدَارِ مَا وَرِثَ اسْماً أَفْضَلَ مِنْهُمْ»[٢٣٤]. ويقول بعد قليل «مِنْ ثَمَّ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْقِدِّيسُونَ، شُرَكَاءُ الدَّعْوَةِ السَّمَاوِيَّةِ، لاَحِظُوا رَسُولَ اعْتِرَافِنَا وَرَئِيسَ كَهَنَتِهِ الْمَسِيحَ يَسُوعَ، حَالَ كَوْنِهِ أَمِيناً لِلَّذِي أَقَامَهُ»[٢٣٥]. وفى سفر الأعمال «فَلْيَعْلَمْ يَقِيناً جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ رَبّاً وَمَسِيحاً»[٢٣٦].

هذه الأقوال يتفوهون بها فى كل مكان، ولديهم أفكار معوَّجة عنها ومحرَّفين معناها، مدَّعين بها أن كلمة الله مخلوق ومصنوع، وواحد من المخلوقات وهكذا يخدعون الجهلاء، متسترين تحت ستار هذه الأقوال التى يطرحونها.

ولكنهم بدلاً من المعنى الحقيقى، فإنهم يلقون بذور سم هرطقتهم الخاصة. لأنهم «لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ»[٢٣٧]، ولما كانوا يحرِّفون معانى أقوال الكتاب الحسنة. إذن، فإن كانوا يتبنون أسلوب قيافا صراحة، فإنهم يكونون

---

[٢٣٣] أم٨:٢٢.

[٢٣٤] عب١:٤.

[٢٣٥] عب٣:١ـ٢.

[٢٣٦] أع٢:٣٦.

[٢٣٧] ١كو٢:٨.



تبعًا لذلك قد قرروا أن يتهودوا، حتى أنهم يجهلون المكتوب بأنه «حقًا سيسكن الله على الأرض»[٢٣٨] دعهم لا يفحصون الأقوال الرسولية، لأن هذا ليس من سمة اليهود.

ولكن من الناحية الأخرى، إن كانوا يمزجون أنفسهم بالمانويين[٢٣٩] الملحدين، وينكرون أن «الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً»[٢٤٠]، وينكرون «حضوره المتجسِّد»، إذن فلا يكون من حقهم أن يستعملوا الأمثال، لأن هذا كان غريبًا بالنسبة للمانويين. ولكن أن كان بسبب إثارة المشكلة، والربح الناتج من جشعهم، وبسبب طموحهم وحبهم للشهرة، لا يجسرون على إنكار أن «الكلمة قد صار جسدًا» لأن هذا مكتوب حقًا، عندئذ، فإما أنهم من واجبهم أن يفسروا تلك الكلمات المكتوبة بخصوص «حضور المخلّص في الجسد»، تفسيرًا صائبًا، وإما إن كانوا ينكرون القصد السليم، إذن، فلينكروا أن الرب قد صار إنسانًا. لأنه لا يليق بهم أن يعترفوا بأن «الكلمة قد صار جسدًا». ومن ناحية أخرى يستحون من المكتوب عنه، ولذلك فإنهم يحرفون معناه.

٥٤ـ لأنه مكتوب «بهذا المقدار صار أعظم من الملائكة»[٢٤١]، لذلك فمن الواجب أن نفحص هذا أولاً. والآن من الملائم كما نعمل فى كل الأسفار الإلهية، هكذا من الضرورى أن نعمل هنا أيضًا. فيجب أن نفهم بأمانة: الوقت الذى كتب عنه

---

[٢٣٨] انظر زكريا٢: ١٠.

[٢٣٩] كانت المانوية مماثلة لمذهب الغنوسية (أى مذهب العارفين. وهم المسيحيون الذين يعتقدون أن الخلاص بالمعرفة دون الإيمان). وكانت المانوية تؤمن بالمبدأ الثنائى: فالعالم تحكمه قوتان مضادتان: النور والظلام، والخير والشر. الله والمادة وبحسب أعتقادهم أن المسيح قد صلب لأن لديه فى داخله عنصر خاضع للألم والمعاناة.

[٢٤٠] يو١: ١٤.

[٢٤١] عب١: ٤.



الرسول، والشخص والموضوع اللذين كتب عنهما، لكى لا يجد القارئ نفسه ـ وهو يجهل هذه الأقوال أو غيرها، بعيدًا عن المعنى الحقيقى. ولذلك فإن ذلك الخصى المحب للمعرفة ـ حينما عرف هذا توسَّل إلى فيلبس قائلاً: « أَطْلُبُ إِلَيْكَ: عَنْ مَنْ يَقُولُ النَّبِيُّ هَذَا؟ عَنْ نَفْسِهِ أَمْ عَنْ وَاحِدٍ آخَرَ؟»[٢٤٢] لأنه كان يخشى أن يحيد عن المعنى المستقيم، ويفهم الكلام عن شخص آخر من خلال قراءته. وأيضًا التلاميذ بسبب رغبتهم أن يعرفوا وقت حدوث ما قاله الرب توسلوا إليه قائلين «قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هَذَا، وَمَا هِيَ عَلاَمَةُ مَجِيئِكَ»[٢٤٣]. وأيضًا عندما سمعوا من المخلِّص ما قاله عن النهاية، أرادوا أيضًا أن يعرفوا زمنها[٢٤٤]. وذلك لكى لا يضلُّوا هم، وأيضًا لكى يتمكنوا من تعليم الآخرين. فإنهم بعد أن عرفوا فقد صححوا (أفكار) الذين كانوا على وشك الضلال من أهل تسالونيكى[٢٤٥].

لذا فعندما يكون لدى واحد من مثل هؤلاء معرفة كثيرة، عندئذ سيكون له فكر إيمان صحى ومستقيم. أما إذا أساء أحد فهم شئ من هذه، فإنه سينزلق فى الحال إلى الهرطقة. وهكذا ضلَّ الذين يتبعون هيمنايس والأسكندر[٢٤٦]. لأنه برغم أن الوقت لم يكن قد صار بعد كانوا يقولون إن القيامة قد صارت بالفعل[٢٤٧]. فى

---

[٢٤٢] أع ٨: ٣٤.

[٢٤٣] مت٢٤: ٣

[٢٤٤] انظر مت٢٤: ٣٦.

[٢٤٥] أساء أهل تسالونيكى فهم محتويات رسالة الرسول بولس الأولى الموجهة إليهم بخصوص مجئ المسيح الفجائى، وتركوا أعمالهم فى انتظار المجئ الثانى، لذلك أضطر الرسول أن يكتب إليهم الرسالة الثانية كى يهدئ خواطرهم، معلنا لهم العلامات التى ستسبق هذا المجئ.

[٢٤٦] ١تيمو١: ٢٠.

[٢٤٧] انظر ٢تيمو٢: ١٨.



حين أن الغلاطيين ـ بعد أن أكتمل الزمان ـ قد مالوا الآن إلى الختان[248]. أما من جهة الشخص، فقد كابد اليهود ولا يزالون يقاسون حتى الآن، لأنهم يظنون أن هذه الآية «هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيل الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللَّهُ مَعَنَا»[249] تقال بخصوص واحد منهم (لا يزالون ينتظرونه) وأنه عندما قيل «يُقِيمُ لكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيّاً مِنْ وَسَطِكَ »[250] فإنهم يظنون أنه يتكلّم عن واحد من أنبيائهم. أما القول «كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ»[251]، فإنهم لم يتعلّموا من فيلبس إلى مَنْ يشير، بل ظنوا أنه يتكلّم عن إشعياء أو عن نبى آخر من بين أنبياءهم

٥٥ـ لذا فإن أعداء المسيح أنزلقوا إلى الهرطقة البغيضة بسبب معاناتهم من مثل هذه الأمور. فإنهم لو كانوا قد عرفوا تمامًا الشخص والموضوع والوقت المتعّلق بالكلمة الرسولية، لما جدّف أولئك الحمقى إلى هذا الحد ـ ناسبين الأمور الناسوتية إلى ألوهيته.

وفى استطاعة أى شخص أن يرى هذا، لو أنه فسَّر بداية الفصل تفسيرًا جيدًا فإن الرسول يقول «اَللّهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيماً، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ»[252]. وبعد قليل يقول «بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ

---

[248] كان المسيحيون المتهودون يعملون على غواية الغلاطيين، وكان هؤلاء المتهودون يعتبرون الاحتفاظ بشريعة موسى والختان ضرورة ملحة للمسيحية وكتب بولس رسالته إليهم – خاصة لأجل دحض وجهة النظر هذه.

[249] إش٧:١٤، مت١:٢٣.

[250] تث١٨:١٥، اع٣:٢٢.

[251] إش٥٣:٧.

[252] عب١:١ــ٢.



تَطْهِيراً لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي، صَائِراً أَعْظَمَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ بِمِقْدَارِ مَا وَرِثَ اسْماً أَفْضَلَ مِنْهُمْ»[٢٥٣].

إن القول الرسولى إذن يشير إلى الزمن الذى فيه «كلمّنا بواسطة ابنه»، عندما قد صار تطهير خطايانا أيضًا. فمتى «تحدَّث إلينا فى شخص ابنه». ومتى قد صار «تطهير الخطايا»، ومتى قد صار إنسانًا إلاّ بعد الأنبياء فى الأيام الأخيرة؟ وبما أنه كان يقص قصة التدبير الخاص بكل منّا، وكان يتكلّم عن الأزمنة الأخيرة. فإنه لا ينقطع عن ذكر أن الله لم يكف عن التحدَّث إلى الناس خلال الأزمنة الماضية، لأنه تحدَّث إليهم بواسطة الأنبياء. ولأن الأنبياء قد خدموا، والشريعة أعلنت بواسطة الملائكة[٢٥٤]، والابن أيضًا نزل وجاء لكى يخدم[٢٥٥]، لذا كان من الضرورى أن يضيف. «صائرًا أعظم من الملائكة بمثل هذا المقدار» رغبة منه أن يوضح أن الابن بقدر ما يختلف عن العبد بقدر ذلك صارت خدمة الابن أفضل من الخدمة التى يقدمها العبيد.

إذن، بعد أن ميَّز الرسول بين الخدمة قديما وحديثًا فإنه يقدَّم لليهود كاتبًا وقائلاً «صائرًا أعظم من الملائكة بمثل هذا المقدار»، لهذا فإنه لم يعقد مقارنة بينه وبين الكل (أى المخلوقات)، بقوله إنه قد صار «أعظم»، أو «أكثر كرامة»، وذلك لكى لا يظن أحد انه يتكلّم عن ما يخصه وما يخصهم ـ أنهم أبناء جنس واحد. بل قد قال إنه «أفضل» وذلك لكى يكون معروفًا، إختلاف طبيعة الابن عن طبيعة المخلوقات. ولدينا الدليل على هذا من الكتب المقدسة. إذ يترنم داود قائلاً

---

[٢٥٣] عب١:٣ـ٤.

[٢٥٤] عب٢:٢.

[٢٥٥] مت٢٠:٢٨.



«لأَنَّ يَوْماً وَاحِداً فِي دِيَارِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ»[٢٥٦]. أما سليمان فيهتف قائلاً: «خُذُوا تَأْدِيبِي لاَ الْفِضَّةَ، وَالْمَعْرِفَةَ أَكْثَرَ مِنَ الذَّهَبِ الْمُخْتَارِ. لأَنَّ الْحِكْمَةَ خَيْرٌ مِنَ اللآلِئِ وَكُلُّ الْجَوَاهِرِ لاَ تُسَاوِيهَا»[٢٥٧].

لأنه كيف لا تكون الحكمة والأحجار المستخرجة من الأرض، مختلفة فى جوهرها، وهى بطبيعتها شئ آخر؟ وأيَّة علاقة توجد بين الديار السماوية، وبين المساكن التى على الأرض؟ أم ما وجه التشابه بين الأبديات والروحيات، وبين الأمور الوقتية والفانية؟ لأن هذا هو المعنى الذى يقوله إشعياء «لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ لِلْخِصْيَانِ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ سُبُوتِي وَيَخْتَارُونَ مَا يَسُرُّنِي وَيَتَمَسَّكُونَ بِعَهْدِي: إِنِّي أُعْطِيهِمْ فِي بَيْتِي وَفِي أَسْوَارِي نُصُباً وَاسْماً أَفْضَلَ مِنَ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ. أُعْطِيهِمُ اسْماً أَبَدِيّاً لاَ يَنْقَطِعُ »[٢٥٨].

إذن، فلذلك فليست هناك علاقة قرابة بين الابن والملائكة. وما دامت ليست هناك علاقة ـ فلهذا فإن كلمة «أفضل» لا تذكر للمقارنة، بل بحصافة وفطنة بسبب اختلاف طبيعة الابن عن طبيعة الملائكة. الرسول نفسه هو الذى فسر كلمة «أفضل» قائلاً إن هذا لا يكمن فى شئ آخر بل فى الفرق بين الابن والمخلوقات، كمن يقول إن هذا هو الابن، بينما المخلوقات هم العبيد. وكما أن الابن هو مع الآب «جالس عن يمينه»، هكذا فإن العبيد يظهرون أمامه، «ويُرسَلون ويخدمون».

٥٦ـ وبما أن هذه الأقوال مكتوبة هكذا، أيها الآريوسيون فسيتدل منها أن الابن ليس مخلوقًا، بل بالأحرى هو كائن آخر غير كل المخلوقات. فهو ابن ذاتى

---

[٢٥٦] مز٨٤: ١٠.

[٢٥٧] أم٨: ١٠ــ١١.

[٢٥٨] إش٥٦: ٤ــ٥.



للآب، وهو كائن فى أحضانه. لأن ما هو مكتوب أيضًا: «صائرًا» لا يعنى أن الابن مخلوق مثلما تظنون أنتم. لأنه لو كان قد قيل ببساطة «صائرًا»، وسكت، لكان لدى الآريوسيين عذر، حيث إنه قد تكلّم من قبل عن الابن موضّحًا من خلال كل الفقرة أنه كائن آخر غير المخلوقات. لهذا لم يدون «صائرًا» بمعنى مطلق، بل ربط «أعظم» بـ «صائرًا» لأنه أعتبر أن هذا القول ليس مختلفًا، عالمًا أن مَنْ يقول «صائرًا» عن مَنْ يُعتَرف به أنه ابن ذاتى، كمن يقول عنه إنه قد صنع، وإنه «أعظم»، ذلك لأن المولود لا يتغيّر، حتى وإن قيل عنه إنه قد صار، أو أنه قد وُجِدَ.

أما المخلوقات فلأنها مخلوقة، فمن المستحيل أن يقال عنها إنها مولودة، إلاّ فيما بعد، أى بعد خلقتها، حينما تشترك فى الابن المولود. وفى هذه الحالة يقولون عنها أيضًا إنها قد ولدت، ليس بسبب طبيعتها الذاتية، بل بسبب مشاركتها للابن، فى الروح. وهذا أيضًا تعترف به الكتب الإلهية، التى تقول عن المخلوقات «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»[٢٥٩]. «مَا أَعْظَمَ أَعْمَالَكَ يَا رَبُّ! كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ»[٢٦٠]. أما عن الأبناء المولودين فيقول: «ولد لأيوب سبعة بنين وثلاث بنات»[٢٦١] «وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ حِينَ وُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ ابْنُهُ»[٢٦٢] أما موسى فقال: «إن ولد بنون لأى شخص»[٢٦٣]، لذلك فبسبب كونه مختلفًا عن المخلوقات، وهو المولود الوحيد الذاتى لجوهر الآب، فقد أحبط إدعاء الآريوسيين بخصوص لفظة «صائرًا». لأنه، وإن كان على الرغم من خجلهم بسبب إحباطهم فإنهم يضطرون أن

---

[٢٥٩] يو ١: ٣.

[٢٦٠] مز ١٠٤: ٢٤.

[٢٦١] أيوب ١: ٢.

[٢٦٢] تك ٢١: ٥.

[٢٦٣] انظر خر ٢١: ٤.



يقولوا، إن الكلمات قد قيلت على سبيل المقارنة. ولهذا فإن الأقوال المقارنة هى من نفس النوع، حتى أن الابن يكون من نفس طبيعة الملائكة، فهم سيقعون فى العار مقدمًا لأنهم يحاكون ويؤكدون تعاليم فالنتينوس وكاربوكراتوس[٢٦٤] وغيرهما من الهراطقة.

فالأول منهما قال إن الملائكة من نفس طبيعة المسيح، أما كاربوكراتوس فيقول إن الملائكة هم الذين خلقوا العالم، فربما يكون الاريوسيون قد تعلّموا منهم أيضًا أن يقارنوا «كلمة الله» بالملائكة.

٥٧. ولكنهم بتخيُّلهم مثل هذه الأمور، فإن المرنم يخجلهم بقوله «من يكون شبيهًا بالرب من بين أبناء الله»[٢٦٥]. «لاَ مِثْلَ لَكَ بَيْنَ الآلِهَةِ »[٢٦٦]. إلاَّ أنهم - إن كانوا يريدون أن يعرفوا - سيسمعون الجواب، بأن الأمور المتعلّقة بالمقارنة إنما تكون بين المتماثلين فى الجنس، وليس بين غير المتجانسين.

إذن، فليس فى وسع أحد، أن يقارن الله بالإنسان. كما أنه لا يمكنه مقارنة الإنسان بالخيل، ولا الأخشاب بالأحجار نظرًا لعدم تشابه طبيعتهما. لكن الله هو جوهر لا نظير له ولا يقاس بغيره. أما الإنسان فإنه يقارن بإنسان، كما يقارن الخشب بالخشب، والحجارة بالحجارة. وليس فى وسع أحد أن يستخدم قط عن

---

[٢٦٤] فالنتينوس هو الممثل الرئيسى للغنوسية فى القرن الثانى وبحسب مذهبه يقول إن العالم نشأ من الإله الأعلى بواسطة سلسلة لا نهائية من الآلهة الوسطاء — أى الدهور. وقد وصلت إلينا أخبار هذه الهرطقة أساسًا من إيريناؤس وهيبوليتوس. أما كاربوكراتوس، فقد كان فيلسوفًا من الأسكندرية تأثر — أكثر من غيره من الغنوسيين — كثيرًا بأفلاطون، وكان يعلم بأن الله غير المولود هو أبو الملائكة والأرواح، وبعض من هؤلاء الملائكة هم خالقوا العالم — وبحسب مذهبه ولد يسوع ابنًا طبيعيًا من مريم ويوسف رغم أنه أكثر برًا من كل البشر.

[٢٦٥] مز٨٩:١.

[٢٦٦] مز٨٦:٨.



هذه الأشياء كلمة «أعظم» بل يستعمل كلمات مثل «نوعًا ما» و «أكثر». فمثلاً كان يوسف جميلاً نوعًا ما بين أخوته. وراحيل أكثر جمالاً من ليئه. وليس نجم «أفضل» من نجم. ولكنه يختلف نوعًا ما فى المجد[٢٦٧]. أما فى حالة الأشياء غير المتشابهة. فعند مقارنة هذه الأشياء بعضها ببعض، فعندئذ يقال «أفضل» عن الأشياء التى لها نوعية مغايرة. مثلما سبق أن قيل عن الحكمة والأحجار الكريمة.

إذن فإن كان الرسول قد قال «إن الابن أرقى بكثير من الملائكة» أو هو «أعظم بدرجة أكبر» لكان لكم العذر أن تقارنوا الابن بالملائكة. أما الآن فبقوله إنه «أفضل» وإنه يختلف بدرجة كبيرة بقدر ما يختلف الابن عن العبيد، فإنه يبيِّن أنه مختلف عن طبيعة الملائكة.

ومرَّة أخرى، عندما يقول إنه هو «الذى أسس جميع الأشياء»[٢٦٨]. يبيِّن أنه مختلف عن جميع المخلوقات. وبما أنه مختلف تمامًا فى جوهره عن طبيعة المخلوقات. فأى مقارنة أو مضاهاة لجوهرة يمكن أن توجد بالمقارنة مع المخلوقات؟ لأنهم إن استعادوا – إلى ذاكرتهم من جديد شيئًا من هذا. فلا شك أن بولس سيفنِّدها لهم عندما يقول: «لأَنَّهُ لِمَنْ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ قَالَ قَطُّ: «أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ»[٢٦٩] ويقول عن الملائكة «الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ رِيَاحاً وَخُدَّامَهُ لَهِيبَ نَارٍ»[٢٧٠].

٥٨. فها هو ذا إذن يستخدم فعل «يصنع» عن المخلوقات وهو يقول عنها إنها مصنوعة. أما بخصوص الابن فلم يستخدم كلمة «صنع» ولا «صيرورة» بل يقول عنه

---

[٢٦٧] انظر ١كو١٥: ٤١.

[٢٦٨] انظر عب١: ١٠.

[٢٦٩] عب١: ٥.

[٢٧٠] عب١: ٧.

إنه «الأبدى» و «الملك» «وكونه الخالق»، عندما تكلّم قائلاً: «كُرْسِيُّكَ يَا أَللّٰهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ.»[٢٧١]. «وَأَنْتَ يَا رَبُّ فِي الْبَدْءِ أَسَّسْتَ الأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ. هِيَ تَبِيدُ وَلَكِنْ أَنْتَ تَبْقَى»[٢٧٢]. ومن هذه الكلمات يمكنهم أن يفهموا ـ إن كانوا يريدون ـ أن الخالق هو آخر غير المخلوقات، أما المخلوقات فهى شئ آخر غيره، وأنه هو الله. أما تلك المخلوقات فقد صنعت من العدم. لأن ما يقوله هنا «هذه ستبيد»، لم يقله لأن الخليقة ستصير الى زوال. بل لكى يبيّن طبيعة المخلوقات من النهاية التى ستؤول إليها. لأن تلك التى لها قابلية الهلاك، حتى وإن لم تكن هلكت بعد ـ بسبب فضل ذاك الذى خلقها ـ إلاّ أنها قد خلقت من العدم ـ مما يشهد بأن هذه الأشياء لم تكن موجودة يومًا ما. من أجل هذا إذن، حيث إن مثل هذه الأشياء لها مثل هذه الطبيعة فإنه يقال عن الابن القول «أنت ستبقى» لكى تتضح أبديته. لأنه حيث إنه ليس فيه إمكانية الفناء، كما يحدث للمخلوقات ـ بل له الدوام إلى الأبد، فليس ملائمًا أن يقال عنه: «لم يكن موجودًا قبل أن يولد». فإنه هو نفسه الكائن دائمًا، والدائم مع أبيه. وحتى لو لم يكن الرسول قد كتب هذا فى الرسالة إلى العبرانيين إلاّ أنه فى رسائله الأخرى، بل كل الكتاب المقدس يحول دون تخيُّل مثل هذه التصورات عن «اللوغوس». وحيث إن الرسول كتب هذا، وكما قد اتضح من قبل، أن الابن هو مولود جوهر الآب، وأنه هو الخالق، وأن المخلوقات خُلقت بواسطته، وأنه هو أيضًا «البهاء»، و «اللوغوس» و «الصورة» و «حكمة الآب» فى حين أن المخلوقات أحط من الثالوث، وهم يساعدون ويخدمون. ولذلك فإن الابن مختلف فى النوع، ومختلف فى الجوهر بالنسبة إلى المخلوقات وبالأحرى فإنه هو من ذات جوهر الآب ومن نفس طبيعته

---

[٢٧١] عب ١ : ٨.

[٢٧٢] عب ١ : ١٠ ــ ١١.



لذلك فإن الابن نفسه لم يقل «أبى أفضل منى» حتى لا يظن أحد أنه غريب عن طبيعة الآب بل قال «أعظم منى»[٢٧٣]، ليس من جهة الحجم ولا من جهة الزمن، بل بسبب ميلاده من أبيه ذاته، فأنه حتى عندما يقال «أعظم منى» أظهر مرَّة أخرى أنه من ذاتية جوهره (الذاتى)[٢٧٤].

٥٩. والرسول نفسه عندما قال «صائرًا أفضل من الملائكة بمثل هذا المقدار». لم يقل هذا ليس لأنه أراد أولاً أن يقارن جوهر اللوغوس بالمخلوقات . لأنه لا يوجد وجه للمقارنة، أو بالأحرى فإن الواحد منهما غير الآخر تمامًا. ولأنه وهو يرى «اللوغوس وقد اتي إلينا في الجسد» ، والتدبير الصائر منه عندئذ، فإنه يوضح أن اللوغوس ليس مشابهاً للذين سبقوا أن جاءوا قبله. وهذا لكى يوضح أنه بقدر ما يختلف هو (اللوغوس) بحسب الطبيعة عن الذين أرسلهم قبله، بقدر ما كانت النعمة الصائرة منه وبه أفضل من خدمة الملائكة. لأن العبيد كانوا مختصين فقط بالمطالبة بالثمار وليس أكثر[٢٧٥]. أما الابن والسيد فكان يحق له أن يصفح عن ديونهم وأن يسلّم الكرم إلى آخرين.

هذا إذن الذى يذكره الرسول بعد ذلك، يوضح اختلاف الابن عن المخلوقات قائلاً: «لذلك يجب أن نتنبه أكثر إلى ما سمعناه حتى لا نبتعد عنه. لأنه إن كانت الكلمة التى نطق بها ملائكة قد صارت ثابتة وكل تعد ومعصية نال جزاء عادلاً. فكيف ننجو إن أهملنا خلاصًا هذا مقداره؟ هذا الخلاص الذى بدأ الرب التحدث

---

[٢٧٣] يو١٤:٢٨.

[٢٧٤] فى مواضع أخرى من المقالات الأربعة فسر القديس أثناسيوس هذه الآية وآيات أخرى مشابهة بمعنى أن الآب أعظم من جسد الأبن. (المقالة ٣:٧) (المعرب).

[٢٧٥] مت٢١:٣٤.



به، ثم تثبت من الذين سمعوه»[٢٧٦]. فإن كان الابن معدودًا واحدًا من المخلوقات، لما كان أفضل منهم، ولما أختص مَنْ يعصاه بأعظم قدر من العقاب بسببه. لأنه فى خدمة الملائكة لم يكن مسموحًا لأى واحد منهم أن يتمكّن من معاقبة المخالفين سواء بأكثر أو بأقل، بل كانت الشريعة واحدة، وكان الحكم واحدًا بالنسبة إلى المخالفين.

ولكن حيث إن اللوغوس ليس معدودًا بين المخلوقات بل هو ابن الآب، لذلك فبقدر ما كان هو أفضل، كلما كانت الأعمال الخارجة منه، أفضل ومغايرة، وكلما وجب أن تكون العقوبة أشد. إذن دعهم ينتظرون النعمة الممنوحة عن طريق الابن. وليدركوا هذا المشهود له بواسطة الأعمال أنه مختلف عن المخلوقات وأنه وحده الإبن الحقيقى الذى فى الآب، والآب فيه.

والشريعة نُطق بها بواسطة ملائكة، وهى لم تُكمّل أحدًا، بسبب إحتياجنا إلى مجئ اللوغوس إلينا مثلما قال بولس[٢٧٧]. أما مجئ اللوغوس فقد أكمّل عمل الآب[٢٧٨]. وفى ذلك الوقت كان «لَكِنْ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى»[٢٧٩] أما حضور اللوغوس فقد «أبطل الموت»[٢٨٠] ولم نعد بعد «لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ هَكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ.»[٢٨١]. عندئذ كان ينادى بالشريعة من دان إلى بئر

---

[٢٧٦] عب٢:١ــ٢.

[٢٧٧] انظر عب١٩:٧.

[٢٧٨] يو١٧:٤.

[٢٧٩] رو١٤:٥.

[٢٨٠] ٢تى١٠:١.

[٢٨١] ١كو٢٢:١٥.



سبع، «وكان الله معروفاً فى اليهودية»[٢٨٢] وحدها. أما الآن فقد «فِي كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ»[٢٨٣]. «لأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ»[٢٨٤]. «والتلاميذ تلمذوا كل الأمم»[٢٨٥]. واليوم تمَّ المكتوب «وَيَكُونُ الْجَمِيعُ مُتَعَلِّمِينَ مِنَ اللّهِ»[٢٨٦].

وفى ذلك الوقت كانت تلك الشواهد مجرَّد مثال، أما الآن فقد ظهرت الحقيقة نفسها. وهذا يُفسّره الرسول مرَّة أخرى بعد ذلك بشكل أوضح عندما يقول: «عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ قَدْ صَارَ يَسُوعُ ضَامِناً لِعَهْدٍ أَفْضَلَ»[٢٨٧]. ومرَّة أخرى يقول «وَلَكِنَّهُ الآنَ قَدْ حَصَلَ عَلَى خِدْمَةٍ أَفْضَلَ بِمِقْدَارِ مَا هُوَ وَسِيطٌ أَيْضاً لِعَهْدٍ أَعْظَمَ، قَدْ تَثَبَّتَ عَلَى مَوَاعِيدَ أَفْضَلَ»[٢٨٨]، و «إِذِ النَّامُوسُ لَمْ يُكَمِّلْ شَيْئاً. وَلَكِنْ يَصِيرُ إِدْخَالُ رَجَاءٍ أَفْضَلَ بِهِ نَقْتَرِبُ إِلَى اللّهِ »[٢٨٩]. ويقول مرَّة أخرى «فَكَانَ يَلْزَمُ أَنَّ أَمْثِلَةَ الأَشْيَاءِ الَّتِي فِي السَّمَاوَاتِ تُطَهَّرُ بِهَذِهِ، وَأَمَّا السَّمَاوِيَّاتُ عَيْنُهَا فَبِذَبَائِحَ أَفْضَلَ مِنْ هَذِهِ»[٢٩٠]. والآن إذن، فإن كلمة «أفضل» تشير كليَّة إلى الرب، الذى هو أفضل من سائر المخلوقات ومميزًا عنها. ذلك لأن ذبيحته أفضل، والرجاء فيه أفضل. والوعود المعطاة بواسطته ليست لمجرَّد مقارنتها كعظيمة أمام أخرى صغيرة، بل لكونها

[٢٨٢] مز٧٦:١.
[٢٨٣] مز١٩:٤.
[٢٨٤] إش١١:٩.
[٢٨٥] مت٢٨:١٩.
[٢٨٦] يو٦:٤٥، إش٥٤:١٣.
[٢٨٧] عب٧:٢٢.
[٢٨٨] عب٨:٦.
[٢٨٩] عب٧:١٩.
[٢٩٠] عب٩:٢٣.



مختلفة عن الأخرى بحسب طبيعتها. لأن مدَّبر هذه الأمور هو «أفضل» من المخلوقات.

٦٠ـ وأيضًا قوله «قد صار ضامنًا»، أى الضمانة المعطاة منه لأجلنا. لأن اللوغوس قد «صار جسدًا»، فإننا نعتبر «الصيرورة» أنها تشير إلى الجسد، لأن «الجسد مخلوق وهو مصنوع». وهكذا أيضًا كلمة «قد صار» فإننا نفسرها بحسب مدلولها الثانى وذلك بسبب صيرورته إنسانًا، وعلى المعارضين أن يعرفوا أنهم ينزلقون بسبب سوء نيتهم هذه.

وليعرفوا إذن أن بولس الذى عرفه «كإبن» و «حكمة» و «بهاء» و «صورة» الآب، لم يقصد أن جوهر «اللوغوس» قد «صار» بل تعتبر «الصيرورة» هنا لخدمة ذلك العهد الذى كان فيه الموت سائدًا يومًا، وهو قد أبطل هذا الموت.

وبحسب هذا فإن الخدمة من خلاله قد صارت أفضل، إذ أيضًا «لأَنَّهُ مَا كَانَ النَّامُوسُ عَاجِزاً عَنْهُ فِي مَا كَانَ ضَعِيفاً بِالْجَسَدِ، فَاللَّهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ، وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ، دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ»[٢٩١] نازعًا الخطيئة من الجسد، الذى كان أسيرًا لها على الدوام لدرجة أنه لم يستوعب الفكر الإلهى. وإذ جعل الجسد قادرًا على تقبل «اللوغوس» فإنه خلقنا حتى «لا نسلك بعد بحسب الجسد بل بحسب الروح». ونقول ونكرر نحن «لسنا فى الجسد بل فى الروح»[٢٩٢]، وأن ابن الله جاء «إلى العالم لا لكى يدين العالم» بل لكى يفدى الجميع، «ويخلص به العالم»[٢٩٣]. لأنه في السابق كان الناموس يدين العالم كمسئول، أما الآن فإن

---

[٢٩١] رو٨:٣.

[٢٩٢] رو٨:٩.

[٢٩٣] يو٣:١٧.



اللوغوس أخذ الدينونة على نفسه، وبتألمه لأجل الجميع بالجسد. وهب الخلاص للجميع. هذا ما رآه يوحنا فصاح قائلاً «لأَنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا»[٢٩٤]. فالنعمة أفضل من الناموس، والحقيقة أفضل من الظل.

٦١ـ إذن. فإن «الأفضل» ـ كما سبق أن قيل، لم يكن ممكنا أن يصير بواسطة أى شخص آخر بل بواسطة الإبن «الجالس عن يمين أبيه». وما الذى يعنيه هذا سوى أصالة الابن وأن ألوهية الآب هذه إنما هى ألوهية الابن؟

فإن الإبن وهو مالك ملكوت الآب، فإنه يجلس فى ذات العرش مع الآب، ونراه مرتبطًا بألوهية الآب. إذن فاللوغوس هو الله، و«الذى يرى الابن يرى الآب»[٢٩٥]. وهكذا فهو إله واحد.

إذن فبجلوس الابن عن اليمين، لا يعنى بذلك أن الآب على يساره بل يعنى أن ما يكون يمينًا وكريمًا فى الآب، فهذا أيضًا يكون للابن. وهو يقول «كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي»[٢٩٦]. ولذا فإن الابن وهو جالس على اليمين يرى الآب نفسه على اليمين، بالرغم من أنه بصيرورته إنسانًا يقول «جَعَلْتُ الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ. لأَنَّهُ عَنْ يَمِينِي فَلاَ أَتَزَعْزَعُ»[٢٩٧]. وهذا يوضح أيضًا أن الإبن فى الآب، والآب فى الابن[٢٩٨]. ولكون الآب على اليمين يكون الإبن على اليمين. ومثلما يجلس الابن على اليمين يكون الآب فى الإبن والملائكة يخدمون صاعدين ونازلين.

---

[٢٩٤] يو١:١٧.

[٢٩٥] يو١٤:٩.

[٢٩٦] يو١٦:١٥.

[٢٩٧] مز١٦:٨.

[٢٩٨] انظر يو١٤:١٠.

أما عن الابن فيقول «وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ»[299]. وعندما تقوم الملائكة بالخدمة يقولون « أُرسلت إليك»[300]. «الرب قد أوصى ملائكته»[301].

أما الابن فإنه يقول وهو فى الصورة البشرية: «الآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي»[302] وإنه «أتى لكى يعمل»[303] ولكى «يخدم»[304] إلاّ أنه لكونه «اللوغوس» و «الصورة» يقول «أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ»[305]، «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ»[306] «الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ»[307]. لأن الأشياء التى نراها فى تلك الصورة، فهذه هى أعمال الآب. ولهذا فإن ما سبق أن قيل كان ينبغى أن يُخجل الذى يصارعون ضد الحق. ولكن إن كانوا بسبب ما كُتِبَ «صائرًا أفضل» يرفضون أن يفهموا أن «صائرًا» إنما تقال عن الإبن فى حالة صيرورته إنسانًا، أو تقال عنه بسبب الخدمة الأفضل التى صارت بالتجسُّد، كما قلنا، بل يفهمون بهذه العبارة أن اللوغوس مخلوق، فليسمعوا مرَّة أخرى بإيجاز هذه الأقوال لأنهم قد نسوا ما كان قد قيل.

٦٢ـ لأنه لو كان الابن يُحسَب من بين الملائكة، واستُعملت كلمة «صائرًا» عنه كما عن الملائكة، وإن كان لا يختلف عنهم فى شئ بحسب الطبيعة، ففى هذه

---

[299] عب ١: ٦.

[300] لو ١: ١٩.

[301] انظر مز ٩١: ١١.

[302] يو ٥: ٣٦.

[303] يو ٥: ٣٦.

[304] يو ٥: ٣٦.

[305] يو ١٤: ١٠.

[306] يو ١٤: ٩.

[307] يو ١٤: ١٠.



الحالة، أما أن يكون الملائكة جميعًا أبناء، أو يكون هو ملاكًا. وهكذا فإما أن الجميع يجلسون عن يمين الآب، أو أن يقف الابن مع الملائكة «كأحد الأرواح الخادمة المرسلة للخدمة»[٣٠٨] مثله مثل الملائكة.

ولكن من الجهة الأخرى، إن كان بولس قد ميَّز بين الابن والمخلوقات قائلاً «لأَنَّهُ لِمَنْ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ قَالَ قَطُّ: أَنْتَ ابْنِي»[٣٠٩] لأن الابن قد خلق السماء والأرض، أما الملائكة فإنهم قد خُلِقوا بواسطته. هو يجلس مع الآب، أم هم فيقفون ويخدمون، فلِمَنْ لا يكون واضحًا أنه لم يستعمل «صائرًا» عن جوهر اللوغوس، بل عن الخدمة الصائرة منه؟

فكما «اللوغوس» قد «صار جسدًا»، فإنه حينما صار إنسانًا، فإنه فى خدمته «قد صار أفضل بمثل هذا القدر»، من الخدمة الصائرة من الملائكة. وبقدر ما يختلف الابن عن العبيد، والخالق عن المخلوقات، هكذا فليكفوا عن إعتبار كلمة «صائرًا» أنها تقال عن جوهر الابن، لأن الابن ليس من بين المخلوقات، وليعلموا أن «صائرًا» إنما تشير إلى خدمته، والتدبير الذى صار فعلاً.

أما كيف قد صار أفضل فى الخدمة، إذ هو أفضل بالطبيعة عن المخلوقات فهذا يثبت مما سبق أن قلناه، وأعتقد أنه يكفى لتخجيلهم. ولكنهم إن استمروا فى إنكارهم، ففى هذه الحالة يكون من المناسب أن نقاوم جسارتهم المتهوِّرة، ونعارض أولئك بنفس الأقوال التى قيلت عن الآب ذاته. وهذا يؤدى أما إلى تخجيلهم لكى يكفّوا ألسنتهم عن الشر، وأما أن يعرفوا إلى أى مدى سحيق وصل جنونهم.

---

[٣٠٨] عب١: ١٤.

[٣٠٩] عب١: ٥.



إنه مكتوب «لتكن لى إله معين. وبيت أحتمي به لكى تخلصنى»[٣١٠] وأيضًا «وَيَكُونُ الرَّبُّ مَلْجأً لِلْمُنْسَحِقِ»[٣١١]. وغيرها كثير مثلها فى الكتب المقدسة. فإن كانوا يقولون إن هذه الأقوال قد كُتبت عن الابن وهو المحتمل أن يكون هكذا حقًا، فيجب عليهم أن يعرفوا بأن القديسين يطلبون اليه بإلحاح أن يكون معينًا لهم وبيت إحتماء لأنه ليس بمخلوق. ولذلك فإن «صائرًا» و «صنع» ولفظ «قنى» من الواجب فهمها أنها تشير إلى حضوره في الجسد، لأنه بتجسُّده قد «صار معينًا»، «وبيت حماية» عندما «حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ»[٣١٢]، وهو الذى قال «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ»[٣١٣].

٦٣ـ إلاّ أنهم إن قالوا إن هذه الأقوال إنما هى عن الآب، فهل سيحاولون أن يقولوا إن الله مخلوق بسبب ما جاء فى هذه الأقوال من عبارات «لتكن لى» أو «صار الرب»، نعم أنهم سيتجاسرون على ذلك مثلما يفكرون بنفس الأفكار عن اللوغوس. لكن حاشا أن يأتى قط مثل هذا التفكير إلى فكر أى واحد من المؤمنين، فالابن ليس من بين المخلوقات، كما أن المكتوب هنا «لتكن» «وصار» لا يعنى بداية الوجود، بل يعنى المعونة التى تعطى للمحتاجين إليها. لأن الله هو هو دائمًا، أما الناس فقد صاروا بعد ذلك بواسطة اللوغوس، حينما أراد الآب ذاته. فإن الله لا يُرى ولا يمكن الدنو منه بالنسبة إلى المخلوقات وخاصة بالنسبة للناس. إذن فعندما يتوّسل الناس فى ضعفهم، ويطلبون العون وهم مطاردون، وعندما يصلّون وهم مظلومون، فإن غير المنظور ـ لكونه محبًا للبشر ـ يظهر لهم بجوده وإحسانه

---

[٣١٠] مز٣١:٢.

[٣١١] مز٩:٩.

[٣١٢] ابط٢:٢٤.

[٣١٣] مت١١:٢٨.



الذى يقدِّمه بواسطة وفى شخص «كلمته» الذاتى. وحينئذ تكون علامات الظهور بحسب حاجة كل واحد فيظهر قويًا للضعفاء، ويظهر «ملجأ» للمطرودين. «وبيت حماية» للمظلومين ويقول «حِينَئِذٍ تَدْعُو فَيُجِيبُ الرَّبُّ. تَسْتَغِيثُ فَيَقُولُ: «هَئَنَذَا»»[٣١٤].

فإن معونة تأتى لأي واحد بواسطة الإبن، فإن ذلك الواحد يقول إن الله قد «صار» له معيناً، حيث إن المساعدة من الله قد صارت بواسطة اللوغوس، والجميع يعترفون بهذا ويتكلّمون بالحق.

وكثيرًا ما أعطى البشر معونة لبشر مثلهم، فهناك مَنْ يتعاطف مع مَنْ سُلِبت ثروته مثلما فعل إبراهيم مع لوط[٣١٥]. وهناك مَنْ فتح داره للمطرود، كما فعل عوبديا لبنى الأنبياء[٣١٦]. وهناك مَنْ أراح الغريب، مثلما أراح لوط الملائكة[٣١٧]، وهناك مَنْ أعطى للمحتاجين، مثلما أعطى أيوب للذين سألوه[٣١٨]. فلو قال واحد من هؤلاء الذين نالوا المعونة: « مثل هذا المعين قد صار لى»، ولو قال آخر «صار لى ملجأ». ويقول آخر «قد صار واهب»، فإنهم عندما يقولون لا يقصدون بداية وجود المحسنين إليهم ولا جوهرهم، بل يقصدون الإحسان الصائر إليهم من أولئك المحسنين. هكذا عندما يقول القديسون، عن الله إنه «قد صار» «ولتكن لى» فإنهم لا يعنون أى بدء للوجود، لأن الله ليس له بداية، وليس مخلوقًا، بل يقصدون الخلاص الذى صنعه هو للبشر.

---

[٣١٤] إش٥٨: ٩.

[٣١٥] انظر تك١٤: ١٣ــ١٦.

[٣١٦] ١ملوك١٨: ٤.

[٣١٧] انظر تك١٩: ٣.

[٣١٨] انظر أيوب٢٩: ١٥ــ١٦.



٦٤. فإن كانت الأمور تفهم هكذا، فإنهم سيفهمون هكذا عن الابن أيضًا، حينما يقال «قد صار» و «لتكن» حتى أنه حينما نسمع القول «صائرًا أفضل من الملائكة»[٣١٩]، «وقد صار»، فحاشا أن نفكر فى أيَّة بداية لوجود اللوغوس، ولا أن نتخيَّل أبدًا من مثل هذه الأفكار أنه مخلوق. بل يجب أن نفهم ما يقوله بولس أنه يشير إلى الخدمة والتدبير الخاص بصيرورته إنسانًا. لأنه عندما «الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا»[٣٢٠]، «جاء لكى يخدم»[٣٢١]، ولكى يهب للجميع خلاصًا، وعندئذ صار لنا خلاصًا، وصار لنا حياة، وصار فداء. عندئذ فإن تدبيره من أجلنا «قد صار أفضل من الملائكة»، وصار طريقًا، وصار قيامة.

وكما أن القول «لتكن لى إله معين»[٣٢٢] لا يشير إلى صيرورة جوهر الله ذاته، بل يشير إلى محبته للبشر، كما قيل، هكذا الآن: «صائرًا أفضل من الملائكة» و «صار» و «عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ قَدْ صَارَ يَسُوعُ ضَامِناً لِعَهْدٍ أَفْضَلَ»[٣٢٣]، لا تعنى أن جوهر اللوغوس مخلوق (حاشا)، بل يقصد الإحسان الصائر لنا بتأنسه، رغم جحود الهراطقة ومشاغبتهم بسبب عدم تقواهم.

---

[٣١٩] عب١:٤.

[٣٢٠] يو١:١٤.

[٣٢١] مت٢٠:٢٨.

[٣٢٢] مز٣١:٢.

[٣٢٣] عب٧:٢٢.

المقـــالة الثانية
(الفصول ١٤-٢٢)



الفصل الرابع عشر

شرح نصوص : رابعًا:

«كونه أمينًا للذى أقامه» عب٣:٢

١ ـ كنت أحسب أن أولئك المنافقين، مجانين الآريوسية، سيقنعون بالأدلة السابقة، والتى سبق أن سُقتها ضدهم[٣٢٤]. وأنهم سيكتفون بالبراهين المتعلّقة بالحقيقة، وأنهم عندئذٍ سيكفّون عن الحديث ويندمون عن كل فكر ردئ أو كلام شرير تحدَّثوا به عن المخلّص. إلاّ أننى لا أدرى كيف أنهم لم يخجلوا، بل هم يتمرغون في الوحل كالخنازير ويلعقون قيأهم كالكلاب، بل وأكثر من هذا فقد اخترعوا لأنفسهم بدعًا للكفر وعدم التقوى.

إذن فلأنهم لم يفهموا حتى ما كُتب في الأمثال: «اَلرَّبُّ قَنَانِي أَوَّلَ طَرِيقِهِ، مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِ مُنْذُ الْقِدَمِ »[٣٢٥]، ولا حتى ما قيل بواسطة الرسول: «كَوْنِهِ أَمِيناً لِلَّذِي أَقَامَهُ»[٣٢٦]، لذلك فهم يتجادلون بلا داعٍ قائلين إن ابن الله هو «مصنوع»، و«مخلوق». وكان يكفيهم استيعاب الأمور وإدراكها مما سبق أن قلناه، ذلك إن لم يكونوا قد فقدوا عقلهم تمامًا. لأن الحق يشهد أن الابن لم يوجد من عدم، وهو لا ينتمى مُطلقًا إلى الأشياء المخلوقة لأنه حيث إن الابن هو إله، فلا يمكن أن يكون مصنوعًا، وليس من الصواب أن يقول أحد عنه إنه مخلوق. فالمخلوقات والمصنوعات

---

[٣٢٤] كان أسلوب المجادلات والرد بالأدلة والبراهين هو الأسلوب المتبع بين الفلاسفة. أنظر كتاب «تَجَسُّد الكَلِمَة» للقديس أثناسيوس الرسولى، ترجمة د. جوزيف موريس فلتس، المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، الطبعة الثانية، أغسطس ٢٠٠٣، فصل٢٥، وفصل ٥٠.

[٣٢٥] أم٨:٢٢.

[٣٢٦] عب٣:٢.



وحدها هي التى من المناسب أن يُقال عنها أنها من «العدم» وأنها لم تكن موجودة قبل أن تنشأ.

لكن يبدو أنهم يخشون أن يتخَّلوا عن أساطيرهم المبتدعة، ولذلك فهم يتعللون على الدوام بالأقوال التى سبق ذكرها من الكتب الإلهية. ورغم أنها صحيحة، إلاّ أنهم يقومون بتحريف معناها. لذلك سوف نشرح مرَّة أخرى معنى الأقوال التى أوردناها لكى نذكّر بها المؤمنين ونوضح لهم بواسطة كل قول من هذه الأقوال أن هؤلاء لا يعرفون المسيحية على الإطلاق. لأنهم لو كانوا يعرفونها لما أغلقوا على أنفسهم في عدم الإيمان[327] كاليهود المعاصرين[328]. بل كانوا سيسألون فيخبرونهم أنه «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ»[329]. وهكذا بمشيئة الآب صار الكلمة نفسه إنسانًا، وهذا ما قاله عنه يوحنا بحق «والْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً»[330]. وما قاله بطرس: «جعله ربًا ومسيحًا»[331]. والرب نفسه يتكلّم على لسان سليمان ويقول: «اَلرَّبُّ قَنَانِي أَوَّلَ طَرِيقِهِ، مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِ مُنْذُ الْقِدَمِ»[332]. وبولس يقول: «صَائِراً أَعْظَمَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ»[333]، وأيضًا: «لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ»[334]، ومرَّة أخرى: «مِنْ ثَمَّ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْقِدِّيسُونَ، شُرَكَاءُ

---

[327] انظر رو ١١: ٣٢.

[328] يستعمل القديس أثناسيوس عبارة "اليهود المعاصرين" ليعبّر بها عن الآريوسيين، انظر المقالة الأولى، المرجع السابق، فقرة ٨ ص٣٨، وفقرة ١٠ ص ٤٢.

[329] يو ١: ١.

[330] يو ١: ١٤.

[331] أع ٢: ٣٦.

[332] أم ٨: ٢٢.

[333] عب ١: ٤.

[334] في ٢: ٧.

الدَّعْوَةِ السَّمَاوِيَّةِ، لاَحِظُوا رَسُولَ اعْتِرَافِنَا وَرَئِيسَ كَهَنَتِهِ الْمَسِيحَ يَسُوعَ، حَالَ كَوْنِهِ أَمِيناً لِلَّذِي أَقَامَهُ»[٣٣٥]، لأن كل هذه الأقوال لها قوّتها الذاتية ولها مضمونها الذي يقود إلى التقوى ويُظهر ألوهية الكلمة، وأن ما قيل عنه بحسب بشريّته قد قيل بسبب أن الكلمة صار أيضًا ابن الإنسان.

ولكن رغم أن هذه الأمور كافية من تلقاء ذاتها لدحض أى اعتراض، إلاّ أنهم نظرًا لعدم فهمهم لقول الرسول، يعتقدون أن كلمة الله هو واحد من المخلوقات وذلك بسبب ما هو مكتوب «كونه أمينًا للذى أقامه». لهذا رأيت أنه من الضرورى أن أواصل هذا الكلام كي أخجلهم بمثل كلامى السابق مستمدًا مادة النقاش من أقوالهم نفسها.

٢ ـ فلو لم يكن هو الابن، لأمكن أن يُسمّى «مخلوقًا» وكل ما يُنسب إلى المخلوقات سيُنسب إليه، ولن يُلقب وحده «ابنًا» ولا كلمة ولا «حكمة» ولن يُلقب الله أيضًا «بالآب»، بل فقط «بالخالق» و «البارى» للأشياء «الصائرة» بواسطته. وستكون الخليقة هي صورة وملامح إرادته الخلاّقة. ووفقًا لتعاليمهم فهو ذاته (الآب) لن تكون طبيعته مثمرة، وبذلك لن يكون لجوهره الذاتيّ أى «كلمة» ولا «حكمة» ولا «صورة» إطلاقًا. فلو لم يكن هو «ابنًا» فلن يكون «صورة». ولكن لو لم يكن هناك وجود للابن فكيف يمكن أن تقولوا إذن إن الله خالق؟ فالمخلوقات إنما قد خُلقت قطعًا بواسطة الكلمة و «الحكمة». وبغير الكلمة لَما كان ممكنًا أن يوجد أى شئ. والآب كما يقولون عنده الكلمة الذي فيه وبواسطته يخلق كل شئ وإلاّ لكان الجوهر ليس خصبًا بل عقيمًا ومجدبًا حسب رأيهم ـ كالنور الذي لا يضيء وكالنبع الجاف، فكيف لا يخجلون عندما يقولون إن الله لديه طاقة

---

[٣٣٥] عب٣:١، ٢.



خلاّقة؟ وكيف لا يحمّرون خجلاً وهم ينكرون الذي هو بحسب الطبيعة ويريدون أن يجعلوا الذي بحسب المشيئة متقدمًا عليه؟.

فإن كانت الأشياء التى معه خارج جوهر اللّه والتى لم تكن موجودة من قبل ـ قد خلقها عندما شاء أن يجلبها إلى الوجود، وأصبح هو خالقها وصانعها، لكان هو ـ قبل ذلك بكثير ـ أبًا لمولود من جوهره الذاتى. لأنهم إن كانوا ينسبون لله أنه بالمشيئة يُوجِد الأشياء غير الموجودة، فلِما لا يقرون بأن في الله شئ أعلى من المشيئة، ألّا وهو الطبيعة الخصبة، وأن يكون أبًا لكلمته الذاتى؟ وعلى ذلك فإن كان الأول الذي هو بحسب الطبيعة لم يكن موجودًا بحسب جنون أولئك، فكيف يمكن أن يوجد الثانى، الذي هو بحسب المشيئة؟ لأن الكلمة هو الأول، والخليقة هي الثانية. فالكلمة كائن موجود مهما تجاسر الكافرون وتمادوا في أفكارهم، وذلك لأن الخليقة قد صارت إلى الوجود بواسطته. فمن الواضح أنه إن كان الله هو الصانع، فعنده أيضًا كلمته الخلاّق الذي هو ليس من خارجه بل من ذاته هو نفسه، وهذا ما ينبغى أن نكرره كثيرًا، فإن كان الله لديه المشيئة، وكانت المشيئة مبدعة وكافية لإيجاد الأشياء المخلوقة، فإن كلمته أيضًا يكون مبدعًا وخالقًا. ومما لا شك فيه أن الكلمة ذاته هو مشيئة الآب الحيّة، وقوّته الجوهرية، وهو الكلمة الحقيقي الذي به تتكوّن جميع الأشياء وهو يضبطها جيدًا. ولن يتردد أحد في القول بإن ذلك الذي ينظم، هو سابق على التنظيم نفسه، وعلى الأشياء المنظَمَة. وكما سبق أن قلنا، يكون عمل الله كخالق هو تالٍ لكونه أب. لأن الابن هو خاصته وهو حقًا من ذلك الجوهر الأزليّ المُطوّب. أما الأشياء المنظَمَة فقد صارت إلى الوجود من مشيئته الذاتية، من خارجه، وقد خُلقت بواسطة ابنه الذى من ذات جوهره.

٣ ـ إذن فبما أن الحديث يوضح السخف الشديد للقائلين بإن الرب ليس هو ابن الله بل هو مخلوق، لذلك فمن الضرورى أن نعترف نحن بأن الرب هو الابن. وإن



كان هو ابن ـ كما هو هكذا بالحقيقة ـ فالابن يجب أن يُعترف به أنه ليس من خارج أبيه بل هو الذي وَلَده. لذا يلزم ـ كما سبق أن قلنا ـ أن يكفّوا عن تحريف الأقوال التى يستعملها القديسون بخصوص الكلمة نفسه. لأنهم يستخدمون عبارة «الذي أقامه» بدلاً من «الذى وَلَده»، لأنه لا علاقة لهذه الأمور بالألفاظ طالما أن الابن قد اُعترف به أنه من طبيعة أبيه. فليست الألفاظ هي التى تقلّل من قَدْر طبيعة الأشياء، بل بالأحرى فإن طبيعة الأشياء هي التى تُضفى المعنى على الألفاظ وغيرها. لأن الألفاظ ليست سابقة على جواهر الأشياء بل أن الجواهر هي الأولى والألفاظ تأتى تالية لها. ولذلك فعندما يكون الجوهر «مصنوعًا» أو «مخلوقًا» عندئذٍ فإن الألفاظ: «صنع» و«صار» و «خلق» تُقال عنه بصفة خاصة ويقصد به أنه «مصنوع». ولكن حينما يكون الجوهر مولودًا وابنًا، عندئذٍ فإن ألفاظ «صنع» و «صار» و «الخلق» لا تُستخدم بحسب مفهومها الحرفى، ولا تعنى أنه «مصنوع»، بل تكون كلمة «صنع» قد استُخدمت بدلاً من «وُلِدَ» بدون تحديد. وفي أحيان كثيرة يُلَقِب الآباء أبناءهم الذين ينجبونهم عبيدًا لهم، دون أن ينكروا أصالة طبيعتهم. وأحيانًا يجاملون عبيدهم ويسمّونهم أبناء دون أن يفقدوا حق امتلاكهم منذ البداية. إلاّ أنهم في الحالة الأولى يسمّون أبناءهم عبيدًا من خلال سلطانهم كآباء، وفي الحالة الثانية يسمّون عبيدهم أبناء بدوافع إنسانية، فسارة كانت تدعو إبراهيم سيدًا[٣٣٦] رغم أنها لم تكن عبدة له، بل كانت زوجة. وكان الرسول يصف أونسيموس العبد كأخ لفليمون الذي كان «سيدًا»[٣٣٧]، أما بتشبع فرغم كونها أمًا فقد دعت ابنها عبدًا قائلة «عبدك سليمان»[٣٣٨]. وكذلك ناثان النبي أيضًا بعد أن وصل قال

---

[٣٣٦] ١بط٣:٦.

[٣٣٧] فليمون١٦.

[٣٣٨] ١مل١:١٦و١٩.



لداود نفس كلامها بأن «سليمان عبدك»[339]. فهم لم يبالوا أن يقولوا عن الابن إنه «عبد»، لأن داود الذي سمع هذا القول كان يعرف طبيعة سليمان. وهم أيضًا بقولهم هذا لم يكونوا يجهلون أصالة سليمان. وكانوا يطالبون أن يكون وارثًا لأبيه، رغم أنهم كانوا يلقبونه عبدًا، إذ كان هو ابنًا لداود بالطبيعة.

٤ ـ لذلك حينما نقرأ هذه الأقوال ونتمعَّن فيها جيدًا، وعندما نسمع أن سليمان عبد، فلا يجب أن نظن أنه كان عبدًا، بل هو ابن طبيعى وأصيل. وهكذا أيضًا في حالة المخلّص المُعترف به حقًا أنه ابن، لكونه هو **الكلمة** بالطبيعة فعندما يقول القديسون عنه: «كَوْنِهِ أَمِيناً لِلَّذِي أَقَامَهُ»[340] أو عندما يقول هو نفسه عن ذاته: «اَلرَّبُّ قَنَانِي »[341] وأيضًا: «أَنَا عَبْدُكَ ابْنُ أَمَتِكَ»[342] ومثل هذه الأقوال كثير، فإن هذا لا يجب أن يجعل البعض ينكر أصالته من الآب، بل كما حدث في حالة داود وسليمان، هكذا فلنتأمل باستقامة فيما يخص الآب والابن. فإن كانوا عندما يسمعون أن سليمان عبد يعترفون به ابنًا، أليس من العدل أن يلحقهم الدمار مرَّات كثيرة لأنهم لا يحفظون للرب نفس اللقب؟! ولكنهم حينما يسمعون الكلمات «ابن»، و**كلمة**، و «حكمة» يسارعون إلى تحريف وإنكار البنوَّة الأصلية التى بالطبيعة أعنى ولادة الابن من الآب. وعندما يسمعون كلمات أو أقوالاً تخص ما هو مخلوق ففى الحال يتعجَّلون الظن أن «الابن» مخلوق بالطبيعة، وينكرون **الكلمة**، رغم أنه في استطاعتهم أن ينسبوا مثل تلك الأقوال كلها إلى بشريَّته ـ حيث إن **الكلمة** صار إنسانًا ـ فكيف لا يكون هؤلاء مكروهين لدى الرب طالما أنهم هم

---

[339] ١مل١:٢٦.

[340] عب٣:٢.

[341] انظر أم٨:٢٢.

[342] مز١١٦:١٦.



أنفسهم يقيسون الأمور بمعيارين[٣٤٣]: بأحدهما يفسَّرون الأقوال الأولى وبالآخر يجدّفون على الربّ؟ بالواحد يفهمون كلمة «عبد» حسب هواهم، وبالآخر يركزون على كلمة «الصانع»[٣٤٤] كسند قوى لهرطقتهم. وهذا السند يكون كقصبة محطمَّة بالنسبة لهم. وذلك لأنهم سيدينون أنفسهم لو عرفوا أسلوب الكتاب. فقد دُعيَّ سليمان «عبدًا» رغم كونه «ابنًا». كذلك أيضًا ـ ونكرر القول ـ قد يقول الآباء عن أبنائهم الذين أنجبوهم إنهم مخلوقون ومصنوعون وصائرون. فقد قال حزقيا وهو يصلّى: « لأنه من هذا اليوم سأصنع أبناء يعلنون: يا إله خلاصى»[٣٤٥]. فهو يقول «سأصنع» في حين أن النبي في نفس السفر وفي سفر الملوك الرابع[٣٤٦] يقول هكذا: «بَنِيكَ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ مِنْكَ»[٣٤٧]، فهو يستعمل كلمة «سأصنع» بدلاً من كلمة «سألد»، ويقول عن المولودين منه إنهم «مصنوعون»، ولكن لا يشكِ أحد أن هذا اللفظ إنما يخص الميلاد بالطبيعة.

وعندما وَلَدت حواء قايين قالت: «اقْتَنَيْتُ رَجُلاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ»[٣٤٨]. إذن فقد قالت «اقتنيت» بدلاً من «وَلدتُ»، لأنها بعد أن رأت الطفل قالت إنها «اقتنت». ولا يظن أحد أنها بسبب قولها «اقتنيت» أنها اشترت قايين من الخارج، أو أنها لم تلده من بطنها. ويعقوب البطريرك قال ليوسف «وَالآنَ ابْنَاكَ الْمَوْلُودَانِ لَكَ فِي أَرْضِ مِصْرَ

---

[٣٤٣] انظر أم٢٠: ٢٣.

[٣٤٤] يقول الآريوسيون عن المسيح إنه "مصنوع".

[٣٤٥] إش٣٨: ١٩و٢٠ (سبعينية).

[٣٤٦] وهو سفر الملوك الثاني في ترجمة دار الكتاب المقدس.

[٣٤٧] ٢مل٢٠: ١٨.

[٣٤٨] تك٤: ١.



قَبْلَمَا أَتَيْتُ إِلَيْكَ إِلَى مِصْرَ هُمَا لِي. أَفْرَايِمُ وَمَنَسَّى»[٣٤٩]. ويقول الكتاب عن أيوب: «وَوُلِدَ لَهُ سَبْعَةُ بَنِينَ وَثَلاَثُ بَنَاتٍ»[٣٥٠]، مثلما قال موسى أيضًا في الشريعة: «إن صار لأحد أبناء»، إن « صنع ولدًا»[٣٥١].

٥ ـ هوذا مرَّة أخرى يُقال عن المولودين أنهم «صائرون» و «مصنوعون»، إذ طالما أننا نعترف أنهم أبناء فالأمر لا يختلف إن قال أحد إنهم قد صاروا سواء قيل «اقتنيت» أم «صنعت» لأن الطبيعة والحق يجعلان المعنى قريبًا منهما. ولهذا فبالنسبة لهؤلاء الذين الذين يتساءلون إن كان الرب «مخلوقاً» أو «مصنوعًا» فينبغى عليهم أولاً أن يبحثوا إن كان هو «ابنًا»، و «كلمة»، و «حكمة». لأنه عندما تثبت هذه الأمور، فإن الظن بخصوص «المصنوع» و «المخلوق» سيتوقف ويُطرح خارجًا في الحال. لأن «المصنوع» لا يمكن أن يكون «ابنًا» و «كلمة»، ولا الابن يمكن أن يكون «مصنوعًا»، فإن كانت الأمور تجرى هكذا فيكون البرهان واضحًا للجميع أن العبارة التى تقول «للذى أقامه»، و «الذى صنعه» لا تخدم هرطقتهم بل بالحرى تدينهم. لأنه قد اتضح أن تعبير «صنع» قد استُخدم في الكتب الإلهية عن الأولاد الأصليين بالطبيعة، وهو كلمته وحكمته، فإنه حتى إذا قيل بخصوصه «صنع» أو «صار» فلا يُقال عنه كما لو كان كائنًا مصنوعًا. إن القديسين استخدموا التعبير بلا تمييز ـ مثلما حدث بالنسبة لسليمان وابنا حزقيا ـ لأنه مع أن هؤلاء الأبناء وُلِدوا من آبائهم أنفسهم، فقد كُتب عنهم: قد «صنعت»، و «خلقت» و «صار». إذن فإن أعداء الله الذين يتعلّلون كثيرًا بمثل هذه العبارات هم ملزمون الآن بعد هذا الذي قيل أن يتخّلوا عمَّا يتشدقون به من أفكار بتجديفهم، وبهذا

---

[٣٤٩] تك٤٨:٥.

[٣٥٠] أيوب١:٢.

[٣٥١] انظر خر٢١:٤ (س).



يعتقدون - بخصوص الرب - إنه ابن حقيقي وكلمة الآب وحكمته، وإنه ليس مصنوعًا أو مخلوقًا لأنه إن كان الابن مصنوعًا، فأيَّة علّة، وأيَّة حكمة إذن هي التى أوجدته؟ لأن كل المخلوقات قد صارت بواسطة الكلمة والحكمة، كما قد كُتب «كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ»[352] وأيضًا «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»[353]. فإن كان هو الكلمة والحكمة الذي به قد صار كل شئ، فينتج من ذلك أنه لا ينتمى إلى الأشياء المصنوعة ولا إلى الأشياء المخلوقة إطلاقًا، ولكنه هو مولود الآب.

٦ - تأملوا إذن إلى أى انحطاط وصل قولهم عن كلمة الله إنه مصنوع. فسليمان يقول في موضع ما في سفر الجامعة: «لأَنَّ اللّهَ يُحْضِرُ كُلَّ عَمَلٍ إِلَى الدَّيْنُونَةِ، عَلَى كُلِّ خَفِيٍّ إِنْ كَانَ خَيْراً أَوْ شَرّا»[354]. وهكذا فإن كان الكلمة مصنوعًا أو فإنه وفقًا لكلامهم، سيُقدَّم هو أيضًا كغيره للدينونة. فأين تكون الدينونة إذن، إن كان الدّيان نفسه يُدان؟ ومَنْ هو الذي سيُعطى البركات للأبرار والعقوبات لغير المستحقين، عندما يقف الرب نفسه - حسبما تقولون - ليُدان مع الجميع. فبأيَّة شريعة سيُدان واضع الشريعة نفسه؟ فإن من خصائص المخلوقات أنها تُدان أى تُثاب أو تُعاقب بواسطة الابن.

إذن، خافوا الدّيان، وافهموا ما سبق أن قاله سليمان. لأنه إن كان الله سيُحضر كل عمل إلى الدينونة، إلاّ أن الابن ليس من بين المُدانين، بل هو بالأحرى الدّيان لكل المخلوقات. أفلا يكون واضحًا أكثر من الشمس أن الابن ليس مخلوقًا بل هو كلمة الآب، والذي به تصير المخلوقات وبه تُدان؟ وإن كانت عبارة: «كونه

---

[352] مز١٠٤: ٢٤.

[353] يو١: ٣.

[354] جا١٢: ١٤.



أمينًا»[٣٥٥] تثيرهم من جديد ظانين أن لفظ «الابن» يُقال عنه كما يُقال عن جميع الناس، وأنه، لأجل أمانته، فهو ينتظر أجر أمانته. إذن حان الوقت ليتهموا موسى من جديد، لأنه قال «الله أمين وحق»[٣٥٦]. ويتهموا بولس الذي كتب «وَلَكِنَّ اللهَ أَمِينٌ الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ»[٣٥٧]. فالقديسون عندما يقولون هذا فإنهم لا ينسبون لله خصائص بشرِّية، بل يعترفون أن كلمة «أمين» في الكتاب المقدس لها معنيان: المعنى الأول أنه «مؤمن»، والآخر أنه «أمين». فالمعنى الأول يناسب البشر، والثاني يناسب الله. إذن فإبراهيم «مؤمن» لأنه قد آمن بالله، أما الله فهو أمين مثلما يرنم داود: «أمين هو الرب في كل أقواله»[٣٥٨]. وهو أمين لأنه من المستحيل أن يكون الرب كاذبًا. وعندما يقول بولس: «إِنْ كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَوْ مُؤْمِنَةٍ أَرَامِلُ »[٣٥٩] فالمرأة هنا تُدعى مؤمنة بسبب استقامتها. وأيضًا «صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ»[٣٦٠] لأن ما قاله يستوجب الإيمان، لأنه حق، ولا يمكن أن يكون غير ذلك.

إذن فعبارة «كونه أمينًا للذي أقامه»، لا تدل على أنه يشابه الآخرين ولا تعنى أنه لكونه أمينًا قد صار مقبولاً، بل إذ هو ابن الله الحق فهو أيضًا أمين، ويجب أن يوثق به فيما يقول وفيما يعمل. وهو نفسه ظَلَ ثابتًا دون أن يتغيَّر في تدبير تجسُّده وحضوره بالجسد.

---

[٣٥٥] عب٣:٢.

[٣٥٦] انظر تث٣٢:٤.

[٣٥٧] ١كو١٠:١٣.

[٣٥٨] مز١٤٤:٣ (سبعينية).

[٣٥٩] ١تي٥:١٦.

[٣٦٠] تي٣:٨.



٧ ـ هكذا إذن فإن مَنْ يواجه وقاحتهم يستطيع حتى من لفظ «صنع» أو «أقام»[٣٦١] أن يدحض هؤلاء المضَّللين الذين يحسبون أن كلمة الله مصنوع أو مخلوق. وحيث إن القصد من هذا اللفظ هو قصد مستقيم ـ إذ أنه يوضح الوقت والمناسبة التى قيل فيها ـ فإنه بالضرورة يتضح من هذا اللفظ عدم تبصُّر الهراطقة لا سيما إذا أخذنا في الاعتبار وقت كتابته والحاجة إليه، كما سبق أن قلنا، فإن الرسول لم يقل هذه الأقوال لكي يسرد بالتفصيل ماذا كان قبل الخليقة، ولكنه يتحدَّث عن الوقت الذي فيه: «صار الكلمة جسدًا»، لأنه كتب هكذا: «لذا أيها الاخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية، تأملوا يسوع رسول ورئيس كهنة اعترافنا كونه أمينًا للذى أقامه (صنعه)»[٣٦٢]. فمتى صار رسولاً إذن؟ ومتى صار رئيس كهنة اعترافنا؟ وبعدما بذل نفسه لأجلنا، متى أقام الجسد من بين الأموات؟ ومتى جاء بهؤلاء الذين يتقدَّمون إليه بالإيمان ويقدَّمهم إلى الآب بعد أن يحرَّرهم مكفِّرًا عنهم جميعًا أمام الله؟[٣٦٣]. فالرسول حينما قال «كونه أمينًا للذى أقامه» لم يكن يشير إلى جوهر الكلمة ولا إلى ميلاده الطبيعى من الآب، حاشا، لأن الكلمة هو الذي يصنع وليس المصنوع. ولكنه قال هذا لأنه أراد أن يُظهر نزوله إلى البشر، ووظيفة رئاسة الكهنوت التى «صارت». وهو ما يمكن لأى شخص أن يراه بوضوح من التاريخ الذي كُتب عن الشريعة وعن هارون. فإن هارون لم يُولد رئيس كهنة بل وُلد إنسانًا ثم بعد فترة ـ عندما أراد الله ـ صار رئيس كهنة. وهو لم يصر هكذا ببساطة، ولم يُعرف من ملابسه العادية ولكن عندما ارتدى القميص، والصدرة، وجبة الرداء وهي الثياب التى صنعتها النساء بحسب أمر الله. وبهذه الثياب كان

---

[٣٦١] انظر عب٣:٢.

[٣٦٢] عب٣:١، ٢.

[٣٦٣] انظر عب٢:١٧.



يدخل إلى الأقداس ويقدِّم الذبيحة عن الشعب وبها أيضًا كان كوسيط لمعاينة الله ولتقديم ذبائح عن الناس[٣٦٤]. وهكذا الرب أيضًا، فإنه «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللّه»[٣٦٥]. وعندما أراد الآب أن تُقدَّم الفديَّة لأجل الجميع، وأن تُعطَى النعمة للكل، عندئذٍ فمثلما ارتدى هارون الجبة ـ أخذ الكلمة جسدًا من الأرض[٣٦٦]، متخذًا له من مريم أمًا بالجسد كما من أرض بكر حتى إذ يكون له ـ كرئيس كهنة ـ شئ يقدِّمه، فهو يُقدِّم ذاته للآب ويطهِّرنا جميعًا من الخطايا بدم نفسه ويقيمنا من بين الأموات.

٨ ـ وهذا الأمر كانت له ظلال في القديم، فإن ما حققه المخلّص في مجيئه، هو الأمر الذى كان هارون رمزًا له بحسب الناموس. فلقد كان هارون هو هو نفسه، ولم يتغيَّر بارتدائه ثياب الكهنة، بل ظَلَ كما هو، إنما قد ارتدى الثياب فقط. فإن قال شخص ما عندما يراه وهو يقدِّم القرابين «ها هوذا هارون قد صار اليوم رئيس كهنة» فلا يعنى بذلك أنه قد صار عندئذٍ إنسانًا، إذ أنه كان إنسانًا حتى قبل أن يصير رئيس كهنة، لكنه صار رئيس كهنة بسبب وظيفته متسربلاً بالثياب المصنوعة والمُجهزَّة لوظيفة رئاسة الكهنوت. وبنفس الطريقة من الممكن أن يفكر أحد جيدًا بخصوص الرب أنه لم يصر شخصًا آخر بعد أن اتخذ الجسد، بل ظَلَ هو نفسه كما كان قبل ان يتسرَّبل بالجسد. وإن عبارة «قد صار» و «قد صُنع»، لا ينبغى أن تُفهم كما لو أن الكلمة باعتباره الكلمة قد صُنع بل لكونه الكلمة فهو خالق، وفيما بعد صار رئيس كهنة مرتديًا جسدًا مصنوعًا ومخلوقًا.

---

[٣٦٤] انظر خر٢٨و٢٩.

[٣٦٥] يو ١:١.

[٣٦٦] كثيرًا ما يكرر القديس أثناسيوس هذه العبارة في كتاباته. انظر على سبيل المثال كتاب «تَجَسُّد الكَلِمَة»، المرجع السابق، فصل ٢:٨.



وهو الذى يستطيع أيضًا أن يقدِّم تَقدُمَه لأجلنا، لذلك يُطلق عليه أيضًا «إنه قد صُنِعَ». فإن لم يكن السيد قد صار إنسانًا، إذن فليحارب الآريوسيون، أما إن كان «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً»[367] فماذا يكون من الواجب أن يُقال عنه وقد صار إنسانًا، إلاّ «كَوْنِهِ أَمِيناً لِلَّذِي أَقَامَهُ»[368]؟ لأنه كما هو لائق بالنسبة للكلمة أن يُقال عنه «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ»[369]، فإن ما يليق بالإنسان هو أن يُولد ويُخلق. فمن إذن يرى الرب وهو يمشى كإنسان ـ وقد ظهر من أعماله أنه إله[370] ـ ولا يتساءل قائلاً: «من الذى صنع هذا إنسانًا؟» ومَنْ أيضًا لا يجيب على هذا السؤال بأن: «الآب هو الذي صنعه إنسانًا وأرسله إلينا كرئيس كهنة»؟ وما كتبه الرسول نفسه قائلاً: «كونه أمينًا للذى أقامه (صنعه)» يوضح هذا المعنى ويحدد هذا الوقت، ويشير إلى هذا الشخص. وهذا يتضح أكثر عندما نقرأ ما كتبه الرسول قبل هذه الكلمات. إذ أن تسلسل الفكر الواحد وما جاء في هذا الفصل من الرسالة يشير إلى نفس الموضوع. فهو يكتب في رسالته إلى العبرانيين ما يلى: « فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو نفسه أيضًا كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس، ويعتق أولئك الذين خوفًا من الموت كانوا جميعًا كل أيام حياتهم تحت العبودية. لأنه حقًا ليس يمسك الملائكة، بل يمسك نسل إبراهيم. ومن ثم كان ينبغى أن يشبه اخوته في كل شئ، لكي يكون رحيمًا ورئيس كهنة أمينًا فيما لله. حتى يكفر عن خطايا الشعب. لأنه فيما هو قد تألم مجربًا يقدر أن

---

[367] يو١:١٤.

[368] عب٣:٢.

[369] يو١:١.

[370] يشرح القديس أثناسيوس هذه الحقيقة فى الفصول ١٨ ــ ١٩ من كتابه «تَجَسُّد الكَلِمَة» المرجع السابق ص٥١ ــ ٥٥.



يعين المجربين»[٣٧١]. وأيضًا «مِنْ ثَمَّ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْقِدِّيسُونَ، شُرَكَاءُ الدَّعْوَةِ السَّمَاوِيَّةِ، لاَحِظُوا رَسُولَ اعْتِرَافِنَا وَرَئِيسَ كَهَنَتِهِ الْمَسِيحَ يَسُوعَ، حَالَ كَوْنِهِ أَمِيناً لِلَّذِي أَقَامَهُ، كَمَا كَانَ مُوسَى أَيْضاً فِي كُلِّ بَيْتِهِ»[٣٧٢].

٩ ـ فمن الذي يقرأ كل هذه الفقرة ولا يدين الآريوسيين، ولا يُبدى إعجابه بالرسول المُطوّب لأنه قد تكلّم بالصواب. لأنه متى «صُنِعَ»، ومتى «صار» المسيح رسولاً إلاّ عندما اشترك هو نفسه « في اللحم والدم» بطريقة مماثلة لنا؟ ومتى صار « رئيس كهنة أو رحيمًا وأمينًا»، إلاّ عندما صار «مشابهًا لإخوته في كل شئ»؟ ولقد حدثت المشابهة عندما صار إنسانًا لابسًا جسدنا نحن. ولذلك فعندما يقول بولس « كونه أمينًا للذى أقامه» فإنه يتحدَّث عن تدبير تجسُّد الكلمة وليس بخصوص جوهر الكلمة. إذن فلا يجب أن تنخدعوا وتقولوا إن كلمة الله مصنوع، لأنه بحسب الطبيعة هو ابن وحيد الجنس، ثم صار له «إخْوَه» عندما ارتدى جسدًا شبيهًا بنا، والذي به بذل ذاته بذاته وحده وسُمّى «رئيس كهنة»، ودعُيَّ رحيمًا وأمينًا. فمن ناحية هو «رحيم» لأنه بذل نفسه عنّا[٣٧٣]، ومن ناحية أخرى هو «أمين» ليس لأنه مشارك لنا في الإيمان، وليس لأنه يؤمن بشخص ما مثلنا، بل لأنه هو الذي يجب أن نؤمن به في كل ما يقوله وما يفعله. ولأنه قَدَّم ذبيحة أمينة أبديَّة وليست زائلة. لأن الذبائح المقدَّمة بحسب الشريعة ليست أمينة، إذ أنها تُقدم كل يوم. وهي أيضًا تحتاج إلى تطهير، أما ذبيحة المخلّص فقد كانت مرَّة واحدة وأَكَملتْ (خلاص) الكلّ وظلّت أمينة لأنها باقية على الدوام.

---

[٣٧١] عب٢: ١٤ـ١٨.

[٣٧٢] عب٣: ١، ٢.

[٣٧٣] يذكر القديس أثناسيوس أن السيد المسيح قد قدَّم نفسه عنا ذبيحة خالية من كل عيب ببذله لجسده كتقدمة مناسبة لهذا رفع حكم الموت فورًا عن نظرائه البشر، انظر كتاب «تَجَسُّد الكَلِمَة»، المرجع السابق، فصل٩: ١.



ولقد كان لهرون خلفاء، وعمومًا فإن رجال الكهنوت بحسب الشريعة يحلّون محلّ سابقيهم بمرور الوقت أو بسبب الموت. أما الرب فله «كَهَنُوتٌ لاَ يَزُولُ»[٣٧٤]. لقد صار رئيس كهنة أمينًا باقيًا إلى الأبد، وقد صار أمينًا حسب الوعد لكي يستجيب لأولئك الذين يقتربون إليه ولا يخدعهم. هذا ما يمكن أن نتعلّمه من رسالة بطرس العظيم الذي يقول: «فَإِذاً، الَّذِينَ يَتَأَلَّمُونَ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ فَلْيَسْتَوْدِعُوا أَنْفُسَهُمْ كَمَا لِخَالِقٍ أَمِينٍ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ»[٣٧٥]، لأنه هو أمين وغير متغيِّر، بل هو ثابت إلى الأبد. وهو يَهبُ تلك الأشياء التى وعد بها.

١٠ ـ ومن ناحية أخرى فإن تلك التى تُدعى آلهة عند اليونانيين دون أن تستحق هذا اللقب، هي ليست أمينة لا بحسب كيانها ولا بحسب وعودها إذ أنها ليست هي بعينها في كل مكان، بل هي آلهة محلّية قد أفسدها الزمن واضمحلت من تلقاء ذاتها[٣٧٦]، لذا يصرخ الكلمة ضدهم: إن الإيمان ليس قويًا فيهم بل هم «مياه خادعة» وأنه «لا إيمان فيهم»، أما إله الجميع إذ هو واحد في الواقع وبالحقيقة فهو إله حق وآمين وثابت إلى الأبد. وهو يقول : «انظروا إليَّ فترون إنى أنا هو هو»[٣٧٧]، و «إنى ما تغيرت»[٣٧٨]. ولهذا السبب فإن ابنه أمين وهو على الدوام غير متغيِّر وغير مخادع لا في كيانه ولا في وعده. وكما كتب الرسول إلى أهل تسالونيكى قائلاً:

---

[٣٧٤] انظر عب٧:٢٤.

[٣٧٥] ١بط٤:١٩.

[٣٧٦] انظر كتاب «تَجَسُّد الكَلِمَة»، المرجع السابق فصل ٤٥ حيث يوضح القديس أثناسيوس أن تجسد الكلمة أبطل أعمال الآلهة الكذبة أضلت الإنسان.

[٣٧٧] تث٣٢:٣٩.

[٣٧٨] ملا٣:٦.



«أَمِينٌ هُوَ الَّذِي يَدْعُوكُمُ، الَّذِي سَيَفْعَلُ أَيْضاً»[٣٧٩]. لأنه إذ يعمل ما وعد به فهو أمين في أقواله. ولهذا يكتب عن معنى اللفظ الذي يفيد عدم التغيُّر «إِنْ كُنَّا غَيْرَ أُمَنَاءَ فَهُوَ يَبْقَى أَمِيناً، لَنْ يَقْدِرَ أَنْ يُنْكِرَ نَفْسَهُ»[٣٨٠]. والرسول إذ يتحدَّث عن ظهور الكلمه في الجسد يقول: «كَوْنِهِ أَمِيناً لِلَّذِي أَقَامَهُ»[٣٨١]، مبينًا أنه حتى بعد أن صار إنسانًا فإن يسوع المسيح «هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ»[٣٨٢]، أى لا يتغيَّر. ومثلما أشار الرسول بواسطة رئاسة كهنوته إلى تأنس الرب عندما كتب في رسالته، فإنه لم يسكت طويلاً عن الحديث عن ألوهيته بل اشار إليها مباشرة، لكى يكون هناك أمان من كل ناحية وخاصة حينما يتحدث عن التواضع لكى نعرف على الفور رفعته وجلاله الذى من الآب. ولذلك قال: وموسى كان خادمًا أما المسيح فهو ابن. كان الأول «أمينًا في بيته» أما الثاني فكان «على بيته»[٣٨٣] لأنه هو الذى أقامه وشيّده إذ هو ربه وخالقه، وكإله قد قدَّسه.

ولما كان موسى إنسانًا بالطبيعة. فإنه قد صار أمينًا بسبب إيمانه بالله الذى تحدَّث إليه عن طريق الكلمة، أما الكلمة فلم يكن في الجسد كأحد المخلوقات، ولم يكن كمخلوق في مخلوق، بل هو كإله في الجسد، كخالق ومشيّد وسط ما خُلق بواسطته. وإن كان البشر قد لبسوا جسدًا فلكى يكون لهم وجود وكيان. أما كلمة الله فقد صار إنسانًا لأجل تقديس الجسد، وبينما هو رب فقد وُجِدَ في هيئة عبد، لأن كل الخليقة التى وُجِدت بالكلمة وخُلقت به هي عبدة له. وبهذا

---

[٣٧٩] اتس٥:٢٤.

[٣٨٠] ٢تي٢:١٣.

[٣٨١] انظر عب٣:١و٢.

[٣٨٢] عب١٣:٨.

[٣٨٣] انظر عب٣:٥و٦.



يتضح أن ما قاله الرسول: « للذي أقامه (صنعه)» لا يُثبت أن الكلمة مصنوع، وإنما المصنوع هو الجسد المماثل لنا، الذي اتخذه، وبالتالى إذ قد صار إنسانًا فقد دُعيَّ أخًا لنا.

١١ ـ فإن كان قد اتضح أنه حتى عندما يستعمل لفظ «صُنِعَ» منسوبًا إلى الكلمة نفسه، فإنه يستعمله بمعنى «وُلِدَ»، فأيَّة حيلة خبيثة سيتمكنون من تلفيقها زورًا في سبيل تحقيق غرضهم، في حين أن حديثنا قد ألقى الضوء على هذا اللفظ من كل ناحية، فقد اتضح أن الابن ليس مصنوعًا بل هو ـ بحسب الجوهر ـ مولود الآب، بينما بحسب تدبير التجسُّد ومسرَّة الآب الصالحة فإنه من أجلنا صُنِعَ وتشكّل كإنسان، ولذلك قيل بواسطة الرسول: « كونه أمينًا للذى صنعه» وفي سفر الأمثال «قنانى»[٣٨٤] لأنه مادمنا نعترف أنه قد صار إنسانًا، فلا يوجد ما يمنع أن يُقال عنه كما سبق أن قيل إنه: «قد صار»، أو «قد صُنع»، أو «قد خُلق»، أو «تشكّل» أو «إنه عبد» أو «ابن أمَه» أو «ابن الإنسان»، أو إنه «تكوَّن» أو «رجل» أو إنه «عريس» أو «أخ»، لأن كل هذه الألفاظ إنما هي الخصائص المعروفة عن البشر، وهي لا تتحدَّث عن جوهر الكلمة بل عن صيرورته إنسانًا.

---

[٣٨٤] أم٨: ٢٢.

الفصل الخامس عشر

شرح نصوص : خامسًا:
«جَعَل يسوع .. ربًا ومسيحًا» أع٢:٣٦

وهذا المعنى نجده أيضًا في سفر الأعمال حيث يقول بطرس الرسول «اللّهَ جَعَلَ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ رَبّاً وَمَسِيحاً»[٣٨٥]. لأنه لم يُكتب هنا: «جَعَل ابنًا لذاته» أو «جعل كلمة لنفسه» حتى يتخيَّلوا عندئذٍ مثل هذه الأفكار. فإن كان لم يغب عن بالهم أنهم يتحدَّثون عن ابن الله، فليبحثوا إن كان قد كُتب في موضع آخر أن «الله جعل لذاته ابنًا» أو «خلق لنفسه كلمة» أو إن كان قد كُتب صراحة في أى موضع أن «الكلمة مصنوع أو مخلوق»، عندئذٍ فلينظر هؤلاء الجهلاء إن كان يمكن أن يجدوا شيئًا من هذا النوع. أما إذا لم يعثروا على شئ مثل هذا، بل هم فقط يتصيدون بعض التعبيرات المتفرِّقة مثل «صُنِعَ» و «قد صُنِعَ»، فإنى أخشى أنهم بعد قليل، عندما يسمعون كلمات مثل « في البدء خلق الله السماء والأرض» و «صنع الشمس والقمر» و «صنع البحر»[٣٨٦]، فإنهم يقولون إنه السماء أو إنه هو النور الذي صار في اليوم الأول، وإنه أيضًا هو الأرض، وكل مخلوق من مخلوقاته. وبذلك فإنهم يتشبَّهون بالذين يُسمّون بالرواقيين[٣٨٧]. والرواقيون يعتبرون الله نفسه

---

[٣٨٥] أع٢:٣٦.

[٣٨٦] تك١:١١ــ١٦.

[٣٨٧] الرواقيون هم أتباع الفلسفة الرواقية نسبة إلى رواق بوليجنوس المزخرف بأثينا والذى اتخذه زينون (٣٣٦ ــ ١٠٢ ق.م.) مقرًا له ليجتمع فيه مع أتباعه فدُعوا بالرواقيين وكانت فلسفة لرواقيين تدعو إلى السعى وراء الفضيلة والإصغاء إلى صوت الضمير وضبط العواطف والانفعالات، وكانوا يؤمنون أن كل الأشياء يؤدى إلى الخير. وقد اقتبس بولس الرسول عن شعرائهم فى قوله: « كما قال بعض شعرائكم أيضًا لأننا أيضًا ذريته» (أع١٧:٢٨) وهى من قول الشاعر الرواقى أراتوس.



أنه منتشر في كل المخلوقات. أما هم فإنهم يضعون كلمة الله في مرتبة واحدة مع كل مخلوق من المخلوقات، خاصة أنهم قد وصلوا فعلاً إلى هذه الدرجة، وذلك عندما قالوا إنه هو من بين المخلوقات.

١٢ ـ وهنا يلزم أن يسمعوا نفس الكلام مرَّة أخرى. وليتعلَّموا أولاً أن اللوغوس هو ابن الله، كما قيل أيضًا فيما سبق، وأنه غير مخلوق، ولا ينبغى أن ينسبوا مثل هذه الألفاظ إلى ألوهيته، بل عليهم أن يفتشوا لماذا، وكيف كُتبت هذه الأقوال؟ ومما لا شك فيه أن تدبير التجسُّد الذي صنعه لأجلنا سيجيب على الذين يتساءلون، لأن بطرس عندما قال «جعله ربًا ومسيحًا» أضاف في الحال «الذي صلبتموه أنتم»[٣٨٨]، مما جعل الأمر واضحًا للجميع. ولعله يصير أيضًا واضحًا لهؤلاء، إن كانوا يتابعون معنى النص، إن كلمة «جعَل» ليست عن جوهر الكلمة بل عن ناسوته. لأن ما هو الذي صُلب سوى الجسد؟ فكيف يمكن أن يتحدَّث عن ما هو جسدى في الكلمة سوى بقوله «جعَل (صنع)»؟ وإلى جانب ذلك، فإن قوله هنا «جعَل»، له معنى أرثوذكسي (أى مستقيم)، لأنه لم يقل كما سبق وأوضحنا «جعله كلمته»، بل «جعله ربًا»، وليس هذا فحسب بل جعله «ربًا لكم»، و «فيما بينكم». وهذا هو ما يعنيه بقوله «تبرَّهن». فبطرس نفسه كان يشير إلى هذا عينه باهتمام، عندما بدأ هذه العظة الأولى بقوله: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ، اسْمَعُوا هَذِهِ الأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسَطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضاً تَعْلَمُونَ»[٣٨٩]. وهذه الكلمة «صنع» التى استخدمها في نهاية حديثه شرحها في بداية حديثه بكلمة «تبرَّهن». لأنه من الآيات والعجائب التى كان الرب يصنعها، أثبت أنه ليس إنسانًا عاديًا، بل هو

---

[٣٨٨] أع٢: ٣٦.

[٣٨٩] أع٢: ٢٢.



الله الظاهر في الجسد، وأنه هو الرب وهو المسيح. وهذا ما قاله يوحنا في إنجيله «فَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ، بَلْ قَالَ أَيْضاً إِنَّ اللَّهَ أَبُوهُ مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللَّه»[٣٩٠]. فإن الرب لم يصنع نفسه عندئذٍ إلهًا، ولا يمكن أن يُعقل أن يكون هناك إله مصنوع، ولكنه تبرَّهن أنه إله من خلال أعماله عندما قال «فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالأَعْمَالِ لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ»[٣٩١]. إذن فقد جعله الآب ربًا وملكًا في وسطنا، ولنا، نحن الذين كنا قبلاً عُصاة. فمن الواضح أن هذا الذي يظهر الآن أنه ربٌ وملك، لم يبتدئ أن يصير عندئذٍ ملكًا وربًا، بل ابتدأ أن يُظهر ربوبيته، وأن تمتد ربوبيته حتى على الذين يعصونه.

١٣ ـ وإن كانوا يعتقدون أن المخلّص لم يكن ربًا وملكًا، حتى قبل أن يصير إنسانًا وقبل أن يحتمل موت الصليب، وأنه عندئذٍ بدأ أن يكون ربًا، فليتهم يعرفون أنهم يرجعون من جديد إلى أقوال الساموساطى[٣٩٢] بصراحة. ولكن، إن كان كما سبق أن اقتبسناه وذكرناه أن الرب ملك أزليّ، وأن إبراهيم كان يعبده كرب وموسى قال «فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتًا ونارًا من عند الرب من السماء»[٣٩٣]، وداود يقول في المزامير «قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي»[٣٩٤]. و

---

[٣٩٠] يو٥:١٨.

[٣٩١] يو١٠:٣٨.

[٣٩٢] كان بولس الساموساطى أسقفًا لأنطاكية (٢٦٠ ــ ٢٦٨) وأُدين في عام ٢٦٨ بعد سلسلة من المجامع التى من خلالها ظهر ضلال عقائده. وحسب تعليم هرطقته اعتبر أن المسيح كان مجرد إنسانًا عاديًا ثم صار إلهًا بسبب جدارة عظمة شخصيته التى استحقها بسبب التبنى (ولذلك سُمىّ مشايعوه بأصحاب تعليم التبنى) وهكذا أنكر الساموساطى تعليم الثالوث القدوس وتعليم التجسد ولكنه اعترف فقط أن المسيح أفضل من موسى والأنبياء.

[٣٩٣] تك١٩:٢٤.

[٣٩٤] مز١١٠:١.



«كُرْسِيُّكَ يَا اللّهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ»[٣٩٥]، و «مُلْكُكَ مُلْكُ كُلِّ الدُّهُورِ»[٣٩٦]. فواضح أنه كان ملكًا وربًا سرمديًا قبل أن يصير إنسانًا لكونه صورة الآب وكلمته. وحيث إن الكلمة هو رب وملك أزليّ فيتضح أيضًا أن بطرس لم يقل إن جوهر الابن قد صُنع، بل أن ربوبيته علينا هي التى حدثت حينما صار إنسانًا، وأنه بافتدائه الكل بالصليب، قد صار رب الجميع ومَلِكاً عليهم، وإن كانوا يجادلون بسبب أنه مكتوب «جَعَل» ولا يريدون أن يقروا بأن «جَعَل» تعنى «أَظَهر»، أو بسبب عدم فهمهم، أو بسبب ميلهم لمعاداة المسيح، فلم يسمعوا مرَّة أخرى أن أقوال بطرس لها معنى مستقيم. لأن الذي يصير ربًا لآخرين، فإنه يملك على الذين هم بالفعل تحت سلطانه الآن. أما إن كان الرب خالق الكلّ، وملك أبدى، فعندما صار إنسانًا اقتنانا نحن أيضا. وبهذا يصير واضحًا أن ما قاله بطرس لا يعنى أن جوهر الكلمة مصنوع، بل يعنى أن خضوع الكلّ له فيما بعد وأن ربوبيَّة المخلّص هي التى قد صارت، على الكلّ. وهذا يوافق ما سبق أن قلناه. لأنه مثلما استشهدنا هناك بالأقوال التى تقول: «كن لى إلهًا معينًا»[٣٩٧] و «يَكُونُ الرَّبُّ مَلْجَأً لِلْمُنْسَحِقِ»[٣٩٨]، واتضح أن هذه الأقوال لا تعنى أن الله مخلوق، بل تشير إلى إحسانه المُقدَّم منه لكل واحد، وهكذا فإن قول بطرس له نفس المعنى.

١٤ ـ ولما كان ابن الله نفسه هو الكلمة فهو رب الكل. إلاّ أننا خضعنا منذ البدء «لعبودية الفساد» و «لعنة الناموس»، ورويدًا رويدًا، صنعنا لأنفسنا موجودات

---

[٣٩٥] مز٤٥: ٦.

[٣٩٦] مز١٤٥: ١٣.

[٣٩٧] مز٣١: ٣.

[٣٩٨] مز٩: ٩.



(معبودات) خدمناها[399]، كما قال الرسول المغبوط[400]، «اسْتُعْبِدْتُمْ لِلَّذِينَ لَيْسُوا بِالطَّبِيعَةِ آلِهَة»[401]، فأنكرنا الإله الحقيقي وفضلّنا الأشياء غير الموجودة على الحق. إلاّ أنه فيما بعد مثلما تأوه الشعب القديم متضجرًا في مصر، بعد أن ثقل كاهله، هكذا نحن أيضًا الذين لدينا الناموس المغروس في الضمير، وبحسب أنّات الروح التى لا يُنطق بها[402] بدأنا نصرخ قائلين: «أيها الرب إلهنا امتلكنا»[403]. وقد «صار لنا بيت ملجأ»، و «إله معين». هكذا أيضًا قد صار الرب بالنسبة لنا، ولم يكن هذا هو بدء وجوده، بل نحن الذين بدأنا نأخذه ربًا لنا. ومن ثمَّ لأن الله صالح وهو أبو الرب، وإذ تحنن وأراد أن يصير معروفًا من الجميع، فقد جعل ابنه الذاتى يلبس جسدًا بشريًا ويصير إنسانًا ويُدعى يسوع، لكي يبذل نفسه في هذا الجسد لأجل الجميع، ويخلّص الجميع من الضلال بعيدًا عن الله، ومن الهلاك، ويصير هو نفسه ربًا وملكًا للكلّ. لذلك فإن صيرورته ربًا وملكًا، هو نفس ما قصده بطرس بقوله «جعله ربًا، وأرسله مسيحًا»[404]. وهذا مشابه للقول إن الرب إذ قد جعل منه إنسانًا ـ لأنه أمرٌ يخص الإنسان أن يكون مصنوعًا ـ فهو لم يجعله إنسانًا فقط بل جعله هكذا لأنه يكون ربًا على الجميع ويقدّس الكلّ بواسطة المسحة. لأنه وإن كان **الكلمة** وهو في صورة الله، اتخذ صورة عبد، إلاّ أن اتخاذه للجسد لم يجعل **الكلمة** وهو رب بالطبيعة أن يكون عبدًا، بل بالأحرى فإن **الكلمة** بهذا الحدث (اتخاذ

---

[399] انظر القديس أثناسيوس: ضد الآريوسيين فصل٢:١.

[400] رو١:٢٥.

[401] غل٤:٨.

[402] رو٨:٢٦.

[403] إش٢٦:١٣ (سبعينية).

[404] انظر أع٢:٣٦.

الجسد) قد حرّر كل البشريَّة. فإن الكلمة نفسه وهو بالطبيعة الرب الكلمة قد جُعِلَ إنسانًا، ومن خلال صورة العبد صار رب الجميع ومسيحًا، أى لكي يقدّس الجميع بالروح. وكما أن اللّه عندما صار إلهًا معينًا قائلاً: «وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً»[405]، فإنه لم يصر في ذلك الوقت إلهًا أكثر من ذي قبل، ولم يبتدئ عندئذٍ أن يصير إلهًا، بل إن هذا هو الأمر الواقع دائمًا، ولكنه صار هكذا للمحتاجين إليه حينما سُرّ بذلك. وهكذا أيضًا المسيح إذ هو بالطبيعة رب وملك أزليّ، لم يصر ربًا عندما أُرسل، ولم يبتدئ عندئذٍ أن يكون ربًا وملكًا، بل هذا هو الأمر الواقع دائمًا، إنما قد جُعل هكذا بحسب الجسد. ولأنه صار فاديًا للجميع، فقد صار رب الأحياء والأموات. ولذلك فإن كل الأشياء تخضع له، وهذا أيضًا هو ما يعنيه داود حينما يترنم: «قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ»[406]. لأنه لا يجب أن يكون الفداء عن أى طريق آخر سوى عن طريق ذاك الذي هو رب بالطبيعة، لئلا بعد أن يكون الابن قد خلقنا فإننا ندعو لنا ربًا آخر، أو نسقط في الحماقة الآريوسية والوثنية بأن نعبد المخلوق من دون خالق جميع الأشياء[407].

١٥ ـ هذا هو المعنى المقصود من هذا القول ـ وذلك على قدر فهمي المتواضع ـ لأن أقوال بطرس هذه الموجهة إلى اليهود، لها سبب حقيقي وصحيح لأن اليهود إذ ضلّوا عن الحق وزاغوا، مازالوا ينتظرون مجيء المسيح ظانين أنه لن يقاسى ألمًا عندما يأتى، ويقولون ما لا يفهمونه: «نحن نعرف أنه عندما يأتى المسيح سيبقى إلى الأبد. فكيف تقول أنت إنه ينبغى أن يُرفع»[408] وهم أيضًا لا يرون أنه اللّه الذي جاء في

---

[405] خر٢٩: ٤٥.
[406] مز١١٠: ١.
[407] رو١: ٢٥.
[408] يو١٢: ٣٤.



الجسد، بل إنه مجرَّد إنسان سامى مثل كل الملوك. ولذا وبّخ الرب كليوباس والذي معه معلمًا إياهما «أن المسيح ينبغى أن يتألم أولاً»[٤٠٩]. وهكذا فعل أيضًا مع اليهود الآخرين معلّمًا إياهم أن الله أقام في وسطهم عندما قال: «إِنْ قَالَ آلِهَةٌ لأُولَئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ، [٣٦] فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ لأَنِّي قُلْتُ إِنِّي ابْنُ اللَّهِ؟»[٤١٠].

١٦ ـ ولأن بطرس قد عرف هذه الأمور من المخلّص، فقد قوّم أفكار اليهود في كلتا الحالتين وكأنه يقول: [أيها اليهود إن الكتب المقدسة تعلن أن المسيح قادم، وأنتم تظنونه إنسانًا بسيطًا كواحد من نسل داود، أمّا ما كُتب عنه فيبيّن أنه ليس مثلما تقولونه أنتم، بل بالحرى يعلن أنه رب وإله، وغير مائت، وهو واهب الحياة لأن موسى يقول: «وَتَكُونُ حَيَاتُكَ مُعَلَقَةً قُدَّامَكَ»[٤١١]، وداود يقول في المزمور المئة والتاسع: «قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ»[٤١٢] وفي المزمور الخامس عشر «لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَاداً»[٤١٣] لأن مثل هذه القوال، في الواقع لا تعود على داود، فهو نفسه يشهد قائلاً بأن الآتي هو ربه، وأنتم أنفسكم تشهدون أن داود قد مات ورفاته موجود لديكم. فإن كان المسيح يجب أن يكون هكذا كما تتحدَّث عنه الكتب، فأنتم أنفسكم يجب أن تعترفوا به لأن هذه الكلمات قد قالها الله، ولا يمكن أن يعتريها أي كذب. فإن استطعتم أن تثبتوا أن هناك شخصًا مثل هذا قد

[٤٠٩] لو٢٤:٢٦.

[٤١٠] يو١٠:٣٥ـ٣٦.

[٤١١] تث٢٨:٦٦، هكذا فهم الآباء هذا النص. راجع كتاب «تَجَسُّد الكَلِمَة»، المرجع السابق فصل ٣٥.

[٤١٢] ١١٠:١ في الطبعة المتداولة.

[٤١٣] مز١٦:١٠ في الطبعة المتداولة.



جاء قبل ذلك، وتستطيعون أن تبرهنوا أنه هو الله، من الآيات والمعجزات التى يكون قد صنعها، فيحق لكم أن تجادلوا. أما إن لم تتمكنوا من إثبات أن مثل هذا الشخص قد أتى، بل لا تزالون تنتظرونه، إذن فاعرفوا وقت مجيئه من نبوات دانيال. لأن ما قاله إنما يشير إلى الوقت الحاضر. فإن كان هذا الوقت الحاضر هو الوقت الذي سبق الإعلان عنه، وشاهدتم الأحداث التى وقعت بيننا الآن، فإن (يسوع) هذا الذي صلبتموه أنتم، هو المسيح نفسه، وهو المسيح المُنتظر. لأن داود وكل الأنبياء ماتوا وقبورهم عندكم. أما القيامة التى حدثت الآن فإنها توضح أن ما قد كُتِبَ يخبر عنه.

لأن الصلب هو المقصود بالقول: «وَتَكُونُ حَيَاتُكَ مُعَلقَةً قُدَّامَكَ»[414] وجرحه بالحربة في جنبه هو تكميل للقول «كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ»[415]. وقيامته ـ ليس هو وحده ـ بل قيامة الموتى القدامى من قبورهم (لأن غالبيتكم قد شاهدوهم)، هي ما يعنيه القول: «لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ»[416]. و «ابتلع الموت بقوته» وأيضًا «وَيَمْسَحُ السَّيِّدُ الرَّبُّ»[417]. لأن هذه العلامات التى حدثت فعلاً تثبت أن هذا الذي في الجسد هو الله، وأنه هو الحياة ـ وهو رب الموت. فالمسيح الذي هو واهب الحياة للآخرين لا ينبغى أن يسود عليه الموت. وهذا ما كان ممكنًا أن يحدث لو كان المسيح إنسانًا عاديًا كما تعتقدون أنتم، بل هو بالحقيقة، ابن الله. لأن جميع الناس خاضعون للموت. من أجل هذا لا ينبغى لأحد أن يشك فيما بعد، بل ليعلم كل بيت إسرائيل تمامًا، أن يسوع هذا، الذي رأيتموه إنسانًا في مظهره الخارجي، وهو

---

[414] تث ٢٨:٦٦.

[415] إش٥٣:٧.

[416] مز١٦:١٠.

[417] إش٢٥:٨.



يصنع آيات وأعمالاً مثل هذه ـ التى لم يصنع مثلها أحد قط ـ هو نفسه المسيح ورب الجميع. لأنه رغم أنه صار إنسانًا ودُعىّ باسم «يسوع» كما سبق أن قلنا، إلاّ أن قَدرِه لم ينقص بالآلام البشرية. بل بالحرى، فإنه بصيرورته إنسانًا قد برّهن أنه رب الأحياء والأموات. «لأَنَّهُ إِذْ كَانَ الْعَالَمُ فِي حِكْمَةِ اللّهِ لَمْ يَعْرِفِ اللّهَ بِالْحِكْمَةِ، اسْتَحْسَنَ اللّهُ أَنْ يُخَلِّصَ الْمُؤْمِنِينَ بِجَهَالَةِ الْكِرَازَةِ»[٤١٨]. وهكذا نحن البشر أيضًا، عندما رفضنا أن نعرف الله من خلال كلمته، ورفضنا أن نخدم سيدنا الطبيعى: كلمة الله، استحسن الله أن يُظهر ربوبيته الذاتية في الإنسان، وأن يجتذب الجميع نحو نفسه[٤١٩]. ولم يكن من اللائق أن يصنع هذا بواسطة إنسان عادى حتى لا نصير عابدى بشر باتخاذنا الإنسان ربًا، ولأجل ذلك فقد صار الكلمة نفسه جسدًا، ودعاه الآب يسوع. وهكذا جعله ربًا ومسيحًا. بمعنى أنك تقول: «جعله لكي يسود ويملك». ولأنه باسم يسوع ـ الذي صلبتموه ـ أنتم ـ تنحنى كل ركبة، فإننا نعترف أن الابن نفسه هو الرب والملك، ومن خلاله فقط نعترف أن الآب هو أيضًا الرب والملك].

١٧ ـ وعندما سمع غالبية اليهود هذه الأقوال رجعوا إلى أنفسهم، ثم اعترفوا بالمسيح كما هو مكتوب في سفر الأعمال[٤٢٠]. ولأن مجانين الآريوسية[٤٢١] قد أن يظلوا يهودًا، وأن يناضلوا ضد بطرس، لذلك هيّا بنا نقتبس لهم عبارات مماثلة، فربما يتحوّلون بهذه الطريقة عندما يتعلّمون أسلوب الكتب المقدسة. فقد اتضح مما سبق أن المسيح رب أزليّ وملك، ولا يشك أحد في هذا القول. فلأنه هو ابن

---

[٤١٨] ١كو١: ٢١.

[٤١٩] انظر كتاب «تَجَسُّد الكَلِمَة»، المرجع السابق فصل ٤٣.

[٤٢٠] أع٢: ٣٧.

[٤٢١] راجع فصل ١٤: ١ ص١٠.

الله، فإنه يلزم أن يكون مماثلاً له، ولكونه مماثلاً فهو قطعًا رب وملك معًا. فقد قال هو عن نفسه «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ»[٤٢٢]. أما وأن عبارة بطرس هذه: «جعَله ربًا ومسيحًا»، لا تعنى أن الابن مصنوع، فهذا ممكن أن نراه من بركة اسحق ـ رغم أن هذه الصورة باهتة نوعًا ما من جهة هذا الموضوع المطروح للبحث ـ وذلك عندما قال ليعقوب «كُنْ سَيِّداً لإِخْوَتِكَ»[٤٢٣]، وقال لعيسو «إِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ سَيِّداً لَكَ»[٤٢٤].

إذن حتى لو كان لفظ «جَعَل» يشير إلى جوهر يعقوب وبدء وجوده فما كان ينبغى لهؤلاء أن يفكروا بمثل هذه الأفكار عن كلمة الله، لأن ابن الله ليس مخلوقًا مثل يعقوب. ومع ذلك فقد كان في وسعهم أن يستوضحوا الأمر ويعرفوه حتى لا يتمادوا أكثر في جنونهم. فإن فهموا هذه الأمور على أنها لا تخص الجوهر ولا بداية الوجود ـ على الرغم من أن يعقوب مخلوق ومصنوع بحسب الطبيعة ـ فكيف لا يكونون أكثر جنونًا من الشيطان، عندما يتجاسرون أن ينسبوا لابن الله تلك الأوصاف التى لا يتجاسرون أن يلصقوها بالكائنات المخلوقة بالطبيعة، ويقولون عنه إنه مخلوق؟ فإن قول إسحق «كن» و «جعلته» لا يعنى بداية خلقة يعقوب ولا جوهره، لأنه قال هذا بعد ثلاثين سنة أو أكثر من ميلاد يعقوب، ولكن سيادته على أخيه هى التى حدثت بعد ذلك.

١٨ ـ إذن فبطرس بالأحرى ـ ما كان يقصد بهذه الكلمات أن جوهر الكلمة مخلوق لأنه يعرف أنه ابن الله، إذ أنه قد اعترف قائلاً: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ

---

[٤٢٢] يو١٤ :٩.

[٤٢٣] تك٢٧ :٢٩.

[٤٢٤] تك٢٧ :٣٧.



الْحَيِّ»[٤٢٥]، ولكنه يقصد بها ملكوته وسيادته التى تحققت وصارت فينا بحسب النعمة. وهو حينما قال هذا لم يصمت عن الحديث عن ألوهية ابن الله الأزلية التى هي أيضًا للآب. لأنه قد سبق وقال إنه قد سكب الروح علينا[٤٢٦]، إذ ليس من طبيعة الخليقة ولا الأشياء المصنوعة أن تُعطى الروح بسلطان، بل هو عطيَّة الله. فالمخلوقات تتقدَّس بواسطة الروح، أما الابن فحيث إنه لا يتقدس بواسطة الروح بل بالأحرى هو الذى يُعطى الروح للجميع، لذلك فهو ليس مخلوقاً، بل هو ابن الاب الحقيقي. ورغم أنه هو واهب الروح، إلاّ أنه يُقال عنه أيضًا إنه قد صُنِعَ، وهذا يعنى أنه صُنِعَ ربًا فيما بيننا من خلال بشريّته، في حين أنه واهب الروح لأنه كلمة الله. لأنه كما كان ابنًا على الدوام ولا يزال دائمًا، فهو أيضًا رب وسلطان على الجميع، لكونه مثل الآب في كل شئ وله كل ما للآب كما قال هو نفسه[٤٢٧].

---

[٤٢٥] مت١٦:١٦.

[٤٢٦] أع٢:١٧.

[٤٢٧] يو١٦:١٥.

الفصل السادس عشر

مقدَّمة لشرح أمثال٨:٢٢

«الرب قنانى أول طرقه»

إن الابن ليس مخلوقـًا

١٨ـ (تكملة) ـ هيّا إذن فلنتأمل ما قيل في سفر الأمثال: «الرب قنانى (خلقنى) أول طرقه لأجل أعماله»[٤٢٨]. رغم أننا إذ قد أوضحنا أن الكلمة ليس مصنوعًا، فهذا يدل أيضًا على أنه ليس مخلوقًا. فأن يُقال عنه إنه مصنوع هو نفس معنى أن يُقال عنه إنه مخلوق، لذا فإن البرهان على أنه غير مصنوع هو نفس البرهان على أنه ليس مخلوقًا. لهذا قد يُدهش البعض مما يخترعه هؤلاء من تبريرات لكفرهم، غير مستحين من البراهين التى أقمناها لكل نقطة على حدة. لأنهم قبل كل شئ، أخذوا يخدعون البسطاء بأسئلتهم مثل: «هل الكائن قد صَنَع من غير الموجود كائنًا غير موجود أم كائنًا موجودًا؟» وأيضًا «هل كان لك ابن قبل أن تلده؟». ولما اتضح أن كلامهم هذا فاسد وبلا أساس، أخذوا يخترعون هذا السؤال « هل يوجد واحد فقط غير مخلوق أم اثنان؟» وبعد أن دحضتُ أفكارهم سرعان ما أضافوا «هل له إرادة حرَّة؟ وهل طبيعته قابلة للتغيُّر؟»[٤٢٩]. ولكن بعد أن رفضت هذه أيضًا يقولون في الحال «صَائِراً أَعْظَمَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ بِمِقْدَارِ »[٤٣٠]. وحينما دحضت الحقيقة هذا الإدعاء أيضًا، فهم الآن، وقد ساقوا كل تلك الأقوال معًا يظنون أنهم عن طريق لفظتى «مصنوع»، و «مخلوق» سيدعمون هرطقتهم. فإن هذا هو ما يعنونه

---

[٤٢٨] (أم٨:٢٢ سبعينية).

[٤٢٩] انظر ”ضد الآريوسيين“، المرجع السابق المقالة الأولى: الفصل العاشر.

[٤٣٠] عب١:٤.



أيضًا، فهم لم يتخلّوا عن خبثهم وسوء نيتهم، إذ هم يحوّرون ويشكّلون هرطقتهم نفسها بأشكال متنوعة، لعلهم يستطيعون أن يخدعوا البعض عن طريق هذه الأشكال المتغيّرة، رغم أن كل ما سبق أن قلناه يثبت بطلان حجتهم. ولكن حيث إنهم ملأوا كل مكان بهذا القول المأخوذ من سفر الأمثال حتى يبدو هذا القول لدى كثيرين من الذين يجهلون العقيدة المسيحية أنه يعنى شيئًا ما، فإنه من الضرورى أن نوضح هنا القول مثلما أوضحنا عبارة «كَوْنِهِ أَمِيناً لِلَّذِي أَقَامَهُ»[431]، وبنفس الطريقة سنفحص لفظ «قنى» (خَلَقَ) كى يظهر للجميع أنهم في هذا الأمر ـ كما في غيره ـ لا يملكون شيئًا سوى الخيال.

١٩ ـ أولاً، يلزم أن نرى الإجابات التى أجابوا بها على المُطوَّب الذكر «الكسندروس»[432] في بادئ الأمر عندما ابتدعوا هرطقتهم، فقد كتبوا هكذا: «إنه مخلوق ولكن ليس واحدًا من المخلوقات. إنه مصنوع ولكنه ليس واحدًا من المصنوعات، إنه مولود ولكنه ليس واحدًا من المولودين». إذن فليحذر كل واحد خبث هذه البدعة ودهائها، ذلك لأنها بعد أن عرفت مرارة انحرافها وضلالها، اضطرت أن تزيّن نفسها باستعمال ألفاظ تحتمل معانى مختلفة، فتقول «إنه مخلوق» وهذا ما تعتقده، ولكنها تظن أنها تستطيع أن تخفى ذاتها بقولها «ولكنه ليس كواحد من المخلوقات». فهم بكتاباتهم هكذا قد كشفوا كفرهم أكثر.

لأنه إن كان وفقًا لرأيكم أنه مخلوق، فكيف تتظاهرون بقولكم «لكن ليس كواحد من المخلوقات»؟ وإن كان هو «مصنوعًا» فكيف يكون «ليس كواحد من المصنوعات»؟. وفي كلامهم هذا يمكن أن نرى سم الهرطقة. لأنه

---

[431] عب٣:٢.

[432] كان البابا ألكسندروس أسقفًا لكرسى الأسكندرية عندما ظهرت الهرطقة الآريوسية. وهو أول من تصدى لها. انظر المقدمة.



بقولهم «مولود» ولكن «ليس كواحد من المولودين» فإنهم يقدمون أبناء كثيرين ويقرون أن الرب أيضًا واحد من بينهم، فإنه حسب اعتقادهم ليس بعد «وحيد الجنس» بل إنه واحد بين اخوة عديدين، وإنه يسمّى مولودًا وابنًا. فأيَّة فائدة إذن من القول بإنه من ناحية مخلوق، ومن ناحية أخرى غير مخلوق؟ وأيضًا لو قلتم «ليس كواحد من المخلوقات» فإنى سأثبت أن مغالطتكم هذه خالية من الحكمة. فإنكم لا تزالون تقولون «إنه واحد من المخلوقات». والأشياء التى يمكن أن يقولها أحد الناس عن سائر المخلوقات، تفكرون بها أنتم هكذا عن الابن كجهلاء وعميان حقًا. فهل أى مخلوق من المخلوقات هو مثل الآخر حتى تنسبوا هذا للابن كشئ مُمَيز له؟ وكل الخليقة المرئية قد تكوّنت في ستة أيام، ففى اليوم الأول عمل النور الذي دعاه نهارًا، وفي اليوم الثاني كان الجَلَد، وفي اليوم الثالث بعد أن جمع الماء أظهر اليابسة، وأنبت فيها مختلف الثمار وفي اليوم الرابع صنع الشمس والقمر وكل النجوم، أما في اليوم الخامس فقد خَلَق جنس الأحياء في البحر، والطيور في الهواء، وصنع في اليوم السادس ذوات الأربع التى على الأرض، وبعد ذلك الإنسان.

«لأَنَّ مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ تُرَى أُمُورُهُ غَيْرُ الْمَنْظُورَةِ وَقُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلاَهُوتُهُ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ»[٤٣٣]. فالنور ليس كالليل ولا الشمس كالقمر ولا غير العاقل كالإنسان العاقل، ولا الملائكة كالعروش، ولا العروش كالسلاطين، فكلها مخلوقات ولكن كل واحد حسب نوعه من المخلوقات، يوجد وَيَظَلْ في جوهره الذاتى كما خُلق.

---

[٤٣٣] رو١: ٢٠.



٢٠ ـ وعندئذٍ إما يُستثنى الكلمة من بين المصنوعات، وكخالق يُنسب إلى أبيه ويُعتَرف به أنه ابن بالطبيعة، أو أن يكون مجرَّد خليقة وعندئذٍ يُعتَرف به أن له وضعه الخاص الذي للمخلوقات الأخرى تجاه بعضها البعض. فليَقُل إذن عن كل هذه المخلوقات كما يُقال عنه، «خليقة ولكن ليس كواحد من المخلوقات. مولود أو مصنوع وليس كواحد من المصنوعين أو المولودين؟»، لأنكم قد قلتم إن «المولود» هو نفسه «المصنوع» عندما كتبتم: «مولود أو مصنوع». وبالإضافة إلى ذلك إن كان الابن يتفوّق على سائر المخلوقات الأخرى بالمقارنة فإنه كمخلوق يّظَلْ مثل سائر المخلوقات. فإنه بالنسبة لتلك المخلوقات التى هي بطبيعتها مخلوقة، ممكن أن نجد البعض يتفوَّق على البعض الآخر «لأَنَّ نَجْماً يَمْتَازُ عَنْ نَجْمٍ فِي الْمَجْدِ»[٤٣٤]. لأنه يوجد اختلاف بين سائر المخلوقات عند مقارنتها بعضها ببعض، ولكن ليس معنى هذا أن بعضها سادة، والبعض الاخر تخدم الأسمى منها، ولا يكون البعض علّة للمصنوعات والبعض الآخر ناتجًا منها. ولكن عمومًا فإن جميع الأشياء لها طبيعة صائرة ومخلوقة، وكلها تعترف فى ذاتها بخالقها كما يترنم داود: «اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللّهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ»[٤٣٥]. كما يقول أيضًا الحكيم زربابل: «كل الأرض تنادى والسماء تباركه، وكل المصنوعات تتزلزل وترتعد»[٤٣٦]. فإن كانت الأرض تسبّح الخالق والحق وتباركه وترتعد أمامه، وإن كان خالقها هو الكلمة، وهو ذاته يقول: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ»[٤٣٧]، فتبعًا لذلك لا يكون الكلمة مخلوقًا، فهو الوحيد الذي من ذات الآب، والذي دبرَّ كل الأشياء، وجميعها

---

[٤٣٤] ١كو١٥:٤١.

[٤٣٥] مز١٩:١.

[٤٣٦] عزرا الأول ٣:٣٦ (من الأسفار القانونية الثانية حسب النسخة اليونانية).

[٤٣٧] يو١٤:٦.



تسبحه كخالق، كما يقول هو ذاته: «كنت عنده مدَّبرًا»[٤٣٨] و «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ»[٤٣٩]، إن تعبير «حتى الآن» يدل على أنه كائن ككلمة في الآب منذ الأزل، لأنه من خاصية الكلمة أن يعمل أعمال الآب ولا يكون خارجًا عنه.

٢١ ـ وإن كانت هذه الأشياء التى يعملها الآب يعملها الابن أيضًا، والأشياء التى يخلقها الابن هي مخلوقات الآب، ومع ذلك يكون عمل الابن هو عمل الآب وخلقه، فعندئذٍ إما سيصنع نفسه ويكون هو خالق نفسه (حيث إن الأعمال التى يعملها الآب هي الأعمال التى يعملها الابن)، وهذا أمر غير معقول ومستحيل. أو إن كان يخلق ويعمل مخلوقات الآب، فلا يمكن أن يكون هو عملاً ولا خليقة. لأنه إن كان هو علّة خالقه، وفي نفس الوقت مصنوعًا = مخلوقًا (حسب قولكم) فإن هذا يجعل نفس الشئ يحدث في حالة المخلوقات كما حدث معه (أى تصير مخلوقة وخالقة في نفس الوقت) وإلاّ فإنه لا يكون قادرًا أن يصنع على الإطلاق. لأنه كيف يكون قد صار من العدم ـ كما تقولون ـ ويكون في إمكانه أن يخلق ويجلب إلى الوجود الأشياء غير الموجودة؟ فإن كان وهو نفسه يقوم بالخلق، فمن الممكن أن يُفهم أن هذا الأمر يحدث أيضًا لكل مخلوق حتى أنه يكون في وسع هذه المخلوقات أن تخلق. فإن كنتم تريدون أن يكون الأمر هكذا، فما الحاجة إذن إلى وجود الكلمة طالما أنه يكون في وسع المخلوقات الأقل منزلة أن تخلق المخلوقات الأسمى منها ـ أو إن كان في إمكان كل مخلوق ـ على وجه الإطلاق ـ أن يسمع مباشرة من الله منذ البدء «كن» و «فليُخلق»، وتكون هذه هي الطريقة التى تكوَّنت بها سائر الأشياء ولكن هذا لم يُكتب، وليس ممكنًا أن يُكتب هكذا لأنه ليس من الممكن أن يكون أحد المخلوقات علّة خالقة، لأن كل الأشياء قد

---

[٤٣٨] أم٨: ٣٠ سبعينية.

[٤٣٩] يو٥: ١٧.



صارت بالكلمة، فلو كان الكلمة ذاته معدودًا بين المخلوقات كما كان في استطاعته أن يخلق كل الأشياء. بل ولا الملائكة أيضًا يستطيعون أن يخلقوا لأنهم هم أيضًا من بين المخلوقات[٤٤٠]، حتى إن كان فالنتينوس[٤٤١] وماركيون[٤٤٢] وباسيليدس[٤٤٣] يعتقدون بذلك وأنتم تتمثلون بهم. ولا الشمس لكونها مخلوق تستطيع أن تجلب إلى الوجود ما هو غير موجود، ولا يستطيع الإنسان أن يخلق إنسانًا، ولا الحجر حجرًا، ولا يتكاثر الخشب من خشب.

إنما هو الله «قَبْلَمَا صَوَّرْتُكَ فِي الْبَطْنِ عَرَفْتُكَ»[٤٤٤]. وهو الذي ثبّت الجبال، والذى ينمّى الأشجار. أما الإنسان فلكونه قادرًا على تحصيل المعرفة، فإنه يرتب هذه المادة ويصنفها، ويصنّع أشياء من المادة الموجودة كما تعلّم، ويكون راضيًا بصناعته لها. ولأنه عرف طبيعة نفسه، فإنه عندما يحتاج إلى شئ، يعرف أن يطلبه من الله.

---

[٤٤٠] عن حقيقة أن الملائكة من المخلوقات وبالتالى لا تستطيع فداء الإنسان انظر تَجَسُّد الكَلِمَة، المرجع السابق، فصل ٧/١٣.

[٤٤١] فالنتينوس: يُعد من أبرز الكتبة الغنوسيين وكثيرًا ما كان يمزج ما هو شعرى بما هو تأملى. وكان يعلّم فى روما بين سنتى ١٤٠، ١٦٠م.

[٤٤٢] ماركيون: هرطوقى عاش وعلّم فى القرن الثانى، رغم نشاته المسيحية إلاّ أنه اعتنق الفكر الغنوسى فيما بعد وأنكر العهد القديم وإنجيل لوقا ورسائل بولس الرسول.

[٤٤٣] باسيليدس: هرطوقى غنوسى كان يعلّم فى ألسكندرية فى أيام هادريان (١١٧ ــ ١٣٨م).

[٤٤٤] إر١:٥.



٢٢ ـ إذن فإن كان الله أيضًا يصنع ويشكّل شيئًا من المادة الموجودة سابقًا، كما تعلّم الفلسفة اليونانية، فإن الله لن يُدعَ خالقًا بل فنانًا، وهكذا فإن الكلمة سيعمل الأشياء بأمر من الله وفي خدمته[٤٤٥].

ولكن إن كان الله قد دعا الأشياء غير الموجودة إلى الوجود بواسطة كلمته الذاتى، فلا يكون الكلمة من بين الأشياء غير الموجودة والتى دُعيت (إلى الوجود)، وإلاّ فلنبحث عن كلمة آخر بواسطته دُعى الكلمة نفسه أيضًا إلى الوجود ـ لأن كل الأشياء غير الموجودة قد صارت بالكلمة. وإن كان الآب يخلق ويصنع به، فلا يكون هو نفسه من بين الأشياء المخلوقة والمصنوعة، بل بالأحرى هو كلمة الله الخالق، ومن الأعمال الآب التى يعملها هو ذاته، يُعرف أنه «في الآب والآب فيه»، وأن «من رآه فقد رأى الآب»[٤٤٦]، وذلك بسبب أن جوهر الابن هو جوهر الآب ومماثل له في كل شئ. فكيف إذن يخلق به إن لم يكن هو نفسه كلمته وحكمته؟ وكيف يمكن أن يكون كلمته وحكمته إن لم يكن هو مولود جوهره الذاتى، ولا يكون واحدًا من المخلوقات مثل الأشياء الأخرى؟ وإن كانت كل الأشياء قد صارت من العدم، وهي كائنات مخلوقة، وإن كان الابن ـ حسب معتقداتهم ـ هو واحد من بين المخلوقات التى لم تكن موجودة في وقت ما، فكيف يكون هو وحده الذي يُعلن الآب وهو وحده الذى يعرفه؟

لأنه إن كان ممكنًا له أن يعرف الآب بالرغم من كونه مخلوقًا، فإن جميع المخلوقات أيضًا إذن يمكنها أن تعرف الآب، بحسب قياس المخلوقات، لأن جميع المخلوقات أيضًا مصنوعة مثله. وإن كان من غير الممكن للمخلوقات أن ترى الآب

[٤٤٥] وفي موضع آخر يؤكد القديس أثناسيوس على حقيقة أن الله يخلق كل شئ بالكلمة من العدم وليس من مادة موجودة. انظر كتاب «تَجَسُّد الكَلِمَة»، المرجع السابق فصل ٥ فقرة ٣.

[٤٤٦] يو١٤: ٩.



وتعرفه لأن هذه الرؤية وهذه المعرفة تعلو على مستوى جميع المخلوقات، فالله نفسه قد قال: «لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ»[٤٤٧]. أما الابن فقال: «وَلاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْنُ»[٤٤٨]. إذن فإن الكلمة مختلف عن المخلوقات، وهو وحده الذى يعرف الآب ويراه كما قال «لَيْسَ أَنَّ أَحَداً رَأَى الآبَ إِلاَّ الَّذِي مِنَ اللَّهِ»[٤٤٩]، وأيضًا «ليس أحد يعرف الآب إلاّ الابن». وإن كان هذا لا يروق لآريوس، فكيف إذن عرفه (أى عرف الآب) هو وحده إن لم يكن هو نفسه من ذات الآب؟ وكيف يمكن أن يكون من ذات الآب لو كان مخلوقًا ولم يكن ابنًا حقيقيًا منه؟ لأنه يجب ألاّ نمّل من تكرار نفس الأقوال المتعلّقة بالتقوى مرارًا[٤٥٠]. ولذلك فإنه يعدّ تجديفاً أن يعتقد أحد بأن الابن هو واحد من بين جميع المخلوقات. وأنه من التجديف والغباء أن يُقال «مخلوق ولكنه ليس كواحد من المخلوقات» و «مصنوع ولكنه ليس كواحد من (المصنوعات)»، و«مولود ولكنه ليس كواحد من بين المولودين». لأنه كيف لا يكون واحد من بين تلك المخلوقات لو أنه من وجهة نظرهم لم يكن موجودًا قبل أن يُولد؟ لأن خاصية المخلوقات والمصنوعات هي أنها تكون غير موجودة قبل أن تُخلق، وأنها تُوجد من العدم، حتى لو كانت هناك فروق بين المخلوقات بسبب اختلافها في المجد، فإن هذا الفرق بين الواحد والآخر يوجد في جميع المخلوقات ويتضح في كل المرئيات.

---

[٤٤٧] خر٣٣: ٢٠.

[٤٤٨] مت١١: ٢٧.

[٤٤٩] يو٦: ٤٦.

[٤٥٠] يُفضل القديس أثناسيوس تكرار المعنى الذي يريد توضيحه باستخدام طرق متعددة من شرحه وهو ينبه القارئ دائمًا إلى عملية التكرار. انظر فصل ٨٠ وأيضًا تَجَسُّد الكَلِمَة، المرجع السابق فصل ٣/٢٠.



٢٣ ـ ولكن إن كان الهراطقة يحسبون الابن «مخلوقًا أو مصنوعًا ولكن ليس كواحد من المخلوقات» بسبب تفوقه عنها في المجد، لكان من الواجب أن تظهره الأسفار المقدسة وتميزه فى درجة أسمى بالمقارنة بالمصنوعات الأخرى، فمثلاً كان يجب أن يُقال إنه أعظم من رؤساء الملائكة، وإنه أكثر كرامة من العروش، أو أكثر بهاءً من الشمس والقمر، وأعظم أيضًا من السموات. ولكن الواقع أن الكتب المقدس لا تذكره هكذا، بل إن الآب يُظهره أنه ابنه الذاتى والوحيد بقوله: «أَنْتَ ابْنِي»[٤٥١]، و «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ»[٤٥٢]. ولهذا صارت «الملائكة تخدمه»[٤٥٣]. حيث إنه كان مختلفاً عنهم وهم يسجدون له ليس لكونه أعظم منهم في المجد، بل لأنه مختلف تمامًا عن جميع المخلوقات بما فيهم أولئك الملائكة، لأنه بحسب الجوهر هو الابن الوحيد الذاتى للآب. فلو كانوا يسجدون له لمجرَّد أنه متفوِّق في المجد لكان من الواجب على كل كائن من الكائنات الأدنى أن يسجد للأسمى منه. لكن ليس الأمر هكذا، لأن المخلوق لا يعبد مخلوقًا آخر، بل أن العبد يعبد الرب، والمخلوق يعبد الله. لذا فعندما أراد كرنيليوس أن يسجد لبطرس، منعه الرسول بطرس قائلاً: «أَنَا أَيْضاً إِنْسَانٌ»[٤٥٤]. وعندما أراد يوحنا أن يسجد للملاك في الرؤيا منعه الملاك قائلاً: «انْظُرْ لاَ تَفْعَلْ! لأَنِّي عَبْدٌ مَعَكَ وَمَعَ إِخْوَتِكَ الأَنْبِيَاءِ، وَالَّذِينَ يَحْفَظُونَ أَقْوَالَ هَذَا الْكِتَابِ. اسْجُدْ لِلَّه»[٤٥٥]. وتبعًا لذلك فإن السجود يكون لله وحده، وقد عرف الملائكة أنفسهم هذا رغم أنهم يفوقون

---

[٤٥١] مز٢:٧.

[٤٥٢] مت٣:١٧.

[٤٥٣] مت٤:١١.

[٤٥٤] أع١٠:٢٦.

[٤٥٥] رؤ٢٢:٩.



غيرهم في المجد. فهم جميعًا مخلوقات وليسوا من الذين يُسجد لهم، بل هم من بين الذين يسجدون للرب. فعندما أراد منوح أبو شمشون أن يقدّم ذبيحة للملاك، منعه الملاك قائلاً: «لا تقدم لى بل لله»[٤٥٦]. أما الرب فإنه يُسجد له من الملائكة لأنه مكتوب: «وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ»[٤٥٧].ومن كل الأمم، كما يقول إشعياء: «مصر تعبت لأجلك، وتجار الأثيوبيين، ورجال سبأ طوال القامة إليك يعبرون، وسيكونون عبيدًا لك»، ثم يقول: «ولك يسجدون وإليك يتضرعون قائلين فيك وحدك الله. لا يوجد إله سواك يارب»[٤٥٨]. وعندما سجد له التلاميذ قَبِلَ منهم السجود وأخبرهم مَنْ يكون هو قائلاً: «أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي مُعَلِّماً وَسَيِّداً، وَحَسَناً تَقُولُونَ لأَنِّي أَنَا كَذَلِكَ»[٤٥٩]، وحينما قال له توما: «رَبِّي وَإِلَهِي»[٤٦٠]، سمح له بهذا القول، وبالأحرى قَبِلَه ولم يمنعه. لأنه كما يقول سائر الأنبياء، وكما يترنم داود: «هو رب القوات»[٤٦١]، و «رب الصاباؤوت» الذي تفسيره «رب الجنود» وهو إله حق ضابط الكلّ حتى ولو مزّق الآريوسيون ثيابهم بسبب هذا.

٢٤ ـ فهو ما كان ليُسجد له، أو تُقال عنه تلك الأقوال لو أنه كان من بين المخلوقات. ولكنه الآن حيث إنه ليس بمخلوق، بل هو المولود الذاتى لجوهر الله المعبود، وهو ابنه بالطبيعة، لذلك فإنه يُسجد له ويُؤمَن به أنه إله وأنه رب الجنود وله السلطان، وهو ضابط الكل مثل الآب، لأنه هو نفسه قد قال: «كُلُّ مَا لِلآبِ

---

[٤٥٦] قض١٣: ١٦.

[٤٥٧] مز٧٦: ٧، عب١: ٦.

[٤٥٨] إش٤٥: ١٤ سبعينية.

[٤٥٩] يو١٣: ١٣.

[٤٦٠] يو٢٠: ٢٨.

[٤٦١] مز٢٣: ١٠.



هُوَ لِي»[٤٦٢]. لأنه من خاصية الابن أن يكون له ما للآب، وأن يكون هكذا حتى أن الآب يُرى فيه، وأن جميع الأشياء تصير به، وأن خلاص الكل به يتم وفيه يتحقق.

[٤٦٢] يو١٦:١٥.

الفصل السابع عشر

مقدّمة لشرح أمثال٨:٢٢
«الرب قنانى أول طرقه»
تابع : أن الابن ليس مخلوقًا

وجيد هنا أن نسألهم هذا السؤال أيضًا لكى يكون دحض هرطقتهم أكثر وضوحًا.

رغم أن «كل الأشياء» مخلوقة، وأصلها كلها من العدم وحتى الابن أيضًا - حسب فكرهم - مخلوق ومصنوع، وهو واحد من الأشياء التى لم تكن موجودة قط. فلماذا نجد في نفس الوقت، أنه هو ذاته قد صُنعت به كل الأشياء، «وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»[٤٦٣]؟ أو لماذا، حينما يكون الحديث عن «كل الأشياء» لا يفهم أحد أن الابن محسوب بين كل الأشياء، وإنما يُفهم أن المقصود هو المخلوقات فقط؟ في حين أنه عندما تتحدَّث الكتب المقدسة عن الكلمة، فهى لا تعنى أنه معدود بين «كل المخلوقات»، بل تضعه مع الآب، إذ أن الآب يعمل ويحقق به العناية والخلاص للكل. فحسب فكرهم فإن نفس كلمة الأمر التى بها قد صارت كل الأشياء يمكن أن يوجد بها الابن أيضًا من الله وحده. ولكننا نقول إن الله لا يتعب من إصدار الأوامر ولا يضعف من خلق الأشياء كلها حتى يخلق الابن وحده فقط (كما يقولون)، وحتى بحسب احتياجه إليه كخادم ومعين لأجل خلق الأشياء

[٤٦٣] يو١:٣.



الأخرى. لأن الله لا ولن يؤجل شيئًا مما يريده أن يصير، بل إنه فقط قد شاء، وكما شاء صار الكل في الحال، ولأن أحد لا يستطيع أن «يقاوم مشيئته»[٤٦٤].

إذن، لماذا لم توجد كل الأشياء إلاّ بأمر الله، ذلك الأمر الذي به قد وُجِدَ الابن أيضًا (حسب فكرهم) أو فليقولوا: لماذا قد صارت به كل الأشياء بالرغم من أنه هو أيضًا صائر؟ فيالحماقتهم عندما يقولون عنه: «إن الله عندما أراد أن يُوجد طبيعة مخلوقة، ورأى عدم قدرتها على احتمال لمسة يد الآب الشديدة، فإنه يصنع ويخلق أولاً واحدًا مفردًا فقط، ويسمّيه ابنًا وكلمة، كى عن طريقه كوسيط، يُوجد به كل الأشياء أيضًا». وهم لا يقولون هذا وحسب، بل أيضًا تجاسروا وكتبوا بيد كل من يوسيبيوس وآريوس وأستيريوس مقدم الذبائح (للأوثان).

٢٥ ـ أليس هذا برهان كافٍ على الكفر الذى مزجوا أنفسهم به بجنون متناه، وهم لا يستحون هكذا من أن يهذوا كالسكارى ضد الحق؟ لأنهم إن كانوا يؤكدون أن الله قد صنع الابن فقط بسبب أنه تعب من خلق كل الأشياء الأخرى، فإن كل الخليقة ستصرخ[٤٦٥] هازئة بهم باعتبار أنهم يقولون أشياء غير لائقة بالله. أما إشعياء فقد كتب قائلاً: «الله الأبدى الذي صاغ أطراف الأرض لا يجوع ولا يكل. وليس هناك فحص لفهمه»[٤٦٦]. أما إن كانوا يقولون إن الله يستنكف أن يخلق الأشياء الأخرى، لهذا فقد صنع الابن فقط، وسلّم خلقة الأشياء الأخرى للابن كمساعد، فإن هذا يكون غير لائق بالله لأن ليس عند الله كبرياء. وهؤلاء يخجلهم الرب الذى في السموات عندما يقول: «أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ،

---

[٤٦٤] انظر رو٩:١٩.

[٤٦٥] استخدم القديس أثناسيوس فعل «تصرخ» لوصف شهادة الخليقة على عظمة عمل الله فيها. انظر ضد الوثنيين فصول١/٤، ٣/٢٧، ٤/٣٤، «تَجَسُّد الكَلِمَة»، المرجع السابق ٢/٣٢.

[٤٦٦] إش٤٠:٢٨ سبعينية.



وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لاَ يَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ؟»[467]؟ ويقول أيضًا: «لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ؟ اُنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَلاَ تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا؟ وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعاً وَاحِدَةً؟ وَلِمَاذَا تَهْتَمُّونَ بِاللِّبَاسِ؟ تَأَمَّلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو! لاَ تَتْعَبُ وَلاَ تَغْزِلُ. وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ وَلاَ سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا. فَإِنْ كَانَ عُشْبُ الْحَقْلِ الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ وَيُطْرَحُ غداً فِي التَّنُّورِ يُلْبِسُهُ اللَّهُ هَكَذَا، أَفَلَيْسَ بِالْحَرِيِّ جِدّاً يُلْبِسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ؟ »[468].

فإن لم يكن من غير اللائق بالله أن يعتنى بأصغر الأشياء إلى هذه الدرجة، مثل شعرة الرأس والعصفور، وعشب الحقل فإنه لا يكون من غير اللائق أن يخلق هذه الأشياء لأن الأشياء التى هى موضع عنايته، هى نفسها التى يكون هو خالقها بكلمته الذاتى. فإما أن تكون كل الأشياء ومعها الابن قد خُلقت من الآب، والذين يقولون هكذا يواجهون سخافة وبطلانًا شديدين، لأنهم لا يفرّقون بين المخلوقات وبين عمل الخلق، ويعتبرون أن الخلق هو عمل الآب، بينما يعتبرون الأعمال (المخلوقات) أنها عمل الابن، وإما إن كانت كل المخلوقات قد خُلقت بالابن ـ فينبغى ألاّ يُقال إن الابن واحد من بين المخلوقات.

٢٦ ـ ومن ثمَّ يكون من الممكن دحض حماقاتهم هكذا: فحتى لو كانت طبيعة الكلمة مخلوقة، فطالما يستحيل على هذه الطبيعة أن تُخلَق مباشرة من الله، فكيف استطاع الابن وحده من بين جميع المخلوقات أن يُخلَق من جوهر الله غير

---

[467] مت ١٠: ٢٩.

[468] مت٦: ٢٥ــ ٣٠.



المخلوق والفائق النقاء كما تقولون أنتم؟ فالضرورة تقتضى أنه إن كان الكلمة يستطيع ذلك فكل الطبيعة المخلوقة تستطيع ذلك أيضًا. ولكن إذا لم يكن هذا فى استطاعة كل الطبيعة المخلوقة، فإن الكلمة نفسه أيضًا لا يستطيع ذلك لأنه ـ حسب فكركم ـ هو واحد من بين المخلوقات.

ومرَّة أخرى إن كانت الطبيعة بسبب عدم قدرتها أن تحتمل فعل الخلق المباشر من الله، احتاجت إلى وجود وسيط، فالكلمة أيضًا لكونه مخلوقًا ومصنوعًا (حسب قولكم) فإنه يكون هو نفسه فى حاجة إلى وسيط لخلقه بسبب كونه واحدًا من الطبيعة المخلوقة التى لا تستطيع أن تحتمل فعل الله، بل يحتاج إلى وسيط. وحتى لو وُجد هناك وسيط للكلمة فستكون هناك حاجة مرَّة أخرى لوسيط آخر لهذا الوسيط وهكذا باستمرار البحث والتنقيب سنجد حشدًا عارمًا من الوسطاء، وبذلك يكون من المستحيل أن تقوم للخليقة قائمة. إذ انها ستحتاج دائمًا إلى وسيط، وهذا الوسيط لن يستطيع أن يُوجَد بغير وسيط آخر لأنهم جميعًا من طبيعة مخلوقة وهي التى لا تستيطع ـ كما تقولون أنتم ـ أن تحتمل فعل الخلق الذى هو عمل الله وحده.

إذن، ما أكثر حماقاتهم التى تجعلهم يعتبرون الأشياء التى وُجدت أنها لا يمكن أن تُوجد. أو ربما يتصوَّرون أنها لم تكن قد وُجدت ماداموا لا يزالون يطلبون وسيطًا. لأنهم بحسب كفرهم وفكرهم الغبى لا يكون ممكنًا بالكائنات أن تُوجَد حيث إنها لا تجد الوسيط.

٢٧ ـ ولكنهم أيضًا يدّعون قائلين: «هوذا بواسطة موسى قد أخرج الله الشعب من مصر، وبواسطته أعطى الشريعة بالرغم من كونه إنسانًا، حتى يكون ممكنًا أن تصير الأشياء المماثلة بواسطة ما يماثها». فكان ينبعى وهم يقولون هذا أن يخفوا وجوههم من الخجل الشديد، فإن موسى لم يُرسَل لكي يَخلق ولا لكى يَدعو إلى الوجود تلك الأشياء التى لم تكن موجودة.



من أجل ذلك، ففيما يخص الخلق، لا يوجد مَنْ يقوم به سوى **كلمة** الله فقط، لأن «كلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ»[٤٦٩]، و « وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»[٤٧٠]. أما فيما يخص الخدمة، فليس هناك واحد فقط، بل يوجد كثيرون يستطيع الرب أن يرسلهم متى أراد، فهناك كثيرون من رؤساء الملائكة وكثيرون هم العروش والسلاطين والسيادات، «أُلُوفُ أُلُوفٍ تَخْدِمُهُ وَرَبَوَاتُ رَبَوَاتٍ وُقُوفٌ قُدَّامَهُ»[٤٧١]، وهم على استعداد أن يُرسلوا. وهناك أنبياء كثيرون واثنى عشر رسولاً وبولس، بل وموسى أيضا لم يكن وحده بل كان معه هارون أيضًا، وبعد ذلك كان معه «سبعون آخرون امتلأوا بالروح القدس»[٤٧٢]. وموسى خَلَفَه يشوع ابن نون، وهذا خَلَفَه القضاة، وهؤلاء لم يخلفهم واحد بل كثيرون.

فلو كان الابن إذن مخلوقًا، وواحدًا من المخلوقات لكان من اللازم أن يكون هناك أنبياء كثيرون مثله، لكى يكون لله أيضًا خدام كثيرون من هؤلاء، كما أن له جمعًا غفيرًا من أولئك الآخرين. وإن لم يكن في الإمكان أن يرى أحد هذا الرأى، فإن **الكلمة** واحد، لكن المخلوقات كثيرة. من هؤلاء لا يُفهم أن الابن يتميَّز على الجميع، وليس له أى وجه شبه بالمخلوقات، بل هو من ذات الآب. من أجل ذلك فلا يوجد عدد كثير من الكلمات، بل هناك **كلمة** واحد للآب الواحد، وصورة واحدة للإله الواحد. وهم يقولون: «ها هى شمس واحدة فقط وأرض واحدة». يا لهم من حمقى! فليقولوا أيضًا إن الماء واحد والنار واحدة، لكى نجيبهم بقولنا إن كل مخلوق بين المخلوقات هو واحد بحسب جوهره الخاص. أما من جهة الخدمة والعمل

---

[٤٦٩] مز١٠٤: ٢٤.

[٤٧٠] يو١: ٣.

[٤٧١] انظر دا ٧: ١٠.

[٤٧٢] عد١١: ٢٥.



الموكلين إليه فليس كل مخلوق بمفرده كفءً ولا كافيًا، لأن الله قال: «لِتَكُنْ أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتَفْصِلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَتَكُونَ لآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينٍ»[٤٧٣]. ثم قال: «فَعَمِلَ اللهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ: النُّورَ الأَكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ، وَالنُّورَ الأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ وَالنُّجُومَ. وَجَعَلَهَا اللهُ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ وَلِتَحْكُمَ عَلَى النَّهَارِ وَاللَّيْلِ »[٤٧٤].

٢٨ ـ ها هى كواكب كثيرة: وليس فقط الشمس وحدها ولا القمر وحده، بل كل منهما واحد بحسب جوهره، إلاّ أن خدمة الكل واحدة ومشتركة وما ينقص الواحد يكمّله الآخر. وهكذا يشترك الكل في سد الحاجة إلى النور. فالشمس لديها السلطان أن تظهر في فترة النهار فقط، والقمر خلال الليل، أما النجوم فيتم بها مع الشمس والقمر الفصول والسنين، فتكون لآيات[٤٧٥] حسب الاحتياج المطلوب من كل منها. والأرض أيضًا ليست لكل شئ، بل للثمار وحدها، ولكى تكون موطئًا للحيوانات التى تمشى عليها. أما الجَلَد فهو الذي يفصل بين مياه ومياه: لكى يكون مكانًا للكواكب. وهكذا كل من النار والماء قد صار مع كل الأشياء الأخرى لأجل تكوين الأجسام. وعمومًا فليس هناك شئ واحد قائمًا بمفرده. بل كل واحد من المخلوقات كما لو كان مع بقية المخلوقات كأعضاء بعضها لبعض، يشكّلون العالم معًا كأنه جسد واحد.

فإن كانوا يفترضون أن الابن أيضًا هكذا، فإنهم يستحقون أن يُرجموا من جميع الناس. لأنهم يظنون أن الكلمة جزء من الكل، جزء لا يكفى بدون الأشياء الأخرى أن يقوم بالخدمة المسلّمة له. فإن كان هذا كفر واضح، فدعهم يعترفون

---

[٤٧٣] تك١:١٤.

[٤٧٤] تك١:١٦ــ١٨.

[٤٧٥] انظر تك١:١٤.



أن الكلمة ليس معدودًا بين المخلوقات، بل هو كلمة الآب الوحيد، الذاتى وهو خالق المخلوقات ولكنهم قالوا عنه: «إنه مخلوق ومعدود بين المخلوقات، وقد تعلّم فن الخلق كما من معلّم وفنّى، وهكذا خدم الله الذى علّمه». لأن أستيريوس السفسطائى قد تجاسر على كتابة هذه الأقوال مثلما تعلّم أن ينكر الرب غير مُدرك للحماقة التى تترتب عليها. لأنه إن كان الخَلق شئ يمكن أن يُكتسب بالتعليم، فليحذروا أيضًا لئلا يقولوا عن الله نفسه أنه ليس خالقًا بالطبيعة بل بالتعليم، فتكون النتيجة أنه يمكن أن يفقد خاصيته كخالق. وعلى ذلك فلو حصل حكمة الله على الخلق بالتعليم، فكيف يكون حكمة إن كان لا يزال فى حاجة إلى دروس؟ وماذا كان حاله قبل التعلّم؟ فإن كان ينقصه التعليم فإنه لا يكون حكمة، بل يكون شيئًا فارغًا، وليس حكمة بجوهره، ويكون قد اتخذ اسم الحكمة عن طريق الترقى ويظل هكذا حكمة على مدى الوقت مادام يحتفظ بما قد تعلّمه. فالذى لا يوجد فى طبيعة شخص ما، بل يكتسبه من خلال التعلّم فمن الممكن أيضًا أن يُفقد فى وقت ما. ولكن من يقول مثل هذا الكلام عن كلمة الله فليس من بين المسيحيين، بل مَنْ بين الوثنيين.

٢٩ ـ لأنه إن كان عمل الخلق يمكن اكتسابه بواسطة التعلّم فإن عديمى العقل هؤلاء يقولهم هذا ينسبون الحسد والضعف إلى الله. فمن ناحية ينسبون إليه الحسد لأنه لم يعلّم الخلق لكثيرين، لكى مثلما يوجد كثيرون من الملائكة ورؤساء الملائكة، هكذا يوجد حوله أيضًا خالقون كثيرون. ومن ناحية أخرى ينسبون له الضعف لأنه عجز عن أن يقوم بالخلق وحده، بل احتاج إلى معين أو خادم وذلك بالرغم من البرهنة على أن الطبيعة المخلوقة يمكن أن توجد من الله وحده، إذ هم يقولون إن «الابن مخلوق وقد صار من الله وحده». ولكن الله ليس فى حاجة



إلى أحد، حاشا لله. لأنه هو قال: «إنى ممتلئ»[٤٧٦]. والكلمة لم يصر خالقًا، بل إذ هو صورة الآب وحكمته فإنه يعمل أعمال الآب. والآب لم يجعل الابن من أجل عمل المخلوقات، لأنه هوذا رغم وجود الابن يظل الآب عاملاً أيضًا كما يقول الرب نفسه «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ»[٤٧٧].

فإن كان الابن قد وُجد ـ حسبما تقولون ـ لكى يخلق الأشياء التى جاءت بعده، ومع ذلك يُرى الآب عاملاً حتى بعد وجود الابن، فإن وجود مثل هذا الابن يكون ـ بحسب قولكم ـ لا لزوم له. وإلّا فلماذا يبحث الآب عن وسيط عندما شاء لأن يخلقنا كما لو أن مشيئته لم تكن كافية لخلق ما يبدو له حسنًا؟ مع أن الأسفار المقدسة تقول: «كُلَّ مَا شَاءَ الرَّبُّ صَنَعَ»[٤٧٨] وأيضًا «مَنْ يُقَاوِمُ مَشِيئَتَهُ»[٤٧٩]. لو أن مشيئته وحدها كانت كافية لخلق كل الأشياء، فإن مرَّة أخرى تكون حاجته لوسيط ـ وفقًا لقولكم ـ من نافلة القول. ولذا فإن المثل الذى تضربونه عن موسى وعن الشمس والقمر يتضح أن لا أساس له. وبناء على ذلك فإن هذا القول يلجم ألسنتكم. فإن كان الله ـ حسبما تعتقدون ـ عندما أراد أن يخلق الطبيعة المخلوقة وقد عقد العزم على ذلك ـ خطط أن يخلق الابن أولاً لكى يخلقنا بواسطته، فتأملوا واعتبروا أى قدر من الكفر قد تجاسرتم أن تنطقوا به.

٣٠ ـ فبحسب كلامكم يظهر أولاً أن الابن قد جُعل من أجلنا، ولسنا نحن من أجله، بمعنى أننا لم نُخلق لأجله ولكنه قد صُنع من أجلنا، وبذلك يكون هو مدينًا بالفضل لنا ولسنا نحن المدينين له، كوضع المرأة بالنسبة للرجل. فالكتاب

---

[٤٧٦] إش ١١:١ سبعينية .

[٤٧٧] يو ١٧:٥

[٤٧٨] مز ٦:١٣٥

[٤٧٩] رو ١٩:٩



يقول: «وَلأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يُخْلَقْ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ بَلِ الْمَرْأَةُ مِنْ أَجْلِ الرَّجُلِ»[٤٨٠]. ولذلك إذن «فَإِنَّ الرَّجُلَ صُورَةَ اللهِ وَمَجْدَهُ. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَهِيَ مَجْدُ الرَّجُلِ»[٤٨١]. وهكذا فنحن صورة الله، وقد صرنا من أجل مجده، أما الابن فيكون - على أساس كلامهم - هو صورتنا وأنه وُجِدَ من أجل مجدنا، ونحن قد جُعلنا لكى نُوجد. أما كلمة الله - حسب اعتقادكم - فإنه لم يُجعل لكى يوجد، بل قد جُعل ليكون أداة لأجل وجودنا حتى أننا لم نتكوّن منه بل هو الذى قد تكوّن لأجل وجودنا. أليس الذين يفكرون بهذه الأفكار يفوقون كل جنون وحماقة؟ لأنه لو أن الكلمة قد صار من أجل وجودنا فلا يكون سابق علينا سوى الله، لأن الله (فى هذه الحالة) لم يخطط بخصوص وجودنا والكلمة كائن فى داخله، ولكنه خطّط لأجل وجود كلمته - كما يقولون - ونحن فى داخله. فلو كان الأمر كذلك، فلربما لم يكن الآب يريد الابن على وجه الاطلاق، لأنه خلقه - حسب قولكم - لا لأنه كان يريده بل لأنه كان يريدنا نحن، فقد خلقه من أجلنا، لأنه خطط لوجوده بعد أن خطط لوجودنا معًا.

لذا فإنه حسب أفكار الكافرين يكون الابن الذى خُلق لكى يكون أداة لا لزوم له. لأن الذين كان ينبغى أن يخلقهم كانوا موجودين بالفعل، فإن كان الابن وحده قد صار من الله مباشرة بسبب قدرته على احتمال ذلك، أما نحن فقد صرنا من الكلمة بسبب عدم قدرتنا، فلماذا لا يخطط الله بخصوص وجوده أولاً - وهو القادر (أى الابن) على احتمال ذلك، بل يخطط بخصوصنا؟ ولماذا لا يفضّل القادر على غير القادرين؟ ولماذا حيث إنه قد صنعه أولاً، لا يخطط بخصوصه أولاً؟ أما إن كان يخطط بخصوصنا أولاً، فلماذا لا يصنعنا نحن أولاً؟، مادامت مشيئته كفيلة بتكوين الكل؟ بل يخلق ذاك أولاً ومع ذلك فهو يُخطط أولاً بخصوص وجودنا،

---

[٤٨٠] ١ كو ١١:٩

[٤٨١] ١ كو ١١ : ٧



ويريدنا أولاً قبل الوسيط. وحينما يريد أن يخلقنا ويخطط بخصوصنا فإنه يسمينا مخلوقات. أما هذا الذى يخلقه من أجلنا فيسميه ابنًا ووارثًا ذاتيًا؟ فكان ينبغى بالأحرى أننا نحن الذين من أجلنا قد صنعه، أن يسمينا أبناء. ولكن بلا شك فلأنه هو ابنه فإنه يفكر فيه أولاً ويريده وهو الذى به صنعنا جميعًا. هذه هى إفرزات الهراطقة وتقيؤاتهم.

الفصل الثامن عشر

مقدّمة لشرح : أمثال ٨: ٢٢
«الرب قنانى أول طرقه»
تابع : أن الابن ليس مخلوقًا

٣١ ـ لا يجب الصمت عن مبدأ الحق بل فى الواقع ينبغى النطق به بصوت عالى. لأن كلمة الله لم يصر من أجلنا بل بالحرى نحن قد صرنا من أجله. وبه خُلِقت الأشياء[٤٨٢]. وليس بسبب ضعفنا نحن كان هو قويًا وصائرًا من الآب وحده، لكى يخلقنا بواسطته كأداة! حاشا! فالأمر ليس كذلك. لأنه حتى لو لم يستحسن الله أن يخلق المخلوقات، فالكلمة مع ذلك كان عند الله وكان الله فيه. وكان فى نفس الوقت من المستحيل أن تكون المخلوقات بغير الكلمة لأنها قد صارت به ـ وهذا هو الصواب. وحيث إن الابن هو الكلمة الذى له جوهر الله بالطبيعة، وهو منه وهو فيه كما يقول هو نفسه، لذلك لم يكن ممكنًا أن تصير المخلوقات إلاّ به. لأنه مثلما ينير النور كل شئ بأشعته وبدون إشعاعه ما كان شىء قد أضاء، هكذا أيضًا فإن الله قد خلق كل شئ بالكلمة كما بواسطة يد، وبدونه لم يخلق شيئًا.

فعلى سبيل المثال كما ذكر موسى «وَقَالَ اللّهُ لِيَكُنْ نُور»[٤٨٣]، و «لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ»[٤٨٤]، و «لِتُنْبِتِ الأَرْضُ»[٤٨٥]، و «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ »[٤٨٦]. وترنم أيضًا داود القديس

---

[٤٨٢] كو ١: ١٦

[٤٨٣] تك ١: ٣

[٤٨٤] تك ١: ٩

[٤٨٥] تك ١: ١١

[٤٨٦] تك ١: ٢٦



«هو قال فصارت هو أمر فخُلقت»[٤٨٧]. أما أنه «قال» فليس كما يحدث فى حالة البشر عندما يتكلّم المرء يستمع خادم ما وبمجرَّد علمه برغبة المتكلّم يسارع إلى التنفيذ والعمل، لأن هذا يختص بالمخلوقات. أما بالنسبة للكلمة فلا يليق أن يفكر أحد هكذا عنه. لأن كلمة الله خالق وصانع وهو نفسه مشيئة الآب. من أجل هذا لم يقل الكتاب الإلهى بأن المستمع سمع وأجاب فيما يخص الكيفية التى يريد أن تكون عليها المخلوقات، بل قال الله «ليكن» ثم أضاف «وكان هكذا»[٤٨٨].

لأن ما رآه الله حسنًا وأراده، فعله الكلمة وأتمّه فى الحال. أما عندما أمر الله آخرين سواء ملائكة أو عندما كلّم موسى، أو عندما أمر إبراهيم، عندئذ فإن الذى استمع أجاب. فقال الواحد «كيف سأعرف»[٤٨٩]. وقال الآخر: «أقم آخر»[٤٩٠] وأيضًا «فَإِذَا قَالُوا لِي: مَا اسْمُهُ؟ فَمَاذَا أَقُولُ لَهُمْ؟»[٤٩١]. وقال الملاك لزكريا «هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ»[٤٩٢]. وسأل الملاك الرب «يَا رَبَّ الْجُنُودِ، إِلَى مَتَى أَنْتَ لاَ تَرْحَمُ أُورُشَلِيمَ»[٤٩٣]، وكان ينتظر أن يسمع «كَلاَمٍ طَيِّبٍ وَكَلاَمِ تَعْزِيَةٍ»[٤٩٤]. لأن كل واحد من هؤلاء يوجد عنده الكلمة الوسيط[٤٩٥] وحكمة الله العارف بمشيئة الآب. ولكن

---

[٤٨٧] مز٢٣: ٩

[٤٨٨] تك ١: ٣، ٦، ١١، ١٥

[٤٨٩] تك٨: ١٥

[٤٩٠] خر١٣: ٤

[٤٩١] خر١٣: ٣

[٤٩٢] زك١٧: ١

[٤٩٣] زك١٢: ١

[٤٩٤] زك١٣: ١

[٤٩٥] يقصد القديس أثناسيوس بتعبير "الوسيط" أن **كلمة** الله قبل تجسده كان هو الذي يعلن مشيئة الله للملائكة والأنبياء كما هو وارد في هذه الفقرة.



عندما يعمل الابن ويخلق لن يكون هناك سؤال وجواب. لأن الآب موجودًا فى الكلمة والكلمة فى الآب. بل تكفى المشيئة فيصير العمل. ولفظة «قال» هذه كُتبت من أجلنا لكى نعرف مشيئته. ومن ناحية أخرى فعبارة «كان هكذا» تشير إلى العمل الذى تمَّ بواسطة الكلمة والحكمة، الذى وجد فيه أيضًا مشيئة الآب. ونفس التعبير «قال الله» يشير إلى الكلمة لأنه يقول «مَا أَعْظَمَ أَعْمَالَكَ يَا رَبُّ! كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ»[٤٩٦] و«بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ»[٤٩٧]. و «وَرَبٌّ وَاحِدٌ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ بِهِ.»[٤٩٨].

٣٢. من هذا ندرك أن الآريوسيين لا يحاربوننا من أجل هرطقتهم، بل يستعرضون أنفسهم أمامنا وهم يحاربون الألوهة ذاتها. لأنه إن كان الصوت القائل «هَذَا هُوَ ابْنِي» [٤٩٩] هو صوتنا لكان اللوم الذى يستحقونه منا قليل. ولكن إن كان الصوت هو صوت الآب والتلاميذ سمعوه، والابن نفسه أيضًا يقول عن ذاته «قبل كل الجبال ولدنى»[٥٠٠]، ألاّ يكونون بهذا يحاربون الله مثل العمالقة الأسطوريين ولسانهم نحو عدم التقوى « سيف ماض» كما يقول المرنم لأنهم لم يخافوا صوت الآب، ولم يحترموا كلمات المخلّص، ولم يطيعوا القديسين، حيث كتب أحدهم «الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ»[٥٠١]. و«الْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ»[٥٠٢]،

---

[٤٩٦] مز١٠٤: ٢٤

[٤٩٧] مز٣٣: ٦

[٤٩٨] ١كو٨: ٦

[٤٩٩] مت١٧: ٥

[٥٠٠] أم٨: ٢٥

[٥٠١] عب١: ٣

[٥٠٢] ١كو١: ٢٤



وترنّم آخر «لأَنَّ عِنْدَكَ يَنْبُوعَ الْحَيَاةِ. بِنُورِكَ نَرَى نُوراً. ا»[٥٠٣]، و«كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ»[٥٠٤]. ويقول الأنبياء: «فَكَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَيَّ»[٥٠٥]. ويقول يوحنا «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ»[٥٠٦]، ويقول لوقا «كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّاماً لِلْكَلِمَةِ»[٥٠٧]. كما يقول داود أيضًا «أَرْسَلَ كَلِمَتَهُ فَشَفَاهُمْ»[٥٠٨]. وكل هذه الأقوال تفضح الهرطقة الآريوسية فى كل مكان، بل توضح أيضًا أزليَّة الكلمة، وأنه من جوهر الآب وليس غريبًا عنه. لأنه متى رأى أحدهم نورًا بغير إشعاع؟ أو من يجرؤ أن يقول إن «رسم الجوهر شىء آخر غير الجوهر»؟ وألاّ يكون قد أصيب بالجنون بدرجة كبيرة ذلك الذى يفكر أيضًا أن الله فى وقت ما كان بلا كلمة وبلا حكمة؟.

لأن الكتاب وضع مثل هذه الأمثلة، ومثل هذه الصور ـ نظرًا لعجز الطبيعة البشريَّة عن إدراك الله ـ وذلك لكى يمكننا بقدر المستطاع أن نكوّن فكرة ولو طفيفة وباهتة. كما أن الخليقة فيها أمثلة كافية لمعرفة وجود الله وعنايته، «فَإِنَّهُ بِعِظَمِ جَمَالِ الْمَبْرُوءَاتِ يُبْصَرُ فَاطِرُهَا عَلَى طَرِيقِ الْمُقَايَسَةِ»[٥٠٩]. ونحن نتعلَّم من المخلوقات دون أن نطلب منها أن تنطق، بل إذ نسمع الكتب المقدسة فإننا نؤمن، وبرؤيتنا لنظام جميع الأشياء وانسجامها فإننا نعرف أنه هو خالق جميع الكائنات

---

[٥٠٣] مز٣٦: ٩

[٥٠٤] مز١٠٤: ٢٤

[٥٠٥] أر١: ٤

[٥٠٦] يو١: ١

[٥٠٧] لو١: ٢

[٥٠٨] مز١٠٧: ٢٠

[٥٠٩] حكمة١٣: ٥



وربها وإلهها. وندرك عنايته المذهلة وسيادته على الكل. وهكذا نفس الحال بالنسبة لألوهية الابن، فإن ما سبق ذكره من أقوال يكفى كشاهد على ألوهيته. فيكون من نافلة القول أو بالأحرى من الجنون أن يشك أحد، ويسأل بطريقة هرطوقية: كيف يمكن أن يكون الابن أزليًا؟ أو كيف يمكن أن يكون من جوهر الآب وليس جزءً منه؟ لأن ما ينتج من شىء يعتبر جزء منه، وما يمكن تقسيمه لا يمكن أن يكون كاملاً[510].

٣٣ـ هذه هى أفكار الهراطقة الشريرة ومغالطاتهم. وبالرغم من أننا سبق أن توصَّلنا إلى دحض ما فى تعاليمهم من هراء، فإن المعنى الدقيق للآيات والأمثلة التى وضعها الكتاب هى نفسها تدحض مجمل عقيدتهم النكراء. لأننا نرى أن الكلمة موجود دائمًا، ووجوده هو من الآب ومن جوهره وليس عنده سابق ولاحق. ونرى أيضًا أن الإشعاع هو من الشمس وهو خاص بها، وأن جوهرها لا يتجزاء ولا ينتقص، بل هو كامل. والإشعاع بالغ حد التمام والكمال بغير أن ينتقص جوهر النور، بل أنه مولود حقيقى منه. وبالمثل نرى أن الابن ليس من خارج الآب، بل هو مولود منه وأن الآب يبقى كاملاً و «رَسْمُ جَوْهَرِهِ»[511]، كائن دائمٌ ومحتفظًا بمماثلة الآب ومطابقة صورته حتى أن من يراه يرى فيه الجوهر الذى هو رسم له. ومن فاعلية الرسم ندرك ألوهية الجوهر الحقيقية. لأن هذا هو ما علّم به المخلّص نفسه عنما قال: «الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ»[512]، و «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ»[513]، و «أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيّ»[514].

---

[510] ولهذا يُقال إن جوهر الله مثلث الأقانيم هو جوهر بسيط غير مركب لأن التركيب هو بداية التقسيم وأقانيم الثالوث هي أقانيم كاملة لأن ما يمكن تقسيمه لا يمكن أن يكون كاملاً.

[511] أي من الابن انظر عب١: ٣.

[512] يو١٤: ١٠، ١٢.



لذلك فلندع الهرطقة المحاربة للمسيح تحاول أولاً أن تفصل بين مكونات الأمثلة الموجودة فى المخلوقات، وتقول إن الشمس كانت يومًا بدون إشعاع، أو أن هذا الإشعاع ليس من ذات جوهر النور، أو أنه من ذاته ولكنه - بمنطق التجزئة - يعتبر جزءً من النور. ودع الهرطقة أيضًا تفصل الكلمة وتقول إنه غريب عن العقل، أو أنه كان هناك وقت ما لم يكن فيه موجودًا، أو أنه ليس من جوهره الذاتى، أو أنه جزء من العقل قابل للتجزئة. أما بالنسبة إلى «الرسم» و«النور» و«القوّة» فدع الهرطقة هكذا تفصلها كما فَعَلت بالنسبة للكلمة و«الإشعاع» وعندئذ فلتتخيل بخصوصها كما تشاء. فإن كان مثل هذا التهور مستحيلاً عليهم فكيف لا يكون من الجنون المطبق أن يقحموا أنفسهم عبثًا فيما هو أسمى من الأشياء المخلوقة وأعلى من طبيعتها، وهم بذلك يحاولون المستحيل؟

٣٤. لأنه إن كانت الأشياء المخلوقة والجسدية لها مواليد دون أن تكون أجزاء من الجواهر التى ولدت منها دون أن تتغير طبيعتها ولا تنتقص من جواهر والديها، فكيف لا يكونون قد أصيبوا بالجنون وهم يتصورون وجود التجزئة والتغيُّر فى إله حقيقى غير جسدى ناسبين الإنقسام إلى إله غير منحول وغير متغير لكى يبلبلوا مسامع البسطاء ويضلوهم عن الحق؟

لأن مَنْ ذا الذى يسمع كلمة ابن ولا يتبادر إلى ذهنه أنه من ذات جوهر الآب؟ ومَنْ - عندما سمع أثناء تعلّمه أصول الإيمان فى المرحلة الأولى أن الله له ابن وأنه قد صنع كل الأشياء بواسطة كلمته الذاتى - لم يدرك هذا الأمر بنفس الطريقة التى نفهم بها نحن الآن. ومَنْ - عند ظهور هرطقة الآريوسيين الشائنة - لم يندهش حالما

[513] يو ١٠: ٣٠.

[514] يو ١٤: ١٠.



سمع ذلك الكلام الذى يقولونه، حيث إنهم يرددون كلامًا مخالفًا للحق وينفثون تعاليمًا مغايرة لتلك التعاليم التى سبق بَذرِها منذ البداية؟ لأن ما بُذر منذ البداية فى كل نفس هو أن الله له ابن وهو **الكلمة**، والحكمة، والقوَّة، وهو صورته وبهاؤه، وتبعًا لهذا فهو كائن دائمًا، وأنه هو من الآب وأنه المماثل، وأنه له أزليَّة الولادة من الجوهر، ولا توجد هنا أيَّة فكرة عن كونه مخلوقًا أو مصنوعًا. ولكن «وَفِيمَا النَّاسُ نِيَامٌ جَاءَ عَدُوُّهُ»[515]، زرع زوان تقول إن الابن «مخلوق»، وأنه «كان هناك وقت لم يكن فيه موجودًا»، وأنه «كيف يمكن أن يكون؟». وعندئذ انتشرت هرطقة أعداء المسيح الأثيمة حالاً كالزوان وهى خالية من كل فكر قويم، وصاروا يطوفون مثل لصوص ويتجاسرون ويقولوا: «كيف يمكن أن يكون الابن كائنا مع الآب على الدوام؟» لأن الناس يصبحون أبناء من الناس بعد مضى فترة من الزمن، وإذ يبلغ الأب ثلاثين عامًا يبدأ الابن عندئذ ميلاده. وعلى العموم كل ابن إنسان لم يكن له وجود قبل أن يولد. ومرَّة يهمسون: «كيف يمكن أن يكون الابن كلمة، أو أن يكون الكلمة صورة الله؟ لأن كلمة الناس تتكون من مقاطع وتدل فقط على مشيئة المتكلِّم، ثم تتوقف وتتلاشى فى الحال؟».

٣٥ ـ إن أولئك إذن ـ كما لو كانوا قد نسوا البراهين التى سبق أن قيلت ضدهم ـ يورّطون أنفسهم ايضًا فى أمور الكفر وعدم الإيمان شاغلين عقولهم بمثل هذه الأفكار. ولكن كلمة الحق تدحضهم هكذا: إن كانوا يجادلون بخصوص إنسان ما، فدعهم يفكرون بطريقة بشرّية بخصوص كلمة هذا الإنسان وبخصوص ابنه. أما إذا كانوا يفكرون بخصوص الله خالق البشر فدعهم لا يفكرون بعد فى هذا الأمر بطريقة بشرّية، بل يدركون أن له طبيعة أخرى أعلى من طبيعة البشر. لأنه مثلما يكون الذى يلد، هكذا يكون بالضرورة المولود منه

---

[515] مت١٣: ٢٥



أيضًا. ومثلما يكون «أب الكلمة» هكذا يكون أيضًا كلمته. وعلى هذا فبما أن الإنسان يولد فى وقت ما. وحيث إن الإنسان قد وُجد من العدم، لذلك فإن كلمته تتوقف ولا تبقى. أما اللّه فهو ليس كالإنسان لأن هذا ما قاله الكتاب[٥١٦]. لكنه «هو كائن»[٥١٧]. وهو الموجود دائمًا، ولهذا فإن كلمته أيضًا كائن وأزليٌّ مع الآب مثل إشعاع النور.

وكلمة البشر تتكون من مقاطع وهى لا تحيا ولا تعمل شيئًا، بل تعبِّر فقط عن قصد المتكلِّم. وبمجرد أن تخرج من الفم تضيع ولا تظهر بعد حيث إنها لم تكن موجودة إطلاقًا قبل أن ينطق بها، ولذلك فهى لا تحيا ولا تعمل شيئًا. وهى ليست إنسانًا إطلاقًا. بل يحدث لها هذا ـ كما سبق أن قلت ـ لأن الإنسان الذى ولدها طبيعته نفسها من العدم. أما كلمة اللّه فهو ليس مجرَّد كلمة منطوقة مثلما قد يقول أحد، ولا هو همس كلمات. وليس «الابن» هو أمر صادر من اللّه، بل هو كإشعاع النور مولود كامل من كامل. ولهذا فهو اللّه كما أنه صورة اللّه. لأنه مكتوب «وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللّه»[٥١٨]. فى حين أن كلام البشر لا يستطيع أن يعمل شيئًا، ولهذا فإن الإنسان لا يعمل بواسطة الكلمات، بل بيديه. لأن يديه لهما وجود أما كلمته ليس لها وجود فعّال. لكن كلمة اللّه كما يقول الرسول: «لأَنَّ كَلِمَةَ اللّهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ، وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ. وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ

---

[٥١٦] انظر يهوديت٨: ١٦

[٥١٧] انظر خر٣: ١٤

[٥١٨] يو١: ١



قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنَيْ ذَلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا»[519]. فهو إذن خالق «وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»[520]، ولا يمكن أن شيء يكون بدونه.

٣٦ـ فلا ينبغى إذن أن يتسائل أحد: لماذا لا يكون كلمة الله مثل كلمتنا نحن؟... لأن الله ليس مثلنا كما سبق القول. بل لا يجب التساؤل: كيف يكون الكلمة من الله؟ أو كيف يكون هو إشعاع الله؟، أو كيف يلد الله؟، وما هى طريقة ولادته؟ فإن مَنْ يجرؤ على مثل هذه الأقوال يكون مجنونًا. لأن هذا أمر لا يُنطق به، وهو خاص بطبيعة الله، ومعروف له ولابنه فقط لأن مَنْ يسأل هكذا يطلب تفسيرًا بالكلام. لأنه يشبه مَنْ يسأل « أين الله؟» وكيف يكون الله؟، وما هو نوع طبيعة الآب؟ وكما أن مثل هذه الأسئلة تدل على عدم تقوى، وعلى جهل بالله، هكذا فإنه ليس من اللائق التجاسر بمثل هذه الأقوال عن ميلاد ابن الله، ولا أن يُقاس الله ورحمته بطبيعتنا وعجزنا.

ولا يحق لأحد أن ينحرف بفكرة بعيدًا عن الحق. وإن كان أحد يرتبك وهو يفتش ويبحث فى هذه الأمور، فلا يجب أن ينكر المكتوب. لأنه من الأفضل فى حالة الارتباك أن نصمت ونؤمن، بدلاً من ألاّ نؤمن بسبب هذه الحيرة. ذلك لأن الذى يتحيَّر يستطيع بطريقة ما أن يجد غفرانًا طالما أنه قد هدأ كليًا بعد أن تساءل. أما ذلك الذى ـ بسبب حيرته ـ يفكر فى نفسه تلك الأفكار غير الملائمة، ويتكلّم عن الله بأمور لا تليق به، فإن إدانته تكون بغير مغفرة بسبب تطاوله.

لأنه فى مثل هذه الارتباكات يمكن للشخص أن يجد بعض الراحة بواسطة الكتب الإلهية حتى أنه من ناحية يمكنه أن يستوعب تلك الأقوال المكتوبة

---

[519] عب٤: ١٢، ١٣

[520] يو١: ٣



استيعابًا صحيحًا، ومن ناحية أخرى يمكنه أن يتخذ من طريقة الكلام مثالاً له لأنه كما أن ما نقوله هو قولنا ونابع منا وليس عملاً ناتجًا من خارجنا. هكذا بالمثل أيضًا كلمة الله هو من ذات الله ونابع منه، وليس مصنوعًا، ومع ذلك فهو ليس مثل كلمة البشر، حيث إنه فى مثل هذه الحالة سنضطر أن نفهم الله كإنسان.

لاحظ إذن أن كلام الناس كثير ومختلف ويزول كل يوم بسبب أن الكلام السابق لغيره لا يبقى بل يتلاشى. وهذا يحدث لأن الناطقين بهذا الكلام وأعمالهم زائلة، وأفكارهم تتلاحق وتتابع، وهم ينطقون الكلام وفقًا للأفكار التى يتفكرون بها ويتدارسونها أولاً بأول إلى أن يكون لديهم كلمات كثيرة، ولكن بعد هذه الكلمات الكثيرة لا يتبقى منها شىء إطلاقًا، لأنه بمجرَّد أن يكف المتكلّم عن الكلام فسرعان ما يتلاشى. أما كلمة الله فهو واحد، وهو هو نفسه، كما هو مكتوب «إِلَى الأَبَدِ يَا رَبُّ كَلِمَتُكَ مُثَبَّتَةٌ فِي السَّمَاوَاتِ»[٥٢١]. دون أن يتغيَّر، وليس هو سابقًا أو لاحقًا لغيره، بل يبقى كما هو على الدوام. لأنه من المناسب، بما أن الله واحد فصورته أيضًا تكون واحدة، وكلمته أيضًا واحد، وكذلك أيضًا حكمته واحدة.

٣٧ـ ولهذا اتعجب أنه طالما أن الله واحد، فكيف يُدخِل هؤلاء صورًا، وحكمات، وكلمات متعددة بحسب بدعهم واختراعاتهم، ويصرون على أن كلمة الآب الذاتى بالطبيعة هو غير الابن، وأنه بالكلمة قد صنَع الابن أيضًا. أما مَنْ هو ابن بالحقيقة فيقولون عنه أنه كلمة بالاسم فقط، مثلما قيل إنه كَرمة، وطريق، وباب، وشجرة حياة. ويتشدَّقون أيضًا أنه يلقب بالحكمة بالاسم فقط، وأن

---

[٥٢١] مز١١٩: ٨٩



حكمة الآب هو حقيقة ذاتية أخرى مصاحبة له فى الوجود بغير ولادة. والذى عن طريقه صنع الابن ودعاه حكمة أيضًا بحسب مشاركته فى الحكمة. وهم لا يقتصرون فى هذا على كلمات فقط، بل نجد أن آريوس صنف شعرًا فى كتابه « ثاليا»، واستريوس السفسطائى[٥٢٢] كتب ما سبق أن قلناه هكذا: [لم يقل بولس المبارك أنه كرز بالمسيح قوَّة اللّه وحكمة اللّه، بل «قوة للّه وحكمة للّه»، بدون أداة تعريف، وكرز أن قوة اللّه الذاتية شيء آخر، وهى قوة الطبيعة الموجودة معه بغير ولادة، وأنها هى التى وَلَدت المسيح وخلقت العالم كله. وبخصوصها يعلّم فى رسالته إلى أهل رومية ويقول: « لأن أموره غير المنظورة ترى بوضوح منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية وألوهيته «... وكما أنه لا يستطيع أحد أن يقول أن الألوهية المشار إليها هنا هى المسيح، بل هى ذات الآب، كذلك أظن أن قوته السرمدية وألوهيته ليست هى الابن الوحيد الجنس، بل الآب الذى ولده]. ويعلّم أنه توجد قوة أخرى وحكمة أخرى للّه، وأنها هى التى تتضح من خلال المسيح. وبعد قليل يعلّم استيريوس نفسه: [إن قوته السرمدية وحكمته التى تعبَّر عنها التأملات الحقيقية أنها بلا بداية، وإنها غير مولودة هى حتمًا واحدة بذاتها. لأنه توجد قوات كثيرة قد خُلِقت واحدة فواحدة بواسطة اللّه، والتى من بينها المسيح هو البكر والوحيد الجنس، وجميعها - بطريقة مماثلة - تعتمد على مَنْ يمتلكها. فجميعها تدعى بحق قواته المخلوقة التى يستخدمها، كما يقول النبى أن الجراد الذى أُرسل من اللّه بسبب الخطايا البشرية قد سماه اللّه ليس قوَّة، بل « قوَّة

---

[٥٢٢] استريوس: ويسمّى أيضًا استريوس الكبادوكى (ق٣ــ٤م) كان هرطوقيًا تلميذًا مثل آريوس للوكيانوس مؤسس مدرسة إنطاكية ومن أوائل من كتب ضد تعاليم القديس أثناسيوس ودفاعه عن ألوهية الابن.



عظيمة»[٥٢٣]. والمطوّب داود فى كثير من مزاميره يحث ليس الملائكة فقط، بل القوات لتسبح الله][٥٢٤].

٣٨ـ والآن ألا يكونون مستحقين لكل مقت لمجرّد قولهم هذا؟ لأنه إن كان هو ـ بحسب ما يعتقدون ـ ليس ابنًا بسبب ولادته من الآب ومن ذات جوهره، بل يسمى كلمة بسبب الأشياء المدركة، ويسمى حكمة بسبب الأشياء التى نالت حكمة، ويسمى قوَّة بسبب الأشياء التى اكتسبت قوَّة، فإنه بالتالى ينبغى أن يسمى ابنًا بسبب أولئك الذين نالوا البنوَّة. وربما حتى وجوده يكون بسبب الأشياء التى لها وجود، وذلك بحسب بدعتهم.

إذن، فَمَنْ يكون هو هذا؟ لأنه لن يكون هو واحدًا من هذه الأشياء، حتى لو كانت هذه الأشياء هى أسماء له فقط، وكان له وجود خيالى فحسب، وكانت هذه الاسماء قد أُضيفت عليه بواسطتنا. بل بالحرى فإن هذا يُعتبر حماقة شيطانية قصوى، وربما أكثر من ذلك، لأنه يريدون أن يكونوا هم أنفسهم موجودين حتمًا بينما يظنون أن كلمة الله هو موجود بالاسم فقط. فكيف لا تكون أقوالهم هذه عبارات متناقضة إذ يقولون إن الحكمة موجودة مع الآب، ولكنهم يرفضون أن تكون هذه الحكمة هى المسيح؟ ويقولون إنه توجد قوات خالقة وحكمات كثيرة، وأن الرب هو واحد من بين هذه، وهم يقارنونه «بالدودة»، و «الجرادة[٥٢٥]»؟ وأيضًا أليسوا خبثاء إذ أنهم حينما يسمعون منّا أن الكلمة موجود مع الآب، فإنهم يتذمرون محتجين ويقولون «ألستم بذلك تتحدثون عن اثنين غير مخلوقين؟» وهم

---

[٥٢٣] انظر يوئيل٢: ٢٥

[٥٢٤] انظر مز١٠٣: ٢١

[٥٢٥] راجع فصل ٣٧.



أنفسهم عندما يتحدثون عن «حكمته غير المخلوقة» لا يرون أن الأتهام الباطل الذى يوجهونه ضدنا إنما يتجه ضدهم؟

فكيف إذن، لا تكون بدعتهم هذه حماقة بالغة أيضًا، وهى التى بمقتضاها يقولون أن «الحكمة غير المخلوقة» الموجودة مع الله هى الله نفسه؟ فإن الذى يشترك فى الوجود، لا يشترك فى الوجود مع نفسه، بل مع شخص ما، مثلما يقول البشيرون عن الرب أنه كان موجودًا مع التلاميذ، بمعنى أنه لم يكن موجودًا مع نفسه، بل مع التلاميذ، إلاّ إذا كانوا يقولون إن الله مرَّكب، أى لديه حكمة مختلطة، أو متممة لجوهره، وهى أيضًا غير مخلوقة مثله وهؤلاء الهراطقة يقدمونها على أنها بديل لخالق الكون، وذلك لكى «يسقطوا عن الابن خاصية الخلق». لأنهم يتلاعبون بكل الأمور لكى لا يفكروا عن الرب باستقامة.

٣٩ ـ فأين وجدوا فى الكتاب الإلهى إطلاقًا، أو ممَنْ سمعوا أنه يوجد كلمة آخر غير الابن نفسه، لكى يشكّلوا مثل هذه الأقوال فى مخيلتهم؟ لأنه مكتوب «أَلَيْسَتْ هَكَذَا كَلِمَتِي كَنَارٍ يَقُولُ الرَّبُّ، وَكَمِطْرَقَةٍ تُحَطِّمُ الصَّخْرَ؟»[٥٢٦]. وجاء فى سفر الأمثال «سأعلّمكم كلماتى»[٥٢٧]. فإن هذه وصايا وأوامر قد تكلّم بها الله للقديسين عن طريق كلمته الذاتى، الوحيد، الحق، والتى بخصوصها يقول المرنم «مِنْ كُلِّ طَرِيقِ شَرٍّ مَنَعْتُ رِجْلَيَّ، لِكَيْ أَحْفَظَ كَلاَمَكَ»[٥٢٨]. وقد أوضح المخلّص أن هذه «الكلمات» هى شىء آخر غيره هو ذاته، وذلك حينما يقول بنفسه «اَلْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ»[٥٢٩]. فليسست إذن مثل هذه «الكلمات» مواليد أو

---

[٥٢٦] أر٢٣: ٢٩

[٥٢٧] أم١: ٢٣

[٥٢٨] مز١١٩: ١٠١

[٥٢٩] يو٦: ٦٣



أبناء، ولا توجد كلمات خالقة بمثل هذا العدد، ولا صور للإله الواحد بمثل هذا العدد. وليس كثيرون صاروا بشرًا من أجلنا، وليس من بين العدد الكثير واحد صار جسدًا بحسب يوحنا، بل إن يوحنا بشَّر به ككلمة الله الوحيد قائلاً: «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً» و «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ»[٥٣٠].

لهذا فإن شهادة الآب التى تؤكد أن الابن الوحيد، وشهادة القديسين الذين فهموا هذا ويقولون إن الكلمة واحد ووحيد الجنس، هذه الكلمات تشير إلى ربنا يسوع المسيح بمفرده وإلى وحدته مع الآب، وأن الأعمال التى قد صارت به إنما تشهد بنفس الأمور لأن «كل الأشياء» المنظورة وغير المنظورة «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»[٥٣١].

إنهم لا يفكرون عن أى شخص أيًا كان، بل هم يصورون لأنفسهم كلمات وحكمات لم يشر الكتاب لا إلى اسمها ولا إلى عملها، بل هم وحدهم الذين يطلقون عليها هذه الاسماء. ويخترعون أفكارًا وظنونًا معادية للمسيح ويسيئون استخدام اسم «الكلمة» و «الحكمة». وإذ يصوَّرون لأنفسهم أفكارًا أخرى ينكرون بها كلمة الله الحقيقى وحكمة الآب الحقيقية الفريدة. وهكذا فإن هؤلاء التعساء يسيرون فى إثر خطوات المانويين[٥٣٢]، ذلك لأنهم وإن كانوا يرون أعمال الله فإنهم ينكرون الإله الكائن الوحيد والحقيقى، ويصوّرون لأنفسهم إلهًا آخر لا يستطيعون إثباته بأى عمل ولا بأيَّة شهادة من الأقوال الإلهية.

---

[٥٣٠] يو ١: ٤، يو ١: ٣

[٥٣١] يو ١: ٣

[٥٣٢] المانويين: هم أتباع بدعة "مانى" الذى كان فيلسوفًا ورسامًا مجوسيًا وقيل أنه أصبح مسيحيًا وعاش وعلّم فى القرن الثالث (٢١٥—٢٧٧م)، وتعاليمهم هى خليط من المسيحية والوثنية.



٤٠ـ فإن لم يكن هناك من الأقوال الإلهية حكمة أخرى غير هذا الابن، وإن كنا لم نسمع من الآباء شيئًا مثل هذا، بل هم قد اعترفوا وكتبوا أن الحكمة موجودة أزليًا مع الآب حيث إنها هى وجوده الذاتى وخالقة العالم هذه ـ حسبما يقول الآباء ـ يلزم أن تكون هى الابن نفسه، وهو الموجود مع الآب أزليًا. فهى أيضًا خالقة كما هو مكتوب «كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ»[٥٣٣]. ولأن استيريوس نفسه ـ كما لو كان قد نسى ما سبق أن كتبه ـ فإنه فيما بعد ـ ودون أن يقصد مثلما فعل قيافا أيضًا ـ وقف ضد اليونانيين، لم يتكلّم عن حكمات كثيرة ولم يسمها جرادة[٥٣٤]، ولكنه أعترف بحكمة واحدة فقط عندما كتب ما يلى: [واحد هو الكلمة الإلهى، أما الكائنات العاقلة فهى كثيرة. وواحد هو جوهر الحكمة وطبيعتها، أما الأشياء الحكيمة والحسنة فهى كثيرة] وبعد قليل يقول أيضًا [مَنْ هم أولئك الذين يستحقون أن يلقبهم هؤلاء بلقب أبناء الله فهم طبعًا لا يقولون عنهم أنهم كلمات لا أنه توجد حكمات أكثر، فإن هذا غير ممكن إذ أن الكلمة واحد. وقد ثبت أن الحكمة واحدة، ولا يمكن أن يوزع «جوهر الكلمة» على عدد كثير من الابناء ولا أن يعطى لهم لقب الحكمة].

إذن فليس من المستغرب أبدًا أنه عندما يحارب الآريوسيون ضد الحق فإنهم يصطدمون ببعضهم بعضًا، إذ تتعارض أفكارهم فيما بينها. فأحيانًا يقولون أن الحكمات كثيرة، وأحيانًا أخرى يقولون أن الحكمة واحدة وأحيانًا يوحدون بين الحكمة والجرادة، وأحيانًا أخرى أنها غير موجودة مع الآب وأنها من ذاته. وأحيانًا أخرى أن الآب واحد غير مخلوق. ومرَّة أخرى يقولون إن حكمته وقوَّته غير مخلوقتين، وهم يحاربوننا لأننا نقول إن **كلمة** الله كائن دائمًا، بينما هم أنفسم

---

[٥٣٣] مز ١٠٤: ٢٤

[٥٣٤] عن هذه التسمية انظر فقرة ٣٧، راجع أيضًا فقرة ٣٨.



يقولون إن الحكمة كائنة مع الله أزليًا، ويتناسون أقوالهم نفسها. وهكذا يعانون من الدوار فى الأمور، ذلك لأنهم اخترعوا ما لا وجود له وأنكروا الحكمة الحقيقية، مثلما فعل المانويون الذين ابتدعوا لأنفسهم إلهًا آخر وأنكروا الله الكائن حقيقة.

٤١ـ لكن فلتسمع الهرطقات الأخرى وليسمع المانويون[٥٣٥] أن أب المسيح هو واحد، وهو رب الخليقة وصانعها **بكلمته** الذاتى. وعلى وجه الخصوص فليسمع أصحاب الجنون الآريوسى أن **كلمة** الله هو واحد، وهو الابن الوحيد والذاتى الحقيقى الذى هو من جوهره، وله وحدة الألوهة مع أبيه بلا انفصال كما قلنا مرارًا وتكرارًا. لأننا تعلّمنا هذا من المخلّص نفسه. ولو لم يكن الأمر كذلك فلماذا يخلق الآب بواسطته ويعلن نفسه بواسطته للذين يريدهم والذين ينير عليهم؟ أو لماذا يسمّى باسم الابن مع الآب عند اتمام المعمودية؟[٥٣٦] فإن قالوا أن الآب غير كافٍ بذاته فيكون هذا التعبير كفرًا، أما إن كان كافيًا بذاته (لأنه من الصواب قول هذا) فما هو الاحتياج للابن لخلق العالم أو لإتمام المعمودية المقدسة؟ لأنه أيّة مشاركة هناك بين المخلوق والخالق؟ ولماذا يحسب المخلوق مع الخالق عند إنجاز كل الأشياء؟ أو لماذا تقولون إن الإيمان بخالق واحد وبمخلوق واحد هو إيمان مسلّم لنا؟ لأنه إن كان الأمر هكذا لكى نتحد نحن بالألوهة فما الحاجة إلى المخلوق؟ أما إن كان هذا بغرض أن نتحد مع الابن ـ وهو مخلوق حسب قولكم، يكون من غير اللازم ـ وفقًا لمعتقداتكم ـ ذكْر اسم الابن عند إتمام المعمودية، لأن الله الذى تبناه وجعله ابنًا قادرًا أن يتبنانا ويجعلنا أبناء. ومن جهة أخرى فإن كان الابن

---

[٥٣٥] انظر الشاهد رقم ٥١ فى هذا الفصل ص٧٩.

[٥٣٦] انظر مت٢٨:١٩.



مخلوقًا ـ ولأن طبيعة المخلوقات العاقلة هى واحدة ـ فليس باستطاعة مخلوق أن يقدَّم معونة لمخلوق آخر، حيث إن الجميع محتاجون لنعمة الله.

لقد تكلّمنا فيما سبق عن الآية: «كل شىء به كان». وحيث إن سياق الحديث قد جعلنا نتحدَّث عن المعمودية المقدسة، فمن الضرورى أن نقول ـ كما أعتقد وأؤمن ـ إن اسم الابن يسمى مع الآب ليس ببساطة ولا مصادفة. وذلك ليس لأن الآب غير كافٍ بذاته، بل حيث إن الابن هو **كلمة** الآب وحكمته فإنه موجود دائمًا مع الآب، لأنه هو بهاؤه. لهذا فمن المستحيل عندما يعطى الآب نعمة ألاّ يعطيها بالابن، لأن الابن موجود فى الآب مثلما يوجد الشعاع فى الضوء. وذلك ليس لأن الله معوذ أو ضعيف، بل كأب «بِالْحِكْمَةِ أَسَّسَ الأَرْضَ»[٥٣٧]، وصنع كل الأشياء **بالكلمة** المولود منه، ويختم على المعمودية المقدسة بالابن. وحيث يكون الآب هناك يكون الابن أيضًا، كما أنه حيث يكون النور هناك أيضًا يكون الشعاع. وأى عمل يعمله الآب فإنه يعمله بالابن، ويقول الرب نفسه «ما أرى الآب يصنعه أصنعه أنا ايضًا»[٥٣٨]. وهكذا أيضًا عندما تُعطى المعمودية فإن مَنْ يعمِّده الآب يعمّده الابن أيضًا، ومَنْ يعمِّده الابن فهذا يتم بالروح القدس.

وأيضًا عندما تنير الشمس قد يقول شخص إن الشعاع ينير، وذلك لأن النور واحد ولا يمكن أن يتجزأ ولا أن ينفصل الشعاع عنه. وهكذا أيضًا حيث يكون الآب أو يُسمّى، وحيث إن الآب يسمّى فى المعمودية، فبالضرورة أن يسمَّى الابن أيضًا معه.

---

[٥٣٧] أم٣: ١٩

[٥٣٨] انظر يو٥: ١٩



٤٢ ـ ولذلك أيضًا عندما وعد القديسين تكلّم هكذا: «وَإِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً»[٥٣٩]. وأيضًا «لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا.. كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِد»[٥٤٠]. والنعمة المعطاه هى واحدة، وهى معطاه من الآب بالابن كما يكتب بولس فى كل رسالة «نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ»[٥٤١]. لأنه يلزم أن يكون النور مع الفجر وأن يُشاهد الشعاع فى نفس الوقت مع نوره الخاص به. واليهود كذلك إذ أنكروا الابن فليس لهم الآب أيضًا، لأنهم تركوا «ينبوع الحكمة» كما قال باروخ[٥٤٢] موبخًا إياهم، وأبعدوا عن أنفسهم الحكمة النابعة من هذا الينبوع أى ربنا يسوع المسيح. لأن الرسول يقول: «فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ الله»[٥٤٣]. أما هم فكانوا يقولون «لَيْسَ لَنَا مَلِكٌ إِلاَّ قَيْصَرُ»[٥٤٤]. وقد لقى اليهود ما يستحقونه من عقاب بسبب إنكارهم، فقد تلاشت مدينتهم وأفكارهم معها. أما هؤلاء الآريوسيون فإنهم يخاطرون بفقدان إتمام السرَّ وأعنى به المعمودية. لأنه إن كان إتمام السر يُعطى باسم الآب والابن وهم لا يقرون بأب حقيقى بسبب إنكارهم للابن الذى هو منه، الذى له الجوهر ذاته، منكرين الابن الحقيقى ويسمون لأنفسهم ابنًا آخر، إذ أنهم يصيغونه فى مخيلتهم على أنه مخلوق من العدم، ألاّ يكون طقس المعمودية الذى يتممونه فارغًا تمامًا وعديم الجدوى، إذ أن له مظهر خارجى، أما فى الحقيقة فإنه ليس له شىء يعين على التقوى؟ لأن الآريوسيين لا

---

[٥٣٩] انظر يو١٤: ٢٣.

[٥٤٠] انظر يو١٧: ٢١ و٢٢

[٥٤١] رو١: ٧، ١كو١: ٣، أف١: ٢

[٥٤٢] انظر باروخ ٣: ١٢

[٥٤٣] ١كو١: ٢٤

[٥٤٤] يو١٩: ١٥



يعمّدون باسم الآب والابن، بل باسم خالق ومخلوق، وباسم صانع ومصنوع. ومثلما يختلف المخلوق عن الابن، هكذا فإن تلك المعمودية التى يظنون أنهم تختلف عن الحقيقة رغم أنهم يتظاهرون بأنهم يسمون اسم الآب والابن بسبب كلمات الكتاب. فليس مَنْ يقول ببساطة «يارب» هو الذى يُعطى المعمودية، بل هو ذلك الذى مع الاسم الذى يدعوه، عنده أيضًا إيمان مستقيم. لهذا السبب فإن المخلّص لم يأمر فقط بالعماد، بل قال أولاً «تلمذوا» ثم بعد ذلك قال «وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ»[545]، لكى يأتى الإيمان المستقيم من التعليم ومع الإيمان يأتى إتمام المعمودية.

٤٣ ـ وهناك هرطقات أخرى كثيرة[546] تذكر الأسماء فقط، ولكن بدون اعتقاد مستقيم ـ كما سبق أن قيل ـ وبدون إيمان سليم. ولذلك فالمعمودية التى يعطونها عديمة الجدوى وتعوزها التقوى، حتى أن مَنْ يعمدونه يتلوث بإلحادهم بدلاً من أن يُفتدى. وهكذا الوثنيون أيضًا فرغم أنهم ينطقون باسم الله بشفاههم، إلَّا أنهم يرزحون تحت وزر الإلحاد لأنهم لا يعرفون الكائن بالفعل الله الحق أبا ربنا يسوع المسيح. والمانويون أيضًا والفريجيون واتباع الساموساطى، رغم أنهم يستخدمون الأسماء فهم ليسوا أقل هرطقة. وهكذا أيضًا كل الذين يعتقدون بتعاليم آريوس بدورهم فإنهم وإن قرأوا الكتب، أو ذكروا الأسماء إلاّ أنهم هم أنفسهم يسخرون من الذين ينالون المعمودية بواسطتهم. وهم أكثر كفرًا وإلحادًا من الهرطقات الأخرى ويفوقونها قليلاً قليلاً، ويعطونها تبريرًا بهذرهم وثرثرتهم. لأن هذه الهرطقات تكذب على الحق، وذلك إما أنها تخطئ بخصوص جسد الرب

---

[545] مت٢٨: ١٩

[546] يشير القديس أثناسيوس في موضع آخر من كتاباته إلى هذه الهرطقات ويدعوها أساطيرًا، وذلك في مقابل التعليم الإلهي المستقيم. انظر تَجَسُّد الكَلِمَة، المرجع السابق، فصل ١/٣.



زاعمة أن الرب لم يتخذ جسده من مريم، أو أنه لم يحدث له موت إطلاقًا، ولم يصر إنسانًا قط، بل أنه ظهر فقط كإنسان ولكنه لم يكن إنسانًا حقيقيًا، وظهر وكأن له جسدًا دون أن يكون له جسد. وأنه ظهر كإنسان كما يبدو فى حلم[٥٤٧]. أما الآريوسيون فهم يكفرون بالآب ذاته لأنهم يجدّفون على ألوهيته، رغم أنهم يسمعون الكتب تشهد لألوهة الآب فى الابن كصورة له، ويقولون إن هذه الألوهة مخلوقة. وهذا القول «إنه لم يكن كائنًا»، ينقلونه معهم فى كل مكان مثل وحل فى حقيبة، وينفثون هذا القول مثلما تنفث الحيّة سمها. ومن ثم إذن بما أن التعليم النابع منهم يثير الأشمئزاز والمقت، فإنهم فى الحال يصنعون حماية بشرِّية كدعامة لجيفة هرطقتهم، حتى أن الساذج عندما يراها أو يقبلها وهو خائف مرتعد فإنه لا يدرك الهلاك المميت لأقوالهم الفاحشة وضلالهم. فكيف لا يكون الذين ضلوا بواسطتهم مستحقين للشفقة والرثاء؟ وكيف لا يكون من الصواب ذرف الدمع السخين على هؤلاء؟، لأنهم يخونون منفعتهم الذاتية فى سبيل خيال سريع للاستمتاع بملذات يفقدون بها رجاءهم الآتى؟ لأنهم لن يحصلوا على شئ مادام إيمانهم عند معموديتهم كان باسم غير الكائن[٥٤٨]. وإذا يربطون أنفسهم بالمخلوق فلن ينالوا من المخلوق أيَّة معونة. وإذ يؤمنون بمن هو مختلف عن الآب وغريب عن جوهره، فإنهم لن يتحدوا مع الآب طالما ليس لهم الابن الذاتى النابع منه بالطبيعة، الذى هو فى الآب، والآب فيه، كما قال هو نفسه[٥٤٩]. ولكن حيث إن

---

[٥٤٧] هذه هى تعاليم بدعة الخياليين: التى ظهرت فى القرن الأول الميلاد وانتشرت فى القرن الثانى الميلادى، والخياليون هم أول من علّم تعاليمًا منحرفة ضد السيد المسيح، قائلين بأن جسده ليس جسدًا حقيقيًا من دم ولحم بل مجرَّد خيال. وقد كتب ضدهم القديس يوحنا رسائله (انظر ١يو٤: ٢، ٢يو٧).

[٥٤٨] أى الذى ليس هو كائنًا أزليًا مع الآب.

[٥٤٩] انظر يو١٤: ١٠



التعساء خُدِعوا من هؤلاء فقد ظلّوا هكذا مقفرين وعراة من اللاهوت. لأن الأمور الأرضيَّة الوهميَّة لن تتبعهم عندما يموتون. لأنهم عندما يرون الرب الذى أنكروه، وهو جالس على عرش أبيه، ويدين الأحياء والأموات. فلن يتمكّن أحد منهم أن يلتمس مساعدة أى واحد من أولئك الذين خدعوهم. لأنهم سيبصرون هؤلاء أنفسهم أيضًا وهم يدانون، فيندمون على ما ارتكبوه من إثم وتجديف!

الفصل التاسع عشر

شرح نصوص : سادسًا:
«الرب قنانى (خلقنى) أول طرقه لأجل أعماله»
أمثال ٨:٢٢

٤٤ ـ لقد سبق أن عالجنا النص الذى جاء فى الأمثال داحضين خرافاتهم الملفّقة الخارجة من قلوبهم، لكى يعرفوا أنه من غير اللائق أن يقولوا إن ابن الله مخلوق، وأن يتعلّموا أيضًا أن يقرأوا جيدًا النص الذى جاء فى سفر الأمثال والذى يحمل المعنى المستقيم. لأنه قد كُتب «الرب قنانى (خلقنى) أول طرقه لأجل أعماله»[٥٥٠]. وحيث إنها أمثال وكتبت على شكل مثل للتعبير، فليس من الواجب تفسير أيَّة عبارة بطريقة ارتجالية أو ببساطة هكذا، بل يجب أن نتقصى أولاً عن الشخص ثم نسب المعنى إليه بورع وتقوى. لأن كل ما يُقال بأمثال لا يُقال بطريقة واضحة، بل يُعبَّر عنه بطريقة غامضة، مثلما علّم الرب نفسه فى الإنجيل بحسب يوحنا قائلاً: «قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا بِأَمْثَالٍ، وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ حِينَ لاَ أُكَلِّمُكُمْ أَيْضاً بِأَمْثَالٍ، .... بَلْ علاَنِيَةً»[٥٥١]. ولذلك ينبغى كشف معنى القول والتقصى عنه لكونه خفيًّا، وألاّ يُفسر ببساطة كما لو كان قد قِيل علانية، لكى لا نضل عن الحقيقة عندما نُسىء الفهم.

إذن، فإن كان المكتوب يشير إلى ملاك أو أى كائن آخر من المخلوقات، كما لو قيل عن أى واحد منًّا نحن المصنوعون. فإنه يمكن أن يُقال «خلقنى (قنانى)»،

---

[٥٥٠] أم٨: ٢٢

[٥٥١] انظر يو١٦:٢٥



ولكن إن كان الكلام عن حكمة الله الذى به قد خُلقت جميع المخلوقات، فما الذى يجب أن يفهمه الواحد منا سوى أنه عندما يُقال «خَلَقَ» فإنه لا يقصد شئ آخر مُضاد للفظ «وَلَدَ». ولا يحسب الحكمة بين المخلوقات كأننا ننسى أنه هو الخالق والمصوّر أو ننكر الفرق بين الخالق والمخلوقات. ولكن الحكمة لها معنى آخر يبدو مخفّياً فى الأمثال، وليس ظاهرًا علانية، وهى التى أوحت إلى القديسين أن ينطقوا بالوحى الإلهى. بينما هى تُعطى فى الأمثال بعد قليل معنى موازيًا لـ « قنى»، فتقول بألفاظ أخرى «اَلْحِكْمَةُ بَنَتْ بَيْتَهَا»[552]. وواضح أن بيت الحكمة هو جسدنا الذى عندما اتخذه الكلمة صار إنسانًا. وقال عنه يوحنا بحق «الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً»[553]. وبواسطة سليمان تقول الحكمة عن ذاتها بإدراك وتبصّر: ليس إننى أنا مخلوق، بل قالت: «الرب قنانى أول طرقه من أجل أعماله» دون أن تقول: «إنه قنانى لكى أوجد، وليس لأن لى بداية وميلاد كالمخلوق».

٤٥ ـ لأن الكلمة هنا لم يتحدَّث من خلال سليمان مشيرًا إلى جوهر ألوهيته ولا إلى ميلاده الأزليّ والحقيقى من الآب، ولكنه يشير إلى ناسوته وعمل تدبير خلاصنا. ولهذا ـ كما سبق أن قلت ـ فإنه لم يقل إنى «مخلوق» أو «صرت مخلوق»، بل قال فقط «قنى» أو «خلق»، بمعنى أن الأشياء الصائرة حيث إنها ذات جوهر مخلوق، فإنها تنتمى إلى المخلوقات، ويُقال عنها إنها تُخلَق، وبديهى فإن المخلوق يُخلق، ولكن اللفظة المذكورة «خلق» فى الآية السابقة لا تعنى الجوهر أو الولادة إطلاقًا. بل توضح أن شيئًا آخر قد طرأ على ذاك الذى يشير إليه، فليس كل ما يُقال عنه إنه يخلق يكون مخلوقًا بحسب الطبيعة والجوهر.

---

[552] أم ٩:١.

[553] يو١:١٤.



والكتاب الإلهى يعرّف هذا الفرق عندما يتحدَّث عن المخلوقات قائلاً: «امتلأت الأرض بخليقتك»[554] و «الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعاً»[555]. ويقول فى الرؤيا «وَمَاتَ ثُلْثُ الْخَلاَئِقِ الَّتِي فِي الْبَحْرِ الَّتِي لَهَا حَيَاةٌ»[556]. ويقول بولس أيضًا «لأَنَّ كُلَّ خَلِيقَةَ اللّٰهِ جَيِّدَةٌ، وَلاَ يُرْفَضُ شَيْءٌ إِذَا أُخِذَ مَعَ الشُّكْرِ»[557]، أما فى سفر الحكمة فقد كُتب «وَفَاطِرَ الإِنْسَانِ بِحِكْمَتِكَ، لِكَيْ يَسُودَ عَلَى الْخَلاَئِقِ الَّتِي كَوَّنْتَهَا»[558]. ولأن هذه خلائق فإنه يقول إنها تُخلق. وهكذا أيضًا يمكننا أن نسمع الرب وهو يقول: «مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَراً وَأُنْثَى»[559]. أما موسى فقد كتب فى أنشودته «فَاسْأَلْ عَنِ الأَيَّامِ الأُولى التِي كَانَتْ قَبْلَكَ، مِنَ اليَوْمِ الذِي خَلَقَ اللّٰهُ فِيهِ الإِنْسَانَ عَلى الأَرْضِ، وَمِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاءِ إِلى أَقْصَائِهَا»[560]. ويقول بولس فى رسالته إلى أهل كولوسى: «اَلَّذِي هُوَ صُورَةُ اللّٰهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشاً أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ اَلَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ»[561].

---

[554] مز١٠٣: ٢٤ سبعينية.

[555] رو٨: ٢٢.

[556] رؤ٨: ٩.

[557] ١تيمو٤: ٤

[558] حكمة سليمان٩: ٢.

[559] مت١٩: ٤.

[560] تث٤: ٣٢.

[561] كو١: ١٥ـ١٧.



٤٦ ـ إذن، فتلك الأشياء ذات الجوهر المخلوق بالطبيعة، تُسمّى مخلوقات وتُخلق. وما ذكرناه من آيات الكتاب يكفى لإثبات ذلك. وقد قيلت هنا للتذكير والتنبيه. ولكن الكتاب مملوء بأمثالها. أما عندما يُقال اللفظ «خَلَقَ» فهو لا يُقال عن الجوهر إطلاقاً، ولا يعنى الولادة. فداود يترنم: «يُكْتَبُ هَذَا لِلدَّوْرِ الآخِرِ، وَشَعْبٌ سَوْفَ يُخْلَقُ يُسَبِّحُ الرَّبَّ»[٥٦٢] ويقول أيضًا: «قَلْباً نَقِيّاً اخْلُقْ فِيَّ يَا اللهُ»[٥٦٣]. ويقول بولس فى رسالته إلى أهل أفسس: «مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الاثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَاناً وَاحِداً جَدِيداً»[٥٦٤]. وأيضًا: «وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ»[٥٦٥].

فإن داود لم يشر إلى أى شعب مخلوق بحسب الجوهر، ولا كان يتضَّرع لكى يحصل على قلب آخر غير القلب الذى كان له. بل كان يقصد التجديد ونوال الحياة بحسب الله. وبولس أيضًا لم يقصد شخصين مختلفين مخلوقين فى الرب بحسب الجوهر، ولا كان يوصينا بأن نلبس إنسانًا آخر، لكنه دعا الحياة بحسب الفضيلة أنها «الإنسان بحسب الله»، أما الاثنان المخلوقان فى المسيح فيقصد بهما شعبين مُجدّدين به. وهذا مشابه لما يقوله إرميا: «خلق الله خلاصًا لأجل زرع جديد الذى به سيتجوّل الناس فى أمان»[٥٦٦]. وعندما قال هذا لم يقصد أى جوهر خاص بمخلوق، بل هو يتنبأ بالخلاص المتجدَّد بين البشر، ذلك الخلاص الذى صار

---

[٥٦٢] مز١٠٢: ١٨.

[٥٦٣] مز٥١: ١٠.

[٥٦٤] أف٢: ١٥.

[٥٦٥] أف٤: ٢٤.

[٥٦٦] إر٣٨: ٢٢ سبعينية.



بالمسيح لأجلنا. وحيث إن هناك فرقًا بين المخلوقات وبين القول المذكور «خَلَق»[٥٦٧]، فإن وجدتم الرب يُدعى مخلوقًا فى أى موضع فى الكتاب فاظهروه لنا وحاربونا. أما إن لم يكن قد كُتب فى أى موضع أنه مخلوق سوى ما قاله عن ذاته فى الأمثال « الرب خَلَقنى» فاخجلوا إذن من الفرق السابق ذكره.

ومن الآن فصاعدًا لا تستمعوا إلى لفظ «خَلَق» على أن معناه هو «مخلوق»، بل افهموا به الطبيعة البشرية الخاصة بالرب، لأن لهذه الطبيعة خاصية مميزة لها وهى أنها مخلوقة. وكيف لا تكونون ظالمين ما دمتم عندما تسمعون لفظ «خَلَق» من داود ومن بولس لا تفهون به الجوهر والكيان، بل التجديد بينما عندما تسمعون لفظ «خَلَق» من الرب فإنكم تحسبون جوهره فى عداد المخلوقات؟ وأيضًا عندما تسمعون القول: «اَلْحِكْمَةُ بَنَتْ بَيْتَهَا. نَحَتَتْ أَعْمِدَتَهَا السَّبْعَةَ»[٥٦٨] فإنكم تفهون بيتًا بمعنى مجازى. أما لفظ «خَلَق» فتقبلونه كما هو[٥٦٩]، وتحولونه إلى معنى «مخلوق» فكونه هو نفسه خالقًا ليس كافيًا لإقناعكم، وكذلك لم تخشوا كونه هو وحده مولود من الآب الذاتى، بل تحاربون بغير اكتراث كما لو كنتم تسجلون هذه الألفاظ ضده، وتعتبرونه أنه أقل بكثير من البشر .

٤٧ ـ لأن نفس العبارة توضح أيضًا أنه إختراع منكم أن تقولوا إن الرب مخلوق. لأن الرب، حيث إنه يعرف جوهره وأنه هو الحكمة وحيد الجنس ومولود الآب وأنه مختلف عن الأشياء الصائرة والمخلوقة بالطبيعة، وأنه محب للبشر، فهو يقول الآن: «الرب خلقنى أول طرقه» كما لو كان يقول « الآب هيأ لى جسدًا»[٥٧٠] وخلقنى

---

[٥٦٧] باليونانية (إكتيسى) ἔκτισεν.

[٥٦٨] أم٩: ١.

[٥٦٩] أي حرفيًا وليس مجازيًا.

[٥٧٠] انظر عب١٠: ٥.



للبشر من أجل خلاص الناس. لأنه كما أننا عندما نسمع من يوحنا: « الكلمة صار جسدًا» فإننا لا نفهم من ذلك أن الكلمة كله جسد، بل أنه لبس جسدًا صائرًا إنسانًا. وعندما نسمع «صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا»[571]. وأيضًا «لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا»[572]. فأننا لا نفهم من كل هذا أنه هو نفسه قد صار لعنة وخطية، بل تحمَّل اللعنة الموجهة ضدنا كما قال الرسول: «افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ»[573]. ومثلما قال إشعياء «حَمَل خطايانا»[574]، ومثلما كتب بطرس «الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ»[575]. لهذا فإذا سمعنا فى الأمثال لفظ «خَلَق» فلا يجب أن نفهم أن الكلمة مخلوق بحسب الطبيعة، بل إنه لبس الجسد المخلوق. وأن الله خَلَقه من أجلنا و «هيأ له جسداً مخلوقاً من أجلنا» كما هو مكتوب[576]، لكى ما نستطيع أن نتجدَّد ونُؤَلَه.

أيها الأغبياء ما الذى خدعكم إذن لكى تقولوا إن الخالق مخلوق؟ أو من أين اشتريتم لأنفسكم هذا الاعتقاد الجديد الذى تتفاخرون به؟ فالأمثال تقول «خلَق» ولكنها لا تقول إن «الابن مخلوق» بل «مولود» ووفقًا لما سبق أن اتضح من تمييز الأسفار المقدسة بين «خَلَق» و «مخلوق» فهى تعتبر أن الابن بطبيعته الذاتية هو الحكمة الوحيدة الخالصة وأنه خالق المخلوقات. وحينما تقول الأمثال «خَلَق» فهى لا تشير إلى جوهره، بل تؤكد أنه صار أول كل طرقه. وهكذا يكون لفظ

---

[571] غلا٣:١٣.

[572] ٢كو٥:٢١.

[573] غلا٣:١٣.

[574] انظر إش٥٣:٤.

[575] ١بط٢:٢٤.

[576] عب١٠:٥.



«خَلَق» متعارضًا من لفظ «مولود»، وما تقوله عنه الأمثال إنه «أول طرقه» يتعارض مع كونه الكلمة الوحيد الجنس.

٤٨ ـ لأنه لو كان مولودًا فكيف تسمونه مخلوقًا؟ لأنه لا أحد يقول إنه يَلِد ما يخلقه. ولا أحد يسمى المولود الذاتى مخلوقًا. ومرَّة أخرى فإن كان هو وحيد الجنس فكيف يصير هو نفسه «أول الطرق»؟ لأنه من الضرورى أنه إن كان هو نفسه قد خُلِقَ أول كل طرقه فهو لا يكون بعد موجودًا وحده، بل يكون معه أولئك الذين خُلقوا بعده. فرأوبين الذى كان أول الأبناء لم يكن الوحيد، بل الأول زمنيًا، ولكنه بحسب الطبيعة والقرابة كان واحدًا بين أولئك الذين وُلدوا بعده. إذن فإن كان الكلمة هو «أول الطرق» فإنه سيكون مثلما تكون الطرق أيضًا، وتكون هذه الطرق مثلما يكون الكلمة أيضًا، حتى إن كان من جهة الزمن، يُخلَق هو الأول بينها. ولأن بداية المدينة هى مثل أجزاء المدينة الأخرى، فإن الأجزاء نفسها تكون مرتبطة ببداية المدينة تمامًا، وتكون كلها مدينة واحدة مثل الأعضاء الكثيرة التى تكّون جسدًا واحدًا. ولا يكون جزء من المدينة صانعًا وجزء آخر مصنوعًا ـ أى يكون خاضعًا للأول ـ بل كل المدينة تخضع لحكم ورعاية ذلك الذى قام بصنعها وصياغتها وتشكيلها أيضاً.

إذن فإن كان الرب أيضًا يُخلَق هكذا أول جميع الأشياء، فمن الضرورى أن يكون هو مع كل الأشياء الأخرى خليقة واحدة. ولا يختلف عن الأشياء الأخرى حتى إن كان هو أول جميع الأشياء. ولا يكون هو رب أجزاء الخليقة الأخرى حتى إن كان هو أقدم منها زمنيًا. بل يكون قد خلقه مثل المخلوقات الأخرى كلمة خالق واحد ورب واحد. وعلى وجه العموم فإن كان هو مخلوقًا فكيف يمكن أن يُخلَق هو وحده باعتباره الأول ليكون بداية الجميع؟ بينما يبدو مما سبق أنه لا يوجد بين المخلوقات ما له طبيعة راسخة وثابتة وله الأولوية فى الوجود. بل كل منها يأخذ وجوده مع بقية المخلوقات حتى لو اختلف عن الأشياء الأخرى فى المجد.. لأن



أى نجم من النجوم ولا أى كوكب من الكواكب العظمى يظهر الواحد منها كالأول والآخر كالثانى، بل إنها دُعيت جميعها إلى الوجود فى يوم واحد وبنفس الأمر[577]. وهكذا تشكّلت هيئة ذوات الأربع والطيور والأسماك والحيوانات والنباتات. وهكذا أيضًا قد خُلق جنس البشر على صورة الله. لأنه وإن كان آدم وحده قد خُلق من التراب، إلاّ أنه توجد فيه كل ذرية الجنس البشرى[578].

٤٩ ـ ومن خليقة العالم الظاهرة نعرف بوضوح أن «أموره غير المنظورة المُدْرَكة بواسطة المصنوعات»[579]، لا نرى كل واحد منها منفصلاً عن الآخر إذ لا يوجد بينها أول وآخر، بل أنها خُلِقَتْ سويًا بحسب نوعها. لأن الرسول لم يحصِ كل واحد منفصلاً فيقول مثلاً سواء كان ملاكاً أم عرشًا أم سيادة أم سلطانًا، بل إنه أشار إليها كلها معًا بحسب الدرجة بقوله «سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشاً أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ»[580]. فإنه هكذا تكون خِلْقة المخلوقات. فكما سبق أن قلت إنه إن كان الكلمة مخلوقًا فلم يكن من اللازم أن يكون هو أولها بل يكون مع سائر القوات الأخرى، حتى وإن تفوّق فى المجد عن الآخرين بدرجة أكبر. وهذا ما يمكن أن نجده فى القوات الأخرى لأنها وإن كانت قد خُلِقتْ كلها فى نفس الوقت ولا يوجد أول أو ثان، إلاّ أنها تختلف بعضها عن بعض فى المجد، فيقف البعض عن اليمين والبعض حول العرش والبعض الآخر عن اليسار، والجميع يسبحون معًا ويقفون فى خدمة الرب.

---

[577] أى الأمر الذى خلقت به جميعها.

[578] انظر أيضًا تَجَسُّد الكَلِمَة فصل ١/٦.

[579] انظر رو١:٢٠.

[580] انظر كو١:١٦.

إذن فإن كان الكلمة مخلوقًا لما كان هو أول الآخرين ولا بدايتهم، أما إن كان قبل الجميع كما هو واقع فعلاً، وهو نفسه وحده أول وابن، فلا يترتب على ذلك أن يكون هو بداية الجميع بحسب الجوهر، لأن أول الجميع يُحسب فى عداد الجميع. وإن كان هو ليس بداية ولا خليقة فإنه يكون واضحًا تمامًا أنه يختلف عن المخلوقات فى الجوهر وأنه مغاير لها. وهو مثال وصورة الله الفريد الحق إذ هو نفسه أيضًا فريد. لذلك فالكتب لم تضعه بين المخلوقات، بل إن داود يوبخ أولئك الذين يتجاسرون أن يفكروا فى أنه واحد من مثل هؤلاء عندما قال: «لاَ مِثْلَ لَكَ بَيْنَ الآلِهَةِ»[581]، وأيضاً «مَنْ يُشْبِهُ الرَّبَّ بَيْنَ أَبْنَاءِ اللّهِ»[582]، أما باروخ فيقول: «هذا هو إلهنا ولن يُقارن به آخر»[583]. لأن الكلمة يَخلِقْ بينما المخلوقات تُخلَق، وهو كلمة جوهر الآب ذاته وحكمته. بينما المخلوقات التى لم تكن موجودة قبلاً قد صُنِعت بواسطة الكلمة نفسه.

٥٠ ـ أما تلك الثرثرة التى تدأبون على ترديدها بقولكم إن الابن مخلوق، فهذا أمر غير صحيح بل هو من نسج خيالكم وحده، وقد أدان سليمان هذا الأمر وكثيرًا ما كذّبه. لأنه لم يذكر أن الابن مخلوق، بل هو مولود وهو حكمة الله بقوله «الرَّبُّ بِالْحِكْمَةِ أَسَّسَ الأَرْضَ»[584] و «اَلْحِكْمَةُ بَنَتْ بَيْتَهَا»[585]. ومثل هذا القول عندما يُفحص فهو يثبت مدى كفركم، لأنه مكتوب «الرب خلقنى أول طرقه من أجل أعماله». فإن كان هو موجودًا قبل الجميع فإنه يقول «خلقنى» ليس لكى

---

[581] انظر مز٨٦:٨.

[582] مز٨٩:٦.

[583] باروخ ٣:٣٦.

[584] أم٣:١٩.

[585] أم٩:١.



أصنع الأعمال بل « من أجل الأعمال»، وإن لم تكن عبارة خلقنى تشير إلى شئ لاحق له فسيبدو هو كلاحق للأعمال حيث إنه عندما خُلِقْ وجد الأعمال التى قد صار من أجلها، قائمة قبله. فلو كان الأمر هكذا فكيف يظل هو موجودًا قبل جميع الأشياء؟ وكيف أن «كل شىء به كان؟» وكيف تتحد فيه كل الأشياء وتتماسك؟ وها أنتم تقولون إن الأعمال التى من أجلها خُلِق وأُرسِل، اتحدت وتماسكت قبله. ولكن حقيقة الأمر ليست هكذا - حاشا! إن فكر الهراطقة كاذب، لأن كلمة الله ليس مخلوقاً بل خالقًا. وعندئذ فهو يتكلّم بواسطة الأمثال فيقول «خَلَقنى» عندما لبس الجسد المخلوق، وهناك شئ آخر يمكن استنتاجه من نفس اللفظ. لأنه بالرغم من كونه ابناً وله أب هو الله إذ أنه هو مولوده الذاتى، إلاّ أنه يدعو الآب ربًا ليس لأنه كان عبدًا، بل لأنه اتخذ شكل عبد. لأنه من ناحية كان يلزم - لكونه الكلمة من الآب - أن يدعو الله أبًا. فهذه هى خاصية الابن تجاه الآب، ومن الناحية الأخرى عندما يأتى لينجز العمل آخذًا صورة عبد فإنه يدعو الآب ربًا. وقد علّم هو نفسه هذ الاختلاف بتمييز حسن عندما قال فى الأناجيل: «أحمدك أيها الآب» وبعد ذلك «رب السماء والأرض»[586]. لأنه يقول إن الله هو أبوه ولكنه يدعوه رب المخلوقات، إذن يتضح من هذا بجلاء أنه عندما لبس الجسد المخلوق كان عندئذ يدعو الآب ربًا. وكذلك فى صلاة داود أوضح الروح القدس نفس الاختلاف عندما قال فى المزامير «أَعْطِ عَبْدَكَ قُوَّتَكَ، وَخَلِّصِ ابْنَ أَمَتِكَ»[587]. لأن ابن الله الحقيقى بالطبيعة هو شئ وأبناء الأَمة الذين هم من طبيعة المخلوقات شئ آخر. لذلك فهو وحده كابن تكون له قوّة الآب. أما أبناء الأَمة فهم فى حاجة إلى الخلاص.

---

[586] مت١١: ٢٥.

[587] مز٨٦: ١٦.



٥١ ـ فإن كانوا يهذون بسبب أنه سُمى ولدًا، فليعرفوا أن اسحق دُعى ولدًا لابراهيم[٥٨٨]، وابن الشونمية سُمى ولدًا[٥٨٩]. وحيث إننا عبيد فمن الصواب إذن أنه عندما صار هو مثلنا، يدعو هو نفسه الآب ربًا كما ندعوه نحن. وقد صنع هذا لمحبته للبشر، لكى نتشجَّع نحن الذين بحسب الطبيعة عبيد ـ نتشجَّع بقبولنا روح الابن ـ أن ندعو الآب أبًا بحسب النعمة، وهو رب لنا بحسب الطبيعة. وكما أننا حينما ندعو الرب أبًا لا ننكر عبوديتنا له بحسب الطبيعة لأننا نحن عمله «وهو صنعنا لا نحن»[٥٩٠]، هكذا أيضًا عندما اتخذ الابن شكل عبد وقال «الرب خلقنى أول طرقه «فدعهم إذن لا ينكرون أزليَّة ألوهيته وأنه «فى البدء كان الكلمة»، و «كل شىء به كان»، و «به خُلقت كل الأشياء».

---

[٥٨٨] تك٢١:٨.

[٥٨٩] ٢مل٤:١٨.

[٥٩٠] انظر مز١٠٠:٣.

الفصل العشرون

شرح نصوص: سادسًا
«الرب قنانى(خلقنى) أول طرقه لأجل أعماله»
أمثال ٨: ٢٢
(تابع)

أما العبارة الواردة فى الأمثال - كما سبقت أن قلت - فهى لا تشير إلى جوهر الكلمة، بل إلى ناسوت الكلمة. لأنه إن كان يقول إنه قد خُلِقَ «لأجل الأعمال» فإنه لا يريد أن يشير إلى جوهره، بل إلى التدبير الذى صار لأجل أعماله، وهو الأمر الذى يكون تاليًا لوجوده. لأن تلك الأشياء الصائرة والمخلوقة قد صُنِعت أولاً و أساساً من أجل أن تكون وأن تُوجد، وثانيًا أن يكون لهذه الأشياء أن تعمل بما يأمرها به الكلمة مثلما يمكن أن يرى مثل هذا الأمر فى جميع الأشياء.

لأن آدم خُلق لا لكى يعمل بل لكى يوجد أولاً كإنسان، لأنه بعد ذلك تلقى أمرًا أن يعمل. ونوح خُلق ليس من أجل الفُلك، بل ليوجد أولاً ويصير إنسانًا، لأنه بعد ذلك تلقى أمرًا أن يصنع الفلك. ومَنْ يبحث ويفتش فإنه سيجد نفس الشىء مع كل واحد من المخلوقات. لأن موسى العظيم أيضًا قد كان إنسانًا أولاً وبعد ذلك عُهد إليه بقيادة الشعب. وهكذا هنا أيضًا من الممكن أن نفهم نفس الشىء لأنك ترى أن الكلمة لم يُخلق لكى يكون له وجود، بل «فى البدء كان الكلمة»، ولكنه بعد ذلك أُرسل «لأجل الأعمال» وتدبير التجسُّد لأجل خلاصها لأنه من قبل أن تُخلق «الأعمال» كان الابن كائنًا دائمًا ولم تكن هناك أيَّة حاجة لكى يُخلق، وعندما خُلِقت «الأعمال» وصارت الحاجة ماسّة بعد ذلك إلى تدبير إصلاحها،



عندئذ قدّم الكلمة ذاته لكى ينزل ويصير مشابهًا «للأعمال». وهذا ما يوضح لنا معنى لفظ «خَلَقَ»[٥٩١]. ولأنه يريد أن يثبت التشابه فإنه يقول مرّة أخرى بإشعياء النبى: «والآن هكذا يقول الرب الذى جبلنى من الرحم لأكون له عبدًا. لأُرجع إليه يعقوب وأسرائيل. وسأجمّع إليه وأتمجد أمام الرب»[٥٩٢].

٥٢ ـ فأنت ترى هنا أنه لا يُجبَل لكى يُوجَد، بل من أجل تجميع الأسباط التى كانت موجودة قبل أن يُجبَل. فكما أن هناك لفظ «خَلَقَ»[٥٩٣]، هكذا هنا لفظ «جَبَلَ»[٥٩٤] ومثلما هناك عبارة من «أجل الأعمال»، هكذا هنا عبارة من « أجل التجميع» حتى تبدو لفظتا «خَلَق» و «جَبَل» أنهما تأتيان بعد وجود الكلمة. وكما أن الأسباط التى من أجلها جُبِل كانت موجودة قبل أن يُجبل، هكذا يتضح أن «الأعمال» التى من أجلها «خُلِقَ» قد وُجدت أيضًا. وعندما « كان الكلمة فى البدء» لم تكن «الأعمال» موجودة بعد، كما سبق أن أشرت. وعندما صارت «الأعمال» وأصبحت الحاجة ملّحة، عندئذ قيلت لفظة «خَلَقَ» وكما أن أى إبن فُقدت أملاكه وسبى عبيده بسبب إهمالهم وبْسَطْو الأعداء عليهم، فإن إقتضت الحاجة فربما يرسله أبوه لأستردادها وتجميعها. وعندما يتوّجه لهذا الأمر فإنه قد يرتدى رداء مشابهًا لردائهم، ويتشكّل بشكلهم كى لا يتعرّف عليه المستولون عليها أنه السيد فيهربوا، وبهذا يتعذر عليه أن ينزل ويكتشف الكنوز التى خبؤها تحت الأرض. وعندئذ إذا سأله أحد، لماذا أنت هكذا، فإنه قد يُجيب قائلاً: «جبلنى أبى هكذا وأعدنى لأجل أعماله». وكأنه بهذا القول لا يعنى أنه عبد ولا أنه واحد من

---

[٥٩١] أصلها اليونانى اكتيسى ἔκτισε.

[٥٩٢] إش٤٩ : ٥ سبعينية.

[٥٩٣] باليونانية اكتيسى ἔκτισε.

[٥٩٤] باليونانية إيلاسى ἔπλασε.

أعماله. ولا يتحدَّث عن بدء ميلاده، بل عن المهمة الموُكله إليه فيما بعد «من أجل الأعمال». وبنفس الطريقة أيضًا فإن الرب قد لبس جسدنا، «وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ»[595]. فلو أنه سُئل من الذين رأوه وتعجبوا لكان يقول لهم « الرب خلقنى أول طرقه لأجل أعماله» و «جبلنى لكى أجمع إسرائيل» وهذا ما يقوله الروح فى المزامير «تُسَلِّطُهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ»[596]. وهذا الأمر هو ما يشير به الرب عن ذاته قائلاً: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ مَلِكِي عَلَى صِهْيَوْنَ جَبَلِ قُدْسِي»[597]. وكما أنه حينما «أشرق جسديًا»[598] على صهيون لم يكن هذا له بداية وجود أو مُلك، بل لكونه كلمة الله وملكًا أبديًا، فإنه حُسِب مستحقًا من الناحية البشرية أن تُشرق مملكته فى صهيون أيضًا، لكى بعد أن يفديهم ويفدينا من الخطيَّة المتملكَّة عليهم، يجعلهم تحت سلطان مملكة أبيه. وهكذا إذ قد أقيم من أجل الأعمال، فإن هذا ليس من أجل الأشياء التى لم تكن موجودة بعد، بل من أجل الأشياء التى كانت موجودة عندئذ وكانت فى حاجة إلى إصلاح.

٥٣- إذن فإن الكلمات «خَلَق» و «جَبَل» و «أَقَام» لها نفس المعنى ولا تعنى وجود الابن ولا أن جوهره مخلوق، بل تعنى التجديد الذى صار لأجلنا كعمل خير منه. وبينما كان يقول هذه الكلمات، فإنه كان يعلّم فى نفس الوقت أنه كان كائنًا قبل هذه الأشياء وذلك عندما قال: «قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ»[599]. وأيضًا «لمَّا

---

[595] فى٢: ٨

[596] مز٨: ٦

[597] مز٢: ٦

[598] «أشرق جسديًا» هونفس التعبير الوارد فى ثيئوطوكية الاثنين (المعرب).

[599] يو٨: ٥٨



هيأ السموات كنت أنا موجودًا هناك معه»[٦٠٠]. و «كنت عنده أقوم بتربيتها»[٦٠١]. وكما كان هو كائن قبل ابراهيم وجاء اسرائيل بعد ابرهيم، فيتضح أنه رغم أنه كان من قبل فإنه جُبل بعد ذلك. والجَبْل[٦٠٢] لا يعنى بداية وجوده، بل يشير إلى تأنسه الذى فيه يجمع أسباط إسرائيل. وهكذا أذن حيث إنه كائن دائمًا مع الآب، فإنه هو خالق الخليقة. وواضح أن أعماله وُجدت بعده. وأن لفظ «خَلَق» لا يعنى بداية وجوده بل يُعلن التدبير الذى تمَّ فى الجسد «من أجل الأعمال». لأنه كان من اللازم أن يكون هو مختلفًا عن الأعمال، بل بالحرى يكون هو خالقها، وأن يتكفّل هو نفسه بتجديدها، لكى إذ قد خُلِقَ لأجلنا فإن جميع الأشياء تُخلق به من جديد.

لأنه عندما قال خَلَق أُضيف السبب فى الحال وذكر لفظ «الأعمال»، وذلك لكى يتضح أنه خُلِقَ «من أجل الأعمال». وهذا أمر مألوف فى الكتب الإلهية. لأنه عندما يشير إلى ميلاد الكلمة بحسب الجسد يذكر السبب الذى من أجله صار إنسانًا. وحينما يتحدَّث هو وخدامه بخصوص ألوهيته فإن كل شىء يُقال بألفاظ بسيطة وفكر صاف، ولا يُقال أبدًا بطريقة معقدة. ذلك لأنه هو بهاء الآب، وهو مثل الآب لم يوجد عن طريق أيَّة علّة، ولذلك لا يجب أن نبحث عن سبب هذا البهاء، لأنه مكتوب «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللّه»[٦٠٣]. ولم يكن هناك تساؤل بصيغة «لماذا» وعندما كُتب «الكلمة صار جسدًا» حينئذ ذُكِرَ

---

[٦٠٠] أم ٨: ٢٧ سبعينية

[٦٠١] أم٨: ٣٠

[٦٠٢] الجبل معناها الصيغة والتشكيل.

[٦٠٣] يو١: ١

 

السبب الذى من أجله قد صار إذ ذُكِرَ «وَحلَّ فينا»[٦٠٤] وعندما يقول الرسول أيضًا: «الذى إذ كان فى صورة الله» فإنه لم يذكر السبب إلَّا عندما أخذ صورة عبد. لأنه حينئذ أشار كنتيجة لذلك قائلاً: «وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ، مَوْتَ الصَّلِيبِ»[٦٠٥]. ولهذا فقد صار جسدًا متخذًا صورة عبد.

٥٤ ـ وكثيرًا ما تحدَّث الرب نفسه بأمثال، ولكن عندما كان يشير إلى نفسه كان يقول بطريقة مطلقة: «أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيّ»[٦٠٦]، و «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ»[٦٠٧]، «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ»[٦٠٨]، «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَم»[٦٠٩] و «أَنَا هُوَ الْحَقُّ»[٦١٠]، دون أن يذكر السبب فى كل قول ولا التساؤل «لماذا»، لكى لا يبدو تاليًا لتلك الأشياء التى من أجلها صار أيضًا.

لأنه من الضرورى أن يكون السبب قبل مجيئه، والذى بدونه حتى هو نفسه لا يكون ممكنًا أن يصير، فمثلاً بولس « الرسول المفرز للإنجيل الذى سبق فوعد به بأنبيائه»[٦١١]، كان الإنجيل الذى صار خادمًا له، سابقًا عليه. ويوحنا الذى كان قد عُيِّن لكى يُعدَ الطريق فقد كان الرب سابقًا عليه. أما الرب فلأنه لم يكن له سبب قبله لكى يكون كلمة سوى أنه مولود من الآب وحكمته الوحيد، فإنه صار

---

[٦٠٤] يو١: ١٤نص الآيه فى الأصل يونانى حرفيًا ليس بيننا بل خيّم أو سُكّن فينا.

[٦٠٥] فى٢: ٦، ٨

[٦٠٦] يو١٤: ١٠

[٦٠٧] يو١٠: ٣٠

[٦٠٨] يو١٤: ٩

[٦٠٩] يو٨: ١٢

[٦١٠] يو١٤: ٦

[٦١١] انظر رو١: ١، ٢



إنسانًا، عندئذ فقط ذُكِرَ السبب الذى كان مزمعًا من أجله أن يلبس الجسد. لأن حاجة البشر تسبق صيرورته إنسانًا، هذه الحاجة التى بدونها ما كان ليرتدى الجسد. إن الحاجة التى بسببها قد صار الرب نفسه إنسانًا هو ما يشير إليه هو نفسه عندما قال: «لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي. وَهَذِهِ مَشِيئَةُ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَانِي لاَ أُتْلِفُ مِنْهُ شَيْئاً، بَلْ أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ. لأَنَّ هَذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى الابْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ»[٦١٢]. وكما يقول أيضًا «أَنَا قَدْ جِئْتُ نُوراً إِلَى الْعَالَمِ، حَتَّى كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي لاَ يَمْكُثُ فِي الظُّلْمَةِ»[٦١٣]. ويقول أيضًا: «لِهَذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا وَلِهَذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لأَشْهَدَ لِلْحَق»[٦١٤]. وقد كتب يوحنا: «لأَجْلِ هَذَا أُظْهِرَ ابْنُ اللهِ لِكَيْ يَنْقُضَ أَعْمَالَ إِبْلِيسَ»[٦١٥].

٥٥ ـ إذن فقد جاء المخلّص إلى العالم من أجل الشهادة، ولكى يقاسى الموت من أجلنا، ويقيم البشر، وينقض أعمال إبليس، وكان هذا هو سبب حضوره بالجسد. لأنه بغير هذا ما كان للقيامة أن تتحقق لو لم يكن هناك موت. وكيف يكون هناك موت إن لم يكن هناك جسد؟ والرسول نفسه تَعلّم هذا من الرب عندما قال: «فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعاً كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ.»[٦١٦]. وأيضًا «فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ،

---

[٦١٢] يو٦: ٣٨ ــ ٤٠

[٦١٣] يو١٢: ٤٦

[٦١٤] يو١٨: ٣٧

[٦١٥] ١يو٣: ٨

[٦١٦] عب٢: ١٤، ١٥



بِإِنْسَانٍ أَيْضاً قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ»[٦١٧]، وأيضًا لأنه ما كان الناموس عاجزًا عنه إذ كان ضعيفاً بالجسد. فإن الله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطيه دان الخطية فى الجسد. لكى يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح»[٦١٨]. ويقول يوحنا: «لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللَّهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ»[٦١٩]. والمخلّص أيضًا قد تكلّم عن نفسه قائلاً: «لِدَيْنُونَةٍ أَتَيْتُ أَنَا إِلَى هَذَا الْعَالَمِ حَتَّى يُبْصِرَ الَّذِينَ لاَ يُبْصِرُونَ وَيَعْمَى الَّذِينَ يُبْصِرُونَ»[٦٢٠].

إذن فالمخلّص لم يأت لأجل ذاته بل لأجل خلاصنا ولكى يبطل الموت ولكى يدين الخطية، ولكى يعيد أبصار العميان، ولكى يقيم الجميع من بين الأموات. فإن كان قد أتى ليس لأجل لذاته بل لأجلنا فهو إذن لم «يُخلَق»[٦٢١] لأجل نفسه بل لأجلنا. وإن كان لم يُخلق لأجل ذاته بل لأجلنا فلا يكون هو نفسه مخلوقًا بل هو يقول هذا حيث إنه أرتدى جسدنا. وهذا المفهوم هو ما تعنيه الكتب المقدسة. وهذا هو ما نتعلمه من الرسول لأنه يقول فى رسالته إلى أهل أفسس: «وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ (أَيِ الْعَدَاوَةَ). مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الاثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَاناً وَاحِداً جَدِيداً، صَانِعاً سَلاَماً»[٦٢٢]. فلو أن الأثنين خُلِقا فى نفسه ووُجِدا فى جسده، فمن الطبيعى أن كان يلبس الأثنين فى نفسه، فإنه يكون كما لو كان هو نفسه الذى يُخلق. لأن الذين يخلقهم يتحدون به ويكون

---

[٦١٧] ١كو١٥: ٢١

[٦١٨] رو٨: ٣، ٤

[٦١٩] يو٣: ١٧

[٦٢٠] يو٩: ٣٩

[٦٢١] أى لم يُخلق بالجسد

[٦٢٢] أف٢: ١٤، ١٥

هو فيهم كما يكونون هم فيه. هكذا إذن فما دام قد خُلِق الأثنان فيه فيكون من الملائم تمامًا أن يقول «الرب خلقنى». فلأنه يأخذ على عاتقه ضعفاتنا يُقال عنه أنه يَضعُف رغم أنه هو لا يَضعُف لأنه قوَّة اللّه، وقد صار خطية ولعنة من أجلنا، بالرغم من أنه غير خاطئ، ولكنه يقال هذا لأنه حمل خطايانا ولعنتنا. وهكذا إذ قد خُلقنا فيه فيقال أيضًا «خَلَقنى من أجل الأعمال» رغم أنه هو غير مخلوق.

٥٦- وبحسب فكر أولئك يعتبر جوهر **الكلمة** مخلوقًا بسبب قوله «الرب خلقنى»، وبالتالى لكونه مخلوق فهو لم يُخلق من أجلنا، وإن لم يكن قد خُلِق من أجلنا فنحن لم نُخلق به، وإن لم نُخلق به فلن يكون هو لنا فى داخلنا، بل سيكون من خارجنا كما لو كنا نقبل منه التعليم مثلما نقبله من معلّم. ولو كان الأمر هكذا معنا لما فقدت الخطية سلطانها على الجسد، بل لظلّت ملتصقة به وليست بعيدة عنه. غير أن الرسول يعارض تعليم هؤلاء بإعلانه لأهل أفسس قبل ما سبق أن أقتبسنا بقليل قائلاً: «لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع». فإن كنا قد خُلِقنا فى المسيح فلا يكون هو الذى خلقنا، بل نحن الذين خُلقنا بواسطته. لذا فالقول «خَلَقَ» هو من أجلنا نحن وبسبب احتياجنا. فإن **الكلمة** رغم أنه خالق، احتمل أيضًا لقب المخلوقين. ولم يكن هذا لقبه الخاص. إذ أنه هو **الكلمة**، ولكن اللقب «خَلَق» هو خاص بنا نحن المخلوقين بواسطته.

وأيضًا كما أن الآب كائن دائمًا فإن **كلمته** كائن دائمًا أيضًا، ولأنه كائن دائمًا فهو يقول «وكنت أنا موضع بهجته، فرحًا فى حضرته كل يوم»[٦٢٣] وأيضًا «أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيِ»[٦٢٤]. هكذا فإنه حينما صار إنسانًا تابعًا لجنسنا البشرى

---

[٦٢٣] أم ٣٠:٨

[٦٢٤] يو ١٠:١٤



مثلنا، قال «الرب خلقنى» لكى يستطيع أن يطرد الخطية بعيدًا عن الجسد بسكناه فيه ولكى نحصل نحن على فكر حر[٦٢٥].

إذن فماذا كان يناسبه أن يقول عندما صار إنسانًا. أيقول « فى البدء كنت إنسانًا؟» ولكن هذا ليس لائقًا به وليس حقيقيًا. وكما أنه لم يكن من الواجب أن يقول هذا القول، فمن المناسب ومما يميِّز صفات الإنسانية أن يقول «خَلَقَه» و«صَنَعَه». ولهذا يُضاف أيضًا سبب قوله: «خَلَقَ» وهو حاجة «الأعمال». وحيث إنه بذك السبب فإن هذا السبب بلا شك يعطى المعنى الصحيح تمامًا للفقرة المكتوبة، وخاصة أنه هنا فى لفظ «خَلَقَ» يذكر السبب أى «الأعمال». بينما أنه عندما يشير بصوة مطلقة إلى الميلاد من الآب فإنه يضيف فى الحال: «قبل كل الجبال وَلَدنى»[٦٢٦]. فهو لم يَقُلْ لماذا وُلد مثلما حدث فى عبارة «خلقنى» حيث ذَكَرَ «من أجل الأعمال». بل إنه يقول بصورة مطلقة «وَلَدَنى»، كما جاء فى القول: «فى البدء كان الكلمة». لأنه حتى وإن لم تكن الأعمال قد خُلِقتْ، إلا أن كلمة الله كان كائنًا، «وكان الكلمة الله». أما صيرورته إنسانًا فما كانت لتحدث لو لم تكن حاجة البشر هى السبب. فتبعًا لذلك لا يكون الابن مخلوقًا، لأنه لو كان مخلوقًا لما قال «وَلَدَنى». لأن المخلوقات هى أعمال الصانع من خارجه، أما المولود فليس من خارجه وليس عملاً، بل هو مولود جوهر الآب الذاتى. لذا فبينما «الأعمال» هى مخلوقات إلّا أن كلمة الله هو ابن وحيد الجنس.

---

[٦٢٥] حر من الخطية.

[٦٢٦] أم٨: ٢٥.

الفصل الحادى والعشرون

شرح نصوص: سادسًا:
«... أول طرقه لأجل أعماله»
أمثال ٨: ٢٢

٥٧ - إن موسى عندما تكلّم عن الخليقة لم يَقُلْ «فى البدء وُلِد» ولا «فى البدء كان» بل قال: «فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ»[٦٢٧] وداود لم يترنم بالقول «يداك ولدتانى»، بل « يَدَاكَ صَنَعَتَانِي وَأَنْشَأَتَانِي»[٦٢٨]. فهو يقول فى كل مكان «صنع» عن المخلوقات، فى حين يتكلّم عن الابن عكس ذلك. فهو لم يَقُلْ عن الابن «صَنعتُ» بل «وَلدتُ»[٦٢٩]. و «ولدنى» و«فاض قلبى بكلمة صالحة»[٦٣٠]. فبينما يقول عن الخليقة: «فى البدء خَلَق» يقول عن الابن: «فى البدء كان الكلمة». وهذا الاختلاف راجع إلى أن المخلوقات قد صُنِعت ولها وجود فى مرحلة زمنية محددة. ولذا فإن ما قيل عنها «فى البدء خَلَق» مساو للقول «منذ البدء خلق» كما أن الرب إذ قد عرف ما صنع علّم الفريسيين موبخًا إياهم قائلاً: «الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَراً وَأُنْثَى»[٦٣١]. لأن المخلوقات أتت إلى الوجود وخُلِقَت من بداية ما، قبل

---

[٦٢٧] تك١: ١

[٦٢٨] مز١١٩: ٧٣

[٦٢٩] مز٢: ٧ و ١٠١: ٣

[٦٣٠] مز٢: ٤٥ (سبعينية)

[٦٣١] مت ١٩: ٤



أن يكون هناك أى وجود. وهذا هو ما قصده الروح القدس أيضًا بقوله فى المزامير: «وأنت يارب منذ البدء أسست الأرض»[٦٣٢].

ويقول أيضًا: «اذْكُرْ جَمَاعَتَكَ الَّتِي اقْتَنَيْتَهَا مُنْذُ الْقِدَمِ»[٦٣٣]. وواضح أن ما نشأ فى زمن، فإن لحظة خلقه هى بداية وجوده، وأن الله اقتنى الجماعة فى وقت معيَّن. فإن القصد من القول «خَلَقَ» فى عبارة «فى البدء خَلَقَ» أنه بدأ يخلق. وموسى نفسه أوضح هذا بعد إتمام عمل كل الأشياء قائلاً: «وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فى هذا اليوم استراح من أعماله التى بدأ أن يخلقها»[٦٣٤]. إذن فإن المخلوقات قد بدأت أن تُخلَق، أما كلمة الله فحيث إنه ليس له بداية وجود فإنه لم يبدأ أن يُوجَد ولا بدأ أن يصير، بل إنه كائن دائمًا.والأعمال لها بداية لصنعها، وبدايتها تسبق صيرورتها فى الوجود أما الكلمة فإنه ليس من بين الأشياء التى تصير،بل بالأحرى هو خالق هذه الأشياء التى لها بداية. ووجود المخلوقات يرجع إلى صيرورتها. ومن بداية ما، يبدأ الله بصنع هذه الأشياء بواسطة الكلمة، لكى يكون معروفًا أن هذه الأشياء ليس لها وجود قبل أن تصير. أما الكلمة فإن وجوده ليس له بداية أخرى سوى فى الآب الذى هو بلا بداية كما يعترفون هم، فالابن أيضًا كائن بلا بداية فى الآب، إذ أنه فى الواقع هو مولود الآب وليس مخلوق بواسطة الآب.

٥٨ـ هكذا فإن الكتاب الإلهى يفرّق بين «المولود» وبين «المصنوعات»، ويوضح أن المولود هو ابن ليس مبتدئًا من أيَّة بداية، بل هو أزليٌّ. أما الشئ المصنوع فلأنه من عمل الذى صنعه من الخارج، فلهذا يشير إلى أن له بداية خَلْق. ويوحنا عندما كان يعلّم عن ألوهية الابن وهو يعرف الفرق بين اللفظين لم يَقُلْ «فى البدء قد صار» أو

---

[٦٣٢] مز١٠٢: ٢٥

[٦٣٣] مز٧٤: ٢

[٦٣٤] تك٢: ٣ سبعينية



«فى البدء قد صُنِعَ» بل قال «فى البدء كان الكلمة»، ولفظ «كان» يتضمن «المولود» لكى لا يظن أحد أن هناك فرقًا زمنيًا، بل ليؤمنوا أن الابن أزليٌّ وكائن دائمًا. ومع كل هذه البراهين، فكيف لم تستوعبوا أيها الآريوسيون الأقوال التى جاءت فى سفر التثنية وتتجاسرون أن تكفروا بالرب مرَّة أخرى بقولكم إنه «مصنوع» أو «مخلوق» بينما هو «مولود»؟ وأنتم تزعمون أن «المولود» و «المصنوع» لهما نفس المعنى. ومن هنا ـ مع ذلك ـ سيتضح أنكم غير عارفين كما أنكم عديّمى التقوى.لأن القول الأول هو هذا: «أليس هذا هو أبوك الذى أوجدك وصنعك وخلقك»[٦٣٥]. ويقول بعد قليل فى نفس الأنشودة: «تركت الله الذى وَلَدَك ونسيت الله الذى أطعمك»[٦٣٦]. وهذه الفكرة غريبة للغاية، فهو لم يَقُلْ أولاً وَلَدَ لئلا يبدو القول غير مختلف عن «صنع»، ولوَجَدَ هؤلاء مبررًا أن يقولوا إن موسى منذ البدء ذَكَرَ أن الله قد قال: «لنصنع إنسانًا»[٦٣٧]، وبعد ذلك قال «تركت الله الذى وَلَدَك» كما لو أن الألفاظ غير مختلفة. أى أن «المولود» و «المصنوع» هما نفس الشئ. ولكن بعد أن ذَكَرَ لفظيَّ «أوجَدَ» و «صَنَعَ» أضاف أخيرًا «وَلَدَ» لكى يظهر أن العبارة تحمل تفسيرها فيها. لأن اللفظ «صَنَعَ» يشير فى الحقيقة إلى طبيعة البشر. أى أنهم أعمال ومصنوعات. أما لفظ «وَلَدَ» فيوضح محبة الله للبشر التى صارت للناس بعد أن خلقهم. ولأن الناس أظهروا جحودًا لمحبة الله للبشر هذه، لهذا وبّخهم موسى وقال أولاً: «هل تكافئون الرب بهذه الأمور؟» ثم أضاف: «أَلَيْسَ هُوَ أَبَاكَ وَمُقْتَنِيكَ هُوَ عَمِلَكَ وَأَنْشَأَكَ»[٦٣٨]. وقال ثانيًا: «ذَبَحُوا لأَوْثَانٍ لَيْسَتِ اللهَ. لآلِهَةٍ لَمْ يَعْرِفُوهَا،

---

[٦٣٥] تث٣٢: ٦

[٦٣٦] تث٣٢: ١٨

[٦٣٧] تك١: ٢٦

[٦٣٨] تث٣٢: ٦



أَحْدَاثٍ قَدْ جَاءَتْ مِنْ قَرِيبٍ، لمْ يَرْهَبْهَا آبَاؤُكُمْ. الصَّخْرُ الذِي وَلدَكَ تَرَكْتَهُ، وَنَسِيتَ اللّهَ الذِي أَبْدَأَكَ»[٦٣٩].

٥٩ ـ فإن الله لم يخلقهم بشرًا فقط بل دعاهم أيضًا أبناء لأنه وَلَدَهم. لأن لفظ «وَلَدَ» له معنى هام. لأنه يشير إلى ابن كما قال بواسطة النبى «وَلدتُ بنينًا ونشأّتهم»[٦٤٠]. وعمومًا فإن الكتاب عندما يريد أن يشير إلى «ابن» يُعبّر عنه ليس بواسطة اللفظ «خُلِقتُ»، بل حتمًا بواسطة اللفظ «وُلِدتُ». ويتضح هذا من قول يوحنا: «أَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ باسْمِهِ، [١٣] اَلَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنَ اللَّه»[٦٤١]. وهذا النص واضح لأنه حين يذكر عبارة «أن يصيروا» يقول إن هؤلاء أبناؤه ليس بحسب الطبيعة بل بحسب التبنى. ثم يقول «وُلدوا» لأن هؤلاء قد حصلوا على لقب ابن بالكامل. ولكن الشعب كما يقول النبى تمرَّد على الذى فعل معه «الخير»[٦٤٢]. فهذه هى محبة الله للبشر أنه بالنسبة لأولئك الذين صنعهم فقد صار لهم أبًا أيضًا بعد ذلك بحسب النعمة. وقد صار لهم أبًا ـ كما قال الرسول ـ عندما حصل الناس المخلوقون على «روح ابنه فى قلوبهم صارخًا: أبانا أيها الآب»[٦٤٣]. فهؤلاء هم الذين قبلوا الكلمة ونالوا منه سلطانًا أن يصيروا أولاد الله. لأنه لم يكن فى إمكانهم ـ حيث إنهم مخلوقات بالطبيعة ـ أن يصيروا أبناء بأيَّة طريقة أخرى إلاّ بأن يتقبَّلوا روح الابن الحقيقى حسب الطبيعة. لذا فلكى يحدث هذا فقد «صار الكلمة جسدًا»

---

[٦٣٩] تث٣٢: ١٧، ١٨.

[٦٤٠] إش١: ٢.

[٦٤١] يو١: ١٢، ١٣.

[٦٤٢] انظر إش١: ٣.

[٦٤٣] غل٤: ٦.



لكى يجعل الإنسان قادرًا على تقبل الألوهية، ويمكن أن نتعلّم هذا المفهوم أيضًا من ملاخى النبى الذى قال: «ألم يخلقكم إله واحد ؟ أليس لكم أب واحد»[٦٤٤]. وهنا وضع أولاً «خَلَقَ» وثانيًا لفظ «أب» لكى يثبت هو أيضًا أننا كنا منذ البدء مخلوقات بحسب طبيعتنا وأن الله هو خالقنا بواسطة الكلمة وبعد ذلك جعلنا أبناء، وهكذا صار الله الخالق هو أبونا أيضًا.

إذن فإن «الآب» هو خاص «بالابن»[٦٤٥] وليس بالخليقة، كما أن «الابن» خاص بالآب. ويتضح من هذا أننا لسنا أبناء بالطبيعة. أما الذى جاء وسطنا فهو ابن بالطبيعة. وأيضًا فإن الله ليس أبانا بالطبيعة، بل هو أب الكلمة الساكن فينا والذى به نصرخ «أبانا أيها الآب». وبنفس الطريقة فإنه يدعو الذين يرى ابنه فيهم، أبناء له ويقول: «وَلَدتُ» حيث إن الولادة تدل على الابن حقًا، أما «الصنع» فهو لفظ يدل على «الأعمال». لهذا فإننا نحن لم «نُولد أولاً» بل «صُنعنا» كما هو مكتوب «لنصنع إنسانًا»، وبعد ذلك بواسطة قبولنا نعمة الروح قال: إننا «نُولد». لهذا فإن موسى العظيم قال بمعنى جيد فى أنشودته، أولاً: «أوجد» وبعد ذلك «وَلَدَ»، لئلا عند سماع لفظ «وَلد» ينسون طبيعتهم من البداية، وبهذا يعرفون أنهم من البدء مخلوقات. وعندما يقال إن الناس يولدون كأبناء بالنعمة فإنهم مع ذلك هم أيضًا مصنوعات بالطبيعة.

٦٠ـ إن المخلوق ليس فى الواقع هو «المولود»، بل هما يختلفان أحدهما عن الآخر فى الطبيعة وفى معنى الألفاظ نفسها. والرب نفسه أوضح هذا فى الأمثال. لأنه عندما قال: «الرب خلقنى أول طرقه»[٦٤٦]، أضاف: «لكنه قبل كل الجبال

---

[٦٤٤] مل١:٢ سبعينية

[٦٤٥] أى أن الآب هو أب للابن وليس للخليقة.

[٦٤٦] أم٨: ٢٢



وَلَدنى»[٦٤٧]. فإن كان الكلمة مخلوق بالطبيعة وبالجوهر، والمولود يختلف عن المخلوق فما كان له أن يضيف «ولدنى» بل لكان قد أكتفى بلفظ «خَلَقَ» مادام هذا اللفظ يعنى أيضًا «وَلَدَ». ولكنه هنا يقول «خلقنى أول طرقه لأجل أعماله». وأضاف عبارة «وَلَدنى» ليس عن غير قصد، بل بعد ربطها بأداة الربط «لكن»، بذلك يعطى حماية كافية للفظ «خَلَق» قائلاً: «لكنه قبل كل الجبال ولدنى»، لأن عبارة «وَلَدنى» إذ تأتى مع لفظ «خلق» فإنها تضفى عليهما معنى معينًا يوضح أن لفظ «خلق» إنما قيل لغرض معيَّن.أما عبارة «وَلَدنى» فهى تتخذ وضعًا قبل «خَلَق». لأنه لو كان قد قيل بالعكس تمامًا: «الرب وَلَدنى» ثم أردف بالقول: «ولكن قبل كل الجبال خلقنى»، لكان لفظ «خَلَق» سابقًا على لفظ «وَلَد». وهكذا بقوله أولاً «خَلَق». وبقوله: «ولدنى قبل الكلّ» يشير إلى أن ذاته هى شئ آخر غير الكلّ. وقد أتضحت الحقيقة فيما سبق من أقوال إنه فيما يتعلَّق بالمخلوقات لم يصر أى واحد منها قبل غيره، بل إن جميع المخلوقات خُلِقَت معًا فى نفس الوقت وبنفس الأمر الوحد. ولهذا فإن لفظ «وَلَدنى» لا يرتبط به ألفاظ مثل التى ترتبط بلفظ «خَلَق»، ولكن لفظ «خَلَق» يرتبط به «أول طرقه»، أما لفظ «وَلَدنى» فلم يقل معه «فى البدء وَلَدنى»، بل «قبل الكل وَلَدنى»، فهذا الذى هو قبل الكلّ لا يكون أول الكلّ، بل هو شئ آخر غير الكلّ. فإن كان مختلفًا عن كل الأشياء، التى من بينها يعتبر هو أول الجميع، فيتضح من ذلك أنه مختلف عن المخلوقات، ويظهر بوضوح أنه بما أن الكلمة مختلف عن الكلّ وكائن قبل الكلّ، فإنه بعد ذلك يُخلَق «أول طرقه من أجل أعماله» بسبب التجسد. كما قال الرسول: «الَّذِي هُوَ الْبَدَاءةُ، بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّماً فِي كُلِّ شَيْءٍ»[٦٤٨].

---

[٦٤٧] أم٨: ٢٥

[٦٤٨] كو١: ١٨



٦١ـ وإن كان يوجد هذا الفرق بين «خَلَق» و «وَلَدنى»، وبين «أول الطرق» و«قبل الكلّ»، فإن الله أولاً هو خالق البشر وقد صار فيما بعد أبًا لهم بسبب كلمته الساكن فيهم. والعكس بالنسبة للكلمة، إذ أن الله هو أبوه بالطبيعة. لكنه صار فيما بعد خالقه وصانعه عندما لبس الكلمة الجسد الذ خُلِقَ وصُنِعَ، وصار إنسانًا. لأنه كما أن البشر الذين حصلوا على روح الابن صاروا به أولادً، هكذا كلمة الله عندما لبس هو أيضًا جسد البشر، فيقال حينئذ إنه خُلِقَ وصُنِعَ. إذن فلو كنا نحن أبناء بالطبيعة يكون هو أيضًا مخلوقًا ومصنوعًا بالطبيعة. ولكن إن كنا نحن أبناء بالتبنى وبالنعمة فمن الواضح أن الكلمة حينما صار إنسانًا بفضل النعمة، قال: «الرب خَلَقنى». وبعد ذلك حينما لبس ما هو مخلوق فإنه صار مشابهًا لنا بحسب الجسد، ولهذا فمن الصواب أن يُدعى أيضًا «أخانا» و «بكرنا». لأنه بما أن البشر قد هلكوا بسبب مخالفة آدم، فإن جسده كان أول ما تم تخليصه وتحريره إذ أن هذا الجسد هو جسد الكلمة نفسه. وهكذا إذ قد صرنا متحدين بجسده قد خلصنا على مثال جسده وبهذا الجسد صار الرب هو قائدنا إلى ملكوت السموات وإلى أبيه لأنه هو يقول: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ »[٦٤٩]. و «أَنَا هُوَ الْبَابُ»[٦٥٠]. ويجب على الجميع «أن يدخلوا بى». من أجل ذلك يُدعى «بكر من بين الأموات لا لأنه مات أولاً ـ إذ أننا قد متنا قبله ـ بل لأنه قد أخذ على عاتقه أن يموت لأجلنا، وقد أبطل هذا الموت، فإنه هو الأول الذى قام كإنسان، إذ قد أقام جسد لأجلنا. وتبعًا لذلك حيث إن الجسد قد أُقيم، هكذا نحن أيضًا ننال القيامة من بين الأموات منه وبسببه.

---

[٦٤٩] يو١٤: ٦

[٦٥٠] يو١٠: ٧



٦٢- وإن سُمى أيضًا «بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ»[٦٥١]، لكنه لم يلقب بكرًا كمساوٍ للمخلوقات، أو أولهم زمنيًا [لأنه كيف يكون هذا وهو نفسه الوحيد الجنس بحق؟]. لأنه بسبب تنازل الكلمة إلى المخلوقات فإنه قد صار أخًا لكثيرين. وهو يعتبر «وحيد الجنس» قطعًا إذ أنه وحيد وليس له إخوة آخرون والبكر يسمى بكر بسبب وجود إخوة آخرين. لذلك فلم يُذكر فى أى موضع فى الكتب «بكر الله» ولا «مخلوق الله» بل ذُكر «الوحيد الجنس» و «الابن» و «الكلمة» و «الحكمة».

وهذه تشير إلى علاقته الخاصة المتميزة بالآب. وهكذا كُتب «وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ»[٦٥٢] و «أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ»[٦٥٣] و«كلمتك يارب دائم إلى الأبد»[٦٥٤] و«فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ»[٦٥٥] و«الْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ»[٦٥٦] و«هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ»[٦٥٧] و«أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ»[٦٥٨].

أما لفظ «البكر» فيشير إلى التنازل إلى الخليقة، لأنه بسببها سُمى بكرًا. ولفظ «خُلِقَ» يشير إلى النعمة «من أجل الأعمال» فإنه يُخلق من أجلها. فإن كان هو «الابن الوحيد» تمامًا مثلما هو فى الحقيقة، فإن لفظ بكر تحتاج إلى تفسير، لأنه

---

[٦٥١] كو١: ١٥

[٦٥٢] يو١: ١٤

[٦٥٣] ١يو٤: ٩

[٦٥٤] مز١١٩: ٨٩ (سبعينية)

[٦٥٥] يو١: ١

[٦٥٦] ١كو١: ٢٤

[٦٥٧] مت٣: ١٧

[٦٥٨] مت١٦: ١٦



لو كان «بكرًا» لما كان «وحيدًا» لأنه غير ممكن أن يكون هو نفسه «وحيدًا» و «بكرًا» إلّا إذا كان يشير إلى أمرين مختلفين. فهو «الابن الوحيد» بسبب الولادة من الآب، ولكنه يسمى «بكرًا» لسبب التنازل إلى الخليقة وجعله الكثيرين أخوة له. فإن كان اللفظان متعارضان أحدهما مع الآخر، فإن فى إمكان أى شخص أن يقول إن اصطلاح «الوحيد الجنس» متعلّق بالكلمة وذلك بسبب عدم وجود كلمة آخر أو «حكمة» آخر، بل إنه هو وحده ابن الآب الحقيقى. لأنه كما قيل سابقًا فإن اصطلاح وحيد الجنس لم يذكر مرتبطًا بأى سبب، بل ذُكر بصورة مطلقة أنه: «اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ»[659]. أما اصطلاح البكر فهو مرتبط بالخليقة التى أشار إليها بولس عندما قال: «فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ»[660]. فإن كانت كلّ المخلوقات قد خُلِقت بواسطته فإنه يكون مختلفًا عن المخلوقات، ولا يكون مخلوقًا بل هو خالق المخلوقات.

٦٣ـ إذن فهو لم يُدعَ «بكرًا» بسبب كونه من الآب، بل بسبب أن الخليقة قد صارت به. وكما كان الابن نفسه كائنًا قبل الخليقة وهو الذى به قد صارت الخليقة، هكذا أيضًا فإنه قبل أن يُسمى «بكر كل الخليقة» كان هو الكلمة ذاته عند الله. ولكن حيث إن الكافرين لم يفهموا هذا صاروا يجولون قائلين: «إن كان هو بكر كل خليقة فمن الواضح أنه هو نفسه أيضًا واحد من الخليقة «. يالهم من حمقى! فإن كان هو بكر كل الخليقة جمعاء فهو إذن مغاير لكل الخليقة، لأنه لم يَقُلْ إنه كان بكر بقية الخلائق لكى لا يظن أنه مثل واحد من الخلائق، بل قد كتب «بكر كل خليقة «كى يتضح أنه مختلف عن الخليقة. فرأوبين مثلاً لم يُدعَ بكر جميع أولاد يعقوب، بل بكر يعقوب وبكر إخوته،

---

[659] يو ١: ١٨

[660] كو ١: ١٦



لكى لا يظن أنه شخص آخر ولا ينتمى إلى أولاد يعقوب[٦٦١]. أما بخصوص الرب نفسه فلم يقل الرسول: «لكى يصير بكر الجميع»، لكى لا يُظن أنه يلبس جسدًا مختلفًا عن جسدنا، بل قال: «هُوَ بِكْراً بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ»[٦٦٢] وذلك بسبب مشابهة الجسد. فلو كان الكلمة واحدًا من بين الخلائق، لكان الكتاب قد قال عنه إنه بكر المخلوقات الأخرى. أما الآن حيث يقول القديسون إنه «بكر كل خليقة» فإنه يتضح العكس تمامًا لأنه غير كلّ الخليقة، وأن ابن الله ليس بمخلوق. لأنه إن كان مخلوقًا فسيكون هو بكرًا بالنسبة لنفسه.

فكيف يكون ممكنًا أيها الآريوسيون أن يكون هو الأول لذاته والثانى بالنسبة لنفسه؟ وبعد ذلك، فإن كان هو مخلوقًا، وكل الخليقة قد صارت به وتتكوّن فيه، فكيف يستطيع أيضًا أن يخلق الخليقة وأن يكون فى نفس الوقت واحدًا من أولئك الذين خُلِقوا فيه؟ فبدعتهم هذه تظهر منافية للعقل وسقيمة، فهم يحيدون عن الحق، لأنه قد دُعى «بكرًا بين أخوة كثيرين» بسبب علاقة الجسد. وسُمى «البكر من بين الأموات» لأن قيامة الموتى تنبع منه وتلى قيامته. وقد دُعى «بكر كل الخليقة» من أجل محبة الآب للبشر التى بسببها، ليس أن الكلّ فقط قد تَكَوَّنَ بكلمته، بل إن الخليقة نفسها ـ التى تحدَّث عنها الرسول أنها «تَتَوَقَّعُ اسْتِعْلاَنَ أَبْنَاءِ اللهِ»[٦٦٣]، هى أيضًا سوف «سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ»[٦٦٤]. وهكذا فبعد أن تتحرر الخليقة فسيكون الرب أيضًا هو بكرها

---

[٦٦١] انظر تك٣٥: ٢٣

[٦٦٢] رو٨: ٢٩

[٦٦٣] رو٨: ١٩

[٦٦٤] انظر رو٨: ٢١



وبكر كل الأولاد المولودين، لكى بتسميته «الأول» فإن الذين يتبعونه يظلون مرتبطين به كبداية لهم.

٦٤ـ واعتقد أن الكافرين أنفسهم سيخجلون من مثل هذا الرأى، لأنه لو أن الأمر لم يكن هكذا مثلما قلنا، بل هم يريدونه أن يكون ـ بحسب الجوهر ـ مخلوقًا بين الخلائق. وبهذا المعنى يفسرون «بكر كل الخليقة»، فدعهم إذن يعترفون أنهم ـ فى هذه الحالة ـ سيفهمونه أنه أخ ومشابه للكائنات الغير ناطقة والتى بلا نفس. لأنه الأشياء هى أيضًا أجزاء من كلّ الخليقة، لذلك يكون البكر بالضرورة هو الأول من الناحية الزمنية فقط، أما من ناحية النوع والتشابه فيكون هو والجميع شئ واحد. فكيف إذن لا يفوقون كل كفر عندما يقولون هذا؟ ومَنْ سيحتملهم عندما يتكلّمون هكذا؟ وكيف يستطيع أحد ألا يشمئز منهم بسبب أنهم يتفكرون فى مثل هذه الأمور؟

لأنه واضح للجميع أنه دعيًّ «بكر الخليقة» ليس بسبب نفسه كما لو كان مخلوقًا، ولا بسبب أن له علاقة ما من جهة الجوهر مع كل الخليقة، بل لأن الكلمة ـ منذ البدء ـ عندما خَلَقَ المخلوقات، تنازل إلى مستواها حتى يتيسر لها أن تأتى إلى الوجود. لأن المخلوقات ما كان ممكنًا لها أن تحتمل طبيعته ـ التى هى بهاء الآب الخالص ـ لو لم يتنازل ويعضدها ويمسك بها ويحضرها إلى الوجود بسبب محبة الآب للبشر. ونكرر أيضًا أنه بنزول الكلمة، قد صار به تبنِّى الخليقة نفسها به، لكى يصير هو بكرها فى كل شئ كما سبق أن قيل، سواء فى الخلق أم فى دخوله إلى العالم نفسه من أجل الكلّ لأنه مكتوب «وَأَيْضاً مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُوَ لِتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللّهِ»[٦٦٥]. فليسمع أعداء المسيح وليمزقوا

[٦٦٥] عب١: ٦



أنفسهم بشدة. لأن إدخاله إلى العالم ساهم فى تسميته «بكر» الكلّ، حتى يكون هو ابن الآب الوحيد الجنس بسبب أنه هو الوحيد الذى من الآب، كما أنه «بكر» الخليقة من أجل تبنّى الجميع. ولأنه هو بكر بين الأخوة، وقد قام من بين الأموات ليكون هو باكورة الراقدين[٦٦٦]، لذلك كان من الواجب أن يكون متقدمًا فى كل شئ، لهذا فقد «خُلِق أول الطرق». لكى إذ نتبعه وندخل بواسطته وهو القائل «أنا هو الطريق» و «الباب» ونشترك فى معرفة الآب، فإننا نسمع الكلمات: «طُوبَى لِلْكَامِلِينَ طَرِيقا»[٦٦٧] وأيضًا «طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللّه»[٦٦٨].

٦٥ـ وهكذا إذ قد ظهر الحق واتضح أن الكلمة من جهة طبيعته ليس مخلوقًا بالطبيعة، فمن المناسب الآن أن نوضح كيف قيل عنه «أول الطريق». لأنه حيث إن الطريق الأول الذى كان من خلال آدم، قد ضاع وانحرفنا إلى الموت بدل الفردوس وسمعنا القول: «إنك من التراب وإلى التراب تعود»[٦٦٩]، لذا فإن كلمة الله المحب للبشر لبس ـ بمشيئة الآب ـ الجسد المخلوق لكى يُحيّى بدم نفسه هذا الجسد الذى أماته الإنسان الأول بسبب تعدّيه، كما قال الرسول: «وكرّس لنا طريقًا حيًا حديثًا بالحجاب أى جسده»[٦٧٠]. وهو ما شار إليه فى موضع آخر حينما قال: «إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكلّ قد صار جديدًا»[٦٧١]. فإن كان كلّ شئ قد صار خليقة جديدة فمن الضرورى أن يكون

---

[٦٦٦] انظر ١كو١٥: ٢٠

[٦٦٧] مز١١٩: ١

[٦٦٨] مت٥: ٨

[٦٦٩] تك٣: ١٩

[٦٧٠] عب١٠: ٢٠ انظر أيضًا كتاب تَجَسُّد الكَلِمَة، المرجع السابق، فصل ٢٥/د.

[٦٧١] ٢كو٥: ١٧



هناك شخص هو بكر هذه الخليقة. ولا يمكن أن يكون هو الإنسان الضعيف الترابى، وهى حالتنا نحن بسبب التعدى. لأنه فى الخليقة الأولى قد صار البشر عديمى الايمان وهلكت الخليقة الأولى بسببهم، ولذا صارت هناك حاجة إلى آخر وهو الذى يقوم بتجديد الخليقة الأولى والذى يحفظ الخليقة الجديدة التى ستُخلق. فليس هناك أحد غير الرب ـ الذى هو بداية الخليقة الجديدة ـ قد خُلِقَ (كما قيل سابقًا) ليكون أول الطريق، وذلك من محبته للبشر، وهكذا يكون من الصواب أن يقول: «الرب خلقنى أول طرقه لأجل أعماله» لكى لا يحيا الإنسان فيما بعد بحسب الخليقة الأولى. وإذ توجد بداية خليقة جديدة والمسيح هو بدء طرقها، إذن فلنقتف أثره لأنه هو الذى قال لنا: «أنا هو الطريق». وأيضًا يعلّم الرسول المغبوط فى رسالته إلى أهل كولوسى قائلاً: «وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ الْكَنِيسَةِ الَّذِي هُوَ الْبَدَاءةُ، بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّماً فِي كُلِّ شَيْءٍ»[٦٧٢].

٦٦ ـ لأنه إن كان المسيح ـ كما قيل ـ يعتبر بداية بسبب القيامة من الأموات، إذ قد حدثت القيامة عندما لبس جسدنا وبعد ان سلّم ذاته للموت من أجلنا، فإنه يكون واضحًا أن ما قاله هو: «خلقنى أول طرقه» يشير ليس إلى جوهره بل إلى وجوده الجسدى. لأن الموت خاص بالجسد. وكما أن الموت صفة خاصة للجسد، هكذا أيضًا فإن الوجود الجسدى يكون خاصًا بالقول: «الرب خلقنى أول طرقه». لأنه هكذا خُلِقَ المخلّص بحسب الجسد وصار أول الذين صاروا من جديد وأتخذ باكورتنا التى هى الجسد البشرى الذى لبسه، وبعده يأتى الشعب الآتى الذى خُلِقَ كما قال داود: «يُكْتَبُ هَذَا لِلدَّوْرِ الآخِرِ، وَشَعْبٌ سَوْفَ يُخْلَقُ يُسَبِّحُ الرَّبَّ»[٦٧٣]. ويقول فى المزمور الحادى والعشرين: «الجيل الآتى سيُخَبِّر عن الرب. وسيُعلنون بره

---

[٦٧٢] كو ١: ١٨

[٦٧٣] مز ١٠٢: ١٨



للشعب الذى سيُولد الذى صنعه الرب»[٦٧٤]. لأننا لن نسمع بعد: «يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتاً تَمُوتُ»[٦٧٥]، بل نسمع: «حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً»[٦٧٦]. وهكذا نستطيع أن نقول: «لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ»[٦٧٧]. ومرة أخرى حيث إن عمل الله ـ أى الإنسان ـ الذى خُلِقَ كاملاً، قد صار ناقصًا بسبب المخالفة، وصار ميتًا بالخطيئة، فلم يكن لائقًا أن يظل عمل الله ناقصًا. ولأجل هذا توسل جميع القديسين قائلين فى المزمور ١٣٧: «يارب جازهم بسببى.. يارب لا تتخلّ عن أعمال يدك»[٦٧٨]. لأجل هذا فإن كلمة الله الكامل قد لبس الجسد الناقص. ولهذا يُقال إنه «خُلِق من أجل الأعمال»، لكى بعد أن يوفى الدين بدلاً منا يكملّ بنفسه ما هو ناقص عند الإنسان. فالإنسان ينقصه الخلود والطريق إلى الفردوس. وهذا يتضح ما قاله المخلص: «أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ»[٦٧٩] وأيضًا «الأَعْمَالَ الَّتِي أَعْطَانِي الآبُ لأُكَمِّلَهَا. هَذِهِ الأَعْمَالُ بِعَيْنِهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي»[٦٨٠]، إن الأعمال التى يتحدث عنها هنا أن الآب قد أعطاها له ليكملها، هى تلك التى خُلِق من أجلها كما يقول فى الأمثال: «الرب خلقنى أول طرقه لأجل أعماله». وهذا كإنه يقول: «الآب أعطانى الأعمال» و «الرب خلقنى لأجل الأعمال».

---

[٦٧٤] انظر ٢٢: ٣٠ و٣١ (مز ٢١ بالسبعينية).

[٦٧٥] تك٢: ١٧

[٦٧٦] يو١٤: ٣

[٦٧٧] انظر أف٢: ١٠

[٦٧٨] مز١٣٨: ٨ (مز ١٣٧ بالسبعينية)

[٦٧٩] يو١٧: ٤

[٦٨٠] يو٥: ٣٦



٦٧- إذن يامحاربى الله، متى أخذ الأعمال لكى يكملها؟ فمن هذا أيضًا سيتضح معنى اللفظ «خَلَقَ». فإن قلتم إن هذا حدث فى البدء عندما صنع الأشياء من العدم، يكون هذا كذبًا وغير حقيقى، ذلك لأن الأعمال لم تكن قد وجدت بعد. وواضح أنه يقول إنه أخذ «أعمالاً» كانت موجودة عندئذ. وليس من التقوى أن نقول إن هذا حدث قبل الزمن الذى صار فيه الكلمة جسدًا، لكى لا يبدو أن مجيئه إلى العالم كان عديم النفع، لأن مجيئه كان لأجل هذه «الأعمال». إذن علينا أن نداوم القول إنه عندما صار إنسانًا، فإنه عندئذ فقط أخذ «الأعمال». لأنه عندئذ أكملها أيضًا شافيًا جراحنا ومانحًا إيانا القيامة من الأموات. لأنه إن كانت «الأعمال» قد أُعطيت عندئذ للكلمة أى عندما صار جسدًا، فإنه يكون واضحًا أنه عندما صار إنسانًا فإنه حينئذ أيضًا «خُلق لأجل الأعمال». إذن فلفظ «خَلَقَ» لا يشير إلى جوهره - كما قلنا مرارًا - بل إلى ولادته بالجسد. ولأن الأعمال صارت ناقصة ومشوهة بسبب التعدى، لذا يُقال عنه إنه «خُلق» من جهة الجسد، لكى بعد أن يُكمِل هذه الأعمال ويتمم صنعها يُحضر الكنيسة إلى الآب كما قال الرسول: «لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلاَ عَيْبٍ»[681].

إذن فقد كَمُلَ فيه الجنس البشرى وأُعيد تأسيسه كما كان فى البدء، بل بالأحرى بنعمة أعظم من الأول. لأننا بعد القيامة من بين الأموات لن نخاف الموت بعد، بل سنملك فى السموات مع المسيح على الدوام. وهذا لأن كلمة الله الذاتى عينه، الذى من الآب، قد لبس الجسد وصار إنسانًا. لأنه لو كان مخلوقًا ثم صار إنسانًا فإن الإنسان يبقى كما كان دون أن يتحد بالله. لأنه كيف يمكن لمخلوق أن يتحد بالخالق بواسطة مخلوق؟ لأن أى معونة يمكن أن يحصل عليها متماثلون

---

[681] أف٥: ٢٧



من مماثليهم ما داموا هم أيضًا محتاجين إلى نفس المعونة[٦٨٢]؟ وإن كان الكلمة مخلوقًا فكيف يمكن أن يَبطُل حكم الله ويصفح عن الخطيئة وهو أمر كتب عنه الأنبياء أنه خاص بالله؟ لأن «مَنْ هُوَ إِلَهٌ مِثْلُكَ، غَافِرٌ الإِثْمَ، وَصَافِحٌ عَنِ الذَّنْبِ»[٦٨٣]. فإن الله قال: «لأَنَّكَ تُرَابٌ وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ»[٦٨٤]، والبشر قد صاروا مائتين. إذن فكيف يكون فى إمكان المخلوقين أن يبطلوا الخطية؟ فإن الرب نفسه هو الذى أبطلها كما قال هو نفسه: «إن لم يحرركم الابن»[٦٨٥]، وأوضح حقًا أن الابن الذى حرَّر ليس مخلوقًا وليس من بين المخلوقات، بل هو الكلمة الذاتى وصورة جوهر الآب، وهو الذى «أصدر الحكم»[٦٨٦]، فى البداية، وهو الذى صَفَحَ عن الخطايا. قيل بواسطة الكلمة «أنت من التراب وإلى التراب تعود» هكذا أيضًا قد تحققت الحرية بالكلمة نفسه وفيه، وبه قد صار إبطال الدينونة.

٦٨- ولكنهم يقولون إنه يمكن أن يكون المخلّص مخلوقًا ومع ذلك يقول الله مجرَّد كلمة ليبطل بها اللعنة. ومن المحتمل أن يسمعوا نفس الشئ من آخر يقول: «كان فى الإمكان ألاّ يأتى الابن إلى العالم على الإطلاق، وأن يتكلّم الله فقط ويبطل النعمة»[٦٨٧]. ولكن يلزم التفكير فى تحديد ما هو ملائم للبشر وليس فى ما

---

[٦٨٢] يعبّر القديس أثناسيوس عن نفس هذه الحقيقة بعبارة أخرى، انظر تَجَسُّد الكَلِمَة، المرجع السابق، فصل ٧/١٣، فصل ٥/٢١.

[٦٨٣] ميخا ٧: ١٨.

[٦٨٤] تك٣: ١٩.

[٦٨٥] انظر يو٨: ٣٦.

[٦٨٦] يقصد أن الكلمة هو الذى أصدر حكم الموت « لأنك من التراب وإلى التراب تعود».

[٦٨٧] سبق أن حاجج كلسوس المسيحيين بهذا القول. انظر أوريجينوس في رده على كِلسوس ٣/٤ غير أن هذه الحجة وردت على لسان الآريوسيين، كما سبق أن أشار إليها القديس أثناسيوس من قبل وفندها في كتابه تَجَسُّد الكَلِمَة، المرجع السابق، فصل ٤٤.



يكون فى استطاعة الله. لأنه كان قادرًا أن يهلك البشر المخالفين قبل فلك نوح، ولكنه فعل هذا بعد الفلك. وكان يسطتيع بدون موسى أن يُخرج الشعب من مصر بكلمة فقط، ولكن كان من المفيد أن يفعل هذا بواسطة موسى. وكان يستطيع الله أيضًا أن يخلّص الشعب بغير القضاة ولكن كان من مصلحة الناس أن يقيم لهم قاضيًا فى كل عصر. وكان من الممكن أن يقيم المخلّص بيننا منذ البداية، أو بعد أن جاء كان يمكنه ألاّ يستسلم لبيلاطس. لكنه جاء عند إنقضاء الدهور، فعندما سألوه قال: «أَنَا هُوَ»[٦٨٨]. لأن ما صنعه كان هو بعينه النافع للبشر. ولم يكن من المناسب أن يكون هناك شئ آخر. وبرعايته قد صنع أيضًا ما هو نافع ولازم.

إذن فهو قد «جاء لا لكى يُخدم، بل لكى يَخدم وأن يصنع لنا خلاصًا»[٦٨٩]. وبالتأكيد كان يستطيع أن يملى الشريعة من السماء غير أنه رأى أنه لصالح البشر أن يمليها من سيناء. وهذا ما قد صنعه بالفعل حتى يستطيع موسى أن يرتقى الجبل ويتمكن أولئك الذين يسمعون الكلام عن قرب أن يؤمنوا أكثر. ويمكن أيضًا أن ندرك صواب ما قد فعله من الآتى:

ولو أن الله قال كلمة واحدة ـ بسبب قدرته ـ وأبطل بها اللعنة، لظهرت قوّة الذى أعطى الأمر ولكن الإنسان كان سيظل كما كان آدم قبل العصيان، لأنه كان سيحصل على النعمة من الخارج دون أن تكون متحدة مع الجسد (فهذه كانت الحالة عندما وُضِعَ فى الجنة) بل ربما صارت حالته الآن أسوأ مما كان فى الجنة بسبب أنه قد تعلّم كيف يعصى. فلو كانت حالته هكذا وأُغوى مرة أخرى بواسطة الحيّة لصارت هناك حاجة مرَّة أخرى أن الله يأمر ويبطل اللعنة وهكذا

---

[٦٨٨] يو١٨: ٥

[٦٨٩] مت٢٠: ٢٨



تستمر الحاجة إلى ما لا نهاية، وَلَظَلِ البشر تحت الذنب لسبب استعبادهم للخطية. إذ هم يقترفون الأثم. ولظلوا على الدوام فى حاجة لمن يعفو عنهم ولما خلصوا قط. ولكونهم أجسادًا بحسب طبيعتهم فإنهم يظلون مقهورين دائمًا بواسطة الناموس لسبب ضعف الجسد[٦٩٠].

٦٩- ومرَّة أخرى (نقول)، لو كان الابن مخلوقًا لظل الإنسان مائتًا كما كان قبلاً، حيث إنه لم يتحد بالله. فإنه لا يسطتيع مخلوق أن يوّحد المخلوقات مع الله، إذ أنه هو نفسه فى حاجة لمن يوحده بالله. وليس فى وسع جزء من الخليقة أن يكون خلاصًا للخليقة إذ هو نفسه فى حاجة إلى الخلاص. ولكى لا يحدث هذا أرسل الله ابنه وصار ابن الإنسان بأتخاذه الجسد المخلوق. وحيث إن الجميع كانوا خاضعين للموت، وكان هو مختلفًا عن الجميع فقد قدّم جسده الخاص للموت من أجل الجميع. إذن حيث إن الجميع ماتوا بواسطته هكذا قد تمَّ الحكم (إذ أن الجميع ماتوا فى المسيح). وهكذا فإن الجميع يصيرون بواسطته أحرارًا من الخطية ومن اللعنة الناتجة عنها، ويبقى الجميع على الدوام قائمين من الأموات ولابسين عدم موت وعدم فساد. وكما قلنا مرارًا وتكرارًا فإن الكلمة بلبسه للجسد بدأ يُبطل منه كلِّية كل لدغة من لدغات الحية، ويقطع منه أى شئ ينبع من حركات الجسد، ويُبطل معها أيضًا الموت الذى يتبع الخطية[٦٩١] كما قال الرب نفسه: «لأَنَّ رَئِيسَ هَذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ»[٦٩٢]. وحيث إن أعمال إبليس[٦٩٣] قد نُقِضَت

---

[٦٩٠] سبق أن أوضح القديس أثناسيوس نفس هذا التعليم بأسلوب مشابه وذلك في إطار دفاعه عن تَجَسُّد الكَلِمَة، انظر كتاب تَجَسُّد الكَلِمَة، المرجع السابق، فصل ٨/٤٤.

[٦٩١] يُجمل القديس أثناسيوس في هذه الفقرة تعليمه ودفاعه عن ألوهية الابن المتجسد موضحًا عمله الخلاصى من أجل البشرية كلها. ويمكن مقارنة هذا الجزء بما ورد في كتابه «تَجَسُّد الكَلِمَة» الفصل ٢٠، حيث لخص فيه القديس أثناسيوس سبب ظهور **كلمة** الله في الجسد.

[٦٩٢] يو١٤: ٣٠



من الجسد فقد تحررنا جميعًا بسبب علاقتنا بجسده، وصرنا متحدين مع الكلمة، ولأننا متحدون مع الله فلن نمكث كثيرًا بعد على الأرض، بل كما قال هو نفسه: «حيث يكون هو هناك نكون نحن أيضًا»[٦٩٤]. وعندئذ لن نخاف الحيّة بعد لأنها أُبطلت بواسطة الجسد بعد أن طردها المخلّص عندما سمعت «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ»[٦٩٥]. وهكذا طُرد خارج الفردوس وألقى فى النار الأبدية. ولن نحترس بعد من المرأة التى خدعتنا لأنه فى «الْقِيَامَةِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يَتَزَوَّجُونَ بَلْ يَكُونُونَ كَمَلاَئِكَةِ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ»[٦٩٦] وستكون خليقة جديدة فى المسيح يسوع «لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى»[٦٩٧]. بل سيكون المسيح الكلّ فى الكل[٦٩٨]، وحيث يكون المسيح فأى خوف أو خطر يكون هناك؟

٧٠ـ ولكن كل هذا لم يكن ممكنًا أن يحدث لو أن الكلمة كان مخلوقًا فالشيطان إذ هو مخلوق فإنه يواصل الحرب دائمًا ضد المخلوق، وحيث إن الإنسان موجود فى وسط الصراع فهو خاضع للموت، إذ ليس له من بواسطته وعن طريقه يتحد بالله لكى يتحرر من كل خوف. ولذلك فإن الحق يوضح أن الكلمة لا ينتمى إلى المخلوقات، بل بالحرى هو نفسه خالقهم. ولذلك فقد لبس الجسد البشرى

---

[٦٩٣] ايو٣: ٨

[٦٩٤] انظر يو١٤: ١٣

[٦٩٥] مت٤: ١٠

[٦٩٦] مت٢٢: ٣٠

[٦٩٧] انظر غلا٣: ٢٨.

[٦٩٨] انظر ١كو١٥: ٢٨



المخلوق، لكى بعد أن يجدده كخالق فإنه يؤله هذا الجسد فى ذاته[٦٩٩] هو نفسه، وهكذا يدخلنا جميعًا إلى ملكوت السموات على مثال صورته.لأنه ما كان للإنسان أن يتأله[٧٠٠] لو أنه أتحد بمخلوق أو لو أن الابن لم يكن إلهًا حقيقيًا. وما كان للإنسان أن يقف فى حضرة الآب لو لم يكن الذى لبس الجسد هو بالطبيعة كلمته الحقيقى.

وكما أنه لو لم يكن الجسد الذى لبسه الكلمة جسدًا بشريًا لما كنا قد تحررنا من الخطيئة واللعنة (حيث إنه فى هذه الحالة لا يكون هناك شئ مشترك بيننا وبين ما هو غريب)[٧٠١]، هكذا لم يكن للإنسان أن يؤله لو لم يكن الكلمة هو ابن طبيعى حقيقى وذاتى من الآب. لهذا إذن صار الاتحاد هكذا: أن يتحد ما هو بشرى بالطبيعة بهذا الذى له طبيعة الألوهة، ويصير خلاص الإنسان وتأليهه مؤكدًا. لذلك فإن الذين ينكرون أن الابن هو بالطبيعة من الآب وأنه مولوده الذاتى من جوهره، فلينكروا أيضًا أنه قد حصل على جسده البشرى الحقيقى من مريم الدائمة البتولية. لأنه لن يكون لنا نحن البشر أى ربح بعد، إن لم يكن الكلمة هو ابن الله الحقيقى بالطبيعة، وإن لم يكن الجسد الذى اتخذه هو جسد حقيقى. ولكنه بالتأكيد قد اتخذ جسدًا حقيقيًا برغم ما يهذى به فالنتينوس[٧٠٢]، ذلك لأن

---

[٦٩٩] كثيرًا ما يشدّد القديس أثناسيوس على هذه الحقيقة الخلاصية باستخدام هذا التعبير، وذلك في مثالاته ضد الآريوسيين ٣٩/١، ٤٧/٢، ٥٩/٢، ٣٣/٣، وأيضًا تَجَسُّد الكَلِمَة ٣/٥٤، وهذا التعبير عند الآباء بصفة عامة لا يعنى أن الإنسان يصير بطبيعته إلهًا بل يعنى أنه يشترك في الحياة الإلهية، حياة البر والقداسة، التي هي شركة حياة الثالوث.

[٧٠٠] راجع أيضًا رسائل القديس أثناسيوس إلى أدلفيوس ٤، وإلى سرابيون عن الروح القدس٢٤:١، والدفاع عن الإيمان١٤.

[٧٠١] يقصد بـــ «ما هو غريب»، الطبيعة الإلهية التي تختلف عن طبيعتنا البشرية المخلوقة.

[٧٠٢] فالنتينوس: هو الممثل الرئيسى للغنوسية فى القرن الثانى وبحسب مذهبه أن العالم نشأ من الإله الأعلى بواسطة سلسلة لا نهائية من الآلهة الوسطاء ـــ أى الدهور. وقد وصلت إلينا أخبار هذه الهرطقة أساسًا من ايريناوس وهيبوليتوس.



الكلمة هو إله حق بالطبيعة رغم هذيان مجانين الآريوسية[٧٠٣]. فهو بهذا الجسد قد صار بدء خليقتنا الجديدة لأنه قد خُلِق كإنسان لأجلنا وقد كرّس لنا ذلك الطريق كما قد كُتب.

٧١ـ إذن فالكلمة ليس مخلوقًا، لأن ألفاظ «المخلوق» و «المصنوع» و «العمل» تعنى نفس الشئ. فلو كان «مخلوقًا» لكان أيضًا «مصنوعًا» و «عملاً» لهذا فإنه لم يقل «خلقنى عملاً» و «صنعنى مع الأعمال» لكى لا يُظن من الناحية الأخرى ـ حسب نية الكافرين ـ أنه صار أداة من أجلنا. وأيضًا لم يعلن: «خلقنى قبل الأعمال»، لئلا وهو كائن قبل الكلّ «مولود»، ثم يقال أنه أيضًا «مخلوق قبل الأعمال»، فإن اللفظ «مولود»، واللفظ «خَلَقَ» يظهران كأن لها نفس المعنى. ولكنه قال بتمييز دقيق: «من أجل الأعمال» كأنه يقول «الآب صنعنى جسدًا لكى أصير إنسانًا»، حتى يظهر من هذا أيضًا انه ليس «عملاً»، بل هو «مولود». لأنه كما أن مَنْ يدخل إلى المنزل لا يعتبر جزءً من المنزل، بل هو مختلف عن المنزل[٧٠٤]، هكذا مَنْ يُخلق من أجل الأعمال فإنه بالطبيعة مغاير للأعمال. لأنه لو كان كلمة الله «عملاً» ـ وفقًا لمعتقداتكم أيها الآريوسيون ـ فبأيَّة «حكمة» إذن وبأيَّة «يد» قد وُجد هو أيضًا؟ لأن كل الكائنات قد وُجدت بيد الله وحكمته. فإن الله نفسه يقول «وَكُلُّ هذِهِ صَنَعَتْهَا يَدِي»[٧٠٥]. وداود يرتل قائلاً: «مِنْ قِدَمٍ أَسَّسْتَ الأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ»[٧٠٦]. ويقول أيضًا فى المزمور المئة والثانى والأربعين: «تَذَكَّرْتُ أَيَّامَ الْقِدَمِ.

---

[٧٠٣] انظر فصل ١٤ :١ وفصل ١٥ :١٧.

[٧٠٤] يذكر القديس أثناسيوس تشبيهًا مماثلاً عن دخول أحد الملوك العظام مدينة عظيمة وسكنه في أحد منازلها، انظر «تَجَسُّد الكَلِمَة» المرجع السابق، فصل ٣/٩.

[٧٠٥] إش٦٦: ٢

[٧٠٦] مز١٠٢: ٢٥



لَهَجْتُ بِكُلِّ أَعْمَالِكَ. بِصَنَائِعِ يَدَيْكَ أَتَأَمَّلُ»[٧٠٧]. إذن فإن كانت يد الله هى التى صنعت الصنائع، وقد كُتب: «كل الأشياء قد صارت بالكلمة وبغيره لم يكن شئ مما كان»[٧٠٨]، وأيضًا: «رَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ»[٧٠٩]، وأيضًا «وَفِيهِ يَقُومُ الكُل»[٧١٠]، فإنه من الواضح أن الابن لا يمكن أن يكون «عملاً» ولكنه هو يد الله وحكمته. وقد عرف هذا الذين صاروا شهودًا فى بابل أى حنانيا وعزريا وميصائيل، وهم يدحضون الكفر الآريوسى لأنهم قالوا: «باركى الرب يا جميع أعمال الرب»[٧١١]. وقد اعتبروا كل ما فى السماء وعلى الأرض والخليقة جمعاء أنها «أعمال» أما الابن فإنهم لم يذكروه بين الأعمال لأنهم لم يقولوا: «بارك أيها الكلمة وسبحى أيتها الحكمة». وهذا يوضح أن كلّ الأشياء غيرهما تُسبِّح وهى «أعمال»، أما الكلمة فهو ليس «عملاً» ولا ينتمى إلى الأشياء التى تُسبِّح، بل هو مُسبح مع الآب ومعبود ويُعترف به إلهًا لأنه هو كلمة الآب وحكمته وهو خالق «الأعمال». وقد قال الروح هذا أيضًا فى المزامير بتمييز بديع للغاية: «لأن كلمة الرب مستقيمة وكل أعماله موثوق بها»[٧١٢]، كما يقول أيضًا فى مزمور آخر «مَا أَعْظَمَ أَعْمَالَكَ يَا رَبُّ! كُلُّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ»[٧١٣].

---

[٧٠٧] مز١٤٣: ٥

[٧٠٨] انظر يو١: ٣.

[٧٠٩] ١كو٨: ٦

[٧١٠] كو١: ١٧

[٧١١] دا ٣: ٥٧ سبعينية

[٧١٢] مز٣٣: ٤ سبعينية

[٧١٣] مز١٠٤: ٢٤



٧٢ـ فإن كان الكلمة «عملاً» فإنه يكون قد وُجد بواسطة الحكمة، ولما ميَّزه الكتاب عن «الأعمال»، ولِما سمّى الكتاب تلك «أعمالاً» بينما يُبَشّر به هو أنه كلمة الله وحكمته الذاتية. أما الآن فإن الكتاب إذ يميّزه عن «الأعمال» فإنه يوضح أن الحكمة هى خالقة «الأعمال» وهى ليست «عملاً» ونفس هذا التمييز قد استخدمه بولس عندما كتب إلى العبرانيين: «لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ، وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ. وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنَيْ ذلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا.»[٧١٤]. لأنه ها هو يدعو الكائنات «خليقة» أما الابن فيعّرفه أنه «كلمة الله» الذى هو مختلف عن المخلوقات. وهو يقول أيضًا: «كل شئ مكشوف وعريان أمام عينى ذاك الذى نقدم له الحساب»، وهذا يعنى أنه غير كل الكائنات.

لهذا إذن فهو الذى يدين، أما كل واحد من الكائنات فهو مسئول أن يقدّم حسابًا أمامه. وهكذا فإن كل الخليقة تئن معًا من أجل أن تتحرر من عبودية الفساد[٧١٥]، وبهذا يظهر أن الابن هو غير المخلوقات لأنه لو كان مخلوقًا لكان واحدًا من أولئك الذين يئنون ويحتاج إلى مَنْ يعطيه التبنّى ويحرره ايضًا مع الكائنات الأخرى. فإن كانت كل الخليقة تئن معًا من أجل التحرر من عبودية الفساد، إلاّ أن الابن ليس من بين الذين يئنون ولا من بين الذين يحتاجون إلى الحرّية، بل هو الذى يُعطى التبنّى والحرية للجميع كما قال لليهود فى تلك الأيام:«وَالْعَبْدُ لاَ يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَى الأَبَدِ، أَمَّا الابْنُ فَيَبْقَى إِلَى الأَبَدِ. فَإِنْ حَرَّرَكُمْ

---

[٧١٤] عب٤: ١٢، ١٣

[٧١٥] انظر رو٨: ٢١، ٢٢



الاِبْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارا»[٧١٦]. فمن ذلك يصير واضحًا أكثر من النور أن كلمة الله ليس مخلوقًا، بل هو ابن الآب الحقيقى الأصيل بالطبيعة.

إذن فيما يتعلّق بالعبارة «الرب خلقنى أول الطرق»، وإن كنا نتناولها بإيجاز فإن هذا يكفى كما أعتقد ليعطى مادة للعارفين لكى يعدوا ردودًا على البدعة الآريوسية. ولكن عندما قرأ الهراطقة الآية المكتوبة بعدها: «أسسنى قبل أن يكون الدهر»[٧١٧]، أسأوا التفكير بخصوصها وظنوا أنه يشير بها إلى ألوهية الكلمة، وليس إلى حضوره الجسدى، لذا فمن الضرورى أن نشرح هذه الآية لكيّ نثبت ضلالهم.

[٧١٦] يو٨: ٣٥، ٣٦

[٧١٧] أم٨: ٢٣

الفصل الثانى والعشرون

شرح نصوص: سادسًا:

«أسسنى قبل الدهر»

أمثال ٨: ٢٢-٣٠

٧٣ - مكتوب «الرَّبُّ بِالْحِكْمَةِ أَسَّسَ الأَرْضَ»[٧١٨]. فإن كانت الأرض إذن قد تأسست بالحكمة فكيف تأسس هذا الذى أسسها؟. ولكن هذا النص قد قيل بأسلوب الأمثال. ويجب أن نبحث عن المقصود من هذا لكى نعرف أن الله خلق الأرض وأسسها بالحكمة لكى تكون ثابتة وطيدة وتظل باقية. والحكمة نفسها تأسست لأجلنا لكى تصير بداية وأساس خليقتنا الجديدة وتجديدنا. وهنا أيضًا لا يقول فى هذه النصوص إنه «قبل الدهر (العالم) قد صنعنى كلمة أو ابنًا لكى لا يبدو أن له بداية صنع، فقبل كل شئ يجب أن نبحث إن كان هو ابنًا وأن نفتش الكتب بخصوص هذا الأمر. فهذا ما أجاب به بطرس، عندما سُئل الرسل، قائلاً: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ»[٧١٩]. فإن أب الهرطقة الآريوسية[٧٢٠] سأل هذا السؤال أيضًا فى البداية: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللَّهِ؟»[٧٢١] لأنه عرف أن هذا هو الحق وأساس ايماننا، وإنه إن كان هو الابن فيكون هذا هو نهاية حكم الشيطان الاستبدادى،

---

[٧١٨] أم٣: ١٩

[٧١٩] مت١٦: ١٦

[٧٢٠] أبو الهرطقة الآريوسية هو الشيطان.

[٧٢١] مت٤: ٦



أما إن كان مخلوقًا فإنه يكون واحد من ذرية آدم الذى خدعه الشيطان، وبذلك فلا يكون لديه داعٍ لأى اكتراث.

وكان يهود ذلك الزمان ساخطين لأنه دعا نفسه ابن الله وكان يقول إن الله أبوه. لأنه لو كان قد دعا نفسه واحدًا من بين المخلوقات أو لو كان قد قال: «إنى مصنوع» لما اندهشوا وهم يسمعون ولما ظنوا أن هذه الأقوال تجديف، ما داموا يعرفون أن الملائكة كانت تظهر لآبائهم أيضًا. ولكن حينما دعا نفسه ابنًا بدأوا يعتبرون أن هذا اللقب لم يكن يميِّز المخلوق بل يميز الألوهية وطبيعة الآب.

٧٤ ـ وكان ينبغى على الآريوسيين ـ محاكاة لأبيهم الشيطان ـ أن يبحثوا هذا الأمر بدقة. لو كان قد قال: «أسسنى كلمة أو ابنًا» وأن يفكروا كما يفكرون. ولكن إن لم يكن قد قال هكذا فلا ينبغى أن يبتدعوا لأنفسهم أمورًا لا وجود لها. لأنه لم يقل: «قبل الدهر أسسنى كلمة أو ابنًا» بل قال ببساطة «أسسنى» لكى يوضح ـ كما قلت ـ إنه يقول هذا فى أمثال ليس عن نفسه بل عن هؤلاء الذين يُبنَونَ فوقه. ولأن الرسول قد عَرَف هذا لذا فإنه يكتب: «فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاساً آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وُضِعَ، الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ»[٧٢٢] وأيضًا «فَلْيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ كَيْفَ يَبْنِي عَلَيْهِ»[٧٢٣] ومن الضرورى أن يكون الكلام مماثلاً لتلك الأشياء التى تُبنى عليه حتى يمكنها أن تتلائم معه وتتحد به. ولكونه الكلمة، فإنه من حيث كونه كلمة حقًا فلا يوجد هناك مَنْ يماثلونه حتى يمكن أن يتحدوا معه ـ وذلك لأنه وحيد الجنس ـ ولكنه بصيرورته إنسانًا فقد صار له مماثلون وهم الذين إرتدى جسدهم المماثل لجسده. وتبعًا لذلك فإنه «تأسس» بحسب بشرّيته لكى يمكننا نحن أيضًا أن نبنَّى فوقه كحجارة كريمة ونصير هيكلاً للروح القدس الساكن

---

[٧٢٢] ١كو٣: ١١

[٧٢٣] ١كو٣: ١٠



فينا. وكما إنه هو أساس حقاً، فنكون نحن الحجارة التى تبنى عليها، وأيضاً يكون هو الكرمة ونصير نحن أغصانه ليس بحسب جوهر اللاهوت - لأن هذا مستحيل حقاً - بل بحسب بشريته، لأن الأغصان يلزم أن تكون مشابهة للكرمة، حيث إننا نحن مشابهون له بحسب الجسد.

وأيضاً حيث إن الهراطقة يفكرون بطريقة بشرّية فمن الملائم أن ندحض أقوالهم بأمثال بشرّية. فهو لم يقل: «قد جعلنى أساساً» لكى لا يجدوا فى هذا القول حجة وقحة للكفر زاعمين إنه مصنوع وأن له بداية وجود، بل قال إنه: «أسسنى». فالذى يؤسس إنما يؤسس بسبب الحجارة التى توضع فوقه وهذا يحدث ليس كيفما أُتفق، بل بنقل الحجارة من جبل أولاً ثم بعد ذلك توضع فى عمق الأرض. وطالما كانت الحجارة موجودة فى الجبل فهى لا تكون قد تأسست بعد، إلَّا عندما تستدعى الحاجة فيتم نقلها وتوضع فى عمق الأرض، وعندئذ لو كانت تستطيع أن تتكلّم لقالت: «الآن أسسنى هذا الذى نقلنى من الجبل إلى هنا». إذن فالرب عندما «أُسس» لم يكن هذا هو بداية وجوده (لأنه قبل التأسيس كان هو كلمة)، لكن عندما لبس جسدنا الذى أخذه كقطعة من جسد مريم عندئذ يقول: «أسسنى» كما لو كان قد قال: «لكونى الكلمة فقد ألبسنى جسداً ترابياً». لأنه هكذا تأسس من أجلنا. آخذاً ما يخصنا على عاتقه. لكى بإتحادنا معه فى الجسد، وارتباطنا به بسبب مشابهة الجسد نبقى غير مائتين وغير قابلين للفساد وبه نصل إلى إنسان كامل[٧٢٤].

---

[٧٢٤] انظر أف ٤ : ١٣



٧٥ ـ أما العبارات: «قبل الدهر» و «قبل أن يصنع الأرض» و «قبل أن ترسى الجبال»[٧٢٥] فلا يتبغى لأحد أن ينزعج بسببها، لأنه ربطها بتناسق تام مع لفظ «أسس» ولفظ «خلق». لأن هذا ينسجم أيضًا مع التدبير بحسب الجسد. لأنه رغم أن النعمة التى صارت نحونا من المخلّص وقد ظهرت كما قال الرسول[٧٢٦] وقد حدث هذا عندما أقام بيننا، إلَّا أن هذه النعمة قد أُعدت قبل أن يخلقنا بل حتى من قبل أن يخلق العالم. والسبب فى هذا صالح ومذهل. فلم يكن من اللائق أن يفكر الله بخوصنا بعد أن خلقنا لكى لا يظهر إنه يجهل الأمور التى تتعلق بنا. فإله الجميع إذن ـ عندما خلقنا بكلمته الذاتى ولأنه كان يعرف أمورنا أكثر منا ويعرف مقدمًا أننا رغم أنه قد خلقنا صالحين إلا أننا سنكون فيما بعد مخالفين للوصية، وأننا سنُطرد من الجنة بسبب العصيان ـ ولأنه هو محب البشر وصالح فقد أعد من قبل تدبير خلاصنا بكلمته الذاتى الذى به أيضًا خلقنا. لأننا حتى إن كنا قد خُدعنا بواسطة الحيّة وسقطنا فلا نبقى أموات كليَّة بل يصير لنا بالكلمة الفداء والخلاص الذى سبق إعداده لنا لكى نقوم من جديد ونظل غير مائتين، وذلك عندما «خُلِق» هو من أجلنا «بدء الطرق» وصار «بكر الخليقة» و «بكر إخوة» وقام «باكورة الأموات»

إن بولس الرسول المغبوط يعلّم بهذا كتفسير للنص الذى جاء فى الأمثال: «قبل الدهور» و «قبل أن تكون الأرض»، وذاك عندما كتب إلى تيموثاوس قائلاً: «اشْتَرِكْ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ لأَجْلِ الإِنْجِيلِ بِحَسَبِ قُوَّةِ اللهِ، الَّذِي خَلَّصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً، لاَ بِمُقْتَضَى أَعْمَالِنَا، بَلْ بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ، وَإِنَّمَا أُظْهِرَتِ الآنَ بِظُهُورِ مُخَلِّصِنَا يَسُوعَ

---

[٧٢٥] أم٨: ٢٣ ــ ٢٥

[٧٢٦] انظر تيطس٢: ١١



الْمَسِيحِ، الَّذِي أَبْطَلَ الْمَوْتَ، وَأَنَارَ الْحَيَاةَ»[٧٢٧]. بل وقال لأهل أفسس: «مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ، كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ»[٧٢٨].

٧٦ ـ وكيف اختارنا قبل أن نُخلَق، إن لم نكن ممثلين فيه من قبل كما قال هو نفسه؟ وعمومًا، كيف سبق فعيننا للتبنى قبل يَخلق البشر إن لم يكن الابن نفسه قد «تأسس قبل الدهور» آخذًا على عاتقه تدبير خلاصنا؟ أو كيف يضيف الرسول قائلاً: «نِلْنَا نَصِيباً، مُعَيَّنِينَ سَابِقاً»[٧٢٩] لو لم يكن الرب نفسه قد تأسس قبل الدهور، حتى يكون له قصد من أجلنا أن يأخذ على عاتقه نصيب الدينونة الكامل من أجلنا عن طريق الجسد وبهذا نكون نحن متبنون فيه؟ وكيف حصلنا على النعمة «قبل الأزمنة» بينما لم يكن قد خُلقنا بعد، بل خُلِقنا فى الزمن، لو أن النعمة التى وصلت إلينا لم نكن مودعة فى المسيح؟ لهذا ففى الدينونة عندما ينال كل واحد بحسب عمله، يقول: «تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ»[٧٣٠]. كيف إذن أو بواسطة مَنْ أعد الملكوت قبل أن يخلقنا، إن لم يكن بواسطة الرب الذى «تأسس قبل الدهر» لأجل هذا الغرض، لكى ببنياننا عليه كحجارة ملتئمة، نشترك فى الحياة والنعمة الممنوحتين معه؟ ولقد حدث هذا مثلما يحدث عمومًا باستقامة لمن يفكر بتقوى. وذلك لكى نستطيع أن نحيا ـ كما سبق أن قلت ـ مادمنا قد قمنا من الموت المؤقت. وهذا لم

---

[٧٢٧] تى ١: ٨ ـــ ١٠

[٧٢٨] أف ١: ٣ ـــ ٥

[٧٢٩] أف ١: ١١

[٧٣٠] مت ٢٥: ٣٤



يكن فى إمكاننا أصلاً حيث إننا بشر من تراب، لو لم يكن رجاء الحياة والخلاص قد أُعد فى المسيح من «قبل الدهور». إذن فمن الإنصاف، إذ إنحدار الكلمة إلى جسدنا و «خَلَق فيه أول الطرق من أجل أعماله» فإنه تأسس تمامًا حسب مشيئة الآب التى كانت فيه كما قيل: «قبل الدهر» و «قبل أن تكون الأرض» و «قبل أن ترسى الجبال» و «قبل تدفق الينابيع»[٧٣١] لكى عندما تزول الأرض والجبال والطبيعة المنظورة فنحن لا نعتق ونبلو مثل هذه المخلوقات، بل سنتمكن أن نحيا بعدها، إذ قبل أن توجد هذه الأشياء قد أُعد لنا حياة وبركة روحية بواسطة الكلمة نفسه حسب الاختيار.لأنه هكذا سيكون لنا ليس حياة مؤقتة بل نبقى أحياء فى المسيح بعد هذه الأشياء، إذ أن حياتنا كانت قد تأسست وأُعِدت بالمسيح يسوع قبل هذه الأشياء.

٧٧ ـ ولم يكن من اللائق إذن أن تؤسس حياتنا بأى طريقة أخرى سوى أن تؤسس فى الرب الذى هو كائن منذ الأزل، والذى به قد خُلِقت العالمين، لكى نستطيع نحن أيضًا أن نرث حياة أبدية إذ أن هذه الحياة كائنة فيه ولأن الله صالح، وهو صالح على الدوام وهو يعرف طبيعتنا الضعيفة التى تحتاج إلى معونته وخلاصه، لذا فقد خطط هذا. وذلك مثلما لو كان مهندس حكيمًا يريد أن يبنى منزلاً فإنه يخطط فى نفس الوقت كيفية تجديده مرة أخرى لو تدمر يومًا ما بعد أن يتم بناؤه، وهو يُعد لهذا من قبل عندما يخطط، ويعطى للقائم على العمل الاستعدادات اللازمة للتجديد، وهكذا يكون استعداد مسبق للتجديد قبل بناء المنزل. وبنفس الطريقة فإن تجديد خلاصنا قد تأسس فى المسيح قبلنا، لكى يمكن إعادة خلقنا من جديد فيه، فالإرادة والتخطيط قد أُعدا منذ الأزل، أما

---

[٧٣١] انظر أم٢٢:٨ـ٢٥



العمل فقد تحقق عندما استدعت الحاجة وجاء المخلّص إلى العالم. لأن الرب نفسه سيكون فى السماء من أجلنا أجمعين وسيأخذنا معه إلى الحياة الأبدية.

هذا إذن يكفى لكى يوضح أن كلمة الله ليس بمخلوق، بل إن العبارة لها معنى مستقيم. وبما أنه عند استقصاء معنى هذه العبارة يتضح أن لها معنى مستقيمًا من جميع وجهات النظر إذن يلزم أن نتحدَّث بتوسع فى هذا المعنى، لعل الأغبياء يخجلون من كثرة كلامنا. فهم فى حاجة من جديد لما سبق أن قيل لأن جوهر الموضوع يدور حول نفس المثل ونفس الحكمة، فالكلمة لم يَقُلْ إنه هو نفسه مخلوق بالطبيعة بل قال فى الأمثال: «الرب خلقنى». ومن الواضح أن هذا القول له معنى غير صحيح ولكنه يشير إلى أمر مستتر يمكننا أن نكشف عنه بإزاحة الغطاء عن المثل. لأنه من ذا الذى عندما يسمع الحكمة الخالقة تقول: «الرب خلقنى أول طرقه»، ولا يبحث فى الحال عن مغزى هذا القول، لأنه يفكر متمعنًا كيف يمكن أن الخالق يُخلق؟ ومَنْ عندما يسمع ابن الله الوحيد الجنس يقول إنه «قد خُلِقَ أول الطرق»، لا يفتش عن معنى هذا، لأنه يعجب كيف أن الابن الوحيد الجنس يمكن أن يكون الأول لآخرين؟ إنه حقًا لغز. غير أن «الرجل ذو الفهم سيفهم المثل والحديث الغامض وأقوال الحكماء والغازهم»[٧٣٢].

٧٨ ـ والآن فإن ابن الله الوحيد وحكمته الذاتى هو خالق وبارئ جميع الكائنات لأنه مكتوب «بحكمة صنعت كل الأشياء»، «ملآنه الأرض بخليقتك»[٧٣٣] حتى أن المخلوقات تكون موجودة فقط بل يكون هذا الوجود صالحًا. ولهذا سُرّ الله أن تتنازل حكمته إلى مستوى الخليقة حتى تطبع الحكمة صورتها

---

[٧٣٢] أم١: ٥، ٦

[٧٣٣] مز١٠٤: ٢٤ سبعينية



بشكل ما على الجميع معًا وعلى كل منها على حدة، حتى يتضح أن المخلوقات متصفة بالحكمة وأنها أعمال الله الجديرة به. لأنه كما أن الحكمة الموجودة فينا هى صورة الحكمة التى هى الابن ـ كما أن كلمتنا هى على صورة الكلمة الذى هو ابن الله ـ وبهذه الحكمة ينبغى أن يكون لنا المعرفة، والفهم ونصير مستقبلين للحكمة الخالقة وبواسطة الابن ـ الحكمة ـ نستطيع أن نعرف أباه. لأنه مكتوب: «وَمَنْ يَعْتَرِفُ بِالابْنِ فَلَهُ الآبُ أَيْضاً»[٧٣٤] و «مَنْ يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي»[٧٣٥] حيث إنه قد خلق فينا نموذجًا مثل هذا للحكمة، وهو موجود أيضًا فى جميع «الأعمال»، فمن الطبيعى أن يأخذ الحكمة الحقيقى والخالق (أى الابن) ما يختص بنموذجه (أى الجسد) ويقول: «الرب خلقنى لأجل أعماله».

لأن ما تقوله الحكمة التى فى داخلنا، هو ما يقوله الرب نفسه كأنه خاص به. وهو يقول هذا ليس لكونه غير مخلوق ـ إذ أنه هو الخالق ـ بل سبب صورته المخلوقة في «الأعمال» فهو يقول هذا (الكلام) كما لو كان قد قيل عنه. وكما قال الرب نفسه «مَنْ يَقْبَلُكُمْ يَقْبَلُنِي»[٧٣٦] وبسبب أن صورته موجودة فينا. فبرغم أنه ليس من بين المخلوقات، إلّا أنه بسبب أن صورته ونموذجه قد خُلق فى «الأعمال» فإنه يقول كأنه يتكلّم عن نفسه: «الرب خلقنى أول طرقه لأجل أعماله». ولهذا فقد صار نموذج الحكمة هذا فى «الأعمال»، لكى بواسطتها يعرف العالم الكلمة خالقه وبواسطته يُعرَفْ الآب كما سبق أن قلت. وهذا ما قاله بولس: «إِذْ مَعْرِفَةُ اللهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ، لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ، لأَنَّ مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ تُرَى أُمُورُهُ غَيْرُ الْمَنْظُورَةِ

---

[٧٣٤] ١ يو٢: ٢٣

[٧٣٥] مت١٠: ٤٠

[٧٣٦] مت١٠: ٤٠



وَقُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلاَهُوتُهُ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ»[٧٣٧]. لذلك فإن الكلمة ليس مخلوقاً بالجوهر ولكن ما جاء فى الأمثال إنما يشير إلى ما هو بداخلنا نحن والذى يُسمى حكمة.

٧٩ ـ وإن كانوا يرفضون الإيمان، حتى بعد هذا الكلام، فليقولوا لنا إن كانت هناك أيَّة حكمة موجودة فى المخلوقات أم أن المخلوقات ليس فيها أيَّة حكمة! وإن لم تكن هناك حكمة فكيف يلوم الرسول قائلاً: «لأَنَّهُ إِذْ كَانَ الْعَالَمُ فِي حِكْمَةِ اللهِ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ بِالْحِكْمَةِ»[٧٣٨]. وإن لم تكن هناك حكمة فكيف توجد حكمات كثيرة فى الكتاب المقدس[٧٣٩]؟ لأنه «اَلْحَكِيمُ يَخْشَى وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ»[٧٤٠] و «بِالْحِكْمَةِ يُبْنَى الْبَيْتُ»[٧٤١] وجاء فى سفر الجامعة: «حِكْمَةُ الإِنْسَانِ تُنِيرُ وَجْهَهُ»[٧٤٢]. وهو يوبخ المتهورين قائلاً: «لاَ تَقُلْ لِمَاذَا كَانَتِ الأَيَّامُ الأُولَى خَيْراً مِنْ هَذِهِ؟ لأَنَّهُ لَيْسَ عَنْ حِكْمَةٍ تَسْأَلُ عَنْ هَذَا»[٧٤٣] وإن كانت الحكمة موجودة كما قال ابن سيراخ: «وسكبها على جميع أعماله فهى مع كل ذى جسد على حسب عطيته وقد منحها للذين أحبوه»[٧٤٤]، فإن مثل هذا الانسكاب لا يكون سمة خاصة لجوهر الحكمة الذاتى والوحيد الجنس بل هو سمة لتلك الحكمة

---

[٧٣٧] رو١:١٩، ٢٠

[٧٣٨] ١كو١: ٢١

[٧٣٩] سفر الحكمة٦: ٢٤ سبعينية

[٧٤٠] أم١٤: ١٦

[٧٤١] أم٢٤: ٣

[٧٤٢] جا ٨: ١

[٧٤٣] جا ٧: ١٠

[٧٤٤] ابن سيراخ١: ٩ـ١٠



التى صُوِّرت فى العالم. فلماذا يكون غير مُصدق أن كانت الحكمة الخالقة الحقيقية ـ التى هى نموذج الحكمة والمعرفة المنسكبة (المخلوقة) فى العالم ـ تتحدَّث عن نفسها وتقول: «الرب خلقنى من أجل أعماله»؟ لأن الحكمة الموجودة فى العالم ليست خالقة بل هى الحكمة المخلوقة داخل الأعمال، تلك الحكمة التى بها: «اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ»[٧٤٥]. أما الناس فإن كانوا يحملون هذه الحكمة بداخلهم فإنهم سيدركون حكمة الله الحقيقية، ويعرفون أنهم قد تشكَّلوا بحق على صورة الله.

ومثلما يحدث حيثما يريد أحد الملوك أن ينشئ مدينة لابنه، فإن الابن الذى يقوم بالإنشاء. ينقش اسمه على كل الأعمال التى يُجرى بنائها وذلك من أجل الأمن لكى تُحفظ الأعمال بسبب ظهور اسمه على كل عمل ولكى يستطيعوا أن يتذكروه هو وأبيه من الاسم. وعند الانتهاء من إنشاء المدينة فإذا سأله أحد عن المدينة وكيف أُنشأت فإنه سيجيب «أُنشئت لأنها هذه هى إردة ابى بالفعل. وخُطط لها بدقة فى كل عمق واسمى قد خُلِق فى الأعمال». وعندما يقول هذا فإنه لا يعنى أن جوهره قد خُلِقَ بل يعنى أن صورته قد انطبعت من خلال اسمه.

وعلى نفس المنوال إذ نطبق على المثال، فإن الحكمة الحقيقية تُجيب على المندهشين من الحكمة الموجودة داخل الخليقة قائلة: «الرب خلقنى من أجل الأعمال» لأن «انطباع الصورة الموجودة فيها هو انطباع صورتى، ولأجل ذلك فأنا قد تنازلت إلى الخليقة».

٨٠ ـ ومرَّة أخرى لا ينبغى أن يُدهش أحد لو أن الابن تحدث عن المثال المطبوع فينا كما لو كان يتحدَّث عن نفسه (لأن تكرار نفس الكلام لا يجب أن يبعث

---

[٧٤٥] مز ١٩: ١



على الضجر والملل)، حيث إن شاول حينما كان يضطهد الكنيسة التى يوجد فيها مثاله وصورته فإن الابن تحدَّث كما لو كان هو المُضطهَد قائلاً: «شَاوُلُ شَاوُلُ، لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي»[٧٤٦]. لذلك (كما سبق القول)، لو كان نموذج الحكمة ذاته الموجود فى الأعمال هو الذى قال: «الرب خلقنى لأجل الأعمال» لما اندهش أحد. وهكذا فإن كان الحكمة الحقيقى الخالق وكلمة الله الوحيد يتحدَّث عن صورته كما لو كان يتحدَّث عن ذاته بقوله: «الرب خلقنى لأجل الأعمال»، فلا يجب أن يجهل أحد أن المقصود هو الحكمة المخلوقة فى العالم وفى الأعمال، ويظن أن لفظ «خَلَقَ» قد قيل عن جوهر الحكمة..... كي لا يبدو بمزجه الخمر بالماء[٧٤٧] إنه يسلب الحقيقة. فالحكمة نفسها جالبة وخالقة، ولكن نموذجها مخلوق بداخل الأعمال كنموذج للصورة نفسها تمامًا، وهو يقول: «أول الطريق» حيث إن مثل هذه الحكمة صارت كنوع من البداية وكمرشد إلى معرفة الله. فلو أن أحدًا سار فى أول هذا الطريق حافظًا إياه بخوف الله، كما قال سليمان: «بَدْءُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ»[٧٤٨] فإنه عندما يتقدَّم بالفكر مدركًا عمل الحكمة الخالقة الذى فى الخلق، سيدرك بها أباه أيضًا كما قال الرب نفسه: «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ»[٧٤٩] وكما كتب يوحنا: «وَمَنْ يَعْتَرِفُ بِالابْنِ فَلَهُ الآبُ أَيْضاً»[٧٥٠] والابن يقول: «قبل الدهر أسس»[٧٥١]، حيث إن الأعمال تبقى فى نموذجها راسخة دائمًا. ولئلا عندما يسمع

---

[٧٤٦] أع٩: ٤

[٧٤٧] انظر إش١: ٢٢

[٧٤٨] أم٩: ١٠

[٧٤٩] يو١٤: ٩

[٧٥٠] ١يو٢: ٢٣

[٧٥١] أم ٨ : ٢٣ سبعينية



أحد عن الحكمة المخلوقة فى الأعمال يظن أن الحكمة الحقيقية ابن الله هو مخلوق بالطبيعة، فإنه يُضيف بالضرورة «قبل أن تكون الجبال» و «قبل أن تكون الأرض» و «قبل المياه» و «قبل كل الجبال ولدنى»[752] وإذ يشير بهذه إلى كل الخليقة فإنه يوضح بقوله: «قبل كل الخليقة» فإن لم يُخلَق بحسب الجوهر مع الأعمال. لأنه لو كان قد خُلِقَ من أجل الأعمال وهو الموجود قبل الأعمال، فواضح أنه كائن قبل أن يُخلق، فهو إذن ليس مخلوقًا بحسب الطبيعة والجوهر، بل كما أضاف هو نفسه أنه موجود. أما فيما يختلف «المخلوق» عن «المولود» وكيف يتميَّز عنه بحسب الطبيعة فهذا قد سبق بيانه من قبل.

٨١ ـ وحيث إنه أضاف قائلاً: « عندما أعدّ السموات كنت أنا فى نفس الوقت معه»[753] ينبغى أن نعرف أنه لم يَقُلْ هذا كما لو أن الآب أعد السماء أو السحب العليا بدون الحكمة، لأنه لا ريب أن جميع الأشياء قد خُلقت بالحكمة، وبغيرها لم يكن شئ ما. وما قاله يعنى هذا أن « كل الأشياء قد صارت بى وبواسطتى، وعندما صار هناك احتياج أن تُخلَق الحكمة لأجل الأعمال، فإنى أنا كائن مع الآب حسب الجوهر، لكن بالتنازل إلى المخلوقات قد طبعت صورتى على الأعمال، حتى يكون العالم كأنه فى جسد واحد غير متمرد بل يكون متوافقًا مع نفسه. فكل الذين يتأملون المخلوقات بفكر مستقيم بحسب الحكمة المعطاة لهم يستطيعوا أن يقولوا: «كل الأشياء تَثبتُ بتدبيرك»[754]. أما الذين يستهينون بهذا الأمر فيلزم أن يسمعوا: «وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلاَءَ»[755] لأن: «إِذْ

[752] انظر أم ٨ : ١ ـــ ٢٢

[753] أم ٨ : ٢٧ سبعينية

[754] مز ١١٩:٩١ سبعينية

[755] رو ١: ٢٢



مَعْرِفَةُ اللّٰهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ، لأَنَّ اللّٰهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ، لأَنَّ مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ تُرَى أُمُورُهُ غَيْرُ الْمَنْظُورَةِ وَقُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلاَهُوتُهُ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ. لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللّٰهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلَهٍ»[٧٥٦] بل «عَبَدُوا الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِقِ، الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الأَبَدِ. آمِين»[٧٥٧]. وهم بالتأكيد سيخجلون عندما يسمعون: «لأنه إذا كان (العالم) فى حكمة الله (وفقًا لما شرحناه سابقًا) لم يعرف الله بالحكمة، استحسن الله أن يخلّص المؤمنين بجهالة الكرازة»[٧٥٨] لأن الله لا يريد بعد ـ مثلما حدث فى العصور السابقة ـ أن يُعرف عن طريق صورة وظِل الحكمة الموجودة فى المخلوقات بل جعل الحكمة الحقيقية ذاتها تتخذ جسدًا وتصير إنسانًا وتعانى موت الصليب، لكى يتمكن جميع الذين يؤمنون أن يخلصوا بالإيمان به. وطبعًا إن الحكمة ذاتها هى التى أظهرت نفسها من قبل فى صورتها الموجودة فى المخلوقات، والتى يُقال عنها إنها قد خُلقت، وهكذا فقد أظهرت أباها أيضًا بواسطة ذاتها. وفيما بعد فإن نفس الحكمة التى هى الكلمة «قد صار جسدًا» كما قال يوحنا. وبعد إبطال الموت وتخليص جنسنا فإنه أكثر من ذلك أظهر أباه أيضًا من خلال نفسه بقوله: «إعط هؤلاء لكى يعرفونك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته»[٧٥٩].

---

[٧٥٦] رو ١: ١٩ ـــ ٢١

[٧٥٧] رو ١:٢٥

[٧٥٨] كو ١:٢١

[٧٥٩] انظر يو١٧: ٣. راجع أيضًا فصل ٣ من كتاب "تجَسُّد الكَلِمَة"، المرجع السابق، وأيضًا فصل ٢/٤ حيث يشير القديس أثناسيوس إلى الفرق بين الإعلان الإلهي عن طريق الخليقة كظل للإعلان الإلهى الحقيقي في شخص يسوع المسيح عندما اتخذ جسدًا.



٨٢ـ إذن فكل الأرض امتلأت بمعرفته، لأن معرفة الآب من خلال الابن ومعرفة الابن من خلال الآب هى معرفة واحدة. والآب يفرح بالابن وبهذا الفرح عينه يبتهج الابن بالآب قائلاً: «كنت أنا موضع فرح، وكنت أفرح كل يوم قدامه»[٧٦٠]. وهذا يبرهن مرَّة أخرى أن الابن من ذات جوهر الآب وليس غريبًا عنه. فهو إذن لم يوجد من أجلنا كما يدّعى الكافرون، وهو ليس من العدم لأن الله لم يتخذ لنفسه موضوعًا للفرح من خارجه، بل من الواضح أن هذه الكلمات هى عن ذاك الذى هو خاص به ومماثل له. فمتى إذن لم يكن الآب يفرح؟ لأنه إن كان يفرح دائمًا فلابد أن ذلك الذى كان يفرح به كان كائنًا دائمًا. فبماذا يفرح الآب إلَّا بأن يرى نفسه فى صورته التى هى كلمته؟ وحتى إن كان يبتهج ببنى البشر عندما أكمّل خلق المسكونة كما كتب فى الأمثال[٧٦١] نفسها، ولكن هذا أيضًا له معنى مناسب، لأنه ابتهج ليس لأن الفرح أضيف إليه، بل أيضًا لأنه رأى الأعمال صائرة حسب صورته، ولهذا يكون فرح الله هو بسبب صورته. وأيضًا كيف يبتهج الابن إلَّا وهو يرى نفسه فى الآب؟ فهذا مماثل لقوله: «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ»[٧٦٢]، «أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِي»[٧٦٣]

إذن ياأعداء المسيح، لقد ظهر أن مجادلتكم باطلة من جميع النواحى، وعبثًا عرضتم فى تباهٍ آراء غير مستقيمة وأذعتموها فى كل مكان عن القول «الرب خلقنى أول طرقه» وأسأتم فهم معناه، وبدلاً من التمسك بفكر سليمان أعلنتم بدعتكم. وها هو رأيكم يتضح أنه خيال فقط، أما قول سفر الأمثال وكما سبق

---

[٧٦٠] أم ٨: ٣٠ سبعينية

[٧٦١] أم٨: ٣١

[٧٦٢] يو١٤: ٦

[٧٦٣] يو١٤: ١٠



أن أشرنا إليه من أقوال، فهو يبرهن أن الابن ليس مخلوقاً بحسب الطبيعة والجوهر، بل هو مولود الآب الذاتى وهو حكمته وكلمته الحقيقى، و«كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»[٧٦٤].

[٧٦٤] يو ١ : ٣



المقـــالة الثالثة

(الفصول ٢٣-٣٠)



الفصل الثالث والعشرون

شرح نصوص (يو١٤:١٠)

«أنا في الآب والآب فيّ»

١ـ يبدو أن الآريوسيين[٧٦٥] المهووسين إذ قد قرروا أن يقبلوا آراء آريوس ويحتضنوها وأن يصيروا مقاومين للحق ومخالفين له فإنهم يسعون بإصرار لكي يجعلوا كلمات الكتاب: «عندما يصل الشرير إلى عمق الشر يسلك باحتقار» (أم١٨:٣س) تنطبق عليهم. فهم لا يتوقفون عندما ندحض ضلالهم، ولا يخجلون من جراء شكوكهم، فإنهم في كفرهم، لا يخجلون أمام جميع الناس (انظر إر٣:٣).

لأنهم في كل مرَّة يستشهدون بالنصوص الآتية «الرب خلقني» (أم٨:٢٢)[٧٦٦]، «صائرًا أعظم من الملائكة» (عب١:٤)[٧٦٧]، «والبكر» (رو٨:٢٩، كو١:١٥)[٧٦٨] و «كونه أمينًا للذي أقامه» (عب٣:٢)[٧٦٩] على أنها تبرر تعاليمهم مع أن لها تفسيرًا مستقيمًا وتثبت تقوانا من جهة المسيح، فأنا لا أفهم كيف لا يزال هؤلاء الناس ـ بتأثير سم الحيّة ـ لا يبصرون ما ينبغي أن يبصروه ولا يفهمون ما يقرأونه وكأنهم إذ يتقيأون من عمق قلبهم عديم التقوى، فإنهم بدأوا يحرّفون معنى كلمات الرب: «أنا في الآب والآب فيّ» (يو١٤:١٠)، قائلين « كيف يمكن أن يَحتَوى الواحد الآخر والآخر يُحتَوى في الأول «؟ أو كيف يمكن أن يُحتَوى الآب الذي هو أعظم، في

---

[٧٦٥] الآريوسيين: هم أتباع آريوس الذين كانوا يؤمنون وينادون بتعاليمه. وكثيرًا ما استخدم آباء الكنيسة هذا اللقب لوصف هؤلاء الأتباع فبخلاف القديس أثناسيوس نجد أن القديس ابيفانيوس أسقف قبرص على سبيل المثال قد أطلق عليهم هذه الصفة (المهووسين) (انظر ضد الهرطقات ٢:٢، ضد الآريوسيين المهووسين ١٣، ٣ PG 42.201,220,401

[٧٦٦] انظر المقالة الثانية فصل ١٩.

[٧٦٧] انظر المقالة الأولى فصل ١٣.

[٧٦٨] انظر المقالة الثانية فصل ٢١.

[٧٦٩] انظر المقالة الثانية فصل ٤ .



الابن الذي هو أصغر منه»؟ أو أى غرابة أن يكون الابن في الآب، طالما أنه مكتوب عنا نحن أيضًا «به نحيا ونتحرك ونوجد» (أع١٧، ٢٨).

هذه الضلالة في التفكير ناتجة عن إنحراف ذهنهم، فهم يظنون أن الله مادي، ولا يعرفون مَنْ هو «الآب الحقيقي «ولا مَنْ هو الابن الحقيقي»، ولا ما هو «النور غير المنظور والأزلي»، وشعاعه غير المنظور، ولا يفهمون ما هو الكيان غير المنظور والرسم غير المادي، و الصورة غير المادية»[٧٧٠].

لأنهم لو عرفوا، لما جدّفوا على رب المجد ولا سخروا منه، ولما فسروا الأمور غير المادية بطريقة مادية، ولما حرّفوا الكلمات المستقيمة.

فقد كان يكفي عند سماعهم كلمات الرب أن يؤمنوا بها حيث إن الإيمان البسيط هو أفضل من الإحتمالات[٧٧١] التي يفترضونها هم بفضولهم.

ولكن حيث إنهم قد حاولوا تشويه هذه الآيات لخدمة هرطقتهم فقد أصبح من الضروري أن نفند ضلالهم، من ناحية، وأن نوضّح المعنى الحقيقي للآيات من ناحية أخرى، وذلك لأجل سلام المؤمنين وحفظهم. لأنه عندما يقول «أنا في الآب والآب فيّ» فهذا لا يعني كما يظن هؤلاء أن الواحد يفرّغ ذاته في الآخر ليملأ الواحد منهما الآخر، كما يحدث في الأواني الفارغة، حتى أن الابن يملأ فراغ الآب، والآب فراغ الابن، وكأن كلًا منهما ليس تامًا ولا كاملاً في ذاته، فهذه هى خاصية الأجساد. لأن مجرَّد ذِكر مثل هذا القول، هو أكثر من الكفر لأن الآب هو تام وكامل، والابن كذلك هو ملء اللاهوت. وما يحدث مع القديسين عندما يحلّ الله فيهم، ويقويهم، هذا لا يحدث في حالة الابن، إذ هو قوّة الآب وحكمته. فالمخلوقات

---

[٧٧٠] انظر عب١:٣ الذي يصف الابن قائلاً: «الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره ...».

[٧٧١] أى استخدام أدلة محتملة الحدوث بدلاً من الإثباتات.



باشتراكها في الابن، تتقدّس في الروح، أما الابن نفسه فهو ليس ابنًا بالمشاركة، بل هو المولود الذاتي للآب.

لأنه هو الحياة التي تأتي من الآب كما من نبع، وكل الأشياء تحيا وتقوم على هذه الحياة. لأن الحياة لا تحيا من حياة أخرى وإلاّ فهى لا تكون عندئذٍ حياة، لكن الابن بالحرى هو الذي يُعطي حياة لكل الأشياء.

٢- دعونا نفحص إذًا ما يقوله السفسطائي أستيريوس[٧٧٢]، المدافع عن الهرطقة فهو إذ يتمثّل باليهود يكتب ما يلي: [إنه واضح جدًا أنه قد قال: أنا في الآب والآب أيضًا فيّ، لهذا السبب فلا الكلمة التي كان يقولها هى كلمته بل كلمة الآب، ولا الأعمال هى خاصة به بل خاصة بالآب، الذي أعطاه القوّة]. فلو كان (استيريوس) الذي قال هذا القول هو طفل صغير لالتمسنا له العذر بسبب صِغر سنه، ولكن لأن مَنْ كتب هذا يسمى حكيمًا ويزعم أن له معرفة كبيرة فكم يكون مقدار اللوم الذي يستحقه؟ ألاَ يثبت استيريوس نفسه أنه غريبٌ تمامًا عن الرسول طالما هو ينتفخ بكلام الحكمة الإنسانية المقنع[٧٧٣]، ويظن بهذا أنه يستطيع أن ينجح في خداعه، بينما هو لا يفهم ما يقوله. ولا ما يقرّره؟[٧٧٤] . لأن ما قد قاله الابن هو خاص فقط بمن هو ابن ولائق به، فهو كلمة جوهر الآب وحكمته وصورته. وهذا الذي قاله الابن، يجعله استيريوس خاصًا أيضًا بكل المخلوقات ومشتركًا بين الابن والمخلوقات. ويقول هذا المخالف إن الذي هو قوّة الآب، ينال

---

[٧٧٢] أحد أتباع آريوس وتلاميذه.

[٧٧٣] انظر ١كو٢: ٤

[٧٧٤] انظر ١تيمو١: ٧



قوّة، ويواصل كُفرَه فيقول إن الابن صار ابنًا[٧٧٥]. فيقول إن الابن صار ابنًا في الابن وأن الكلمة أخذ سلطان الكلمة. وأيضًا إن الابن لم يكن يريد أن يتكلّم بما تكلّم به عن نفسه على أنه ابن، بل يكون هو الآخر قد تعلّمه، ويكون استريوس بهذا قد وَضَعَ الابن مع بقية المخلوقات من جهة التعلّم. لأنه لو أن الابن قد قال هذه الكلمات: «أنا في الآب والآب فيّ» كي يبيّن أن الكلمات التي يقولها والأعمال التي يعملها لم تكن له بل للآب، سيكون كداود الذي قال «إني سأسمع ما يتكلّم به الرب الإله»[٧٧٦] وكسليمان الذي قال «كلماتي قد قيلت من الله»[٧٧٧] وأيضًا كموسى الذي كان خادمًا لأقوال الله. لأن كل واحد من هؤلاء الأنبياء لم يتكلّم مما له بل مما أخذه من الله قائلين: «هكذا يقول الرب». وحيث إن الأعمال التي عملها القديسون كما اعترفوا هم أنفسهم لم تكن أعمالهم الخاصة بل أعمال الله الذي أعطاهم القوة، فإيليا وإليشع مثلاً يطلبان إلى الله أن يقيم هو الأموات. وعندما طهّر إليشع نعمان من البرص قال له «لكي تعرف أنه يوجد إله في إسرائيل»[٧٧٨]، وصموئيل أيضًا صلّى في أيام الحصاد لكي يُرسِل الله المطر. والرسل قالوا إنهم يصنعون العجائب لا بقوتهم الخاصة بل بنعمة الرب.

---

[٧٧٥] خلاصة فكر استيريوس أن الابن ليس من جوهر الآب ولذلك فهو يقول عن الابن إنه ينال القوة من الله مثل باقي المخلوقات وليس هو قوة الله ذاتها كذلك أن الابن ليس ابنًا لله بالطبيعة بل هو يصير ابنًا بالتبني مثل باقي المخلوقات — وهذا هو معنى كلمة "في ابن" أى لم يكن هو ابنًا لله أصلاً وكذلك لا يكون الابن هو كلمة الله بالطبيعة بل يأخذ سلطان الكلمة مثل الأنبياء الذين أتت إليهم كلمة الله وهم مخلوقين.

[٧٧٦] مز٨٤: ٨ (س)

[٧٧٧] انظر ١مل١٠: ٢٤(س)

[٧٧٨] انظر ٢مل٥: ١٥



فمن الواضح إذًا أنه بحسب استيريوس أن هذه الآية عامةً للكّل حيث يستطيع أي واحد من الكّل أن يقول « أنا في الآب والآب فيّ»، وتبعًا لذلك فلا يكون بعد ابن واحد لله وهو الكلمة وهو الحكمة بل يكون مثل الآخرين واحدًا بين كثيرين.

٣. لكن لو كان الرب كذلك لما كانت كلماته هى «أنا في الآب والآب فيّ»، بل بالأحرى كان قد قال «أنا أيضًا في الآب والآب فيّ»، لكي لا يكون له أى شئ خاص به أو مميَّز به كابن عن الآب، بل يكون له نفس النعمة المشتركة مع جميع المخلوقات. ولكن الأمر ليس كذلك، كما يظن هؤلاء. وإذ هم لا يفهمون أنه ابن حقيقي من الآب فإنهم يفترون عليه، الذي هو الابن الحقيقي والذي يليق به وحده أن يقول «أنا في الآب والآب فيّ». لأن الابن هو في الآب . بحسب ما يُسمَح لنا أن نعرف . لأن كل كيان الابن هو من جوهر الآب ذاته. كمثل الشعاع من النور، والنهر من الينبوع. حتى أن مَن يرى الابن يرى ما هو خاص بالآب، ويعرف أنه بسبب أن كيان الابن هو من الآب لذلك فهو في الآب. لأن الآب هو في الابن حيث إن الابن هو من الآب وخاص به مثلما أن الشعاع هو من الشمس، والكلمة هى من العقل والنهر من الينبوع. ولذلك فإن مَن يرى الابن، ويرى ما هو خاص بجوهر الآب، يدرك أن الآب هو في الابن. وحيث إن ذات الآب وألوهيته هى كيان الابن، لذلك فإن الابن هو في الآب والآب في الابن. لهذا السبب كان من الصواب أن يقول أولاً: «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ»[٧٧٩]، وبعد ذلك يضيف «أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيّ»[٧٨٠] لكي يوضّح وحدانية الألوهة من ناحية ووحدة الجوهر من الناحية الأخرى.

---

[٧٧٩] يو ١٠: ٣٠

[٧٨٠] يو ١٤: ١٠



٤. إذًا فهما واحد، ولكن ليس مثل الشئ الواحد الذي يمكن أن ينقسم إلى جزئين، كما أنهما ليسا مثل الواحد الذي يسمى بإسمين، فمرّة يسمى الآب ومرَّة أخرى يسمى هو نفسه ابنه الذاتي، فهذا ما قال به سابيليوس[٧٨١] وبسببه حُكِمَ عليه كهرطوقي.

لكن هما اثنان لأن الآب هو الآب ولا يكون هو نفسه ابنًا أيضًا، والابن هو ابن ولا يكون هو نفسه آبًا أيضًا. لكن الطبيعة هى واحدة، لأن المولود لا يكون غير مشابه لوالده لأنه هو صورته[٧٨٢]، وكل ما هو للآب هو للابن[٧٨٣]. ولهذا فالابن ليس إلهًا آخرًا، لأنه لم ينشأ من خارج (الآب) وإلاّ فسيكون هناك آلهة كثيرون لو أن إلهًا نشأ غريبًا عن ألوهية الآب. لأنه رغم أن الابن كمولود هو متمايز عن الآب إلاّ أنه بكونه إلهًا هو كالآب تمامًا. فهو والآب كلاهما واحد من جهة الذات الواحدة والطبيعة الواحدة والألوهة الواحدة. وكما سبق أن قلنا حيث إن الشعاع هو النور وليس في المرتبة الثانية بعد الشمس، ولا هو نور آخر، ولا هو ناتج من المشاركة مع النور، بل هو مولود كلّي وذاتي من النور ومثل هذا المولود هو بالضرورة نور واحد ولا يستطيع أحد أن يقول إنه يوجد نوران، فرغم أن الشمس والشعاع هما اثنان إلاّ أن نور الشمس الذي ينير بشعاعه كل الأشياء، هو واحد.

---

[٧٨١] سابيليوس: ظهر في روما في أوائل القرن الثالث وعلّم بأن الآب والابن والروح القدس هم أقنوم واحد وليسوا ثلاثة أقانيم لهم جوهر واحد. وقال إن أقنوم الآب أعطى الناموس في العهد القديم ثم تجسد هذا الأقنوم وظهر باسم المسيح ثم ظهر هو نفسه باسم الروح القدس، أى أن الثالوث هو ثلاث ظهورات متوالية في التاريخ لأقنوم واحد، وليس ثلاثة أقانيم متمايزة لهم جوهر واحد.

[٧٨٢] الابن فقط هو صورة الله الآب بسبب وحدة الجوهر الإلهي.

[٧٨٣] انظر يو١٦: ١٥



هكذا أيضًا ألوهة الابن هى ألوهة الآب، ولهذا أيضًا فهى غير قابلة للتجزئة، ولذا فإنه يوجد إله واحد وليس آخر سواه. وهكذا حيث إنهما واحد، والألوهية نفسها واحدة، فكل ما يقال عن الآب يقال أيضًا عن الابن ما عدا أن يُلقّب بالآب. فمثلاً يقال عن الابن ـ كما يقال عن الآب ـ إنه هو الله، وكما جاء «وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللّه»[784]، وإنه ضابط الكل. وهذا ما توضّحه الآيات فهو «الذي كان والكائن والذي يأتي الضابط الكل»[785] . وهو «الرب»، كما أن هناك «رب واحد، يسوع واحد»[786] . وأنه هو النور كما قال عن نفسه «أَنَا هُوَ النُّورُ»[787] . وأنه يمحو الخطايا كما خاطب اليهود «وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لابْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَاناً عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا»[788]، ويمكنك أن تجد أقوال أخرى كثيرة. لأن الابن نفسه يقول «كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي»[789]. وأيضًا يقول «وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ»[790].

٥ـ إن مَنْ يسمع تلك الأقوال التي تقال عن الآب سيرى أنها تقال أيضًا عن الابن. كما أنه سيدرك أن الابن في الآب عندما يكون ما يقال عن الابن، يقال هو نفسه عن الآب. ولماذا يكون ما يقال عن الآب هو نفسه ما يقال عن الابن إلاّ لأن الابن هو مولود من جوهر الآب؟ ولأن الابن مولود من جوهر الآب، لهذا يحق له أن يقول إن

---

[784] يو ١:١

[785] رؤ ٨:١

[786] ١كو ٦:٨

[787] يو ١٢:٨

[788] لو ٢٤:٥

[789] يو ١٥:١٦

[790] يو ١٠:١٧



خصائص الآب هى خصائصه أيضًا، لذلك فبطريقة مناسبة ومتوافقة مع قوله «أَنَا وَالآبُ وَاحِد»[٧٩١]، يضيف قائلاً: «لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ»[٧٩٢].

وأكثر من ذلك فقد أضاف مرّة أخرى «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ»[٧٩٣]. وفي هذه الأقوال الثلاثة يوجد نفس هذا المعنى الواحد. فالذي يدرك هذا المعنى أى أن الابن والآب هما واحد يعرف جيدًا أن الابن هو في الآب والآب في الابن، لأن ألوهة الابن هى ألوهة الآب، وهذه الألوهة هى في الابن، ومن يدرك هذا، فإنه يقتنع أن «من رأى الابن فقد رأى الآب»، لأن ألوهة الآب تُرى في الابن.

وهذا ما يمكن أن نفهمه من مثال صورة الملك[٧٩٤]، حيث يوجد شكل الملك وهيئته في الصورة، والهيئة التي في الصورة هى التي للملك، لأن ملامح الملك في الصورة، هى مثله تمامًا حتى أن من ينظر إلى الصورة يرى الملك فيها، وأيضًا مَن يرى الملك، يدرك أنه هو نفسه الذي في الصورة. وبسبب عدم اختلاف الملامح، فإن مَن يريد أن يرى الملك بعد أن يكون قد رأى الصورة، فكأن الصورة يمكن أن تقول له: «أنا والملك واحد»، لأني أنا في المَلك والمَلك فيّ، وما تراه أنت فيَّ هذا تراه فيه، وما قد رأيته فيه تراه فيَّ. وتبعًا لذلك فمن يسجد للصورة فهو يسجد للملك أيضًا من خلالها، لأن الصورة لها شكله وهيئته. إذًا بما أن الابن أيضًا هو صورة

---

[٧٩١] يو ١٠: ٣٠

[٧٩٢] يو ١٠: ٣٨

[٧٩٣] يو ١٤: ٩

[٧٩٤] يستخدم ق. أثناسيوس هذا المثال نظرًا لما اعتاد عليه الوثنيون من السجود لصورة الإمبراطور باعتباره شخصية إلهية يجب أن يقدّم لها التكريم والذبائح.



الآب فينبغي أن يكون مفهومًا بالضرورة أن ألوهة الآب هى كينونة الابن وهذا هو ما قيل عنه «الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ»[٧٩٥]، و «الآبَ فِيَّ»[٧٩٦].

٦ـ وصورة الألوهة ليست جزءً من كلٍ، بل إن ملء ألوهة الآب هو كيان الابن، فالابن هو إله كامل. لذلك أيضًا إذ هو مساوٍ لله، فإنه «لم يحسب المساواة بالله إختطافًا»[٧٩٧]. وأيضًا حيث إن ألوهة الابن وصورته ليست شيئًا آخر غير ألوهية الآب لذا يقول «أنا في الآب». لذلك «اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ»[٧٩٨]. لأن الابن هو من ذات جوهر الآب، وبواسطة الابن تصالحت الخليقة مع الله. وهكذا فالأعمال التي عملها الابن هى أعمال الآب لأن الابن هو صورة ألوهة الآب الذي به عُملت الأعمال. ولذا فمَنْ ينظر إلى الابن يرى الآب لأن الابن يوجد ويُرى داخل ألوهة الآب. وصورة الآب التي في الابن تُظهر الآب الكائن فيه. ولذلك فالآب هو في الابن. وهكذا فإن ألوهة الآب والخاصية الذاتية لأبوّة الآب للابن، تُرينا أن الابن هو في الآب، وتوضح أنه أزليًا غير منفصل عنه. وأيضًا فمَنْ يسمع ويرى أن ما يقال عن الآب يقال أيضًا عن الابن ويدرك أن هذه الخصائص لم تتراكم لاحقًا مضافة إلى جوهر الابن بالنعمة أو بالمشاركة، بل لأن كيان الابن هو مولود من ذات جوهر الآب، عندئذٍ سوف يفهم حسنًا الآيات «أنا في الآب والآب فيّ» وأيضًا «أنا والآب واحد».

إذًا فالابن هو كالآب تمامًا لأن له كل ما هو للآب. لذلك فعندما يُذكر الآب يشار ضمنًا أيضًا إلى الابن معه. لأنه إن لم يكن هناك ابن فلا يستطيع أحد أن

---

[٧٩٥] في٢:٦

[٧٩٦] يو١٤:١٠

[٧٩٧] انظر في٢:٦

[٧٩٨] ٢كو٥:١٩



يقول إن هناك آب. بينما حينما ندعو الله صانعًا فهذا ليس بالضرورة إعلانًا منًّا أن مصنوعاته قد أتت إلى الوجود، لأن الصانع موجود قبل وجود مصنوعاته ولكن حينما ندعو الله أبًا فنحن نعني في الحال وجود الابن. لذلك فمَن يؤمن بالابن يؤمن بالآب أيضًا. لأنه يؤمن بمَن هو من جوهر الآب ذاته. وهكذا يكون إيمان واحد بإله واحد. ومَنْ يسجد للابن ويكّرمه، فهو ـ في الابن ـ يسجد للآب ويكّرمه. إذ أن الألوهة هى واحدة، ولذلك فالإكرام والسجود اللذان يقدَّمان إلى الآب في الابن وبه، هما واحد. ولهذا فالذي يسجد إنما يسجد لإله واحد، لأنه يوجد إله واحد وليس آخر سواه. ولذلك فحينما يسمّى الآب بأنه الإله الوحيد، كما هو مكتوب «ويوجد إله واحد»[799]، «وأنا هو ـ أنا أكون»[800]، وأيضًا «ليس إله معي»[801]، «أنا الأول وأنا الآخر»[802]، يكون كل هذا بالصواب قد كُتب. لأن الله واحد وهو الوحيد وهو الأول، ولكن هذا لا يقال بقصد إنكار وجود الابن، حاشا، لأن الابن هو في ذلك الواحد والوحيد والأول، لكونه الكلمة الوحيد والحكمة والشعاع الذي من ذاك الواحد والوحيد والأول.

فالابن أيضًا هو الأول إذ هو ملء لاهوت الأول والوحيد. إذ هو إله كامل وتام. فهذه الأقوال التي أشرنا إليها عن «الإله الواحد والوحيد والأول» لم تُقَل لاستبعاد الابن، بل لكي تستبعد أنه يوجد إله آخر غير الآب وكلمته. هذا هو إذًا معنى كلام النبي وهو واضح وظاهر للكل.

---

[799] مر١٢: ٢٩

[800] خر٣: ١٤

[801] تث٣٢: ٣٩

[802] إش٤٤: ٦

الفصل الرابع والعشرون

شرح نصوص (يو١٧:٣)

«أنت الإله الحقيقي وحدك

ويسوع المسيح الذي أرسلته»

٧- ولكن بسبب أن عديمي الإيمان يستخدمون هذه الآيات أيضًا ويجدّفون على الرب، ويَسخَرون منا قائلين: [طالما أن الله يدعى الواحد والوحيد والأول، فكيف تقولون إن الابن هو الله؟ لأنه لو كان هو الله لما كان الله قد قال «ليس إله معي»[٨٠٣] ولا «إلهنا واحد»[٨٠٤]]. لذلك فمن الضروري أن نوضح معنى هذه الآيات، بقدر الإمكان، لكي يعرف الجميع من شرحِنا لهذه الآيات أيضًا أن الآريوسيين هم في الحقيقة محاربون لله.

لأنه لو كان الابن منافسًا للآب إذًا لكانت هذه الكلمات قد قيلت ضده، ولو أن الآب ينظر إلى الابن مثلما حدث لداود حينما سمع عن أدونيا وأبشالوم[٨٠٥]، إذًا لكان قد نطق بهذه الآيات عن نفسه، لئلا عندما يقول الابن عن نفسه إنه إله، يجعل البعض يتمرَّدون على الآب، أما إن كان مَن يعرف الابن، يعرف الآب بالحرى، والابن هو الذي يكشف له الآب، فإنه يرى بالحري الآب في الكلمة،

---

[٨٠٣] تث٣٢، ٣٩

[٨٠٤] تث٦، ٤

[٨٠٥] انظر ٢صم١٥:١-١٩، ٤١، ١مل١:٥ للآخر.

يشير القديس أثناسيوس هنا إلى تمرّد أبشالوم وأدونيا، أولاد داود الاثنين، على أبيهما لاغتصاب المُلك منه، وهو يذكر هذا المثل من العهد القديم، لكي يبيّن أن الابن ليس منافسًا للآب كما ينافس الابنان المتمردان أباهم في المُلك، ويحاولان أن يبعدا الشعب عنه.



كما هو مكتوب، وإن كان الابن في مجيئه لم يمجّد نفسه بل مجّد الآب، إذ قال لواحد قد جاء إليه، «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحاً؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ.»[806]، وردًا على سؤال مَنْ سأله ما هى الوصيّة العظمى في الناموس قال «اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ»[807]. وقال للجموع «لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي. »[808] ، وعلّم التلاميذ قائلاً «أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي»[809] وأيضًا «الذي يكرمني يكرم الذي أرسلني»[810] فإن كان موقف الابن تجاه أبيه هو هكذا، فما هو التناقض الذي يمنع أى واحد من أن يتخّذ مثل ذلك المعنى السليم عن هذه الآيات؟

ومن الناحية الأخرى إن كان الابن هو كلمة الآب فمَن يكون بهذه الدرجة من الحماقة - عدا أولئك الذين يحاربون المسيح - حتى يظن أن الله قد تكلّم هكذا لكي يطعن في كلمته وينكره؟ فحاشا أن يكون تفكير المسيحيين هكذا! لأن هذه الآيات لم تُكتب ضد الابن، بل لكي تستبعد الآلهة الكاذبة التي اخترعتها البشر. والدليل على ذلك يكمُن في معنى هذه الآيات.

٨ ويسبب أن أولئك الذين يعبدون الآلهة الكاذبة، يبتعدون عن الإله الحقيقي، لذلك فلأن الله صالح ومعتني بالبشر فهو ينادي الضالين مرَّة أخرى، ويقول: «أنا هو الإله وحدي» و «أنا هو» و «ليس إله معي»، ومثل كل هذه الآيات، وذلك لكي يحكم على الأشياء التي لا كيان لها، هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى يحوّل

---

[806] لو١٨:١٩

[807] مر١٢:٢٩

[808] يو٦:٣٨

[809] يو١٤:٢٨

[810] يو٥:٢٣، ١٣:٢٠



البشر إلى نفسه. وكما لو افترضنا أن شخصًا ما أثناء النهار وبينما الشمس ساطعة يرسم رسمًا بدائيًا للشمس على قطعة من الخشب، ثم يقول عن ذلك الرسم أنه سبب النور الساطع، فإن كانت الشمس عندما ترى هذا الرسم يمكنها أن تقول «أنا هى نور النهار وحدي وليس هناك نور آخر للنهار سواي»، بينما يقول الرسّام هذا ليس عن شعاعها، بل عن رسمه الرديء على الخشب وعن خياله الباطل الذي زيّف الحقيقة.

هكذا الأمر أيضًا بخصوص الآيات: «أنا هو»، «أنا هو الإله وحدي» و «ليس إله معي»، فالله يقول هذا لكي يجعل الناس يتركون الآلهة الكاذبة ولكي يعرفوا بالحري أنه هو الإله الحقيقي، وحينما قال الله هذا، فبلا شك أنه قاله بواسطة كلمته الذاتي، هذا إن لم يضف اليهود المعاصرون[811] قائلين إنه لم يقل هذا بواسطة كلمته. ولكني بالرغم مما يهذي به أتباع الشيطان هؤلاء، فإن الله قد تكلّم بواسطة كلمته لأن كلمة الرب قد صارت إلى النبي، وهذا هو ما سمعه النبي من (الكلمة). فإذا كان هذا قد قيل بواسطة الكلمة إذًا فلا يقول الله شيئًا أو يفعله إلاّ ويقوله ويفعله بالكلمة. لذلك فيا محاربي الله إن هذه الآيات ليست موجّهة ضد الابن، بل ضد الأشياء الغريبة عن الله، والتي ليست منه. لأنه بحسب الرسم الذي سبق وأشرنا إليه، إن كانت الشمس قد تكلّمت بتلك الكلمات فإنها لم تقلها كأن شعاعها غريب عنها إذ أن شعاعها يُظهر نورها ولكنها تكون قد قالتها لكي تكشف الخطأ وتصححه. لذلك فمثل تلك الآيات ليست لأجل إنكار الابن ولا هى قيلت عنه، بل هى قيلت لطرح الضلال بعيدًا.

---

[811] يستعمل القديس أثناسيوس عبارة "اليهود المعاصرون" ليعبر بها عن الآريوسيين (انظر المقالة الأولى فصل ٨).



وبناءً على ذلك فإن الله لم يكلّم آدم بمثل هذه الأقوال في البداية، رغم أن الكلمة الذي بواسطته خُلقت كل الأشياء كان معه، إذ لم تكن هناك حاجة إلى ذلك لأن الأوثان لم تكن قد وُجدت بعد. لكن حينما قام الناس ضد الحق ودعوا لأنفسهم آلهة مثلما أرادوا، حينئذٍ صارت الحاجة لمثل هذه الأقوال، أى لأجل إنكار الآلهة التي لا كيان لها. بل أود أن أضيف أنها قد قيلت مسبقًا عن حماقة محاربي المسيح هؤلاء، ولكي يعرفوا أن أى إله يفكرون فيه ويكون غريبًا عن جوهر الآب، لا يكون إلهًا حقيقيًا، ولا هو صورة الآب وابنه، الإله الوحيد.

٩. إذًا فإن كان الآب قد دُعيَ الإله الحقيقي الوحيد فهذا لا يعني إنكار هذا الذي قال «أَنَا هُوَ الْحَقُّ»[٨١٢] بل يعني إنكار أولئك الذين ليسوا بطبيعتهم حقيقيين، مثل الآب وكلمته، ولهذا فقد أضاف الرب مباشرةً: «وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ»[٨١٣]. وعلى هذا فلو أنه كان مخلوقًا لما كان قد أضاف هذه الكلمة ولما كان قد أحصى نفسه مع الخالق، فأيّة شركة توجد بين الحقيقي وغير الحقيقي؟!

ولكن الابن إذ أحصى نفسه مع الآب، فقد أظهر أنه من طبيعة الآب نفسها، وأعطانا أن نعرف أنه المولود الحقيقي من الآب الحقيقي. وهكذا أيضًا تعلّم يوحنا وعلّم هذا كاتبًا في رسالته «وَنَحْنُ فِي الْحَقِّ فِي ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ هَذَا هُوَ الإِلَهُ الْحَقُّ وَالْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ»[٨١٤].

---

[٨١٢] يو١٤: ٦

[٨١٣] يو١٧: ٣

[٨١٤] ١يو٥: ٢٠



وحينما يقول النبي عن الخليقة «الْبَاسِطُ السَّمَاوَاتِ وَحْدَهُ»[٨١٥] وأيضًا حينما يقول الله «نَاشِرٌ السَّمَاوَاتِ وَحْدِي»[٨١٦] يصير واضحًا للجميع أن لفظة (وحده) تشير أيضًا إلى الكلمة الخاص بالوحيد، الذي به خُلقت كل الأشياء وبغيره لم يُخلق شئ. لذلك إن كانت كل الأشياء قد خُلقت بالكلمة، ومع ذلك يقول «أنا وحدي» فإنه يعني أن الابن الذي به خُلقت السموات، هو مع ذلك الوحيد.

هكذا إن قيل «إله واحد»، «أنا وحدي»، «أنا الأول» فهذا يعني أن الكلمة كائن في نفس الوقت في ذلك الواحد والوحيد والأول مثل وجود الشعاع في النور. وهذا لا يمكن أن يُفهم عن أى كائن آخر سوى الكلمة وحده. لأن كل الأشياء الأخرى خُلِقت من العدم بواسطة الابن، وهى تختلف اختلافًا كبيرًا جدًا فيما بينها من جهة الطبيعة، أما الابن نفسه فهو مولود حقيقي وطبيعي من الآب.

ولهذا فهذه العبارة: «أنا الأول» التي اقتبسها هؤلاء الأغبياء لكي يدعموا بها هرطقتهم، هى بالحري تفضح نيتهم الشريرة لأن الله يقول «أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ»[٨١٧] إذًا فإن قلتم إنه الأول بالنسبة للأشياء التي أتت بعده كما لو كان محصى معها، لكي تأتي تلك الأشياء تالية له إذًا فأنتم تُظهرون أنه هو نفسه يسبق الأعمال المخلوقة زمنيًا فقط، وهذا يفوق كل كفر. ولكنه لكي يبرهن إنه لم يأخذ بدايته من أى شئ، ولا يوجد شئ قبله ولكي يدحض الأساطير الوثنية، ولكي يبيّن أنه هو البداية والعلّة لكل الأشياء، قال «أنا الأول» أنه واضح أيضًا أن تسمية الابن «بالبكر» هذه لم تُعط فقط له لأجل إحصائه مع المخلوقات، بل لكي تبرهن

---

[٨١٥] أيوب٩:٨

[٨١٦] إش٤٤:٢٤

[٨١٧] إش٤٤:٦



أن خلق كل الأشياء وتبنيها إنما تم بواسطة الابن. لأنه كما أن الآب هو الأول، هكذا أيضًا «الابن أيضًا هو الأول كصورة الأول تمامًا، وبسبب أن الأول كائن فيه، وهو أيضًا وليد الآب، الذي به تمّ خلق كل الخليقة وتبنّيها.

الفصل الخامس والعشرون

شرح نصوص (يو١٠: ٣٠، يو١٧: ١١)

«أنا والآب واحد» ، «ليكونوا واحد كما نحن»

١٠- غير أنهم أيضًا يحاولون أن يشكّكوا في هذه الحقائق بواسطة الخرافات الناتجة عن خيالاتهم، فيدّعون أن الابن والآب لا يمكن أن يكونا «واحدًا» أو «متماثلين» بالكيفيّة التي تُعلّم بها الكنيسة، بل بالكيفيّة التي يريدونها هم. إذ يقولون إن ما يريده الآب يريده الابن أيضًا، وهو لا يتعارض معه في الفكر أو في القرار، ولكنه موافق له من جميع الوجوه، وهو يعلن التعاليم نفسها مثل الآب ويقول الكلام المُتّفِق والمتناسق مع تعاليم الآب، لذلك فهو - حسب رأيهم - واحد مع الآب. ولقد تجرأ البعض[٨١٨] منهم أن يكتب هذا وأن يقوله.

وهل يمكن لأحد أن يقول ما هو أكثر غرابة وعدم معقولية من هذا؟ لأنه لو كان الابن والآب هما واحدًا، بحسب رأيهم هذا، وإن كان الكلمة مثل الآب بهذه الكيفيّة، فينتج عن هذا أن الملائكة أيضًا والكائنات الأخرى الأعلى منا، الرؤساء والسلاطين والعروش والربوبيات، وما نراه نحن مثل الشمس والقمر والنجوم كل هؤلاء سيكونوا أبناء أيضًا مثل الابن، وينبغي أن يقال عنهم أيضًا عندئذٍ أنهم هم والآب واحد، وأن كلاً منهم هو صورة الله وكلمته. لأن ما يريده الله يريدونه هم أيضًا، وهم لا يخالفونه لا في الإرادة ولا في الفعل، بل هم يخضعون لخالقهم في كل شئ. لأن كل هذه الكائنات ما كانت تستطيع أن تبقى في مجدها لو لم تشأ ما شاءه الآب أيضًا. فمثلاً إن ذاك الذي لم يبقَ «في مجده»، بل

---

[٨١٨] يشير هنا إلى استيريوس الآريوسي.



ضلّ بعيدا، سمع الكلمات: «كيف سقطت من السماء يا يوسفوروس[٨١٩] المشرق في الصباح»؟[٨٢٠].

وإن كان الأمر هكذا، فكيف يكون هو وحده الابن الوحيد الجنس والكلمة والحكمة؟ أو كيف، بينما يوجد كثيرون مثل الآب، يكون وحده هو الصورة؟ لأنه يوجد كثيرون مثل الآب بين البشر، فكثيرون جدًا صاروا شهداء ومن قبلهم الرسل والأنبياء وقبلهم أيضًا البطاركة، وكثيرون أيضًا، الآن يحفظون وصية المخلّص إذ هم رحماء مثل الآب الذي في السموات[٨٢١] وحفظوا الوصية القائلة «فَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِاَللّٰهِ كَأَوْلاَدٍ أَحِبَّاءَ، وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضاً»[٨٢٢]. وكثيرون أيضًا تمثلوا ببولس كما تمثل هو أيضًا بالمسيح[٨٢٣]، ولكن ولا واحد من هؤلاء هو الكلمة، أو الحكمة، أو الابن الوحيد الجنس، أو الصورة. ولم يتجزأ أى واحد منهم أن يقول «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ»[٨٢٤]، أو «أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيّ»[٨٢٥]، بل قد قيل عنهم جميعًا «مَنْ مِثْلُكَ بَيْنَ الآلِهَةِ يَا رَبُّ»؟[٨٢٦] و «مَنْ يُشْبِهُ الرَّبَّ بَيْنَ أَبْنَاءِ اللّٰهِ»؟[٨٢٧]، ولكن قيل عن الابن وحده إنه الصورة الحقيقية للآب ومن

---

[٨١٩] هذه الكلمة وردت هكذا في الترجمة السبعينية للعهد القديم باليونانية وتعني نجم الصباح.

[٨٢٠] إش١٤:١٢(س)

[٨٢١] لو٦:٣٦

[٨٢٢] أف٥:١ـ٢

[٨٢٣] ١كو١١:١

[٨٢٤] يو١٠:٣٠

[٨٢٥] يو١٤:١٠

[٨٢٦] خر١٥:١١

[٨٢٧] مز٨٩:٦



جوهره، ورغم أننا قد خلقنا حسب الصورة ودعينا صورة الله ومجده[٨٢٨] فذلك ليس من ذواتنا، بل بسبب صورة الله ومجده الحقيقي الساكن فينا، الذي هو كلمته، والذي صار جسدًا لأجلنا فيما بعد، لكي ننال نحن نعمة هذه الدعوة.

١١ـ وحيث إن فكر الآريوسيين هذا يظهر غير لائق وغير معقول، لذلك فمن الضروري أن يرجع هذا التماثل وهذه الوحدة بين الآب والابن إلى جوهر الابن نفسه، لأنه إن لم يكن سبب التماثل هو وحده الجوهر، فلن يظهر أن الابن يملك شيئًا أكثر من المخلوقات كما سبق القول ولا حتى أنه هو مثل الآب، لكنه سيكون كالآب في التزامه بتعاليم الآب وهو يختلف عن الآب في أن الآب هو آب، أما التعاليم والوصايا فهى للآب. وإن كان الابن هو مثل الآب من جهة التعاليم والوصايا فحينئذٍ ـ بحسب رأيهم ـ يكون الآب أبًا بالاسم فقط، والابن لن يكون صورة الآب التي لا تتبدّل أو بالحري لن يظهر أن له صفات الآب الذاتية وأنه يماثله. لأنه أيَّة مماثلة أو صفات ذاتية يمكن أن يكون لمن هو مختلف تمامًا عن الآب؟ فبولس رغم أنه علّم بنفس تعاليم المخلّص، إلاّ أنه لم يكن مثله في الجوهر.

فهؤلاء لأن عندهم مثل هذه الأفكار، يتكلّمون بافتراءات كاذبة. لكن الابن والآب هما واحد، كما قلنا سابقًا. وبنفس الطريقة فالابن هو مثل الآب ومن ذات الآب كما يمكن أن يرى وأن يفهم المرء أن أى ابن هو من أبيه، وكما يمكن أن يرى أن الشعاع هو من الشمس. إذًا لأن علاقة الابن بالآب هى هكذا، فحينما يعمل الابن يكون الآب هو العامل، وعندما يأتي الابن إلى القديسين فالآب هو الذي يأتي في الابن، كما وعد حينما قال «وَإِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلا»[٨٢٩]. لأنه في الصورة

---

[٨٢٨] انظر ١كو١١: ٧.

[٨٢٩] يو١٤: ٢٣



يُرى الآب كما أنه في الشعاع يكون النور. لذلك أيضًا وكما قلنا قبل ذلك بقليل، فحينما يُعطى الآب النعمة والسلام، فالابن أيضًا يعطيهما، كما يكتب بولس في كل رسالة له قائلاً «نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ»[830]. لأنه توجد نعمة واحدة وهى نفس النعمة التي من الآب في الابن، كما أن نور الشمس وشعاعها هما واحد، وكما أن إنارة الشمس تحدث بواسطة الشعاع. وهكذا أيضًا حينما يدعو الرسول لأهل تسالونيكي فهو يقول لهم «وَاللهُ نَفْسُهُ أَبُونَا وَرَبُّنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ يَهْدِي طَرِيقَنَا إِلَيْكُمْ»[831] فهو بهذا يحفظ وحدة الآب والابن معًا. فهو لم يَقُلْ يهديان، كما لو كانت هناك نعمة مزدوجة تعطى من مصدرين: هذا وذاك، بل قال «يهدي» لكي يبيّن أن الآب يُهدي بواسطة الابن، كل هذا كان ينبغي أن يخجل منه هؤلاء عديمو التقوى، ولكنهم لا يخجلون.

١٢. لأنه لو لم تكن هناك وحدة (في الجوهر) ولو لم يكن الكلمة هو وليد جوهر الآب كالشعاع من النور، وكان الابن مختلفاً في الطبيعة عن الآب، لكان يكفي أن الآب وحده هو الذي يُعطي، طالما أن أى واحد من المخلوقات لا يشترك مع خالقه في العطاء. ولكن الآن كما هى حقيقة الأمر، فإن مثل هذا العطاء يُظهر وحدة الآب والابن. فلا أحد يصلي إلى الله والملائكة أو إلى أى مخلوق آخر، لكي ينال منهم شيئًا وليس هناك مَنْ يدعو قائلاً «ليت الله والملاك يعطيك» ولكنه يَطلُب من الآب والابن، بسبب وحدتهما (في الجوهر) ووحدة عطائهما. لأن ما يُعطىَ إنما يُعطىَ بواسطة الابن. وليس هناك شئ إلاّ ويعمله الآب بالابن. لأن مَن يطلب هكذا ينال بالتأكيد نعمة. فإن كان رئيس الآباء يعقوب وبينما هو يبارك حفيديه افرايم ومنسى قال «..اللهُ الَّذِي رَعَانِي مُنْذُ وُجُودِي إِلَى هَذَا الْيَوْمِ - الْمَلاَكُ الَّذِي خَلَّصَنِي

---

[830] رو١: ٧، ١كو١: ٣، أف١: ٢

[831] ١تس٣: ١١



مِنْ كُلِّ شَرٍ، يُبَارِكُ الْغُلاَمَيْنِ ..»[٨٣٢]، فهو لم يُقرِن أى من أولئك الذين خُلقوا بالطبيعة ملائكة، مع الله خالقهم. كما أنه لم يُهمِل ذكْر الله الذي رعاه، ولكنه طَلَبَ البركة لحفيديه من الملاك. لأنه بقوله «الذي خلّصني من كل شر، لم يشر إلى ملاك مخلوق، بل إلى كلمة الله، الذي قَرَنَه مع الآب في طلبته، الذي بواسطته يخلّص الله أولئك الذين يريدهم لأنه إذ يعرف أنه يُدعى أيضًا ملاك المشورة العظمى للآب»[٨٣٣]، قال إنه ليس هناك سواه هو الذي يُعطى البركة ويخلّص من الشر. ومع أنه استحق أن ينال البركة من الله إلاّ أنه عندما رغب في مباركة حفيديه، فإنه طلب ذلك من الملاك الذي كان قد سبق وأن طلب منه البركة لنفسه قائلاً: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي»[٨٣٤]. إذ أن هذا الملاك كان هو الله بحسب ما ذَكَرَ يعقوب نفسه قائلاً: «لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهاً لِوَجْهٍ»[٨٣٥]. وهذا هو الذي صلّى إليه أن يبارك أيضًا ابني يوسف. فما يناسب عمل الملاك إذًا هو أن يخدم أوامر الله، وكثيرًا ما كان يذهب أمامهم لكي يطرد الأموريين، وكان يُرسَل ليحرس الشعب في الطريق[٨٣٦]. لكن ليست هذه هى أعماله بل هى أعمال الله الذي أمره وأرسله، وهو أيضًا الذي يخلّص الذين يريد أن يخلّصهم. لهذا فملاك المشورة لم يكن سوى الرب الإله نفسه الذي قد رآه يعقوب وهو الذي قال له «وَهَا أَنَا مَعَكَ وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ»[٨٣٧].

---

[٨٣٢] تك٤٨: ١٥ـــ١٦

[٨٣٣] إش٩: ٦(س)

[٨٣٤] تك٣٢: ٢٦

[٨٣٥] تك٣٢: ٣٠

[٨٣٦] انظر سفر العدد ٢١: ٢٤، عاموس ٢: ٩.

[٨٣٧] تك ٢٨: ١٥



ولم يكن آخر بل أيضًا كان هو الله الذي لم يسمح للابان أن يخدع يعقوب وأَمَرَه ألاّ يتكلّم بالشر معه، ولم يكن أيضًا سوى الله الذي توسّل هو إليه قائلاً «نجني من يد أخي عيسو. لأني خائف منه»[838]، ولأنه أيضًا حينما تحدّث مع زوجاته عن لابان قال «لَكِنَّ اللهَ لَمْ يَسْمَحْ لَهُ أَنْ يَصْنَعَ بِي شَرّاً»[839].

١٣- وداود أيضًا لم يَدعْ إلهًا آخر سوى الله نفسه لكي ينجيه عندما صرخ إليه قائلاً «إِلَى الرَّبِّ فِي ضِيقِي صَرَخْتُ، فَاسْتَجَابَ لِي. يَا رَبُّ، نَجِّ نَفْسِي مِنْ شِفَاهِ الْكَذِبِ، مِنْ لِسَانِ غِشٍّ»[840]. وأيضًا في اليوم الذي أنقذه فيه الرب من يد جميع أعدائه ومن يد شاول رنّم بكلمات الفرح شاكرًا الله هكذا «أُحِبُّكَ يَا رَبُّ يَا قُوَّتِي. ٢الرَّبُّ صَخْرَتِي وَحِصْنِي وَمُنْقِذِي»[841]. وبولس بعد أن احتمل إضطهادات كثيرة. لم يقدّم الشكر إلى أحد سوى إلى الله وحده إذ قال «ومن الجميع أنقذني الرب الذي لنا رجاء فيه أنه سينجي»[842].

كما أن إبراهيم واسحق لم يباركا أحدًا سوى الله. فإسحق طلب لأجل يعقوب قائلاً: «وَاللهُ الْقَدِيرُ يُبَارِكُكَ وَيَجْعَلُكَ مُثْمِراً وَيُكَثِّرُكَ فَتَكُونُ جُمْهُوراً مِنَ الشُّعُوبِ، وَيُعْطِيكَ بَرَكَةَ إِبْرَاهِيمَ»[843]. ولكن إن كان الله وحده وليس سواه هو الذي يبارك وينجي وليس سوى الرب نفسه هو الذي أنقذ يعقوب، وهو الذي أعطى لرئيس الآباء البركة التي طلبها لأحفاده، فمن الواضح أن يعقوب لم يُقرن مع الله.

---

[838] تك ٣٢: ١١(س)

[839] تك ٣١: ٧

[840] مز ١٢٠: ١ـ٢

[841] مز ١٨: ١ـ٢

[842] ٢تيمو٣: ١١، ٢كو١: ١٠

[843] تك ٢٨: ٣ـ٤



في صلاته ـ أحد سوى كلمة الله، لأنه هو وحده الذي يعلن الآب، ومن أجل هذا دعى كلمة الله بـ «الملاك»[٨٤٤]. وهذا هو ما فعله الرسول أيضًا حينما قال «نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ»[٨٤٥]. فإنه بهذا صارت البركة مؤكّدة بسبب وحدة الآب والابن، ولأجل ذلك فالنعمة التي تعطى منهما هى واحدة وهى هى نفسها. فرغم أن الآب يعطي النعمة، إلاّ أنها تُوهب بالابن، ورغم أن الابن هو الذي يَهِبُ النعمة، فالآب هو الذي يعطيها بالابن وفي الابن. لأن الرسول يقول وهو يكتب إلى أهل كورنثوس «أَشْكُرُ إِلَهِي فِي كُلِّ حِينٍ مِنْ جِهَتِكُمْ عَلَى نِعْمَةِ اللهِ الْمُعْطَاةِ لَكُمْ فِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ»[٨٤٦].

وهذا يمكن أن نراه في مثال النور والشعاع، لأن ما ينيره النور إنما ينيره بشعاعه، وما يشعه الشعاع فهو يأخذه من النور، هكذا أيضًا حينما يُرى الابن يُرى الآب، لأنه هو شعاع الآب، ولذلك فالآب والابن هما واحد (في الجوهر).

١٤ـ ولا يستطيع أحد أن يقول هذا بالنسبة للأشياء الصائرة والمخلوقة لأن ما يعمله الآب، لا يعمله أى ملاك أو أى مخلوق آخر، لأن ولا واحد من هؤلاء هو علّة فاعلة بل هو من الأشياء المخلوقة، وفضلاً عن ذلك فلأنها بعيدة ومنفصلة عن الإله الوحيد ومختلفة في الطبيعة وهى أيضًا مخلوقة، فإنها لا تستطيع أن تعمل ما يعمله الله، كما أنها ـ كما قلت سابقًا ـ لا تستطيع أن تشترك مع الله في إعطاء النعمة.

---

[٨٤٤] ἄγγελος باليونانية والفعل اليوناني ἀγγέλω معناه «يُعلِن» أو «يُبشر»

[٨٤٥] رو ١:٧

[٨٤٦] ١كو ١:٤



ولا يستطيع أحد عندما يرى ملاكًا أن يقول إنه قد رأى الآب لأن الملائكة كما هو مكتوب ـ هى أرواح خادمة، مرسلة للخدمة[٨٤٧]، وهم يبشرون بالعطايا التي تُوهَب من الآب بواسطة الكلمة إلى أولئك الذين ينالونها.

كما أن الملاك نفسه عند ظهوره، يعترف أنه قد أُرسِل من سيّده كما اعترف جبرائيل عندما ظهر لزكريا وأيضًا عندما ظهر لمريم والدة الإله. ومَنْ يرى منظر ملائكة يعرف أنه رأى ملاكًا ولم ير الله. فزكريا رأى ملاكًا، وإشعياء رأى الرب ومنوح ابو شمشون رأى ملاكًا، أما موسى فرأى الله وجدعون رأى ملاكًا، أما إبراهيم فقد ظهر له الله. فالذين رأوا الله لم يقولوا إنهم رأوا ملاكًا، كما أن الذين رأوا ملاكًا اعتبروا أنهم قد رأوا الله لأن الأشياء المخلوقة هى بالطبيعة تختلف اختلافًا عظيمًا بل بالحري اختلافًا كاملاً عن الله الخالق، ولكن يحدث أحيانًا أن يُرى ملاك، والذي يراه يسمع صوت الله، كما حدث في العليقة «وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ بِلَهِيبِ نَارٍ مِنْ وَسَطِ عُلَّيْقَةٍ»[٨٤٨]، وكلّم الله موسى من العلّيقة قائلاً: «أَنَا إِلَهُ أَبِيكَ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ»[٨٤٩]، ولكن الملاك لم يكن هو إله إبراهيم، بل الذي تكلّم في الملاك هو الله فالذي ظهر هو ملاك، ولكن الله تكلّم فيه. لأنه كما تكلّم الله مع موسى في الخيمة من خلال عمود السحاب هكذا أيضًا يظهر الله ويتكلّم من خلال الملائكة، مثلما تكلّم إلى يشوع بن نون بواسطة ملاك[٨٥٠].

---

[٨٤٧] عب١: ١٤

[٨٤٨] خر٣: ٢

[٨٤٩] خر٣: ٦

[٨٥٠] يش١: ٢ (الخ)



فإن ما يتكلّم به الله من الواضح أنه يتكلّم به بواسطة الكلمة وليس بواسطة آخر. فالكلمة ليس منفصلاً عن الآب، وليس له جوهر غير جوهر الآب ولا هو غريب عنه. فالأعمال التي يعملها، هى أعمال الآب وهو الخالق مع الآب، فالعطايا التي يعطيها الابن، هى عطايا الآب. والذي قد رأى الابن، يعرف أنه برؤيته له، لم ير ملاكًا ولا شخصًا أعظم من الملائكة، ولا أى مخلوق على وجه العموم، بل قد رأى الآب نفسه والذي يسمع الكلمة يعرف أنه يسمع الآب نفسه. مثل ذلك الذي يستنير بواسطة الشعاع، يعرف أنه يستنير بواسطة الشمس.

١٥ـ ولأن الكتاب المقدّس يريدنا أن نفهم هذا الأمر هكذا، فقد أعطانا مثل هذه الإيضاحات، التي تكلّمنا عنها أعلاه، والتي بها يمكننا أن نُخجِل اليهود الخائنين من جهة وأن ندحض إدعاءات الوثنيين[٨٥١] من الجهة الأخرى، الذين يفكرون ويظنون أننا حينما نتحدّث عن الثالوث، فنحن نعترف بآلهة متعدّدة. لأنه كما يتضّح من المثال، نحن لا نقدّم ثلاثة بدايات أو ثلاثة آباء كما يفعل أتباع ماركيون[٨٥٢] وماني[٨٥٣] حيث إننا لن نعرض صورة ثلاثة شموس بل شمس واحدة وشعاع واحد. وهناك نور واحد من الشمس في الشعاع، وهكذا فنحن لا نعرف سوى بداية واحدة ونعترف أن الكلمة خالق الكلّ ليس له مصدر آخر للاهوته سوى لاهوت الإله الوحيد، لأنه مولود منه. وعندئذٍ يكون الآريوسيون بالحري هم المتهمين بتعدّد الآلهة أو الإلحاد، لأنهم يهذون بالقول عن الابن إنه مخلوق وغريب

[٨٥١] لم يفهم الوثنيين التعاليم المسيحية بخصوص الله الواحد مثلث الأقانيم، لهذا فقد اتهموا المسيحيين بأنهم يعبدون آلهة متعدّدة.

[٨٥٢] ماركيون: عاش في القرن الثاني وعلّم تعاليمًا خاطئة عن أن المسيحيين يؤمنون بإلهين: إله العهد القديم وهو إله متشدّد وقاسٍ وإله آخر حنون ومحب البشر وهو إله العهد الجديد.

[٨٥٣] ماني: هرطوقي من بلاد فارس علّم نفس تعاليم ماركيون تقريبًا. وُلد في عام ٢١٥ وخلط في تعاليمه ما بين العبادات الفارسية والمسيحية والديانات الشرقية وكان يؤمن بوجود بدايتين هما النور وهو مبدأ الصلاح والظلمة وهى مبدأ الشر.



عن جوهر الآب وإن الروح القدس أيضًا جاء من العدم. لأنهم إما أن يقولوا إن الكلمة ليس هو الله، أو يقولوا ـ بسبب ما قد كتب عنه ـ إنه هو الله. لكنه ليس من ذات جوهر الآب وهكذا يقدمون لنا آلهة متعدّدة بسبب إختلاف الآلهة في الجوهر. إلاّ إذا تجاسروا أن يقولوا إن الابن يدعى إلهًا بالمشاركة فقط (في الجوهر) مثل كل المخلوقات الأخرى.

وحتى إن كان هذا هو تصوّرهم فهم مازالوا على كفرهم. حيث إنهم يعتبرون الكلمة كواحد من بين المخلوقات. ولكن لا ندع هذا الفكر يأتي إلى أذهاننا إطلاقًا. لأن الألوهة هى واحدة، وهى كائنة أيضًا في الكلمة. وإله واحد هو الآب، كائن بذاته، إذ هو ضابط الكل وظاهر في الابن حيث إنه يتخلّل كل الأشياء بواسطته، وظاهر في الروح القدس حيث إنه يعمل كل شئ بالكلمة في الروح القدس. لأننا بهذا نعترف أن الله واحد في ثالوث، ونقول إن هذا الإيمان بالإله الواحد في ثالوث هو أكثر تقوى جدًا من التعليم بإله الهراطقة بأنواعه الكثيرة وأجزائه العديدة.

١٦ـ لأنه إن لم يكن الأمر كذلك، وكان الكلمة مخلوقًا ومصنوعًا من العدم، فهو إما أنه ليس إلهًا حقيقيًا، بسبب أنه هو نفسه واحد من المخلوقات، أو إن كانوا يدعونه إلهًا خجلاً من الكتاب المقدّس، فينبغي بالضرورة أن يقولوا بوجود إلهين، واحد خالق، والآخر مخلوق ووجب أن يعبدوا ربين، واحد غير مخلوق والآخر مخلوق ومصنوع، وينبغي أن يكون لهم إيمانان إيمان بالإله الحقيقي وإيمان بواحد آخر صنعوه وصاغوه بأنفسهم ودعوه إلهًا. ويتبع بالضرورة عن هذا عمى عظيم جدًا حتى أنهم حينما يسجدون لغير المخلوق فَهُم يرفضون المخلوق وحينما ينشغلون بالإله المخلوق، فإنهم يتحوّلون عن الإله الخالق، لأنهم لا يستطيعون أن يروا الواحد كائنًا في الآخر، لأن طبيعتهما وأفعالهما هى غريبة ومختلفة عن بعضها. وحيث إنهم يفكرون بهذه الطريقة، فحتمًا ستقودهم خيالاتهم إلى الإعتقاد بوجود عدد أكثر



من الآلهة، لأن هذه هى محاولات أولئك الذين قد ابتعدوا عن الله الواحد. ولماذا إذًا إن كان للآريوسيين هذه التصوّرات والآراء، لا يحسبون أنفسهم مع الوثنيين؟ لأنهم مثل هؤلاء تمامًا يعبدون المخلوق بدلاً من الله خالق الكّل. وبينما يتحاشون تسميتهم بالوثنيين لكي يخدعوا غير المحنكين، إلاّ أنهم يضمرون في باطنهم فكرًا مشابهًا لفكر الوثنيين، بل ودائمًا ما يرددون قائلين «نحن لا نعتقد في اثنين غير مخلوقين» معتبرين أن قولهم هذا مليء بكل حكمة مع أنه من الواضح أنهم يقولونه لكي يخدعوا البسطاء. لأنه باعترافهم وقولهم « نحن لا نقول باثنين غير مخلوقين «فهم يقرون بوجود إلهين مختلفين في طبيعتهما واحد مخلوق، والآخر غير مخلوق، ورغم أن الوثنيين يعبدون إلهًا غير مخلوق وآلهة أخرى كثيرة مخلوقة، فهؤلاء الآريوسيون يعبدون واحدًا غير مخلوق وواحدًا مخلوقًا، وهم في هذا لا يختلفون عن الوثنيين. لأن الإله الذي يدعونه مخلوقًا هو واحد بين كثيرين، وأيضًا الآلهة الكثيرة عند الوثنيين لها نفس طبيعة هذا الواحد، لأن الواحد والكثيرين هم مخلوقات.

إنهم تعساء وتعاستهم هى بالأكثر ناتجة عن معتقداتهم التي هى ضد المسيح لأنهم قد سقطوا من الحق وقد فاقوا اليهود في حياتهم بإنكار المسيح وهم منغمسين مع الوثنيين، ومبغضين له مثلهم، عابدين الخليقة والآلهة المتعدّدة، لأنه يوجد إله واحد وليس كثيرون. وواحد هو كلمته وليسوا كثيرين لأن الكلمة هو الله[٨٥٤]، وهو وحده صورة الآب. ولأنه هو المخلّص فإنه جعل اليهود يضطربون من هذه الكلمات: «الآب نفسه، الذي أرسلني، هو يشهد لي، لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته وليست لكم كلمة ثابتة فيكم، لأن الذي أرسله هو لستم أنتم تؤمنون به»[٨٥٥]. لذلك جمع بين «الكلمة» و «الهيئة» لكي يوضّح أن كلمة الله هو نفسه صورة ورسم وهيئة

---

[٨٥٤] انظر يو١:١.

[٨٥٥] يو٥:٣٧ــ٣٨



أبيه، وأن اليهود الذين لم يقبلوا الذي تكلّم إليهم لم يقبلوا الكلمة الذي هو صورة الله. وهذا أيضًا هو ما قد رآه يعقوب رئيس الآباء الذي نال البركة من الله وأعطى اسم إسرائيل بدلاً من يعقوب كما يشهد الكتاب الإلهي، قائلاً: «وَأَشْرَقَتْ لَهُ الشَّمْسُ إِذْ عَبَرَ فَنُوئِيلَ (وجه الله)»[856] وهذا هو نفسه الذي قال: «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ» و «أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيّ» و «أَنَا وَالآبُ وَاحِد»[857].

وهكذا فإن الله واحد والإيمان بالآب والابن هو واحد. لأنه رغم أن الكلمة هو إله، فالرب إلهنا رب واحد. لأن الابن هو خاص بذاك الواحد وغير منفصل عنه بحسب ذاته وخصوصية جوهره.

١٧ـ ومع ذلك فالآريوسيون إذ لا يخجلون من هذا فإنهم يجيبون: [ليس كما تقولون أنتم، بل كما نريد نحن لأنه طالما قد رفضتم آراءنا السابقة، فإننا قد أوجدنا رأيًا جديدًا، نقول فيه: كما أن الابن والآب واحد، وكما أن الآب هو في الابن والابن في الآب، هكذا أيضًا نكون نحن واحدًا فيه].

لأن هذا هو ما كُتِبَ في الإنجيل بحسب يوحنا، وهو ما طَلَبَه المسيح لأجلنا في هذه الكلمات «أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ، احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا نَحْنُ»[858]. وبعدها بقليل يقول «وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هَؤُلاَءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضاً مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ، لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداً كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِداً، كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. أَنَا

---

[856] تك٣٢: ٣١

[857] يو١٤: ٩ــ ١٠، يو١٠: ٣٠

[858] يو١٧: ١١



فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي»[859]. وبعد ذلك فهؤلاء الرجال الخادعون، كأنهم قد وجدوا حجة يستندون عليها يضيفون ويقولون [إن كنا نصير نحن واحدًا في الآب، هكذا أيضًا يكون الابن واحدًا مع الآب، وهكذا أيضًا يكون هو في الآب، فكيف تستنتجون أنتم من قوله «أنا والآب واحد»، و «أنا في الآب والآب فيّ» أن الابن هو من ذات جوهر الآب ومساوٍ له؟ وهذا يتطلّب إما أن نكون نحن أيضًا من ذات جوهر الآب أو أن يكون هو غريب عن هذا الجوهر مثلما نحن غرباء عنه].

هكذا يثرثر هؤلاء الناس، ولكني لا أرى في كلامهم الباطل هذا سوى وقاحة غير معقولة وجنون شيطاني، حيث إنهم يقولون مثلما قال الشيطان «نصعد إلى السموات ونصير مثل العلّي»[860] لأن ما يُعطَى للإنسان بالنعمة هذا يجعلونه مساويًا لألوهة المُعطِي لأنهم إذ سمعوا أن البشر سيصيرون أبناء لله، ظنوا أنفسهم مساويين للابن الحقيقي بالطبيعة والآن أيضًا إذ يسمعون من المخلّص قوله: «لكي يكونوا واحدًا، كما نحن»، يخدعون أنفسهم وتصل بهم الوقاحة لدرجة أنهم يظنون أنهم سيوجدون مثلما الابن هو كائن في الآب والآب في الابن، غير معتبرين بسقوط أبيهم الشيطان، الذي سقط نتيجة لمثل هذا التخيّل والخداع.

١٨ـ فإن كان كلمة الله ـ كما قلنا مرّات عديدة ـ هو مثلنا ولا يختلف عنا في شئ سوى في الزمن، فهو يكون مساويًا لنا وله نفس الوضع الذي لنا عند الآب ولا ينبغي عندئذٍ أن يدعى الابن الوحيد ولا الكلمة الوحيد ولا كلمة الآب الوحيد، بل يطلق علينا جميعًا نفس الاسم بصورة مشتركة نحن الذين نماثله، لأنه من الصواب

---

[859] يو١٧: ٢٠ــ٢٣

[860] انظر إش١٤: ١٣ــ١٤.



أن الذين لهم طبيعة واحدة، يكون لهم نفس الاسم، حتى لو اختلفوا الواحد عن الآخر من جهة الزمن لأن آدم كان إنسانًا وبولس كان إنسانًا وكل مَنْ يولد اليوم هو إنسان، فالزمن ليس هو الذي يغيّر طبيعة الجنس البشري. إذًا فإن كان الكلمة يختلف عنَّا فقط من جهة الزمن، فعندئذٍ يجب أن نكون مثله هو. ولكن حقيقة الأمر أننا لسنا الكلمة ولا الحكمة، كما أنه هو ليس مخلوقًا ولا مصنوعًا، وبالتأكيد سيتساءلون: لماذا هو فقط من دوننا يكون هو الكلمة مع أننا جميعًا قد خُلقنا بواسطة الله الواحد؟ لكن إن كانت هذه الأمور تناسبهم لكي يتكلّموا بها، فهي لا تناسبنا لأنه لا يجب أن نفكر في تجاديفهم هذه. ومع ذلك رغم أن هذه الآيات لا تحتاج إلى توضيح إذ أن معناها واضح جدًا في إيماننا المستقيم فإننا لكي نوضّح ضلالهم هنا أيضًا في فهم هذه الآيات وعدم أرثوذكسيتهم سوف نشرحها بعد قليل وبحسب ما استلمناه من الآباء.

لقد اعتاد الكتاب المقدّس أن يستخدم ظواهر الطبيعة كصور وإيضاحات لأجل البشر وهو يفعل هذا لكي يشرح أفعال البشر الإختيارية مما يحدث في الطبيعة، وهكذا يُظهر سلوكهم إما شريرًا أو بارًا. ففي حالة ما هو شرير مثلاً يأمر قائلاً: «لاَ تَكُونُوا كَفَرَسٍ أَوْ بَغْلٍ بِلاَ فَهْمٍ ..»[٨٦١]، وعندما يلوم أولئك الذين تشبهوا بهذه الحيوانات يقول «إِنْسَانٌ فِي كَرَامَةٍ وَلاَ يَفْهَمُ يُشْبِهُ الْبَهَائِمَ الَّتِي تُبَادُ»[٨٦٢] وأيضًا يقول «صَارُوا حُصُناً مَعْلُوفَةً سَائِبَةً»[٨٦٣]. والمخلّص لكي يكشف فكر هيرودس قال «وَقُولُوا لِهَذَا الثَّعْلَبِ»[٨٦٤]. ومن الجهة الأخرى حذّر تلاميذه «هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَمٍ

---

[٨٦١] مز٣٢:٩

[٨٦٢] مز٤٩:٢٠

[٨٦٣] إر٥:٨

[٨٦٤] لو١٣:٣٢



فِي وَسَطِ ذِئَابٍ، فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَالْحَمَامِ»[٨٦٥] . وهو قال هذا لا لكي نصير بالطبيعة حيوانات، أو حيّات، أو حمام لأنه هو نفسه لم يخلقنا هكذا، والطبيعة نفسها لا تسمح بذلك، ولكن لكي نتجنّب الانفعالات الحيوانية الخاصة بأحدها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نكون واعين لمكر الحيوان الآخر لكي لا نُخدع به، ولكي نكتسب أيضًا وداعة الحمام.

١٩ ـ وأيضًا فإن المخلّص إذ يتخّذ من الأمور الإلهية نماذج يقدّمها للإنسان فإنه يقول «فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ أَيْضاً رَحِيمٌ»، «فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ»[٨٦٦]. وهو قد قال هذا ليس بالطبع لكي نصير مثل الآب، لأنه مستحيل علينا نحن المخلوقين الذين قد خُلقنا من العدم أن نصير مثل الآب. ولكن كما أنه أمرنا «لا تصيروا كالحصان» لا لئلا نكون كالحيوانات غير الناطقة، بل لكي لا نتمثل بها في نقص العقل، هكذا فقد قال «كونوا رحماء مثل الآب» لا لكي نصير مثل الله، بل لكي عندما نتطلّع إلى أعماله الصالحة فإن ما نفعله من أعمال حسنة إنما نفعله ليس لأجل الناس بل لأجله هو، حتى نأخذ مكافأتنا منه وليس من الناس.

لأنه كما أنه يوجد ابن واحد حسب الطبيعة وهو الابن الحقيقي الوحيد الجنس، هكذا نصير نحن أيضًا أبناء، لكن ليس مثله هو بالطبيعة وبالحق، بل بحسب نعمة ذاك الذي دعانا، ورغم أننا بشر من الأرض، ومع ذلك نصير آلهة ليس مثل الإله الحقيقي أو **كلمته**، بل كما قد سرّ الله الذي قد وهبنا هذه النعمة؛ هكذا أيضًا نصير رحماء مثل الله، لا بأن نصير مساويين لله ولا بأن نصير صانعي

---

[٨٦٥] مت ١٠:١٦

[٨٦٦] لو٦:٣٦، مت٥:٤٨



خيرات بالطبيعة وبالحقيقة، لأن صُنع الخير في ذاته ليس من أنفسنا بل هو من الله - بل لكي نوزع على الآخرين الخيرات الموهوبة لنا من الله بالنعمة، دون أن نفرّق بين الناس، بل مقدّمين خدمتنا الرحيمة باتساع للجميع. لأننا بهذه الطريقة وحدها وليس بأي طريقة أخرى نصير متشبّهين به، حينما نقدّم للآخرين العطايا التي ننالها منه. وكما أننا نقدم معنى واضحًا ومستقيمًا لهذه الآيات، هكذا يكون الأمر أيضًا بالنسبة للآيات التي ذَكَرتُ من يوحنا، فهو لا يقول إننا ينبغي أن نصير مثلما أن الابن هو في الآب: فمن أين يمكن أن يكون هكذا طالما الابن هو كلمة الله وحكمته، وبينما نحن قد جُبلنا من الأرض، فإن الابن هو بالطبيعة وبالجوهر هو الكلمة والإله الحقيقي. لأنه هكذا يتكلّم يوحنا: «وَنَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ اللهِ قَدْ جَاءَ وَأَعْطَانَا بَصِيرَةً لِنَعْرِفَ الْحَقَّ وَنَحْنُ فِي الْحَقِّ فِي ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ هَذَا هُوَ الإِلَهُ الْحَقُّ وَالْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» [٨٦٧].

ونحن به نصير أبناء بالتبني وبالنعمة، مشتركين في روحه، لأنه مكتوب «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ» [٨٦٨]. لذلك فهو أيضًا الحق لأنه يقول: «أَنَا هُوَ الْحَقّ» [٨٦٩]. وفي مخاطبته لأبيه قال: «قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلاَمُكَ هُوَ حَقٌّ» [٨٧٠]. أما نحن فبالتمثل به نصير فاضلين وأبناء.

٩ـ لذلك فهو لم يَقُل «لكي يكونوا واحدًا كما نحن» لكي نصير كما هو بل كما أنه هو، وهو الكلمة، هو في أبيه، هكذا نحن أيضًا ونحن متخّذين أباه مثالاً لنا ونحن ناظرون إليه، نصير واحدًا فيما بيننا في الوفاق ووحدة الروح. ولا نكون

---

[٨٦٧] ١يو٥: ٢٠

[٨٦٨] يو١: ١٢

[٨٦٩] يو١٤: ٦

[٨٧٠] يو١٧: ١٧



في اختلاف مثل الكورنثيين[٨٧١]، بل يكون لنا قلب واحد ونفس واحدة مثل أولئك الخمسة آلاف الذين ذُكِروا في سفر الأعمال[٨٧٢] والذين كانوا كواحدٍ. فنحن طبعًا لسنا أبناء كالابن، ولسنا آلهة مثله هو نفسه، ونحن لسنا مثل الآب، بل نصير «رحماء كالآب». وكما سبق أن قلنا، فإننا عندما نصير واحدًا، كما أن الآب والابن هما واحد، فنحن لن نصير واحدًا مثلما أن الآب هو في الابن بالطبيعة وكذلك الابن في الآب، بل بحسب ما يتّفق مع طبيعتنا الخاصة ومن هذا يمكننا أن نتشكّل وأن نتعلّم كيف يجب أن نصير واحدًا، مثلما تعلّمنا أيضًا أن نكون رحماء. لأن الأشياء المتماثلة هى بالطبيعة واحدة بعضها مع بعض، لأن كل ذي جسد يُولَد منه جسد من نوعه، أما الكلمة فهو مختلف عنا، ولكنه مثل الآب، ولذلك فهو واحد مع أبيه بالطبيعة والحق. وأما نحن فلأننا من جنس واحد (لأن كل البشر قد جاءوا من واحد، وطبيعة البشر جميعهم هى واحدة)، فإننا نصير واحدًا بعضنا مع بعض بالنيّة الصالحة، واضعين أمامنا مثال الوحدة الطبيعية للابن مع الآب. ولأنه كما علّمنا الوداعة بنفسه قائلاً «وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ»[٨٧٣] لا لكي نصير مساويين له، لأن هذا غير ممكن - بل بنظرنا إليه نظل دائمًا ودعاء. هكذا هنا أيضًا، فهو إذ يريد أن تكون لنا نيّة صالحة بعضنا نحو بعض وتكون أُلفتنا حقيقية وثابتة وغير مضمحلّة، فإنه يجعل لنا من نفسه مثالاً ويقول: «لكي يكونوا واحدًا، كما نحن» تلك الوحدة التي لا انفصال فيها، أى بتعلّمهم منّا تلك الطبيعة غير المنقسمة، فإنهم بنفس الطريقة يحفظون الوفاق فيما بينهم، وكما سبق أن قلنا، فإن التمثّل بالأمور الطبيعية يمكن أن

---

[٨٧١] انظر ١كو١: ١٠، ٢: ٢١.

[٨٧٢] انظر أع٤: ٤، ٣٢

[٨٧٣] مت١١: ٢٩



يتحقّق بين الناس بصورة مأمونة، حيث إنهم يظلّون بطبيعتهم غير متغيّرين، بينما سلوك الناس هو قابل للتغيّر، فيمكن للإنسان بنظره نحو غير المتغيّر بالطبيعة، أن يتجنّب ما هو رديء، وأن يعيد تشكيل نفسه على حسب الصورة الأفضل، ولهذا السبب أيضًا يكون للكلمات: «ليكونوا هم أيضًا واحد فينا» معنى مستقيم.

٢٠. فلو أنه كان من الممكن عندئذٍ أن نصير مثل الابن في الآب، لكان ينبغي أن تكون الكلمات هكذا «لكي يكونوا هم واحدًا فيك» مثلما أن الابن هو في الآب، ولكنه لم يَقُل الكلمات هكذا. بل بقوله «فينا»، أظهر المسافة والاختلاف بيننا وبين الابن إذ أنه هو وحده كائن في الآب كونه هو الكلمة الوحيد والحكمة الوحيد، ولكننا نحن موجودون في الابن وبواسطته موجودين في الآب. وبكلامه هكذا قصد هذا فقط: هكذا يمكن أن يصيروا واحدًا فيما بينهم بتمثلهم بوحدتنا، كما أننا واحد بالطبيعة وبالحق، وإلاّ فإنهم لن يستطيعوا أن يصيروا واحدًا إلاّ إذ تعلّموا من الوحدة الموجودة فينا. ويمكن أن نتعلّم أيضًا من بولس الرسول هذا المعنى الذي تعطيه كلمة «فينا» عندما نسمعه يقول «فَهَذَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ حَوَّلْتُهُ تَشْبِيهاً إِلَى نَفْسِي وَإِلَى أَبُلُّوسَ مِنْ أَجْلِكُمْ، لِكَيْ تَتَعَلَّمُوا فِينَا أَنْ لاَ تَفْتَكِرُوا فَوْقَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ»[٨٧٤]. وبالتالي فإن كلمة «فينا» لم تذكر عن كينونة الابن في الآب، بل تقدَّم مثلاً وصورة بدلاً من أن يقول «فليتعلّموا منا». لأنه كما أن بولس يقدّم مثالاً للوحدة إلى أهل كورنثوس، هكذا تكون وحدة الابن والآب هى مثال تعليم ودرس للجميع، يمكن أن يتعلّموا بواسطته عن طريق تطلّعهم إلى الوحدة الطبيعية للآب والابن ـ كيف يجب أن يصيروا فيما بينهم واحدًا في الفكر. ولكن إن كانت كلمة «فينا» تحتاج أن تفسر بمعنى آخر فيمكن عندئذٍ أن تعني

---

[٨٧٤] ١كو٤: ٦



أنه: بواسطة قوَّة الآب والابن يصيروا واحدًا ويقولون «قولاً واحدًا»[875]، لأن هذا غير ممكن بدون معونة الله. وهذا المعنى يمكننا أن نجده أيضًا في الكتاب المقدس مثل «بالله نصنع ببأس»[876] و «بك ندوس أعداءنا»[877]. فواضح إذًا أننا باسم الآب والابن نصير أشداء، ونصير واحدًا ممسكين برباط المحبة بقوَّة. وفي نفس المعنى يقول الرب «وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِداً، كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ»[878]. فهنا أيضًا لم يَقُل «لكي يكونوا فيك مثلما أنا فيك». بل قال «كما نحن» والآن هو الذي يقول «كما» لا يقصد أن يتحدّث عن وحدة الطبيعة بل يتحدّث عن صورة ومثال لما ينبغي أن يكونوا عليه.

٢١ـ إذًا فالكلمة هو في الواقع وبالحقيقة واحد مع الآب في الجوهر. أما نحن فقد أُعطِيَ لنا أن نتشبّه بهذه الطبيعة كما سبق أن قيل لأنه أضاف مباشرةً «أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ»[879]. ولذا فالرب هنا يطلب لأجلنا شيئًا أعظم وأكمل. لأنه واضح أن الكلمة قد جاء لكي يكون فينا لأنه قد لبس جسدنا. وبقوله «وأنت أيها الآب فيّ» فهو يعني «لأني أنا كَلِمَتك، وحيث إنك أنت فيّ، بسبب كوني كَلِمَتك، وأنا فيهم بسبب الجسد، ومنك يتحقق خلاص البشر فيّ، لذلك أسأل أن يصيروا هم واحدًا، بسبب الجسد الذي فيّ وبحسب كماله لكي يصيروا هم أيضًا كاملين إذ يكون لهم وحدة مع الجسد، ولأنهم قد صاروا واحدًا في هذا الجسد، فإنهم كما لو كانوا محمولين فيّ، يصيرون جميعًا جسدًا واحدًا وروحًا

---

[875] ١كو١:١٠

[876] مز٦٠:١٢س

[877] مز٤٤:٥س

[878] يو١٧:٢٢

[879] يو١٧:٢٣



واحدًا[880] لأننا جميعًا، باشتراكنا فيه، نصير جسدًا واحدًا، لأننا نحصل على الرب الواحد في أنفسنا.

وطالما أن هذه الفقرة لها هذا المعنى فإننا بذلك ندحض هرطقة أعداء المسيح بوضوح أكثر. وإني أكرر القول، إنه لو كان قد قال ببساطة وبصورة مطلقة «لكي يكونوا واحدًا فيك» أو «لكي يصيروا هم وأنا واحدًا فيك» لكان أعداء الله قد وجدوا بعض العذر رغم أنه عذر قبيح، ولكن حقيقة الأمر أنه لم يتكلّم هكذا بالمرّة بل قال «كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا»[881]. وبالإضافة إلى ذلك فإنه باستعماله لفظة «كما» فهو يشير إلى أولئك الذين يصيرون مثله كما هو في الآب ولكن عن بعد، عن بعد ليس من جهة المكان ولكن من جهة الطبيعة لأنه من جهة المكان ليس هناك شئ بعيد عن الله، لكن من جهة الطبيعة وحدها فإن كل الأشياء هى بعيدة عن الله. وكما قلت سابقًا فإن استعمال الأداة «كما» لا يعني التطابق، ولا المساواة ولكن يعني التشبّه بمثال يُنظر إليه من جهة معيّنة.

٢٢ـ وهذا ما يمكننا أن نتعلّمه أيضًا من المخلّص نفسه، حينما يقول «لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ، هَكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ»[882]. فإن يونان طبعًا لم يكن مثل المخلّص، ويونان لم ينزل إلى الجحيم، ولا الحوت كان هو الجحيم كما أن يونان حينما ابتلعه الحوت لم يُخرج أولئك الذين كان الحوت قد سبق وابتلعهم قَبْلَه، بل هو وحده الذي خرج من الحوت حينما قذفه. لذلك فليس في لفظة «كما» هنا أى تطابق أو مساواة، بل

[880] أف ٤:١٣

[881] يو ١٧:٢١

[882] مت ١٢:٤٠



شيئان مختلفان، فهى توضح نوعًا من التشابه في حالة يونان من جهة الأيام الثلاثة، وبنفس الطريقة فحينما يقول الرب «كما» فإننا نحن أيضًا لا نصير كالابن في الآب ولا كالآب في الابن، لأننا نحن البشر جميعًا نصير واحدًا في الفكر واتفاق الروح مثلما أن الآب والابن واحد.

والمخلّص سيكون مثل يونان في بطن الأرض ولكن بما أن المخلّص ليس هو يونان، وليس كما أُبتلع يونان هكذا نزل المخلّص إلى الجحيم لأن الابن مختلف عن يونان، هكذا بنفس الطريقة فإن صرنا نحن أيضًا واحدًا، مثلما أن الابن هو في الآب، فسوف لا نصير مثل الابن ولن نكون مساويين له، لأن الحديث عن الابن شئ، والحديث عنَّا شئ آخر. ولهذا السبب فإن لفظة «كما» تنطبق علينا، حيث إن الأشياء التي تختلف عن بعضها في الطبيعة، يمكن أن تصير مشابهة لبعضها البعض حينما ينظر إليها من جهة علاقة معينة تربط بينها. ولذلك فالابن ذاته هو في الآب لأن لهما طبيعة بسيطة[٨٨٣]، والابن هو ابن الآب حسب الطبيعة، أما نحن فلسنا أبناء للآب حسب الطبيعة. ولهذا فالأمر قد احتاج أن يكون أمامنا نحن البشر مثال كي نكون واحدًا ولهذا قال عنا «كما أنك أنت فيّ وأنا فيك». وكأنه يقول «وحينما يصيرون كاملين هكذا حينئذٍ يَعرِفُ العالم أنك أنت أرسلتني» لأنني لو لم أكن قد جئت ولبست جسدهم، لما استطاع أحد منهم أن يصير كاملاً، بل لَظَلَ الجميع في الفساد. أيها الآب اعمل إذًا فيهم، وكما أعطيتني أن ألبس هذا الجسد إعط روحك لهم، لكي يصيروا هم أيضًا بالروح، واحدًا وأن يصيروا

---

[٨٨٣] تعبير أن الطبيعة الإلهية هى طبيعة بسيطة تعني أنها طبيعة واحدة غير منقسمة، أى أنه ليس للآب نصف الطبيعة الإلهية وللابن النصف الآخر، بل أن لهما نفس الطبيعة الإلهية الواحدة أو كما يقول القداس الإلهي عندما يتحدّث عن الروح القدس مشدّدًا على طبيعته الإلهية وعمله فينا بكونه هو أحد أقانيم الثالوث القدوس ذو الطبيعة الإلهية الواحدة فيقول «البسيط في طبيعته .....».



مكمّلين في. لأن تكميلهم يدّل على أن كلمتك قد سَكَنَ بينهم، وعندما يراهم العالم كاملين وحاملين لله، فسوف يؤمن أنك أنت أرسلتني وأني أنا قد جئت هنا ـ لأنه من أين يأتيهم الكمال لو لم أكن أنا كلمتك قد أخذت جسدهم، وصرت إنسانًا، وقد أكملت الذي أعطيتني إياه أيها الآب إلى النهاية؟ قد اكتمل العمل، لأن البشر، وقد أُفتُدوا من الخطية لا يبقون أمواتًا بعد. بل إذ يتألهون[٨٨٤] فإنهم بنظرهم إليّ يصير لهم رباط المحبة فيما بينهم.

٢٣ـ ونحن إذ قد تكلّمنا كثيرًا محاولين شرح كلمات هذه الفقرة، فإن يوحنا المبارك في رسالته أظهر معنى هذه الفقرة بكلمات قليلة وأكثر كمالاً من كلماتنا، فهو يُظهر خطأ فهم أولئك الجاحدين، ويعلّمنا كيف أن الابن يختلف عنا في الطبيعة، وبذلك يوقف الآريوسيين عن التفكير في أنهم سيصيرون كالابن، لئلا يسمعوا القول «وَأَنْتَ إِنْسَانٌ لاَ إِلَهٌ»[٨٨٥] ، «لا تقس نفسك بإنسان غني وأنت فقير»[٨٨٦] . فيوحنا يكتب هكذا «بِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا نَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِينَا أَنَّهُ قَدْ أَعْطَانَا مِنْ رُوحِهِ»[٨٨٧] . لذلك، فبسبب نعمة الروح الذي أُعطيَ لنا نصير نحن فيه وهو فينا. وحيث إن روح الله فينا لذلك فبواسطة سكناه فينا وبسبب حصولنا على الروح نُحسب أننا في الله وهكذا يكون الله فينا.

إذًا نحن لا نصير في الآب مثلما أن الابن كائن في الآب، لأن الابن ليس كائنًا في الآب بمجرد اشتراكه في الروح ولا هو ينال الروح بل بالحري هو نفسه الذي يَهِبُ الروح للجميع وليس الروح هو الذي يوّحد الكلمة مع الآب بل بالحري فإن الروح

---

[٨٨٤] هذا التعبير عند الآباء لا يعني أن الإنسان يصير بطبيعته إلهًا، بل يعني أنه يشترك في الحياة الإلهية، حياة البر والقداسة.

[٨٨٥] حز٢٨:٢

[٨٨٦] أم٢٣:٤س

[٨٨٧] ١يو٤:١٣



يأخذ من الكلمة. والابن كائن في الآب، كونه هو كلمته الذاتي وشعاعه، أما نحن فبدون الروح القدس فإننا نكون غرباء عن الله، وعن طريق اشتراكنا في الروح نصير أقرباء لله حتى أن وجودنا في الآب هو ليس منّا، بل هو خاص بالروح الموجود فينا والذي يسكن فينا، ونحن نحتفظ به في داخلنا عن طريق الإقرار كما يقول يوحنا «مَنِ اعْتَرَفَ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللهِ، فَاللهُ يَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِي اللهِ»[888].

إذًا فما هى المشابهة وما هى المساواة التي لنا مع الابن؟ بل إن آراء الآريوسيين تُدحض من كل ناحية وخاصةً بكلمات يوحنا، أن الابن هو في الآب بطريقة، أما نحن فنصير في الآب بطريقة أخرى. وأننا لن نصير مثل الكلمة أبدًا، ولا الكلمة سيصير مثلنا، إلاّ إذا تجاسروا كما يفعلون عادة ـ فقالوا إن الابن باشتراكه في الروح وبتقدّمه في الفضيلة صار هو نفسه في الآب. ولكن حتى مجرَّد قبول هذا الفكر هو كُفر شديد لأن الكلمة ـ كما سبق أن قيل ـ هو الذي يُعطي الروح، وكل ما هو للروح قد أخذه من الكلمة.

٢٤ـ إذًا فعندما يقول المخلّص « كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا » فهو لا يعني بهذا أنه سوف يصير لنا تطابق معه. لأن هذا قد أوضحه في مثال يونان، ولكن كلامه هذا هو طلب إلى الآب لكي يَهِبُ الروح بواسطته للذين يؤمنون به، والذي به نصير في الله، كما كتب يوحنا وبهذا نكون متحدين فيه. وحيث إن الكلمة هو في الآب، والروح يُعطَى من الكلمة فهو يريد أن ننال نحن الروح، لكي عندما نناله يصير لنا روح الكلمة الذي هو في الآب، وبسبب الروح سوف نتمجَّد نحن أيضًا ونصير واحدًا في الكلمة، ومن خلاله في الآب. وعندما يقول «كما نحن» فهو لا يعني شيئًا آخر سوى أن يسأل أن تصير نعمة الروح

---

[888] ١يو٤: ١٥



المعطاة للتلاميذ ثابتة بلا تزعزع، لأن ما هو للكلمة بالطبيعة في الآب ـ كما قلت سابقًا ـ يريد أن يعطيه لنا بواسطة الروح بلا رجعة. وهذا ما عرفه الرسول، فقال «مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ»[٨٨٩]. لأن «هِبَاتِ اللهِ وَدَعْوَتَهُ هِيَ بِلاَ نَدَامَةٍ»[٨٩٠]. إذًا فالروح هو الكائن في الله ولسنا نحن بذواتنا، ولكن حيث إننا نصير أبناء وآلهة بسبب الكلمة الذي فينا هكذا أيضًا سنصير في الابن وفي الآب، وسوف نحسب أننا صرنا واحدًا في الابن وفي الآب، بسبب وجود ذلك الروح فينا نحن وهو الروح الذي يكون في الكلمة الكائن في الآب، إذًا حينما يسقط إنسان من الروح بسبب شر ما فإنه عندما يتوب ويرجع عن سقطته فالنعمة تظّل مستمرة بلا ندامة في أولئك الذين يريدونها. وإلاّ فإن مَن سقط لا يعود الله ساكنًا فيه (بسبب أن الروح القدس الباراقليط الذي هو في الله قد هجر هذا الإنسان)، ولكن ذلك الخاطئ يصير في ذلك (الروح الشرير) الذي أخضع نفسه له كما حدث في حالة شاول لأن روح الله فارقه، وبغتته روح رديء[٨٩١]. وعندما يسمع أعداء الله هذا الكلام فيجب عليهم أن يخجلوا ولا يعودوا يساوون أنفسهم بالله، ولكنهم لا يفهمون لأن «الشِّرِّيرُ فَلاَ يَفْهَمُ مَعْرِفَةً»[٨٩٢]، ولا يحتملون كلمات التقوى بل يجدونها ثقيلة على مسامعهم.

---

[٨٨٩] رو٨:٣٥

[٨٩٠] رو١١:٢٩

[٨٩١] ١صم١٦:١٤

[٨٩٢] أم ٢٩:٧

الفصل السادس والعشرون

مقدمة لشرح آيات من الأناجيل
عن التجسُّد

٢٦- انظر إنهم لا يملّون من تكرار كلمات الكفر، بل إذ قد تقّسوا مثل فرعون فإنهم حينما يستمعون إلى ما يشير إلى صفات المخلّص البشريّة ويرونه مدوّنًا في الأناجيل أن الابن هو إله كامل مثل الآب، فإنهم يتناسون تماما مثل بولس الساموسطى[٨٩٣]، وبوقاحة لسان يجعجعون قائلين: [كيف يمكن أن يكون الابن من الآب بالطبيعة، ويكون واحدًا معه في الجوهر؟ وهو الذي يقول «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ»[٨٩٤] و «الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَداً بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ»[٨٩٥]، «الآب يحب الابن وقد دفع كل شئ في يده، الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية»[٨٩٦]. وأيضًا «وَالْتَفَتَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ الابْنُ إِلاَّ الآبُ، وَلاَ مَنْ هُوَ الآبُ إِلاَّ الابْنُ، وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ»[٨٩٧]، وأيضًا «كُلُّ مَا يُعْطِينِي الآبُ فَإِلَيَّ يُقْبِل»[٨٩٨]. إنهم يعلّقون على هذه الآيات ويقولون: [لو كان الابن

---

[٨٩٣] بولس الساموساطي: كان أسقفًا لأنطاكية في القرن الثالث. علّم تعاليمًا خاطئة عن شخص المسيح له المجد، وقال إن الكلمة قد حلّ على طبيعة المسيح البشرية مثل حلول الروح علي شخص عادي وبالتالي فإن المسيح لا يختلف عن أي نبي آخر سوى في الدرجة وكانت تعاليمه هذه أساس لما علّم به نسطور فيما بعد ولقد أدانت ثلاث مجامع في انطاكية تعاليم الساموساطي وعزل عن كرسيه في عام ٢٦٨م.

[٨٩٤] مت٢٨: ١٨.

[٨٩٥] يو٥: ٢٢.

[٨٩٦] يو٣: ٣٥.

[٨٩٧] لو١٠: ٢٢.

[٨٩٨] يو٦: ٣٧.



كما تقولون، ابنًا بالطبيعة، لما كان في احتياج أن يأخذ، بل كل شئ يكون له بالطبيعة كابن، أو كيف يكون هو القوّة الطبيعية والحقيقية للآب وهو في وقت الآلام قال «اَلآنَ نَفْسِي قَدِ اضْطَرَبَتْ. وَمَاذَا أَقُولُ؟ أَيُّهَا الآبُ نَجِّنِي مِنْ هَذِهِ السَّاعَةِ. وَلَكِنْ لأَجْلِ هَذَا أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ السَّاعَةِ. أَيُّهَا الآبُ مَجِّدِ اسْمَكَ. فَجَاءَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ: مَجَّدْتُ وَأُمَجِّدُ أَيْضاً»[899]. وأيضًا قال كلمات مشابهة في مرّة أخرى «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ»[900] وعندما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد وقال «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِداً مِنْكُمْ سَيُسَلِّمُنِي»[901]]. وبالإضافة إلى كل هذا، يتساءل هؤلاء الأغبياء قائلين: [لو كان هو القوّة لما كان قد ضَعُفَ، بل لكان قد أعطى قوّة لآخرين بالأحرى، ويضيفون قائلين لو كان هو حكمة الآب الحقيقية والذاتية، فلماذا كُتِب عنه: «وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ»[902]. وبالمثل عندما جاء إلى نواحي قيصرية فيلبس سأل التلاميذ «مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا»[903]. وأيضًا حينما جاء إلى بيت عنيا سأل عن لعازر « أين دفن»[904]. وأيضًا قال لتلاميذه «كَمْ رَغِيفاً عِنْدَكُمْ»[905]]. ويقولون: [كيف إذًا يكون هو الحكمة وهو ينمو في الحكمة، وكان يجهل الأمور التي كان يسأل عنها الآخرين؟ ويقولون أيضًا: كيف يمكن أن يكون هو كلمة الآب الذاتي الذي بدونه لم يكن الآب أبدًا والذي به يخلق

---

[899] يو١٢: ٢٧ـــ٢٨.

[900] مت٢٦: ٣٩.

[901] يو١٣: ٢١.

[902] لو٢: ٥٢.

[903] مت١٦: ١٣.

[904] انظر يو١١: ١٨.

[905] مر٦: ٣٨.



الآب كل الأشياء كما تعتقدون أنتم، وهو الذي قال على الصليب «إلهي إلهي لماذا تركتني». وقبل ذلك صلى قائلاً «مجد اسمك»[٩٠٦] وأيضًا «وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ»[٩٠٧]. واعتاد أن يصلي في البراري وأوصى تلاميذه أن يصلوا لئلا يدخلوا في تجربة، بل وقال لهم «أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ، وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ»[٩٠٨]. وأيضًا «وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الابْنُ»[٩٠٩]].

وبالإضافة إلى هذا فإن هؤلاء التعساء يدّعون أيضًا ويقولون: [لو كان الابن بحسب رأيكم هو موجود أزليًا مع الله لما كان قد جَهِلَ ذلك اليوم بل لكان قد عرفه باعتباره أنه هو الكلمة، ولما كان قد تركه ذلك الذي هو كائن معه، ولما كان قد سأل أن ينال المجد طالما أن له هذا المجد مع الآب، ولما كان قد سأل أين ينال المجد طالما أن له هذا المجد مع الآب، ولما كان قد صلى على الإطلاق إذ أن الكلمة ليس في احتياج إلى أى شئ، ولكن حيث إنه مخلوق وواحد من الموجودات لذلك تكلّم هكذا وكان محتاجًا إلى ما لم يكن عنده، لأنه معروف عن المخلوقات أنها تسأل الأشياء التي لا تملكها، وتحتاج إليها].

٢٧ـ هذه هى الأشياء التي يدّعي بها الجاحدون في أحاديثهم ويتكلّمون بها، ولكن طالما هم يفكرون هكذا فكان يمكنهم أن يسألوا بجرأة أكثر قائلين [«لماذا صار الكلمة جسدًا على الإطلاق»؟ ويمكن أن يضيفوا أيضًا «كيف يمكن وهو الله، أن يصير إنسانًا» ؟] أو [كيف يمكن لمن لا جسد له أن يلبس جسدًا؟ أو

---

[٩٠٦] يو١٢: ٢٨.

[٩٠٧] يو١٧: ٥.

[٩٠٨] مت٢٦: ٤١.

[٩٠٩] مر١٣: ٣٢.



يمكن أن يتكلّموا بطريقة يهودية أكثر من قيافا ويسألون عمومًا، لماذا يجعل المسيح نفسه إلهًا وهو إنسان؟] لأن أقوالاً مثل هذه وغيرها قد قالها اليهود وتذمّروا عليه. والآن فإن الآريوسيين حينما يقرأونها هم أيضًا لا يؤمنون، وقد سقطوا في التجاديف، والآن فمن يمتحن أقوال هؤلاء وأولئك فبالتأكيد سيجد أن كليهما يتفقان في عدم الإيمان ويتساويان في كفرهما وفي جرأتهما ضدنا ويشتركان معًا في محاربتهما لنا، لأن اليهود يقولون «كيف يمكن وهو إنسان أن يكون إلهًا»؟[910]. أما الآريوسيون فيقولون [لو كان إلهًا حقيقيًا من إله، فكيف يمكن أن يصير إنسانًا؟] واليهود عثروا عندئذٍ واستهزءوا قائلين «لو كان ابن الله، لما كان قد قبل الصليب»؟ والآريوسيون يتفقون مع اليهود ويهاجموننا ويقولون: [كيف تتجاسرون أن تقولوا إن الذي هو الكلمة الذاتي من جوهر الآب، هو الذي أخذ جسدًا، واحتمل كل هذا ؟] وأيضًا، فبينما حاول اليهود أن يقتلوا الرب لأنه قال إن الله أبوه، وجعل نفسه معادلاً لله، وإنه يعمل الأعمال التي يعملها الآب؛ فإن الآريوسيين أيضًا ليس فقط تعلّموا أن ينكروا أن الكلمة مساوي لله وأن الله هو الآب الطبيعي للكلمة، بل هم أيضًا يحاولون أن يقتلوا مَن يؤمنون بهذا. وبينما يقول اليهود «أَلَيْسَ هَذَا هُوَ يَسُوعَ بْنَ يُوسُفَ الَّذِي نَحْنُ عَارِفُونَ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ؟»[911] فكيف يقول إذًا «قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِن»[912] و «إِنِّي نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ؟»[913]، فالآريوسيون بدورهم يجيبون بنفس الأقوال ويقولون: [كيف يمكن أن الذي ينام ويبكي ويطلب أن يعرف كإنسان، يكون هو الكلمة أو هو الله؟ ولهذا فالفريقان فقدا صوابهما وأنكرا

---

[910] انظر يو ١٠:٣٣.

[911] يو٦:٤٢.

[912] يو٨:٥٨.

[913] يو٦:٤٢.



أزليَّة الكلمة وألوهيته متعلّلين بتلك الصفات البشريّة التي نسبها المخلّص لنفسه بسبب الجسد الذي لبسه.

٢٨ـ إذًا طالما أن هذا الضلال هو يهودي، ويوصف هكذا نسبة إلى يهوذا الخائن، فدعهم إذًا يعترفون صراحةً أنهم تلاميذ قيافا وهيرودس، بدلاً من أن يُلبِسوا اليهودية اسم المسيحية، ولينكروا تمامًا كما سبق أن قلنا حضور المخلّص في الجسد. لأن هذا الإنكار أقرب إلى بدعتهم. أو إن كانوا يخافون أن يختتنوا ويتهوّدوا علنًا بسبب خضوعهم للملك قسطنطيوس، ولأجل أولئك الذين خُدِعوا منهم، إذًا فدعهم لا يقولون ما يقوله اليهود، لأنهم إن تخلّوا عن الاسم فيلزمهم عن حق أن يرفضوا العقيدة المرتبطة بالاسم. لأننا نحن مسيحيون. أيها الآريوسيون ـ نعم نحن مسيحيون ونحن نتميّز بأننا نعرف جيدًا ما تقوله الأناجيل عن المخلّص ونحن لا نرجمه مع اليهود عندما نسمع عن ألوهيته وأزليته، كما أننا لا نعثر معكم، في الكلمات المتواضعة التي قالها من أجلنا كإنسان. إذًا فإن أردتم أن تصيروا مسيحيين فارفضوا جنون آريوس، وآذانكم التي تلوثت بكلمات التجديف طهّروها بكلمات التقوى، عالمين أنه بمجرَّد توقفكم عن أن تكونوا آريوسيين فإنكم ستكفون أيضًا عن خبث اليهود المعاصرين. وعندئذٍ سيشرق عليكم نور الحق ويخرجكم من الظلمة، ولن تعودوا عندئذٍ تعيّروننا باعتقادنا بوجود اثنين أزليين. بل ستعترفون أنتم أنفسكم أن الرب هو ابن الله، الحقيقي بالطبيعة وليس مجرَّد أنه أزلي، بل وتعترفون أنه كائن في الآب، ومع الآب أزليًا لأن هناك موجودات تسمى أزلية، وهو صانعها لأنه مكتوب في المزمور ٢٣:٧س «ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم، وارتفعي أيتها الأبواب الدهرية»، فمن الواضح أن هذه الأبواب (الدهرية = الأزلية) قد صُنِعَت بواسطته. ولكن إن كان هو خالق حتى الأشياء الدهرية فمَن منَّا يمكنه عندئذٍ أن يشك في أنه هو سابق على تلك الأشياء الدهرية؟ وبالتالي يتبرهن أنه الرب، ليس من كونه أزليًا فقط بل ولكونه ابن الله. وكإبن هو غير



منفصل عن الآب ولم يكن هناك زمن ما لم يكن فيه موجودًا، بل كان كائنًا على الدوام، ولأنه صورة الآب وشعاعه، فَلَهُ أزليّة الآب.

والآن فما قلناه أعلاه باختصار يكفي لكي يبرهن على سوء فهمهم للآيات التي تعلّلوا بها وأن ما يتعلّلون به الآن من الأناجيل يعطونه بالتأكيد تفسيرًا غير صحيح، ويمكننا أن نرى هذا بسهولة إذا وضعنا أمامنا كهدف ذلك الإيمان الذي نمسك به نحن المسيحيون وأن نستخدمه كقاعدة كما يعلّمنا الرسول في قراءة الكتب الموحى بها[914]. لأن أعداء المسيح بسبب جهلهم لهذا الهدف، قد ضلّوا عن طريق الحق، واصطدموا بحجر الصدمة[915]، معتقدين في أمور لا ينبغي أن يؤمنوا بها.

٢٩ـ والآن فإن هدف الكتاب المقدس وميزته الخاصة كما قلنا مرارًا هو أنه يحوي إعلانًا مزدوجًا عن المخلّص: أى أنه كان دائمًا إلهًا وأنه الابن إذ هو كلمة الآب وشعاعه وحكمته، ثم بعد ذلك اتخّذ من أجلنا جسدًا من العذراء مريم والدة الإله، وصار إنسانًا. وهذا الهدف نجده في كل الكتب الموحى بها، كما قال الرب نفسه «فتشوا الكتب، وهى تشهد لي»[916]. ولكن لكي لا أُكثرْ في الكتابة بجمع كل الآيات عن هذا الموضوع فسوف أكتفي بذكرْ عيّنة من هذه الآيات. فأولاً، يقول يوحنا «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ. هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»[917]. وبعد ذلك يقول «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْداً

---

[914] انظر ٢تيمو٣:١٦.

[915] انظر رو٩:٣٣.

[916] انظر يو٥:٣٩.

[917] يو١:١ـــ٣.



كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً»[918]. ثم يكتب بولس «الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ، لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ، مَوْتَ الصَّلِيبِ»[919].

ويمكن لأي إنسان أن يبتدئ بهذه الآيات ويجتاز خلال كل الكتاب وسوف يرى كيف أن الآب قال في البدء «لِيَكُنْ نُورٌ»[920]، و «لِيَكُنْ جَلَدٌ »[921] و «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ »[922]، ولكن في ملء الأزمنة أرسل ابنه إلى العالم، «لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللَّهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ»[923]. وكما كُتب «هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللَّهُ مَعَنَا»[924].

٣٠. إذًا فمَن يقرأ الكتاب المقدس، سيعرف هذه الآيات من كُتُبْ العهد القديم، ومن الأناجيل أيضًا وسيُدرك أن الرب صار إنسانًا، لأن الكتاب يقول «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا»[925]. والكلمة صار إنسانًا، ولم يأت إلى داخل إنسان، لأن هذا ضروري أن نعرفه، لئلا يضل هؤلاء الناس عديمي التقوى ومن ثَمَ يخدعون الآخرين بهذا الضلال ظانين أنه كما اعتاد الكلمة أن يأتي إلى

---

[918] يو١:١٤.

[919] في ٢: ٦ــ٨

[920] تك١:٣.

[921] تك١:٦.

[922] تك١:٢٦.

[923] يو٣:١٧.

[924] مت١:٢٣.

[925] يو١:١٤.



القديسين في العهد القديم، هكذا يأتي الآن أيضًا في إنسان ويقدّسه ويظهر بواسطته كما أَظهَرَ نفسه في السابقين، لأنه لو كان الأمر كذلك، وأنه ظهر فقط في إنسان، لما كان هذا أمرًا غريبًا، ولما تعجب أولئك الذين رآوه قائلين «مِنْ أَيْنَ أَنْتَ»؟[926] و «وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلَهاً»[927] لأنهم قد اعتادوا على مجيء كلمة الله إلى الأنبياء من الكلمات التي تقول «صارت كلمة الرب» إلى هذا أو ذاك من الأنبياء. ولكن الآن، حيث إن كلمة الله، الذي به كان كل شئ، قبل أن يصير ابن الإنسان، ووضع نفسه، آخذًا صورة عبد، لذلك صار صليب المسيح لليهود عثرة أما لنا نحن، فالمسيح هو قوّة الله وحكمة الله[928].

لأنه كما قال يوحنا «الكلمة صار جسدًا». فمن عادة الكتاب أن يدعو الإنسان بلفظة جسد، كما يقول بيوئيل النبي «أسكب روحي على كل جسد»[929] وكما قال دانيال إلى أستياجيس «لست أعبد الأصنام المصنوعة بالأيدي بل الإله الحيّ الذي خلق السماء والأرض، وله سلطان على كل جسد»[930]. فكل من دانيال ويوئيل يدعو جنس البشر جسدًا.

٣١ـ ومنذ القديم صار هذا مع كل واحد من القديسين لكي يقدّس أولئك الذين يقبلونه بأمانة، ولكن حينما وُلد أولئك الأنبياء، لم يَقُل عندئذٍ أنه الكلمة صار جسدًا، ولا حينما تألموا قيل أنه هو نفسه قد تألم. ولكن حينما جاء بيننا من مريم العذراء في نهاية الأزمنة لأجل إبطال الخطية، لأنه هكذا سُرّ الآب أن يرسل

---

[926] انظر يو٩:١٩.

[927] يو١٠:٣٣.

[928] انظر ١كو١:٢٤.

[929] يوئيل ٣:٤.

[930] تتمة دانيال ٥.



ابنه الذاتي «مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ»[٩٣١] ؛ عندئذٍ قيل إنه أخذ جسدًا وصار إنسانًا، وبهذا الجسد تألّم لأجلنا كما يقول بطرس «فَإِذْ قَدْ تَأَلَّمَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا بِالْجَسَدِ»[٩٣٢]، لكي يقبل الكّل ويؤمنوا أنه كان إلهًا على الدوام، وقد قدّس أولئك الذين أتى إليهم، ورتّب كل الأشياء حسب مشيئة الآب، وفيما بعد صار لأجلنا إنسانًا، وكما يقول الرسول «اللاهوت حلّ في الجسد»[٩٣٣]، وهذا يساوي القول «إنه هو الله، له جسده الخاص به، وقد صار إنسانًا لأجلنا مستخدمًا هذا الجسد كأداة».

وبناء على هذا فقد قيل عن خواص الجسد أنها خاصة به حيث إنه كان في الجسد، وذلك مثل أن يجوع، وأن يعطش، وأن يتألم، وأن يتعب، وما شابهها من الأمور المختصّة بالجسد، بينما من الناحية الأخرى فإن الأعمال الخاصة بالكلمة ذاته مثل إقامة الموتى، وإعادة البصر إلى العميان، وشفاء المرأة نازفة الدم، قد فعلها بواسطة جسده، والكلمة حمل ضعفات الجسد كما لو كانت له، لأن الجسد كان جسده، والجسد خَدَمَ أعمال اللاهوت، لأن اللاهوت كان في الجسد ولأن الجسد كان جسد الله. وحسنًا قال النبي «حملها»[٩٣٤] ولم يقل إنه «شفى ضعفاتنا» لئلا إذ تكون هذه الضعفات خارج جسده هو، وهو يشفيها فقط ـ كما كان يفعل دائمًا فإنه يترك البشر خاضعين للموت، ولكنه حمل ضعفاتنا، وحمل هو نفسه خطايانا، لكي يتضّح أنه قد صار إنسانًا لأجلنا، وأن الجسد الذي حَمَلَ الضعفات، هو جسده الخاص، وبينما هو نفسه لم يصبه ضرر أبدًا «حمله خطايانا

---

[٩٣١] غلا٤:٤.

[٩٣٢] ١بط٤:١.

[٩٣٣] كو٢:٩.

[٩٣٤] إش٥٣:٤، مت٨:١٧.



في جسده على الخشبة» كما قال بطرس[٩٣٥] فإننا نحن البشر قد افتدينا من أوجاعنا وامتلأنا ببر الكلمة.

٣٢. وتبعًا لذلك فعندما تألّم الجسد، لم يكن الكلمة خارجًا عنه، ولهذا السبب يقال إن الآلام خاصة بالكلمة، وعندما عمل أعمال الآب لاهوتيًا، لم يكن الجسد خارجًا عنه، لكن الرب عمل هذه الأعمال في هذا الجسد نفسه، لهذا فحينما صار إنسانًا، قال «إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالَ أَبِي فلاَ تُؤْمِنُوا بِي. وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ، فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالأَعْمَالِ لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ»[٩٣٦]. ولذلك فحينما كان هناك احتياج لإقامة حماة بطرس التي كانت مريضة بالحمى، فإنه مدّ يده إليها بشريًا ولكنه أوقف المرض إلهيًا[٩٣٧] وفي حالة الإنسان المولود أعمى فإن تَفْل البصاق كان من الجسد ولكن فتّح عين الأعمى بالطين إلهيًا. وفي حالة لعازر، فلكونه إنسانًا فقد دعاه بصوته البشري ولكونه في نفس الوقت إلهًا فقد أقامه من الأموات. وهذه الأمور حدثت هكذا وظهرت هكذا لأنه كان قد اتخّذ لنفسه جسدًا حقيقيًا وليس خياليًا[٩٣٨]، ولذا كان يليق بالرب بأخذِه جسدًا بشريًا أن يكون لهذا الجسد كل الخواص التي للجسد، حتى كما نقول إن الجسد كان جسده هكذا أيضًا نقول إن آلام الجسد كانت خاصة به أي بالكلمة رغم أنها لم تمسه بحسب لاهوته. فلو كان الجسد هو جسد خاص بآخر غيره لكانت الآلام قد نُسِبَت لهذا الآخر أيضًا، ولكن إن كان الجسد هو جسد

---

[٩٣٥] ١بط٢:٢٤.

[٩٣٦] يو١٠:٣٧—٣٨.

[٩٣٧] انظر مت٨:١٤.

[٩٣٨] هنا يرد ق. أثناسيوس أيضًا على بدعة الخياليين التي أنكرت أن التجسد كان حقيقيًا، وعلّمت بأن **الكلمة** في تجسّده قد اتخذ جسدًا خياليًا. ولقد حارب ق. يوحنا هذه البدعة في رسالته الأولى ٤:٣.



الكلمة «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً»[939] فبالضرورة إذًا أن تُنسَب آلام الجسد أيضًا للذي له هذا الجسد[940]. والذي تنسب له هذه الآلام مثل المحاكمة، والجلد والعطش والصلب، والموت وضعفات الجسد الأخرى، فلابد أن تنسب له بالأحرى النصرة والنعمة.

لهذا السبب إذ كان ضروريًا وملائمًا أن لا تُنسب مثل هذه الآلام لآخر بل للرب، حتى تكون النعمة أيضًا منه ولا نصير نحن عابدين لآخر، بل تكون عبادتنا لله حقًا، لأننا لا ندعو مخلوقًا من المخلوقات، ولا إنسانًا عاديًا، بل ندعو الابن الحقيقي والذي هو الله حسب طبيعته، الذي صار إنسانًا وهو في نفس الوقت الرب والإله المخلّص.

٣٣ـ فمَنْ الذي لا يُعجَب بهذا الكلام؟ أو مَن هو الذي لا يوافق أن هذا الأمر هو إلهي بالحقيقة؟[941] لأنه لو كانت أعمال ألوهية الكلمة لم تحدث بالجسد، لما كان الإنسان قد تأله[942]، وأيضًا لو أن الضعفات الخاصة بالجسد لم تنسب للكلمة، لما كان الإنسان قد تحرّر منها تمامًا. وحتى لو أنها كانت قد توقّفت لفترة قليلة كما قلت سابقًا[943] لظلّت الخطية وظلّ الفساد باقيان في الإنسان، كما

---

[939] يو ١:١٤.

[940] تضع الكنيسة هذه التعاليم العقائدية الهامة أمامنا في صلوات الساعة السادسة عندما نتضرّع لله الكلمة الابن المتجسد والرب يسوع المسيح قائلين «... اقتل أوجاعنا بآلامك المشفية المحيّة ..».

[941] يُلّخص ق. أثناسيوس في هذا الفصل نتائج هذا الأمر الإلهي الذي هو تجسد الابن الوحيد، وقد شرح في كتابه «تَجَسُّد الكَلِمَة» بالتفصيل ما نالته البشرية بظهور الله الكلمة في الجسد. انظر كتاب «تَجَسُّد الكَلِمَة» ترجمة د. جوزيف موريس فلتس، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، الفصول ٦ـــ٣٢.

[942] انظر هامش رقم ٢٧ ص٥٠.

[943] انظر المقالة الثانية ضد الآريوسيين، ترجمة أ. صموئيل كامل، ود. نصحي عبد الشهيد، إصدار مركز دراسات الآباء ١٩٨٧. فقرة ٦٥، فقرة ٨٦ .



كان الحال مع الجنس البشري قبل التجسُّد. ولهذا فهناك أمثلة لكثيرين قد تقدّسوا وتطهّروا من كل خطية مثل إرميا الذي تقدّس من الرحم[944] ويوحنا الذي وهو لا يزال جنينًا في البطن ارتكض بابتهاج عند سماع صوت مريم والدة الإله[945]. ومع ذلك فقد «مَلَكَ الْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى، وَذَلِكَ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يُخْطِئُوا عَلَى شِبْهِ تَعَدِّي آدَمَ»[946]، وهكذا ظلّ البشر مائتين وقابلين للفساد كما كانوا، ومعرّضين للأوجاع الخاصة بطبيعتهم، أما الآن فإذ صار الكلمة إنسانًا وجعل الأمور الخاصة بالجسد خاصة به، فلم تَعُد تلك الأمور تمسك بالجسد بسبب الكلمة الذي قد جاء في الجسد، فقد انهزمت الأوجاع بواسطته ومنذ ذلك الحين فصاعدًا لم يبقَ الناس بعد خطاة وأمواتًا بحسب أوجاعهم بل قد قاموا بقوّة الكلمة، وصاروا غير مائتين وغير فاسدين وأقوياء دائمًا. ومن هنا أيضًا فبينما وُلِدَ الجسد من مريم والدة الإله، فإن الكلمة نفسه يقال إنه قد وُلِد، وهو الذي يعطي بداية الوجود للكائنات الأخرى، لكي ينقل بداية تكويننا إلى نفسه، ولكي لا نرجع فيما بعد كمجرَّد تراب إلى تراب، ولكن بارتباطنا بالكلمة الذي من السماء، فإننا نُحمَل إلى السموات بواسطته. لذلك فإنه بطريقة مماثلة قد نقل إلى نفسه أوجاع الجسد الأخرى لكي يكون لنا شركة في الحياة الأبدية - ليس كبشر فيما بعد - بل أيضًا لأننا قد صرنا خاصين بالكلمة.

لأننا لم نَعُد نموت بحسب بدايتنا الأولى في آدم، بل بسبب أن بدايتنا وكل ضعفات الجسد قد انتقلت إلى الكلمة، فنحن نقوم من الأرض، إذ أن لعنة الخطية قد أُبطلت بسبب ذاك الذي هو كائن فينا، والذي قد صار لعنة لأجلنا. وكما أننا

---

[944] انظر إر ١:٥.

[945] انظر يو ١:٤٤.

[946] رو ٥:١٤.



نحن جميعًا من الأرض وفي آدم نموت هكذا نحن إذ نُولَد من فوق من الماء والروح فإننا في المسيح نُحيا جميعًا. فلا يعود الجسد فيما بعد أرضيًا بل يكتسب قوّة بسبب كلمة الله، الذي لأجلنا صار جسدًا.

٣٤. ولكي ما نصل إلى معرفة أكثر دقة بخصوص عدم قابلية طبيعة الكلمة للتألم وبخصوص الضعفات التي نُسبت له بسبب الجسد، جيد لنا أن نستمع إلى الطوباوي بطرس لأنه شاهد موثوق فيه عن المخلّص. فهو يكتب في رسالته هكذا «فَإِذْ قَدْ تَأَلَّمَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا بِالْجَسَدِ»[٩٤٧]، لذلك أيضًا فحينما يُقال عنه، إنه يجوع، وإنه يعطش، وإنه يتعب، وإنه لا يعرف، وإنه ينام، وإنه يبكي، وإنه يسأل، وإنه يهرب، وإنه يُولَد، وإنه يتجنّب الكأس، وعمومًا إنه يحتمل كل ما يخص الجسد، فينبغي أن يقال في كل حالة من هذه الحالات إن (المسيح) عندما يجوع ويعطش فإنه يفعل هذا بالجسد لأجلنا، وعندما يُقال إنه لم يعرف وأنه لُطِم، وأنه تعب، فإنه فعل هذه بالجسد لأجلنا، وأيضًا عندما يُقال إنه صعد وإنه قد وُلِدَ وكان ينمو فإن هذا كان بالجسد، وكذلك عندما يقال إنه خاف واختبئ فإن هذا كان بالجسد، وكذلك عندما قال «إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ»[٩٤٨]. وعندما يقال إنه ضُرِب وإنه تحمّل فإن كل هذه كانت بالجسد لأجلنا. وعلى وجه العموم فكل مثل هذه الأمور قد تحمّلها بالجسد لأجلنا. ولهذا السبب قال الرسول نفسه إن المسيح عندما تألّم، لم يتألّم بلاهوته، بل «لأجلنا بالجسد»، لكي لا تعتبر هذه الآلام خاصة بطبيعة الكلمة ذاتها، بل هى خاصة بطبيعة الجسد ذاتها. لذلك لا ينبغي أن يَعثُر أحد بسبب الأمور الإنسانية، بل بالحرى فليعرف، أن الكلمة نفسه بالطبيعة هو غير قابل للتألّم، ومع ذلك فبسبب الجسد الذي اتخذه تقال عنه هذه

---

[٩٤٧] ١بط٤: ١.

[٩٤٨] مت٢٦: ٣٩.



الأمور، حيث إنها أمور خاصة بالجسد والجسد نفسه خاص بالمخلّص، فبينما هو نفسه غير قابل للتألم بالطبيعة، ويظل كما هو دون أن تؤذيه هذه الآلام، بل بالحرى إذ هو يوقفها ويلاشيها، فإن آلام البشر تتغيّر وتتلاشى في ذلك الذي هو غير متألم، وحينئذٍ يصير البشر أنفسهم غير متألمين وأحرارًا من هذه الأوجاع إلى الأبد كما علّم يوحنا قائلاً «وَتَعْلَمُونَ أَنَّ ذَاكَ أُظْهِرَ لِكَيْ يَرْفَعَ خَطَايَانَا، وَلَيْسَ فِيهِ خَطِيَّةٌ»[949]. ولأن الأمر هكذا فلا يعترض أحد من الهراطقة قائلاً: [كيف يقوم الجسد وهو بالطبيعة مائت؟ وإن قام، فلماذا لا يجوع ويعطش ويتألّم ويظلّ مائتًا؟ لأنه قد صار من التراب، فكيف يمكن أن تفارقه حالته الطبيعية]؟ عندئذٍ يستطيع الجسد الآن أن يجاوب هنا الهرطوقي المقاوم ويقول: [أنا من التراب، وبحسب الطبيعة مائت، ولكن فيما بعد قد صرت جسد الكلمة، وهو حَمَلَ أوجاعي، مع أنه هو نفسه غير متألم، هكذا صرت أنا حرًا من هذه الأوجاع ولم أعد بعد مستعبدًا لها بسبب الرب الذي قد حرّرني منها. لأنك إن كنت تعترض على تحرّري من ذلك الفساد الذي هو من طبيعتي، فانتبه أنك بهذا تعترض على أن كلمة الله قد أخذ صورة العبد الخاصة بي. لأنه كما أن الرب بلبسه الجسد قد صار إنسانًا، هكذا نحن البشر فإننا نتأله[950] بالكلمة باتحادنا به بواسطة جسده، ولهذا فنحن سنرث الحياة الأبدية].

٣٥ـ لقد وجدنا أنه من الضروري أن نبحث هذه الأمور أولاً لكي حينما نراه يعمل أو يقول ما يليق بالله بواسطة جسده، فإننا نعرف أنه يعمل هكذا لأنه هو الله، وأيضًا إذ رأيناه يتكلّم أو يتألّم إنسانيًا فإننا لا نجهل أنه باتخاذه الجسد صار إنسانًا ولذلك فهو عمل هذه الأعمال وتكلّم بهذه الكلمات. لأننا عندما نعرف ما

---

[949] ١يو٣:٥.

[950] انظر هامش ص٥٠ رقم ٢٧.



هو خاص بكل منهما (الله والإنسان)، نرى ونفهم أن هذه الأمور التي تجري من كليهما، إنما تتم بواسطة واحد[٩٥١]، فإننا نكون مستقيمين في إيماننا، ولن نضل أبدًا. أما إن كان أحد وهو ينظر إلى الأعمال التي يعملها الكلمة إلهيًا، ينكر الجسد، أو وهو ينظر إلى تلك الأمور الخاصة بالجسد، ينكر حضور الكلمة في الجسد، أو بسبب ما هو بشري يفكر أفكارًا حقيرة عن الكلمة، مثل هذا يكون كبائع خمر يخلط الخمر بالماء[٩٥٢] فيحسب الصليب عثرة أو يكون مثل اليوناني، الذي يعتبر الكرازة جهالة[٩٥٣]. هذا هو إذًا ما أصاب الآريوسيين أعداء الله، لأنهم بنظرهم إلى ما هو بشري في المخلّص قد اعتبروه مخلوقًا. لذلك كان يلزمهم أيضًا عندما ينظرون الأعمال الإلهية للكلمة أن ينكروا تجسده، وبذلك فإنهم يصنفون أنفسهم مع المانويين[٩٥٤]. فليتهم يتعلّمون ولو متأخرًا أن الكلمة صار جسدًا، أما نحن فإذ نحتفظ بهدف الإيمان، ندرك أن ما يسيئون تفسيره، له تفسير سليم.

---

[٩٥١] أي بواسطة شخص واحد، ومن هنا تتضّح هنا الأسس السليمة التي اعتمد عليها ق. كيرلس بخصوص تعليمه عن طبيعة السيد المسيح الواحدة والتي استقاها من ق. أثناسيوس الرسولي.

[٩٥٢] إش١: ٢٢.

[٩٥٣] ١كو١: ٢٣.

[٩٥٤] انظر الهامش رقم ٣١ ص١٣.

الفصل السابع والعشرون

شرح نصوص يو٣:٣٥، مت١١:٢٧

«لأن الآب يحب الابن، وقد دفع كل شئ في يده»

«كل شئ قد دفع إليّ من أبي»

(٣٥ تكملة) ـ لأن «اَلآبُ يُحِبُّ الابْنَ، وَقَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي يَدِهِ»[٩٥٥]. و «كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي»[٩٥٦]، «أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئاً. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ»[٩٥٧]، والآيات المشابهة، لا تُظهر أن الابن لم تكن له هذه الخاصيات من قَبلْ. لأنه كيف لا تكون هذه الخاصيات التي للآب، هى أزليًا لذاك الذي هو كلمة الآب الوحيد وحكمته حسب الجوهر، وهو الذي يقول أيضًا «كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي»[٩٥٨] «كُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ»[٩٥٩]؟ لأنه إن كان كل ما للآب هو للابن، والآب له كل هذه دائمًا، فمن الواضح أن كل ما هو للابن والذي هو نفسه للآب هذا كان دائمًا موجودًا في الابن. إذًا فهو لا يقول هذه الأقوال بسبب أن هذه الخاصيات لم تكن له في وقت ما، بل لأنها كانت له أزليًا من الآب.

٣٦ـ ولكي لا يضلّ أحد، عندما يرى أن الابن له كل ما للآبن بسبب المماثلة التامة ووحدة الذات التي له مع الآب، ويعتبر أن الابن هو الآب مثل ضلال

---

[٩٥٥] يو٣:٣٥.

[٩٥٦] مت١١:٢٧.

[٩٥٧] يو٥:٣٠.

[٩٥٨] يو١٦:١٥

[٩٥٩] يو١٧:١٠.



سابيليوس[960]، لذلك فقد قال «أُعطى لي»، «أَخَذتُ»، «دُفع إليّ»، لكي يُظهر أنه ليس هو الآب، بل كلمة الآب، الابن الأزلي، الذي بسبب مماثلته للآب، فإن ما له هو له أزليًا من الآب، وبسبب أنه الابن فإن له من الآب ما هو له أزليًا. لأن كلمات مثل: «أُعطى» و «دُفع» وما يشابها لا تقلّل من ألوهة الابن، بل بالحري تُظهره أنه الابن الحقيقي، وهذا ما يمكن أن نتعلّمه من هذه الآيات نفسها. ولأنه إن كانت كل الأشياء قد دُفعت له فهو أولاً: آخر مختلف عن كل تلك الأشياء التي أخذها، وثانيًا: حيث إنه هو الوارث لكل الأشياء، فهو وحده الابن الذاتي من جوهر الآب. لأنه لو كان واحدًا من بين كل الأشياء، لما كان «وارثًا لكل شئ»[961]. ولكن كل واحد يأخذ بحسب إرادة الآب وعطيته. ولكن الآن إذ هو الآخذ لكلّ الأشياء، فهو آخر مختلف عنها كلها وهو الوحيد الذي من ذات الآب. ويمكن أن نفهم أيضًا أن تعبيرات مثل: «أُعطى» و «دُفع» لا تُظهر أن هذه الأشياء لم تكن له في وقت ما. هذا ما يمكن أن نستنتجه من آية مشابهة وبطريقة مماثلة بخصوص كل الأشياء. فالمخلّص نفسه يقول: «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ كَذَلِكَ أَعْطَى الاِبْنَ أَيْضاً أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ»[962]. والآن بقوله قد «أُعطى» هو يعني أنه ليس هو الآب. ولكن بقوله «كذلك» يظهر مماثلة الابن الطبيعية والذاتية للآب، فلو أن الآب في وقت ما لم تكن له حياة، فمن الواضح أن الابن أيضًا لم تكن له حياة في وقت ما، لأنه كما يكون للآب، كذلك يكون للابن أيضًا.

ولكن إن كان من الكُفر أن يُقال هذا، فبالحري يكون من التقوى أن يقال إن الآب له « الحياة» دائمًا وعندئذٍ حينما يقول الابن «كما أن الآب له، كذلك

---

[960] انظر هامش ٧٥٨ ص٢١٣.

[961] عب١:٢.

[962] يو٥:٢٦.



أيضًا يكون للابن»، ألَّا يكون غريبًا أنهم يقولون إن «الابن ليس له كذلك» بل هو غير ذلك؟ ولكن الكلمة بالحري هو صادق وكل الأشياء التي يقول إنه قد أخذها، هي له دائمًا، وهي له من الآب.

والآب ليس من أحد، ولكن الابن هو من الآب، لأنه كما في حالة الشعاع، إن كان الشعاع نفسه يقول: «النور قد أعطاني أن أضيئ كل الأمكنة، وأنا لست أضيئ من نفسي، بل كما يريد النور «ومع هذا فبقوله هذا هو لا يعني أنه في وقت ما لم يكن يضيئ، بل هو يعني أنني خاص بالنور وكل ما للنور هو لي. هكذا، بل وأكثر من ذلك ينبغي أن نفكر عن الابن، لأن الآب إذ قد أعطى كل شئ للابن فلا يزال الآب له كل الأشياء في الابن، وطالما أن هذه الأشياء هي للابن فهي لا تزال للآب أيضًا لأن ألوهة الابن، هي ألوهة الآب، وهكذا فإن الآب يمارس أعمال عنايته بكل الأشياء في الابن.

٣٧- وإذ أن هذا هو معنى هذه الأقوال التي تتحدّث بشريًا عن المخلّص، فإن لها أيضًا معاني إيمانية ولأجل هذا الغرض قد فحصنا سابقًا هذه الأقوال، حتى إذا سمعناه يسأل أين وُضِعَ لعازر؟[٩٦٣]، أو حينما يسأل عند مجيئه إلى نواحي قيصرية «مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا»[٩٦٤]، أو عندما طلب أن يعرف قائلاً «كَمْ رَغِيفاً عِنْدَكُمْ؟»[٩٦٥]، و «مَاذَا تُرِيدَانِ أَنْ أَفْعَلَ بِكُمَا؟»[٩٦٦] ؛ يمكننا عندئذٍ أن نفهم مما سبق وقلناه، المعنى المستقيم لهذه الأقوال، ولا نعثر مثل الآريوسيين أعداء المسيح. إذًا ينبغي أولاً أن نسأل الجاحدين، لماذا يظنون أنه يجهل؟ لأن مَنْ يسأل فهو لا يسأل

---

[٩٦٣] انظر يو١١: ٣٤.

[٩٦٤] مت١٦: ١٣.

[٩٦٥] مر٦: ٣٨.

[٩٦٦] مت٢٠: ٣٢.



بالضرورة بسبب أنه يجهل، بل من الممكن أن ذلك الذي يعرف يسأل بخصوص الأمور التي يعرفها. وبالتأكيد فإن يوحنا كان يعرف أن المسيح حينما سأل فيلبس عن عدد الأرغفة لم يكن يجهل ما يسأل عنه لأنه يقول «وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِيَمْتَحِنَهُ، لأَنَّهُ هُوَ عَلِمَ مَا هُوَ مُزْمِعٌ أَنْ يَفْعَلَ»[٩٦٧]. وطالما عرف ما هو مزمع أن يفعله، لذلك فهو لا يسأل عن جهل ولكنه يسأل عن معرفة. ويمكننا من هذه الحالة أن نفهم الحالات المماثلة. إذًا فحينما يسأل الرب، أين وُضِعَ لعازر فهو لا يسأل عن جهل. ولا أيضًا يسأل عن جهل «مَنْ يقول الناس أنه هو»، وإذ هو يعرف الأمر الذي يسأل عنه، فهو يعرف ما هو مزمع أن يفعل. وهكذا بسهولة تبطل حجة أولئك. ولكن إن ظلّوا مصّرين على التمسّك بنقطة أنه يسأل، إذًا فينبغي أن نخبرهم أنه ليس هناك جهل في اللاهوت، ولكن عدم المعرفة هو من خصائص الطبيعة البشريَّة كما سبق أن قلنا. ولكي يتضّح أن هذا الأمر هو حقيقي، فلنلاحظ كيف أن الرب الذي سأل، أين وضع لعازر، هو نفسه - وهو لم يكن بعد حاضرًا في الموضع بل كان بعيدًا - قال «لِعَازَرُ مَاتَ»[٩٦٨]. وعرف المكان الذي دفن فيه. فكيف يكون ذلك الذي يعتبرونه جاهلاً، هو نفسه الذي سبق فعرف أفكار تلاميذه، وكان يعرف ما في قلب كل واحد، ويعرف ما كان في الإنسان[٩٦٩] وما هو أكثر من ذلك فهو وحده الذي يعرف الآب ويقول «أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ»[٩٧٠].

٣٨. إذًا فهذا واضح لكل واحد، أن الجسد هو الذي يجهل، أما الكلمة نفسه باعتباره الكلمة، فهو يعرف كل الأشياء حتى قبل أن توجد لأنه حينما صار إنسانًا.

---

[٩٦٧] يو٦:٦.

[٩٦٨] يو١١:١٤.

[٩٦٩] يو٢:٢٥.

[٩٧٠] يو١٤:١٠.



لم يكف عن أن يكون هو الله، ولا بسبب كونه الله، يتجنب ما هو خاص بالإنسان، حاشا بل بالحرى إذ هو الله فقد أخذ الجسد لنفسه، وبوجوده في الجسد فإنه يؤلّه الجسد[٩٧١]. وفي الحقيقة فإنه كما سأل أسئلة بالجسد هكذا أيضًا بالجسد أقام الموتى، وأظهر للكل أنه هو الذي يُحيي الموتى ويستدعي النفس مرّة ثانية، وأكثر من هذا جدًا فهو يعرف خفايا الكل، فهو عَرِفَ أين وُضِعَ لعازر، ومع ذلك سأل. وهو فعل هذا لأنه وهو كلمة الله الكلّي القداسة والذي احتمل كل الأشياء لأجلنا هكذا احتمل جهلنا، لكي يمنحنا المعرفة الخاصة بأبيه الوحيد الحقيقي، والخاصة به هو نفسه الذي أُرسِلَ لأجلنا ولأجل خلاص الجميع. ولا يمكن أن تكون هناك نعمة أعظم من هذه. إذًا فحينما يستعمل المخلّص الكلمات التي يتعلّلون بها مثل «دُفع إليّ كل سلطان»، و «مجّد ابنك»، وقول بطرس إنه قد أعطى له سلطان[٩٧٢]، فنحن نفهم كل هذه الآيات بنفس المعنى أى أنها ينبغي أن تُفهم إنسانيًا، لأنه بسبب الجسد قال كل هذا. فهو رغم أنه ليس محتاجًا، إلاّ أنه يقال عنه إن ما أخذه قد أخذه إنسانيًا، وأيضًا لكي تبقى هذه النعمة مضمونة مادام الرب نفسه قد أخذها لأن الإنسان المجرَّد حينما يأخذ، فهو معرّض لأن يفقد أيضًا كما ظهر في حالة «آدم» لأنه أخذ وفقد. ولكن لكي تبقى النعمة غير متغيّرة وغير قابلة للضياع وتظل محفوظة للبشر بشكل أكيد، لذلك فهو يمتلك العطيّة لنفسه ولهذا يقول إنه أخذ سلطانًا كإنسان، وهو السلطان الذي كان له دائمًا كإله. ويقول «مجدني»، وهو الذي يمجّد الآخرين لكي يُظهِر أن له جسدًا

---

[٩٧١] كثيرًا ما يكرر القديس أثناسيوس وغيره من آباء الكنيسة هذه العبارة، لكنهم لم يقصدوا بالطبع أن الناسوت (أى الجسد) قد تلاشى أو ذاب في اللاهوت، بل أن الجسد قد تمجّد بالمجد الإلهي.

[٩٧٢] انظر أع١٠: ٣٨.



يحتاج لهذه الأمور. إذ أنه بإتخاذه الجسد صار إنسانًا، لذلك فحينما ينال الجسد هذه الأمور يقال إنه هو نفسه ينالها لأن الجسد هو جسده.

٣٩ـ إذًا فكما قلت سابقًا (مرّات عديدة) لو أن الكلمة لم يكن قد صار إنسانًا، لكان يمكن عندئذٍ أن تنسبوا للكلمة ـ كما ترغبون أنتم ـ أنه يأخذ، وأنه يحتاج للمجد وأنه يجهل. ولكن إن كان الكلمة قد صار إنسانًا (وهو قد صار فعلاً)، وأن الأَخذْ والاحتياج، وعدم المعرفة هى خاصة بالإنسان، فلماذا نعتبر المُعطِي كأنه يأخذ والذي يهب الآخرين لماذا نظن أنه في احتياج، ولماذا نفصل الكلمة عن الآب كأنه غير كامل ومحتاج، وننزع النعمة عن الطبيعة البشرية؟ لأنه لو كان الكلمة نفسه، باعتباره الكلمة، قد أَخَذَ وتمجّد، لأجل نفسه، ولو كان هو بحسب لاهوته، هو نفسه الذي قُدّس وأُقيم ثانية، فأي رجاء يكون للبشر عندئذٍ؟ لأنهم كانوا سيظلون، كما كانوا عرايا وتعساء، ومائتين وليس لهم أى انتفاع إطلاقًا من الأمور التي أُعطيت للابن. وأيضًا لماذا جاء الكلمة بيننا وصار جسدًا؟ إن كان قد جاء لكي يأخذ هذه الأمور، التي يقول إنه قد أخذها، وأنه كان بدونها قبل ذلك، فبالضرورة كان يجب أن يكون هو نفسه مديونًا بالشكر للجسد، لأنه حينما جاء في الجسد، أخذ عندئذٍ هذه الأمور من الآب، تلك الأمور التي لم تكن له قبل مجيئه في الجسد. وعلى هذا الأساس يظهر أنه هو بالحري الذي ارتقى بسبب الجسد وليس الجسد هو الذي ارتقى بسببه. ولكن هذه الفكرة هى فكرة يهودية. ولكن إن كان الكلمة قد جاء بيننا لكي يفدي جنس البشر، وإن كان الكلمة قد صار جسدًا لكي يقدّس البشر ويؤلهم. (وهو لهذه الغاية قد جاء فعلاً). فلِمَنْ لا يكون واضحًا عندئذٍ أن ما يقول الرب إنه أخذه حينما صار جسدًا، فهو لم يأخذه لأجل نفسه، لكن لأجل الجسد، لأن العطايا المعطاة بواسطته من الآب تختص بالجسد ولقد كان متحدًا بهذا الجسد عندما نطق بهذه الأمور. إذًا دعونا نرى ما هى الأمور التي طلبها، وما هى تلك الأمور التي قال هو أنه قد أخذها، لعل



أولئك أيضًا ـ بهذه الطريقة ـ يفيقون من غفلتهم. إذًا فهو طلب المجد ومع ذلك قال «كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ»[٩٧٣]. وبعد القيامة يقول إنه «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ»[٩٧٤]. ولكن حتى قبل أن يقول، كل شئ دفع إليّ، كان هو رب كل شئ «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ»[٩٧٥] وأيضًا «وَرَبٌّ وَاحِد، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ»[٩٧٦]. وحينما طلب المجد، كان هو كما هو «رب المجد» كما يقول بولس «لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ ..»[٩٧٧]، إذ هو يملك ذلك المجد الذي طَلَبَه حينما قال «وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَم»[٩٧٨].

٤٠ـ وأيضًا السلطان الذي قال إنه أَخَذَه بعد القيامة، هذا كان له قبل أن يأخذه أي قبل القيامة، لأنه هو نفسه انتهر الشيطان قائلاً «اذْهَبْ يَا شَيْطَان»[٩٧٩] كما أنه أعطى للتلاميذ سلطانًا على الشيطان[٩٨٠]. ولذا فعند عودتهم قال «رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطاً مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ.»[٩٨١]. ويتضح أيضًا أن ما قال إنه قد أَخَذَه، هذا كان

---

[٩٧٣] لو ١٠: ٢٢.

[٩٧٤] مت ٢٨: ١٨.

[٩٧٥] يو ١: ٣.

[٩٧٦] ١كو ٨: ٦.

[٩٧٧] ١كو ٢: ١٨.

[٩٧٨] يو ١٧: ٥.

[٩٧٩] مت ٤: ١٠.

[٩٨٠] انظر لو ١٠: ١٩.

[٩٨١] لو ١٠: ١٨.



له قبل أن يأخذه، وذلك من طرده للشياطين ومن حَلِّهِ للذين ربطهم الشيطان كما فعل في حالة ابنه إبراهيم[٩٨٢].

ويتضّح أيضًا من غفرانه للخطايا بقوله للمفلوج، وللمرأة التي غسلت قدميه: «مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ»[٩٨٣]. كما يتضح أيضًا من إقامته للموتى، وإعادة البصر للمولود أعمى، واهبًا له أن يرى. وكل هذه قد فعلها لا منتظرًا أن يأخذ «سلطانًا» بل لأنه يملك السلطان. وقد صار واضحًا من كل هذا أن ما كان له بكونه هو الكلمة فهذا يقول عنه إنه أَخَذَه إنسانيًا حينما صار إنسانًا وقام من الموت. وذلك لكي يصير البشر على الأرض، عن طريقة شركاء للطبيعة الإلهية[٩٨٤]، ويكون لهم سلطان على الأرواح الشريرة. أما في السموات فإنهم يملكون إلى الأبد لأنهم قد تحرّروا من الفساد. وهكذا فينبغي أن نعرف تمامًا، أنه ليس شئ مما قال إنه أَخَذَه، قد أَخَذَه كأنه لم يكن له قبلاً. لأن الكلمة لكونه هو الله كانت له هذه الأشياء دائمًا. أما في هذه الآيات فيقال إنه قد أَخَذَ إنسانيًا، ولذلك فعندما يأخذ الجسد فيه، فإن ما أخذه يبقى مضمونًا لنا لأن ما قاله بطرس إنه «أخذ من الله كرامة .. ومجدًا ..»، «وَمَلاَئِكَةٌ وَسَلاَطِينُ وَقُوَّاتٌ مُخْضَعَةٌ لَهُ»[٩٨٥] له هذا المعنى. فإن الرب سأل بسبب كونه إنسانًا، وأقام لعازر لكونه هو الله. هكذا فإن كلمة «أخذ» تتحدّث عنه إنسانيًا، بينما خضوع الملائكة يوضّح ألوهية الكلمة.

٤١ـ كُفُّوا إذًا يا أعداء الله، ولا تحقّروا الكلمة ولا تجرّدوه من الألوهة التي هى نفس ألوهة الآب أيضًا لأنه إنسانيًا احتاج أو كأنه كان يجهل، لئلا تقذفوا المسيح

---

[٩٨٢] انظر لو٣: ١٦.

[٩٨٣] مت٩: ٥، لو٧: ٤٨.

[٩٨٤] انظر ٢بط١: ٤.

[٩٨٥] ٢بط١: ١٧، ١بط٣: ٢٢.



بمجادلاتكم كما فعل اليهود عندما رجموه لأن هذه الأمور لا تخص الكلمة لكونه هو الله الكلمة، بل هى تخص البشر. كما فعل حينما بصق، وحينما مدّ يده، وحينما دعا لعازر، فنحن لا نقول إن هذه الأعمال الباهرة كانت بشرِّية، ورغم أنها تُمت بواسطة الجسد، بل كانت أعمالاً خاصة بالله. وهكذا أيضًا رغم أن الأمور البشرِّية تنسب في الإنجيل للمخلّص إلاّ أننا يجب أن ننظر إلى طبيعة الأمور التي تقال إنها غريبة عن الله، ولا ينبغي أن ننسبها إلى ألوهية الكلمة بل إلى ناسوته. لأنه رغم أن الكلمة صار جسدًا، إلاّ أن الجسد له الآلام الخاصة به. ورغم أن الجسد محمول إلهيًا في الكلمة لكن النعمة والقوة هى خاصة بالكلمة. إذًا فقد عمل أعمال الآب بالجسد، ومن الجهة المقابلة حقًا فإن آلام الجسد قد ظهرت فيه أيضًا. فمثلاً طلب أن يعرف وأقام لعازر. منع أمه قائلاً «لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ»[٩٨٦]. ثم بعد ذلك مباشرةً حوّل الماء خمرًا لأنه كان إلهًا حقيقيًا في الجسد، وكان جسدًا حقيقيًا في الكلمة. لذلك فمن أعماله أعلن نفسه أنه ابن الله كما أعلن أباه أيضًا. ومن آلام الجسد أظهر أنه اتخذ جسدًا حقيقيًا وأن الجسد كان جسده الخاص[٩٨٧].

---

[٩٨٦] يو٢: ٤.

[٩٨٧] هنا يلخص ق. أثناسيوس ما سبق أن تحدث عنه في الفصول ٣٢، ٣٥.

الفصل الثامن والعشرون

شرح نصوص: مر١٣: ٣٢، لو٢: ٥٢

معرفة الابن لليوم والساعة،

التقدّم في النعمة والحكمة

٤٢ـ وحيث إن الأمور هى هكذا فدعنا نأتي الآن لكي نبحث الآية «وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الابْنُ إِلاَّ الآبُ»[٩٨٨].

ولكونهم في جهل عظيم من جهة هذه الكلمات فقد أصابهم الدوار بسببها ويظنون أنهم قد وجدوا فيها حجة هامة تسند هرطقتهم. فإن كان هؤلاء الهراطقة قد سبق فقرّروا هذا ويسلّحون أنفسهم به. فإني أراهم كالعمالقة[٩٨٩] الذين يحاربون الله. لأن رب السماء والأرض الذي به خُلقت كل الأشياء، يطالب بتقديم حساب أمامهم عن اليوم والساعة. والكلمة الذي يعرف كل الأشياء يتهمونه بأنه يجهل اليوم، والابن الذي يعرف الآب يقولون إنه يجهل ساعة من ساعات اليوم. والآن ماذا يمكن أن يكون أكثر حماقة من هذا، أو أى جنون يمكن أن يشابه هذا؟

لأنه بالكلمة قد خُلقت كل الأشياء والأزمنة، والأوقات والليل والنهار وكل الخليقة، فهل يقال بعد ذلك إن الخالق يجهل عمله؟ ولكن بمواصلة القراءة في هذا الفصل يتضح أن ابن الله يعرف تلك الساعة وذلك اليوم، رغم أن الآريوسيين قد سقطوا بشدة في جهلهم لأنه بينما يقول (ولا الابن) يشرح للتلاميذ ما يحدث قبل

---

[٩٨٨] مر١٣: ٣٢.

[٩٨٩] العمالقة هم جنس أسطوري عند الرومان لهم هيئة ممسوخة وقوّة تفوق طاقة البشر، عُرفوا أساسًا بتصادمهم مع آلهة أوليمبيوس.



ذلك اليوم قائلاً سيكون هذا وذاك، ثم يأتي المنتهى[٩٩٠]. فالذي يتكلّم عن ما يحدث قبل ذلك اليوم، يعرف بالتأكيد اليوم أيضًا، الذي سوف يأتي بعد كل ما سبق وأخبر به، ولكن لو لم يكن يعرف الساعة، لما كان قد تحدّث عن الأمور التي تسبقها لكونه لا يعرف متى ستكون. ومثل إنسان يريد أن يدل أولئك الذين يجهلون مكان منزل ما أو مدينة، فهو يذكر لهم بالتفصيل الأشياء التي تقابلهم قبل المنزل أو المدينة وبعد أن يشرح لهم كل شئ يقول « وبعد ذلك تجدون المدينة أو المنزل مباشرة فهذا المشير يعرف تمامًا أين يوجد المنزل أو المدينة ـ لأنه لو لم يكن يعرف، لما استطاع أن يشرح لهم ما يجدونه قبلها. وحتى لا يتسبب دون قصد في أن سامعيه يضلّون الطريق، أو أنهم يذهبون بعيدًا عن المكان بسبب وصفه الخاطئ. هكذا فإن الرب بحديثه عن ما يسبق ذلك اليوم وتلك الساعة فهو يعرف بالضبط، ولا يجهل متى تأتي الساعة ويكون اليوم.

٤٣ـ والآن فلماذا رغم أنه كان يعرف، لم يخبر تلاميذه بوضوح في ذلك الحين. لا يستطيع أحد أن يفحص ما صَمَتَ الرب عنه، «لأَنْ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ؟ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيراً؟»[٩٩١]، ولماذا رغم أنه عَرِفَ، قال «ولا الابن» يعرف. أظن أن هذا لا يجهله أى واحد من المؤمنين: إنه قال هذا مثلما قال الأقوال الأخرى ـ كإنسان بسبب الجسد فهذا ليس نقصًا في الكلمة، بل هو بسبب تلك الطبيعة البشريّة التي تتصّف بعدم المعرفة.

---

[٩٩٠] انظر مت٢٤.

[٩٩١] رو١١: ٣٤.



وهذا أيضًا يمكن أن يُرى جيدًا إن كان أحد يفحص المناسبة بإخلاص: متى ولِمَنْ تكلّم المخلّص هكذا[٩٩٢]؟ فهو لم يتكلّم هكذا حينما خُلقت السموات بواسطته، ولا حينما كان مع الآب نفسه، الكلمة الصانع كل الأشياء[٩٩٣]. وهو لم يَقُل هذا أيضًا قبل ولادته كإنسان ولكن حينما صار الكلمة جسدًا. ولهذا السبب فمن الصواب أن ننسب إلى ناسوته كل شئ تكلّم به إنسانيًا بعد أن تأنس. لأنه من خاصية الكلمة أن يعرف مخلوقاته، وأن لا يجهل بدايتها ونهايتها، لأن هذه المخلوقات هى أعماله. وهو يعرف كم عددها وحدود تكوينها. وإذ هو يعرف بداية كل شئ ونهايته، فإنه يعرف بالتأكيد النهاية العامة والمشتركة للكل. وبالتأكيد فحينما يتكلّم في الإنجيل عن نفسه إنسانيًا قائلاً: «أَيُّهَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ»[٩٩٤]، فواضح أنه بصفته الكلمة، يعرف أيضًا ساعة نهاية كل الأشياء رغم أنه كإنسان يجهلها، لأن الجهل هو من خصائص الإنسان، وخاصةً في هذه الأمور.

وبالأكثر فإن هذا لائق بمحبة المخلّص للبشر، لأنه منذ أن صار إنسانًا لم يخجل ـ بسبب الجسد الذي يجهل ـ أن يقول لا أعرف لكي يوضّح أنه بينما هو يعرف لأنه هو الله، فهو يجهل جسديًا. ولذلك فهو لم يقل «ولا ابن الله يعرف»، لئلا يبدو أن اللاهوت يجهل، بل قال ببساطة «ولا الابن» لكي تكون عدم المعرفة منسوبة لطبيعة الابن البشرية.

---

[٩٩٢] يشدّد ق. أثناسيوس على أن الطريقة السليمة في فهم آيات الكتاب المقدس هو أن يسأل المرء عن متى قيلت هذه الآيات وعن مَن تتحدث وعن السياق العام لها. أنظر أيضًا "المقالة الأولى ضد الآريوسيين" فقرة رقم ٥٤.

[٩٩٣] انظر أم٨: ٢٧ــ٣٠.

[٩٩٤] يو١٧: ١.



٤٤ـ ولهذا السبب فهو يتحدّث عن الملائكة أنهم لا يعرفون اليوم والساعة ولكنه لم يواصل ويقول « ولا الروح القدس يعرف» لكنه صَمَتَ لسببين: أولاً: لأنه إن كان الروح يعرف فبالأولى فإن الكلمة لابد أن يعرف لأن الكلمة الذي يستمد منه الروح المعرفة هو بالأولى يعرف.

ثانيًا: وبصَمْته عن ذكْر الروح أوضَحَ أن قوله «ولا الابن» هو عن خدمته البشرَّية. وهذا برهان على ذلك: أنه، حينما تكلّم إنسانيًا قائلاً «ولا الابن يعرف» لكونه هو الله فهو يُظهر نفسه أنه يعرف كل الأشياء. لأن ذلك الابن الذي يقال إنه لا يعرف اليوم، يقول هو عن نفسه إنه يعرف الآب لأنه يقول «وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الابْنَ إِلاَّ الآبُ»[٩٩٥]. وكل الناس عدا الآريوسيين يعترفون أن الذي يعرف الآب هو بالأحرى يعرف كل شئ عن الخليقة ومن ضمن هذا الكل نهاية الخليقة. وإن كان اليوم والساعة قد تحدّدا من الآب فواضح، أنهما قد تحدّدا بواسطة الابن وهو نفسه يعرف الأشياء التي قد تحدّدت بواسطته.

لأنه لا يوجد شئ إلاّ وقد وُجِدَ وتحدّد بوساطة الابن لذلك فإذ هو خالق الكون، فهو يعرف إلى أى درجة وإلى أى حدود أراد الآب للكون أن يصير.

وهو يعرف ما هو الحد الزمني للكون. وأيضًا إن كان كل ما للآب هو للابن [وهذا ما قد قاله هو نفسه[٩٩٦]]، ومن خصائص الآب أن يعرف اليوم، فواضح أن الابن أيضًا يعرف اليوم إذ أن له هذه الخاصية من الآب. وأيضًا إن كان الابن في الآب والآب في الابن، والآب يعرف اليوم والساعة، فواضح أن الابن لكونه في الآب ويعرف كل ما هو للآب، هو نفسه أيضًا يعرف اليوم والساعة. وإن كان الابن هو

---

[٩٩٥] مت١١: ٢٧.

[٩٩٦] انظر يو١٦: ١٥.



أيضًا صورة الآب ذاته، والآب يعرف اليوم والساعة، فواضح أن الابن له هذه المماثلة أيضًا للآب في معرفة اليوم والساعة. وليس غريبًا إن كان هو الذي به صارت كل الأشياء[997]، وفيه يقوم الكل[998]، هو نفسه يعرف المخلوقات التي خُلقت، ومتى تكون نهاية كل منها ونهايتها كلها معًا.

ولكن الوقاحة الناتجة عن جنون الآريوسيين اضطّرتنا أن نلجأ إلى دفاع طويل هكذا. ولأنهم يحصون ابن الله الكلمة الأزليَّ بين المخلوقات فليسوا بعيدين عن أن يقولوا أيضًا إن الآب نفسه أقل من الخليقة. لأنه إن كان ذلك الذي يعرف الآب لا يعرف اليوم ولا الساعة، فإني أخشى لئلا تكون معرفة الخليقة أو بالحرى معرفة الجزء الأدنى منها أعظم من معرفة الآب ـ كما يقولون في جنونهم.

٤٥ـ ولكن أولئك بسبب أنهم يجدّفون على الروح هكذا، فلا ينبغي أن ينتظروا الحصول على الغفران إطلاقًا عن تجديفهم هذا كما قال الرب[999]. وأما المحبون للمسيح والذين يحملون المسيح، فيعرفون أن الكلمة باعتباره أنه هو الكلمة، قال لا أعرف، ليس لأنه لا يعرف، إذ هو يعرف (كل شئ)، ولكن لكي يُظهر الناحية الإنسانية، إذ أن عدم المعرفة خاص بالبشر، وأنه قد اتخّذ الجسد الذي يجهل، والذي بوجوده فيه قال بحسب الجسد «لا أعرف».

ولهذا السبب، فبعد قوله «ولا الابن يعرف» وتحدّثه عن جهل الناس في أيام نوح، أضاف مباشرةً قائلاً: «اِسْهَرُوا إِذاً لأَنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ يَأْتِي رَبُّكُمْ»

---

[997] انظر يو ١:٣.

[998] انظر كو ١:١٧.

[999] انظر مت ١٢:٣٢.



وأيضًا «فِي سَاعَةٍ لاَ تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ»[1000]، ولكني إذ قد صرت مثلكم من أجلكم، قلت «ولا الابن». لأنه لو كان يجهل بكونه هو الله لكان ينبغي أن يقول «اسهروا إذًا، لأني لا أعرف، وفي ساعة لا أعلمها» ولكن في الواقع ليس هذا هو ما قاله. ولكنه بقوله «لا تعلمون» و «في ساعة لا تعلمونها» أوضح بذلك أن الجهل خاص بالبشر، الذين لأجلهم أخذ جسدًا مشابهًا لأجسادهم، وصار إنسانًا وقال «ولا الابن يعرف» لأنه لا يعرف بالجسد رغم أنه يعرف بكونه هو الله الكلمة.

وأيضًا مثال نوح[1001] يكشف وقاحة أعداء المسيح، لأنه في ذلك التشبيه لم يقل «لا أعرف»، بل قال «وَلَمْ يَعْلَمُوا حَتَّى جَاءَ الطُّوفَانُ»[1002].

لأن البشر لم يعلموا، أما الذي جاء بالطوفان (والذي هو المخلّص نفسه) فقد عَرِفَ اليوم والساعة، التي فيها فتح طاقات السماء وفجّر ينابيع الغمر، وقال لنوح «ادْخُلْ أَنْتَ وَجَمِيعُ بَيْتِكَ إِلَى الْفُلْكِ»[1003] لأنه لو كان لا يعرف لما كان قد سبق فأخبر نوح قائلاً: «بعد سبعة أيام آتي بطوفان على الأرض»[1004].

ولكنه إذ يستخدم مثال زمن نوح ويعرف يوم الطوفان، إذًا فهو يعرف أيضًا يوم مجيئه.

[1000] مت٢٤: ٤٢، ٤٤.

[1001] وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلاّ أبي وحده. وكما كانت أيام نوح كذلك يكون مجيء ابن الإنسان " (مت٣٦: ٣٧).

[1002] مت٢٤: ٣٩

[1003] تك٧: ١.

[1004] انظر تك٧: ٤.



٤٦ـ وأيضًا، في مَثَلْ العذارى يظهر بوضوح أكثر مَنْ هم الذين كانوا يجهلون اليوم والساعة بقوله «فَاسْهَرُوا إِذاً لأَنَّكُمْ لاَ تَعْرِفُونَ الْيَوْمَ وَلاَ السَّاعَةَ»[١٠٠٥]. والذي قال قبل ذلك بقليل «لا أحد يعرف ولا الابن»[١٠٠٦] لا يقول الآن «لا أعرف» بل يقول «أنتم لا تعرفون».

وبنفس الطريقة، عندما سأله التلاميذ عن النهاية، حسنًا قال حينئذٍ «ولا الابن» جسديًا، بسبب الجسد، لكي يظهر أنه كإنسان، لا يعرف لأن الجهل هو من خصائص البشر، ولكن إذ هو الكلمة، وهو الذي سوف يأتي، وهو الديّان وهو العريس، فهو يعرف متى وفي أيّة ساعة سيأتي، ومتى سيقال «اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا النَّائِمُ وَقُمْ مِنَ الأَمْوَاتِ فَيُضِيءَ لَكَ الْمَسِيحُ»[١٠٠٧]. كما أنه إذ صار إنسانًا فقد كان يجوع ويعطش ويتألم مع الناس، هكذا مع الناس كإنسان فهو لا يعرف، رغم أنه لكونه هو الله إذ هو كلمة الآب وحكمته فهو يعرف، ولا يوجد شئ لا يعرفه.

وهكذا أيضًا في حالة لعازر فهو يسأل كإنسان بينما كان في طريقه لكي يقيمه، ويعرف من أين سيدعو نفس لعازر مرّة ثانية.

وقد كان أمرًا أعظم أن يعرف أين كانت النفس أكثر من أن يعرف أين وُضِعَ الجسد، ولكنه سأل إنسانيًا لكي يقيمه إلهيًا. هكذا أيضًا سأل تلاميذه عندما جاءوا إلى نواحي قيصرية، رغم أنه يعرف حتى قبل أن يجيب بطرس. لأنه إن كان الآب قد أعلن لبطرس الإجابة على سؤال الرب، فواضح أن الاعلان كان بواسطة الابن لأنه يقول «وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ الاِبْنُ إِلاَّ الآبُ، وَلاَ مَنْ هُوَ الآبُ إِلاَّ الاِبْنُ،

[١٠٠٥] مت٢٥: ١٣.

[١٠٠٦] مت٢٤: ٣٦.

[١٠٠٧] أف٥: ١٤.



وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ»[١٠٠٨]. ولكن إن كانت معرفة الآب والابن تُكشف بواسطة الابن، فليس هناك أى مجال للشك في أن الرب الذي سأل بطرس هو نفسه قد استُعلن أولاً لبطرس من الآب، وبعد ذلك سأله إنسانيًا، لكي يظهر أنه يسأل جسديًا بينما هو يعرف إلهيًا ما سوف يقوله بطرس. إذًا فالابن يعرف، وهو يعرف كل الأشياء ويعرف أباه، تلك المعرفة التي لا توجد معرفة أعظم أو أكمل منها.

٤٧. هذا يكفي لدحض أولئك، ولكن لكي أوضّح أكثر أنهم معادون للحق وأعداء للمسيح، فإني أريد أن أسألهم سؤالاً: يكتب الرسول في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس: «أَعْرِفُ إِنْسَاناً فِي الْمَسِيحِ قَبْلَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً. أَفِي الْجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ، أَمْ خَارِجَ الْجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. اللهُ يَعْلَمُ. اخْتُطِفَ هَذَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ»[١٠٠٩].

فماذا يقولون الآن؟ هل عرف الرسول ما قد حدث له في الرؤيا، رغم أنه يقول لا أعرف، أو لم يعرف؟ فإن كان لم يعرف فانتبهوا إذًا، لئلا إذ تتعوّدون على الخطأ تسقطون في مخالفة الفريجيين[١٠١٠] الذين يقولون إن الأنبياء وخدّام الكلمة الآخرين، لا يعرفون ما يفعلونه، ولا ما يكرزون به.

ولكن إن كان الرسول يعرف، حينما قال لا أعرف، لأنه كان قد أخذ المسيح في داخله - الذي يكشف له كل الأشياء أفلا يكون قلب أعداء الله هؤلاء منحرفًا بالحقيقة ومدانًا من نفسه؟ لأنه في الوقت الذي يقول الرسول «لا أعرف» يقولون هم أنه يعرف، بينما حينما يقول الرب «لا أعرف» يقولون هم أنه لا يعرف، لأنه إن كان بسبب أن المسيح كان فيه، عرف بولس ما قد قال عنه إنه لا يعرفه. أفلا

[١٠٠٨] لو١٠:٢٢.

[١٠٠٩] ٢كو١٢:٢.

[١٠١٠] يقصد البدعة التي ظهرت في منطقة فريجية phrygia بأسيا الصغرى، والتي علّم بها أتباع مونتانوس Montanos وتسمى Montanism في القرن الثاني الميلادي.



يعرف المسيح نفسه بالأكثر حتى إن قال «لا أعرف»؟ إذًا فبسبب أن الرسول، قد كشف له الرب، فإنه عرف ما رآه، لهذا يقول «أعرف إنسانًا في المسيح» ولأنه يعرف هذا الإنسان، فهو يعرف أيضًا كيف أُختُطِفَ هذا الإنسان. وهكذا أليشع الذي رأى إيليا عرف أيضًا كيف أُصعد. ولكن رغم أنه عرف، إلاّ أنه حينما ظن أبناء الأنبياء أن إيليا قد طرحه الروح على أحد الجبال، فأليشع لأنه يعرف من البداية ما قد رآه، حاول أن يقنع هؤلاء الرجال، ولكن لما ألحوا عليه صمت وتركهم يمضون للبحث عنه[1011]. إذًا ألم يكن أليشع يعرف وبسبب ذلك صَمَتَ؟ هو يعرف بالتأكيد، ولكنه صمت وكأنه لم يكن يعرف، ولذلك تركهم، لكي عندما يقتنعون لا يشكّون بعد ذلك في صعود إيليا. إذًا فبالأكثر جدًا بولس نفسه وهو الشخص الذي أُختطف، لابد أنه كان يعرف أيضًا كيف أُختطف، لأن إيليا عرف ولو كان أحد قد سأله، لكان قد أجابه كيف أُصعد. ومع ذلك فبولس يقول «لا أعرف»، لهذين السببين على الأقل: الأول كما قال هو نفسه لئلا بسبب كثرة الإعلانات يظن أحد فيه أكثر مما يراه. والسبب الثاني هو أن مخلّصنا قد قال «لا أعرف» فيليق به هو أيضًا أن يقول «لا أعرف» لئلا يظهر أن العبد أعظم من سيده، والتلميذ أفضل من معلّمه.

٤٨ـ من ثم فالذي أعطى لبولس أن يعرف، بالأولى جدًا أن يعرف هو نفسه. لأنه طالما تكلّم عن الأمور التي تسبق اليوم كما سبق أن قلت ـ فهو يعرف أيضًا متى يكون اليوم ومتى تكون الساعة، ورغم أنه يعرف إلاّ أنه يقول «ولا الابن يعرف» فلماذا إذًا قال عندئذٍ «لا أعرف» عن الأمر الذي عرفه لكونه هو الرّب؟ ولابد للمرء أن يفكر بعمق حتى يصل إلى النتيجة التي تبدو لي واضحة وهى أن الرّب قد تكلّم هكذا لأجل منفعتنا، وذلك لكي يمنحنا الفهم الحقيقي لكلامه! ويحرص

[1011] انظر ٢مل٢.



المخلّص على منفعتنا من الناحيتين[١٠١٢]، لأنه قد أعلن لنا من ناحية ما سيأتي قبل النهاية، لكي لا نندهش ولا نرتاع - كما قال هو نفسه - حينما تحدّث هذه الأمور، بل ننتظر النهاية التي تأتي بعدها.

ومن جهة اليوم والساعة فهو لم يَرِدْ أن يقول «أعرف» بحسب طبيعته الإلهية و«لا أعرف» بحسب الجسد، وذلك بسبب الجسد الذي كان يجهل، كما قلت سابقاً، لئلا يسألوه أكثر، وعندئذٍ إما أن يحزن التلاميذ بعدم إجابته لهم، وإما أن يجيبهم لأجلنا حيث إن الكلمة صار جسداً لأجلنا أيضًا. لذلك فلأجلنا قال «ولا الابن يعرف» وهو لم يكن غير صادق بقوله هذا (لأنه إنسانيًا، كإنسان، قال «لا أعرف»)، ولا سمح للتلاميذ أن يضطّروه إلى الكلام، لأنه بقوله «لا أعرف» فقد أوقف تساؤلاتهم. وهكذا كُتب في أعمال الرسل، أنه حينما صعد مع الملائكة، فقد صعد كإنسان ورفع معه إلى السماء الجسد الذي اتخذه وقبل أن يرى التلاميذ هذا سألوه أيضًا متى تكون النهاية ومتى تأتي أنت؟ قال لهم بأكثر وضوح «لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الأَزْمِنَةَ وَالأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الآبُ فِي سُلْطَانِهِ»[١٠١٣]. وعندئذٍ لم يقل «ولا الابن» كما سبق وقال إنسانيًا، بل قال «ليس لكم أن تعرفوا» لأن الجسد عندئذٍ كان قد قام وخلع عنه الموت وتأله، ولم يعد يليق به أن يجيب حسب الجسد عندما كان منطلقاً إلى السموات، بل أن يعلّم بطريقة إلهية أنه: « ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطاته، ولكنكم ستنالون قوة»[١٠١٤]. وأيَّة قوَّة هى للآب سوى الابن؟ لأن: « المسيح هو قوة الله وكلمة الله»[١٠١٥].

[١٠١٢] يقصد بالناحيتين أنه يعرف من ناحية وأنه لا يعرف من الناحية الأخرى.

[١٠١٣] أع١:٧.

[١٠١٤] أع١:٧—٨.

[١٠١٥] ١كو١:٢٤.



٤٩ـ إذًا فالابن يعرف لكونه الكلمة، فكأنه يقول: أنا أعرف ولكن هذه المعرفة التي أعرفها ليست لكي أعرفكم بها فحينما كنت جالسًا على الجبل قلت حسب الجسد « ولا الابن يعرف» وهذا لأجل منفعتكم ومنفعة الجميع. لأنه نافع لكم أن تسمعوا هكذا عن الملائكة وعن الابن، بسبب أولئك المضلّين الذين سوف يظهرون كملائكة رغم أنهم شياطين وسيحاولون أن يتكلّموا عن النهاية، فلا ينبغي أن تصدقوهم لأنهم لا يعرفون. وأيضًا حتى إن أخفى ضد المسيح نفسه وقال «أنا هو المسيح» وحاول بدوره أن يتكلّم عن ذلك اليوم وعن تلك النهاية، لكي يُضل السامعين، فأنتم الذين قد سمعتم مني هذه الكلمات: « ولا الابن»، لا تصدقوه أيضًا. ومن جهة أخرى، لأنه ليس نافعًا للناس أن يعرفوا متى تكون النهاية أو متى يكون يوم النهاية، لئلا عندما يعرفون، يصيرون متهاونين في الفترة المتبقيّة من الزمن، وينتظرون فقط الأيام التي هى قرب النهاية فقط. لذلك أيضًا صَمَتَ الرب ولم يتكلّم عن الوقت الذي سيموت فيه كل واحد لئلا عندما يصير الناس منتفخين بسبب المعرفة، فإنهم يهملون أنفسهم طوال الجزء الأكبر من زمانهم. إذًا فالكلمة قد أخفى عنا كلاً من نهاية كل الأشياء، ونهاية كل واحد منا (لأن نهاية كل الأشياء هى نهاية لكل واحد ويمكن أن نستنتج من نهاية كل واحد، نهاية كل الأشياء).

لأنه في الواقع حينما يكون الوقت غير معروف، ونحن ننتظره دائمًا، فإننا كمدعويين نتقدّم يومًا فيومًا، ممتدين إلى ما هو قدّام وناسين ما هو وراء[١٠١٦] لأن مَنْ هو الذي عندما يعرف يوم النهاية لا يكون متراخيًا خلال تلك الفترة، ولكن إن كان يجهل اليوم أفلا يصير مستعدًا كل يوم؟ لهذا السبب أضاف المخلّص قائلاً:

[١٠١٦] انظر في٣:١٣.



«اسْهَرُوا إِذاً لأَنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ يَأْتِي رَبُّكُمْ»[1017]، وأيضًا «فِي سَاعَةٍ لاَ تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ»[1018] لذلك فبسبب المنفعة التي تأتي من عدم المعرفة، قال هذا، وهو عندما يقول هذا، فهو يريد أن نكون نحن مستعدين دائمًا. فكأنه يقول: بالنسبة لكم أنتم لا تعرفون ولكن أنا الرب، أعرف متى سآتي، رغم أن الآريوسيين لا ينتظرونني، أنا الذي هو كلمة الآب.

٥٠. فالرّب إذًا، لأنه يعرف ما هو نافع لنا أكثر منا، لذلك طمأن التلاميذ، وهم أيضًا إذ علموا هكذا فإنهم صحّحوا موقف أولئك الذين من تسالونيكي حينما كانوا على وشك أن يضلّوا في هذا الأمر[1019]. ولكن حيث إن أعداء المسيح لا يتأثرون بهذا الكلام ورغم أني أعرف أن لهم قلب أكثر قساوة من فرعون فإني أريد أن أسألهم ثانية عن هذا. سأل الله آدم في الفردوس قائلاً: «آدَمَ، أَيْنَ أَنْتَ»؟[1020]. وسأل قايين أيضًا «أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ»؟[1021]. فماذا تقولون إذًا عن هذا الأمر؟ لأنكم إن ظننتم أنه لا يعلم، ولذلك سأل، فإنكم بذلك تنضمون إلى جماعة المانويين[1022]، لأن هذا هو تفكيرهم المتجاسر. ولكن إن كنتم تخشون أن يطلق عليكم هذا الاسم جهارًا تضطرون أنفسكم للقول إنه يسأل بينما هو يعرف. فأي غرابة إذًا توجد في هذا التعليم إن كان الابن الذي هو كلمة الله هو الذي قد سأل آدم

[1017] مت٢٤: ٤٢.

[1018] لو١٢: ٤٠.

[1019] انظر ٢تس٢: ٢.

[1020] تك٣: ٩.

[1021] تك٤: ٩.

[1022] المانويين هم أتباع ماني ويؤمنون بالمبدأ الثنائي الذي يقول إن العالم تحكمه قوتان متضادتان: قوّة الخير وقوّة الشر ـــ النور والظلام، الله والمادة. وهم يعتقدون أن المسيح صُلِبَ لأن لديه في داخله عنصر خاضع للألم والمعاناة كما أنهم لا يؤمنون أن المسيح هو الله الذي تجسّد. انظر هامش ٢٢ ص٣٦ بالفصل ٢٥.



وقايين، هو نفسه الابن وقد لبس الآن جسدًا، يسأل التلاميذ كإنسان؟ إلاّ إذا كنتم قد صرتم بالطبع مانويين وتريدون عندئذٍ أن تنتقدوا السؤال الذي وجّهه الله لآدم[١٠٢٣] وتعطوا لأنفسكم الفرصة كاملة للإنحراف. ولأنكم قد انكشفتم من كل ناحية، فإنكم لا تزالون تتهامسون متذمّرين من كلمات ق. لوقا، التي كُتِبَت باستقامة، ولكن أنتم تسيئون فهمها. وما هى هذه الكلمات؟ ينبغي أن نذكرها، لكي يتضّح أيضًا المعنى المنحرف الذي أعطيتموه لها.

التقدّم في الحكمة والنعمة:

٥١ـ يقول القديس لوقا «وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ»[١٠٢٤] . هذه إذًا هى الآية، وحيث إنهم عُثِروا فيها، فنحن مضطّرون أن نسألهم، مثل الفريسيين والصدوقيين، عن الشخص الذي يتكلّم عنه لوقا. والسؤال هو هكذا: هل يسوع المسيح هو إنسان مثل كل الناس الآخرين أم هو الله وقد اتخذ جسدًا؟

فإن كان إنسانًا عاديًا مثل باقي الناس، إذًا فهو كإنسان يتقدّم. لكن هذا هو مذهب الساموساطي، الذي تعتقدون به أنتم في الحقيقة رغم أنكم تنكرونه بالاسم بسبب الناس، لكن إن كان هو الله وقد اتخذ جسدًا، كما هو هكذا بالحقيقة، لأن الكلمة صار جسدًا، ولكونه الله الذي نزل على الأرض، فأي نمو أو تقدّم يكون لذلك الكائن المساوي لله؟ أو كيف حصل الابن على ازدياد، وهو كائن على الدوام في الآب؟ لأنه إن كان وهو الكائن دائمًا في الآب يتقدّم، فماذا يكون هناك بعد الآب حتى يأخذ منه تقدّمه؟ ومن المناسب أيضًا أن نكرّر هنا ما

[١٠٢٣] انظر تك٣:٩.

[١٠٢٤] لو٢:٥١



قلناه عن «كيف يأخذ» و«كيف يتمجّد». فإن كان قد تقدّم حينما صار إنسانًا، فيكون واضحًا أنه كان غير كامل، قبل أن يصير إنسانًا، ويكون الجسد بالنسبة له قد صار بالحري سببًا لكماله، أكثر مما أعطى هو كمالاً للجسد، وأيضًا إن كان وهو **الكلمة** يتقدّم، فما الذي يمكن أن يصير إليه أكثر من كونه **الكلمة** والحكمة والابن وقوّة الله؟ لأن **الكلمة** هو كل هذه، التي إن استطاع أحد أن يشترك فيها كأنها شعاع واحد، فإن مثل هذا الإنسان يصير كاملاً تمامًا بين الناس، ومساويًا للملائكة. لأن الملائكة ورؤساء الملائكة، والسيادات، وكل القوات والعروش باشتراكهم في **الكلمة** ينظرون دائمًا وجه أبيه. كيف يكون إذًا أن ذلك الذي يُعطِي الكمال للآخرين يتقدّم هو نفسه معهم؟ لأن الملائكة خَدَموا ولادته البشريّة، والآية المأخوذة من لوقا المذكورة أعلاه قد قيلت بعد خدمة الملائكة هذه، فكيف يمكن أن يأتي هذا الفكر بالمرّة للإنسان؟ أو كيف تتقدّم الحكمة في الحكمة؟ أو كيف مَنْ يُعطى النعمة للآخرين كما يقول بولس، في كل رسالة، عارفًا أنه بواسطته تُعطِى النعمة: « نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ جَمِيعِكُمْ»[١٠٢٥]، أقول كيف يتقدّم هو في النعمة؟ لأنهم إما أن يقولوا إن الرسول غير صادق، ويتجرأون أن يقولوا إنه ليس هو الحكمة، وإلاّ فإن كان الابن هو الحكمة، كما قال سليمان وكتب بولس «الْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ»[١٠٢٦] فأي نوع من التقدّم تقبله الحكمة؟

٥٢. فالبشر لأنهم مخلوقات، عندهم القابلية بطريقة ما أن يمتّدوا للأمام وأن يتقدّموا في الفضيلة. فأخنوخ على سبيل المثال هكذا نُقِلَ، وموسى إزداد وصار

[١٠٢٥] ٢تس٣:١٨.

[١٠٢٦] ١كو١:٢٤.



كاملاً، واسحق صار عظيمًا بتقدّمه[١٠٢٧]. والرسول قال إنه يمتّد يوم فيومًا إلى ما هو قدّام، لأن كل واحد له الفرصة للتقدّم ناظرًا إلى الدرجة التي أمامه. أما ابن الله، الذي هو واحد ووحيد، فما هى الفرصة التي له ليمتّد؟ لأن كل الأشياء تتقدّم بتطلّعها إليه، وأما هو فلكونه الوحيد، هو في الآب الوحيد الذي لا يمتد منه إلى الأمام، بل هو ثابت فيه إلى الأبد. إذًا فالتقدّم هو خاص بالبشر، أما ابن الله حيث إنه غير محتاج لأن يتقدّم لكونه كاملاً في الآب فقد أنقَصَ نفسه لأجلنا، لكي بتواضعه نستطيع نحن أن نتقدّم وننمو. وتقدّمنا ليس هو شيئًا آخر غير أن نتخلّى عن المحسوسات وأن نصل إلى الكلمة نفسه، حيث إن تواضعه ليس شيئًا آخر سوى اتخاذه لجسدنا. إذًا فالكلمة باعتباره الكلمة، ليس هو الذي تقدّم فهو الكامل من الآب الكامل، وهو لا يحتاج شيئًا بل هو يأتي بالآخرين إلى التقدّم، ولكن كُتب هنا أنه يتقدّم إنسانيًا، حيث إن التقدم هو خاص بالبشر، ولذا فالإنجيلي وهو يتكلّم بدقة وحذر قد ذَكَرَ القامة عندما تحدّث عن التقدم، ولكن لكونه هو الكلمة وهو الله، فهو لا يقاس بالقامة، التي تخص الأجساد. إذًا فالتقدّم هو للجسد، لهذا ففي تقدّمه كان ظهور اللاهوت لأولئك الذين رأوه يزداد فيه أيضًا، وكلما كان اللاهوت ينكشف أكثر فأكثر كلما ازدادت نعمته كإنسان أمام كل الناس فهو كطفل حُمِل إلى الهيكل، وحينما صار صبيًا بقى هناك في الهيكل وكان يسأل الكهنة حول ما جاء بالناموس. وكان جسده ينمو شيئًا فشيئًا والكلمة كان يُظهر نفسه (في هذا الجسد). لذا اعترف به بطرس أولاً وبعد ذلك الجميع أيضًا قائلين: بالحقيقة هذا هو ابن الله[١٠٢٨].

[١٠٢٧] تك٢٦:١٣.

[١٠٢٨] انظر مت١٦:١٦، ٢٧:٥٤.



ولكن اليهود القدماء والجدد[1029] معًا يتعمّدون إغلاق عيونهم لكي لا يروا أن التقدّم في الحكمة، ليس هو تقدّمًا للحكمة ذاتها، لكن بالحرى هو تقدُّم الناسوت في الحكمة لأن يسوع «كان يتقدّم في الحكمة والنعمة»، ولكي نتكلّم بدقة أكثر نقول إنه هو نفسه قد تقدّم لأنه هو «اَلْحِكْمَةُ بَنَتْ بَيْتَهَا»[1030]، أى جعل بيته يتقدّم في الحكمة.

٥٣- فماذا يكون هذا التقدّم الذي نتحدّث عنه سوى - كما قلت سابقًا - سوى التأليه والنعمة المعطاة من الحكمة للبشر وإبطال الخطية والفساد منهم بحسب مشابهتهم وانتسابهم لجسد الكلمة؟ لأنه هكذا بازدياد الجسد في القامة كان يزداد فيه ظهور اللاهوت أيضًا ويظهر للكل أن الجسد هو هيكل الله. وأن الله كان في الجسد. ولكن إن جادلوا قائلين إن الكلمة الذي صار جسدًا[1031] دُعي يسوع، ونسبوا له تعبير «يتقدّم» فيجب أن يسمعوا أنه حتى هذا لا يقلّل نور الآب، الذي هو الابن، بل لا يزال يُظهر أن الكلمة صار إنسانًا واتخذ جسدًا حقيقيًا[1032]. وكما قلنا، إنه تألّم بالجسد، وجاع بالجسد، وتعب بالجسد، هكذا يكون معقولاً أيضًا أن يقال إنه تقدّم بالجسد لأن أى تقدُّم مثل الذي شرحناه لا يمكن أن يحدث للكلمة بدون الجسد. لأن فيه كان الجسد الذي تقدّم وهو يُدعى جسده، وذلك لكي ما يظل تَقَدُّم البشر مستمرًا ولا يضعف، بسبب وجود الكلمة في الجسد. إذًا فالتقدّم ليس للكلمة كما أن الجسد لم يكن هو الحكمة، ولكن

[1029] يقصد باليهود الجدد الآريوسيين الذين أنكروا ألوهية الابن المتجسد مثلما فعل اليهود.

[1030] أم٩: ١.

[1031] انظر يو١: ١٤.

[1032] هنا يعود ق. أثناسيوس ليؤكد على حقيقة التجسد في مواجهة بدعة الخياليين التي سبق ذكرها. انظر هامش ٢٨ ص٦٣.



الجسد صار جسد الحكمة. لذلك فكما سبق أن قلنا ـ ليست الحكمة كحكمة هى التي تقدّمت في ذاتها، ولكن الناسوت هو الذي كان يتقدَّم في الحكمة، بأن يرتفع شيئًا فشيئًا فوق الطبيعة البشرية وبأن يتأله ويصير ظاهرًا للجميع كأداة الحكمة لأجل عمل اللاهوت وإشراقه. لذلك فالبشير لم يَقُل: «إن الكلمة تقدَّم»، لكن «يسوع» وهو الاسم الذي دُعى به الرّب عندما صار إنسانًا حتى يكون التقدّم هو للطبيعة البشريَّة، مثلما شرحنا قبلاً.

الفصل التاسع والعشرون

شرح نصوص (مت٢٦:٣٩، يو١٢:٢٧)
«إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس»
«الآن نفسي قد اضطربت»

٥٤ ـ لذلك فهم يتأرجحون إلى أعلا وإلى أسفل ـ كما لو كانوا بهذا يعضّدون هرطقتهم من جديد ـ ويقولون: [انظروا ها قد بكى وقال «الآن نفسي قد اضطربت»[١٠٣٣] وطلب أن تعبر عنه الكأس[١٠٣٤]، فكيف إذًا إن كان قد تكلّم هكذا يكون هو إلهًا وكلمة الآب؟]. نعم يا أعداء الله، قد كُتب عنه أنه بكى، وأنه قال إضطّربت، وعلى الصليب قال «إِلُوِي إِلُوِي، لَمَا شَبَقْتَنِي، اَلَّذِي تَفْسِيرُهُ: إِلَهِي إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟»[١٠٣٥] ؟ وطلب أن تعبر عنه الكأس. حقًا قد كُتِب هذا، لكن أود أن أسألكم ـ لأنه من الضروري أن أرد على كل إعتراضاتكم ـ إن كان المتكلّم هو مجرَّد إنسان، فهو يبكي ويخاف الموت لكونه إنسانًا، ولكن إن كان هو الكلمة في الجسد (لأنه ينبغي أن لا أمل من تكرار هذا) فمِمَن يخاف وهو الله؟ أو لماذا يخاف الموت؟ وهو نفسه الحياة، وهو الذي حرّر الآخرين من الموت؟

[١٠٣٣] يو١٢:٢٧.

[١٠٣٤] انظر مت٢٦:٣٩.

[١٠٣٥] مر١٥:٣٤.



أو كيف، بينما هو يقول «لاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ»[١٠٣٦] هو نفسه يخاف؟ وكيف وهو الذي قال لإبراهيم «لا تخف لأني معك»[١٠٣٧]، وشجّع موسى ضد فرعون، وقال لابن نون «تشدّد وتشجّع»[١٠٣٨]، كيف يشعر هو نفسه بالخوف أمام هيرودس وبيلاطس؟ وأكثر من ذلك فالذي يُعين الآخرين ضد الخوف (لأن الكتاب يقول «الرب معين لي فلا أخاف ماذا يصنع بي إنسان»[١٠٣٩] هل يخاف هو الحكّام والبشر المائتين؟ والذي جاء هو نفسه ليبيد الموت، كيف يخاف من الموت؟

ألّا يكون أمرًا غير لائق وعديم التقوى أن يقال عنه إنه يخاف الموت أو الجحيم وهو الذي ارتعد منه بوابو الجحيم حينما رأوه؟ ولكن إن كان حسب رأيكم أن الكلمة كان خائفًا، فلماذا إذًا وهو قد تكلّم عن مكيدة اليهود قبلها بوقت طويل، لم يهرب، بل حينما جاءوا للقبض عليه قال «أنا هو»[١٠٤٠].

لأنه كان يستطيع أن يتجنّب الموت، كما قال «لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضا»[١٠٤١].

٥٥ ـ لكن اعلموا يا أعداء المسيح، مثل اليهود غير الشاكرين أن هذه الإنفعالات لم تكن من خصائص طبيعة الكلمة؛ بكونه الكلمة، بل كانت من خصائص الجسد الذي اتخذه الكلمة.

[١٠٣٦] لو١٢:٤.

[١٠٣٧] تك٢٦:٢٤س.

[١٠٣٨] يش١:٦.

[١٠٣٩] مز١١٧:٦س.

[١٠٤٠] يو١٨:٥.

[١٠٤١] يو١٠:١٨.



لأنه بَقُلْ يقل كل هذا قَبْل التجسّد ولكن حينما «صار الكلمة جسدًا وصار إنسانًا»، حينئذٍ كُتب عنه أنه قال هذا، أي قاله إنسانيًا. فالذي كُتِبَ عنه هذا، هو الذي أقام لعازر من الأموات، وحوّل الماء خمرًا، ووهب النظر للمولود أعمى، والذي قال «أَنَا وَالآبُ وَاحِد»[1042]. إذًا فإن كانوا يجعلون صفاته الإنسانية سببًا ليفكّروا أفكارًا حقيرة عن ابن الله، ويعتبرونه بالكامل إنسانًا من الأرض، وليس من السماء، فلماذا لا يعترفون بأنه هو الكلمة الكائن في الآب، من خلال أعماله. ومن ثم يتخلّون عن كفرهم؟

لأنه قد أُعطى لهم أن يروا كيف أن الذي يعمل هذه الأعمال هو نفسه الذي أظهر جسده متألمًا بسماحه له بالبكاء والجوع، وأن يُظهر الخواص الأخرى للجسد. لأنه بينما بواسطة مثل هذه (الخواص) عُرِف أنه قد أخذ جسدًا متألّمًا رغم أنه هو الله غير المتألّم، إلاّ أنه من هذه الأعمال أظهر نفسه أنه بالفعل هو كلمة الله الذي صار فيما بعد إنسانًا وكأنه يقول « رغم أنكم لا تؤمنون بي حيث ترونني مرتديًا جسدًا بشريًا، فآمنوا بالأعمال «لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ»[1043]. ويبدو لي أن أعداء المسيح لديهم وقاحة كبيرة وتجديف عظيم لأنهم حينما يسمعون القول «أَنَا وَالآبُ وَاحِد»[1044] فإنهم يشوّهون المعنى بشدة ويفصلون وحدة الآب والابن وحينما يسمعون أنه بكى، وعرق، وتألّم لا ينسبونها لجسده بل يحصونه بسببها مع الخليقة وهو الذي به خُلِقت الخليقة. إذًا في أى شئ يختلف هؤلاء عن اليهود؟[1045] لأنه كما أن

[1042] يو١٠: ٣٠.

[1043] يو١٠: ٣٨.

[1044] يو١٠: ٣٠.

[1045] لهذا السبب، سبق أن أطلق القديس أثناسيوس عليهم لقب "اليهود الجدد أو اليهود المعاصرون" انظر فقرة ٨ على سبيل المثال.



اليهود جدّفوا ناسبين أعمال الله إلى بعلزبول، هكذا هؤلاء أيضًا، إذ يحصون الرب الذي صنع تلك الأعمال، مع الخلائق، سوف يقع عليهم مع أولئك (اليهود) نفس الحكم بلا رحمة.

٥٦ ـ إذًا كان ينبغي على هؤلاء عندما يسمعون «أنا والآب واحد» أن يروا فيه وحدة الألوهية وجوهر الآب ذاته، وأيضًا عندما يسمعون أنه «بكى» وما يماثلها، أن يقولوا إن هذه الأمور هى خاصة بالجسد، وبنوع خاص لأن هذه الأمور لها أساس معقول من كل جهة، أى أن الكلمات الأولى كُتِبَت عنه بكونه هو الله والأخرى كُتِبَت عنه كإنسان لأن خصائص الجسد لا يمكن أن تصير لِمَن هو بلا جسد لو لم يكن قد أخذ جسدًا قابلاً للفساد والموت.

لأن مريم القديسة التي أخذ منها جسده كانت قابلة للموت، لذلك فمن الضروري حينما كان في الجسد أن يعاني، وأن يبكي، وأن يتعب، فهذه الأمور التي تخص الجسد، تُنسب إليه مع الجسد.

ومن ثم فعندما يقال: بكى، واضطرب، لم يكن **الكلمة** باعتباره **الكلمة** هو الذي بكى واضطرب، لكن هذه كانت من خصائص الجسد وأيضًا عندما طلب أن تعبر عنه الكأس فلم يكن اللاهوت هو الذي ارتعد، بل إن هذا الإنفعال أيضًا كان خاصًا بناسوته. وأيضًا فكلمات «لماذا تركتني؟»[١٠٤٦] هى كلماته، بحسب الشرح السابق، رغم أنه لم يتألّم بشئ، لأنه **الكلمة** غير متألم، وهذا ما أعلنه البشيرون. وحيث إن الرب صار إنسانًا فهذه الأمور تحدث وتقال كما من إنسان، لكي يُبطل أوجاع الجسد هذه، ويحرّر الجسد منها، لذلك لا يمكن أن الرب يُترك من الآب، وهو كائن دائمًا في الآب قبل أن يتكلّم، وأثناء نطقه بهذه

[١٠٤٦] مر١٥: ٣٤



الصرخة، وأيضًا ليس من الجائز أن يقال إن الرب كان مرتعدًا وهو الذي هرب من أمامه بوابو الجحيم «والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين وظهروا لأهلهم»[١٠٤٧].

لذلك ليستدّ فم كل هرطوقي ولا يتجاسر أن ينسب الخوف للرب، الذي منه يهرب الموت مثل حيّة، والذي منه ترتعد الشياطين، وبه ينزعج البحر وله تنشّق السموات، وتتزعزع كل القوات لأنه هوذا حينما قال «لماذا تركتني»؟ أظهَر أن الآب كان دائمًا فيه حتى في تلك اللحظة. لأن الأرض إذ تعرف ربها الذي تكلّم ارتعدت في الحال، وانشّق حجاب الهيكل، واحتجبت الشمس، وتشقّقت الصخور وتفتّحت القبور ـ كما قلت سابقًا ـ وقام الأموات الذين كانوا فيها، والمدهش أيضًا أن أولئك الذين كانوا حاضرين عندئذٍ وكانوا ينكرونه قبلاً، بعد أن رأوا هذه الآيات اعترفوا قائلين «حَقّاً كَانَ هَذَا ابْنَ اللَّه»[١٠٤٨].

٥٧ ـ وعن قوله «إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ»[١٠٤٩] إعلموا كيف أنه رغم كلامه هكذا فقد انتهر بطرس قائلاً «لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا لِلَّهِ لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ»[١٠٥٠]، لأنه كان يريد هذه الكأس التي طلب أن تعبر عنه، إذ لأجل هذا قد جاء الكلمة إلى العالم. أما الخوف فهو خاص بالجسد، لذلك فقد نطق بهذا الكلام أيضًا كإنسان، ومع ذلك فالأمران معًا قالهما نفس الشخص[١٠٥١]، لكي يُظهر أن مَنْ

[١٠٤٧] انظر مت٢٧:٥٣.

[١٠٤٨] مت٢٧:٥٤.

[١٠٤٩] مت٢٦:٣٩.

[١٠٥٠] مر٨:٣٣.

[١٠٥١] مرة أخرى يضع ق. أثناسيوس أسس التعليم القديم الذي علّمت به الكنيسة فيما بعد على لسان ق. كيرلس فيما يخص طبيعة المسيح (الخريستولوجي). انظر فقرة ٣٥.



أراد وفَعَلَ هو الله. ولكن حينما صار إنسانًا، فقد أخذ جسدًا يخاف، ولأجل هذا الجسد ربط إرادته الخاصة بالضعف البشري، لكي بإبادته لهذا الضعف، يُعطى للإنسان مرة أخرى أن يكون شجاعًا أمام الموت. يا له من أمر عجيب حقًا! فالمسيح الذي يُلصِق به أعداؤه كلمات الخوف، هو نفسه بواسطة ما يسمونه الخوف، جعل الناس شجعانًا وغير خائفين. وهكذا فالرسل الطوباويون من بعده استهانوا بالموت بقوَّة بسبب كلماته هذه حتى أنهم لم يبالوا بأولئك الذين حاكموهم، بل أجابوا «يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ»[١٠٥٢]. والشهداء القديسون الآخرون كانوا شجعانًا أيضًا، حتى اعتقدوا أنهم كانوا ينتقلون إلى الحياة، أكثر من كونهم يقاسون الموت، أليس إذًا هو أمر في غير محله أن يعجب أحد بشجاعة خدام الكلمة، ومع ذلك يقول إن الكلمة نفسه كان خائفًا، مع أن خدامه قد احتقروا الموت؟ ولكن من العزيمة الصبورة جدًا وشجاعة الشهداء القديسين يظهر أن الألوهة لم تكن هي التي تخاف، بل هو خوفنا ذلك الذي نزعه المخلّص. لأنه كما أباد الموت بالموت، وبوسائل بشريَّة أبطل كل ما للإنسان (من ضعفات) هكذا أيضًا بهذا الذي ظهر وكأنه خوف، نزع خوفنا، وأعطى الناس أن لا يعودوا يخافون الموت فيما بعد.

فكلمته وفعله يحدثان معًا، لأنه إنسانيًا قد قال «اعبر عني الكأس» و«لماذا تركتني»؟ ولأنه هو الله فقد جعل الشمس تحتجب، والموتى يقومون بقوَّة لاهوته. وأيضًا إنسانيًا قال «اَلآنَ نَفْسِي قَدِ اضْطَرَبَتْ»[١٠٥٣]. وإلهيًا قال «لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضاً.»[١٠٥٤]. فكونه يضطرب فهذا أمر خاص بالجسد، وأن

[١٠٥٢] أع٥:٢٩.

[١٠٥٣] يو١٢:٢٧.

[١٠٥٤] يو١٠:١٨.



يكون له سلطان أن يضع نفسه وأن يأخذها أيضًا حينما يريد، فهذا أمر ليس خاصًا بطبيعة البشر، بل بقوّة الكلمة. لأن الإنسان لا يموت بسلطانه الخاص بل باضطرار الطبيعة ورغم إرادته. أما الرب، فلأنه هو نفسه غير مائت، ولكن لأنه أخذ جسدًا مائتًا، فله السلطان لكونه هو الله، أن يفصل النفس عن الجسد، وأن يعيدها أيضًا، حينما يريد. وداود يرتل عن هذا قائلاً « لن تترك نفسي في الجحيم، ولا تدع قدوسك يرى فسادًا»[1055].

لذلك كان يجب أن الجسد الذي كان قابلاً للفساد ألاّ يبقى فيما بعد مائتًا حسب طبيعته الخاصة، بل بسبب الكلمة الذي اتخّذه يبقى غير قابل للفساد. لأنه كما صار هو في جسدنا، وشابه ما لنا، هكذا نحن، إذ نقبله فإننا ننال منه عدم الموت.

٥٨ ـ إذًا فلا مبرر لهؤلاء الآريوسيين المجانين، فيما يعثرون به مفكّرين أفكارًا حقيرة عن الكلمة، بسبب المكتوب، أنه «اضطرب»، و «بكى» لأنهم يظهرون كأن ليس عندهم مشاعر إنسانية، فهم يجهلون طبيعة البشر وخصائصها. التي بها يكون أمرًا عجيبًا جدًا أن الكلمة يوجد في مثل هذا الجسد المتألّم، وهو لم يمنع أولئك الذين تآمروا عليه، ولا انتقم من أولئك الذين صلبوه، رغم أنه يستطيع، وهو الذي منع الموت عن البعض، وأقام البعض من الموت، وجعل جسده الخاص يتألّم، لأنه لهذا قد جاء، كما قلت سابقًا، لكي إذ يتألّم في الجسد، يجعل الجسد من الآن فصاعدًا غير متألم وغير مائت، ولكي، كما قلنا مرّات عديدة، إنه جعل الأوجاع والأمور الأخرى تأتي عليه هو ولا تصيب الناس فيما بعد، إذا تكون قد أُبيدت تمامًا بواسطته، ويبقى الناس على الدوام غير قابلين للفساد كهيكل

[1055] مز١٥:١٠س.



للكلمة. فلو أن أعداء المسيح تفكّروا في هذه الأمور وعرفوا التعليم الكنسي كمرساة للإيمان لما انكسرت بهم سفينة الإيمان[١٠٥٦]، ولما كانوا هكذا عديمي الحياء لدرجة أنهم يقاومون أولئك الذين يريدون أن يخلّصوهم من سقطتهم، ويحسبون أولئك الذين ينصحونهم بالتقوى كأعداء لهم.

ولكن كما يبدو، فإن الهرطوقي هو حقيقةً إنسان خبيث، وقلبه منحرف من كل ناحية إلى الكفر، فرغم فضحهم في كل النقاط، وإظهارهم أنهم محرومون من الفهم تمامًا، فإنهم لا يشعرون بأي خجل، بل مثل (الإيدرا) أى منبع الوحش في الأسطورة اليونانية، أنه حينما تموت الحيّات السابقة، فالمنبع يلد حيّات جديدة، يحارب بها الذي أهلك الحيّات القديمة. هكذا أيضًا محاربو الله والكارهون له هم مثل (الإيدرا) أى منبع الوحوش، حينما تسقط اعتراضاتهم التي يقدّمونها، فهم يخترعون لأنفسهم أسئلة أخرى يهودية وغبيّة، وحيل جديدة كما لو أن الحق هو عدوهم، مظهرين بذلك بالأحرى أنهم أعداء المسيح في كل شئ.

[١٠٥٦] انظر ١تيمو١:١٩.

الفصل الثلاثون

تكملة الاعتراضات والرّد عليها

٥٩ ـ وبعد هذه البراهين الكثيرة ضدهم، والتي يخجل منها حتى الشيطان نفسه الذي هو أبوهم ويتراجع، فإنهم بسبب قلبهم المعوّج يدمدمون باعتراضات أخرى، أحيانًا بالهمس وأحيانًا أخرى بضوضاء كطنين البعوض. فهم يقولون لنا: [حتى إن فسّرتم هذه الآيات هكذا وانتصرتم في الأفكار والبراهين، لكن يجب أن تقولوا إن الابن قد أخذ وجوده بمشيئة الآب ومسرّته] لأنهم بتقديمهم لمشيئة الله ومسّرته هكذا يخدعون كثيرين. والآن لو أن أى واحد ممّن يؤمن باستقامة قال هذا ببساطة لما كان هناك سبب للشك في هذا التعبير، لأن القصد المستقيم يكون مهيمنًا على استعمال الكلمات، ولكن حيث إن هذا التعبير هو من الهراطقة، فإن كلمات الهراطقة هى موضع شك ما، كما هو مكتوب «تدابير الأشرار غاشة وكلامهم خداع»[١٠٥٧]، حتى لو استعملوا الإشارات[١٠٥٨] فقط، ولأن لهم قلبًا معوجًا فدعونا نفحص قولهم هذا أيضًا. لئلا برغم توبيخهم من كل جهة لا يزالون ـ مثل نبع الوحوش ـ يخترعون كلمة جديدة، وبمثل هذا الأسلوب الجذّاب والمراوغة الخادعة يبذرون أيضًا كفرهم ذلك بطريقة أخرى، لأن هذا الذي يقول: «إن الابن جاء إلى الوجود بالإرادة الإلهية»، يقصد نفس المعنى مثل الآخر الذي يقول: «إنه كان هناك وقت لم يكن الابن فيه موجودًا»، وأيضًا «إن الابن خُلِق من العدم»،

[١٠٥٧] أم١٢: ٥ـ٦س.

[١٠٥٨] يقصد القديس أثناسيوس أنهم حتى لو لم يصرّحوا بأفكارهم بالكلام واستعملوا الإشارات فقط للتعبير.



وأيضًا «هو مخلوق». ولكن حيث إنهم يخجلون الآن من هذه الأقوال، فإن هؤلاء الماكرين قد حاولوا أن يوصلوا معنى هذه الأقوال بطريقة أخرى، مقدّمين لفظ «المشيئة» مثل حبّار[١٠٥٩] يّخفون أفكارهم السوداء، وبذلك يخدعون البسطاء مع أن هؤلاء الهراطقة يحتفظون في أذهانهم ببدعتهم الخاصة لأنه أين وجدوا الألفاظ «بالمشيئة» و «المسّرة»، أو في أى سفر قرأوا مثل هذه التعبيرات؟

فليقل لنا هؤلاء الذين هم موضع شك كبير في كلماتهم وهم يخترعون الكُفر بقوَّة. لأن الآب الذي كشف كلمته من السماء أعلن: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ»[١٠٦٠]. وهو الذي قال بواسطة داود «نطق قلبي بكلمة صالحة»[١٠٦١] وأوصى يوحنا أن يقول «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ»[١٠٦٢]. ويقول داود في المزمور «عندك ينبوع الحياة، وبنورك نعاين النور»[١٠٦٣]. ويكتب الرسول «الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ»[١٠٦٤] وأيضًا «الذي إذ كان في صورة الله»[١٠٦٥] وأيضًا «اَلَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ»[١٠٦٦].

٦٠ـ الجميع في كل مكان يخبروننا عن وجود الكلمة، ولكن لا أحد يخبرنا عن وجوده بالمشيئة ولا عن خَلقِه بالمرّة، ولكني أتساءل أين وجد هؤلاء «المشيئة» أو

[١٠٥٩] الحبّار حيوان بحري هلامي يمكن أن يأخذ لون الموضع الذي يوجد فيه. ويستخدم القديس أثناسيوس هذا التشبيه لتوضيح خداعهم.

[١٠٦٠] مت٣:١٧.

[١٠٦١] مز٤٤:١س.

[١٠٦٢] يو١:١.

[١٠٦٣] مز٣٥:٩س.

[١٠٦٤] عب١:٣.

[١٠٦٥] في٢:٦.

[١٠٦٦] كو١:١٥.



«المسّرة» سابقة على كلمة الله، إلاّ إذا كانوا قد تركوا الكتب المقدسة، وتمثلوا بانحراف فالانتينوس[١٠٦٧]؟ لأن بطليموس الفالانتيني زعم أن الله غير المولود، له صفتان هما «الفكر» و «الإرادة»، فهو قد فكّر أولاً ثم أراد فيما بعد. وما فكّر فيه لم يستطع أن يقدّمه إلاّ حينما صارت له قوّة الإرادة. ولقد تعلّم الآريوسيون من هذا، جاعلين الفكر والإرادة يسبقان الكلمة. فبالنسبة لهم إذًا دعهم ينافسون تعليم فالانتينوس. أما نحن فحينما نقرأ الكتب المقدسة بيقظة فإننا نجد عبارة «كان» تطلق على الابن، وعنه فقط سمعنا أنه كائن في الآب، وأنه صورة الآب. أما في حالة المخلوقات وحدها فقد عرفنا أن الفكر والإرادة سابقة عليها. حيث إنها بالطبيعة كانت غير موجودة في وقت ما ثم وجدت فيما بعد، فداود يرتل في المزمور ١١٣ قائلاً: «أما إلهنا فقد صنع في السماء وعلى الأرض كل ما أراده»[١٠٦٨] وفي المزمور ١١٠ «عظيمة هى أعمال الرب مطلوبة حسب كل إرادته»[١٠٦٩]، وأيضًا في المزمور ١٣٤ «كل ما شاء الرب، صنع في السموات وفي الأرض، في البحار وفي كل اللجج»[١٠٧٠]. إذًا فإن كان الابن مصنوعًا أو شيئًا مخلوقًا، وواحدًا بين كثيرين، فيمكن أن يقال عنه كالآخرين إنه صار «بالإرادة». فالكتاب يوضّح أن هذه المخلوقات، هكذا أتت إلى الوجود. وأستيريوس[١٠٧١] المدافع عن هذه البدعة، يقبل هذا، إذ يكتب هكذا [لأنه إما أن يكون من غير اللائق بالنسبة للخالق أن

[١٠٦٧] فلانتينوس هو أستاذ مصري علّم أولاً في الأسكندرية ثم وسّع مجال تعليمه فذهب إلى روما حيث أسس هناك مدرسة حوالي ١٥٠م ولما حُرِمَ من الكنيسة أنشأ جماعة خاصة مستقلة. وله عدّة كتب ورسائل وأناشيد، ولكن لم يبق منها غير القليل، وهو أحد الهراطقة الغنوسيين المشهورين.

[١٠٦٨] مز١١٣:١١س.

[١٠٦٩] مز١١٠:٢س.

[١٠٧٠] مز١٣٤:٦س.

[١٠٧١] انظر فقرة رقم ٢ في الفصل الثالث والعشرين والهامش التابع لها عن فكر استيريوس.



«يشاء» ثم بعد ذلك «يفعل»، وبالتالي يجب أن يقال إنه «يشاء» فقط وحينئذٍ يجب أن ينسحب هذا على كل الخلائق حتى تُحفظ لله عظمته. أو أن يكون من اللائق به أن «يشاء» أولاً ثم «يفعل» بعد ذلك بالتالي يجب أن ينسحب هذا على أول وأفضل من ولده لأنه بالتأكيد من المستحيل أن يكون لائقًا بنفس الإله الواحد أن يصنع أشياء بإرادته، وفي نفس الوقت يصنع أشياء أخرى «بغير إرادته].

فالسفسطائي قدّم كفرًا عظيمًا بقوله إن [المولود والمخلوق هما نفس الشئ، وأن الابن هو مولود واحد بين كل المولودات الموجودة] وانتهى إلى النتيجة أنه من اللائق أن يقال إن المخلوقات توجد بالفكر والإرادة.

٦١ـ لذلك، فإن كان الابن هو آخر يختلف عن كل الأشياء المخلوقة ـ كما قد أوضحنا أعلاه، وبالحري صارت كل الأشياء بواسطته، إذًا فلا ينبغي أن يقال تعبير «بالمشيئة» لوصف طريقة ولادته، وإلاّ فإنه يكون قد أتى إلى الوجود مثل الأشياء التي صارت بواسطته. فبولس، الذي لم يكن رسولاً من قبل، صار فيما بعد رسولاً «بمشيئة الله»[١٠٧٢]. ودعوتنا نحن أيضًا هذه هى نفسها لم تكن موجودة في وقت ما، ولكنها الآن قد صارت وهى مسبوقة بالمشيئة، كما يقول بولس نفسه أيضًا إنها صارت «بحسب مسرة مشيئته»[١٠٧٣]. وما كتبه موسى «ليكن نور» ولتظهر اليابسة»، «لنعمل الإنسان»[١٠٧٤]، أظن، بحسب ما قلناه قبلاً إنه يدّل على مشيئة الخالق، لأن الأشياء التي لم تكن موجودة قبلاً بل صارت فيما بعد من أسباب خارجة عنها، هذه يعملها الخالق بمشورته، أما كلمته الذاتي المولود منه بالطبيعة، فهو لا يفكر في ولادته لأن الآب يخلق كل الأشياء الأخرى التي يشاء أن

[١٠٧٢] انظر ١كو١:١.

[١٠٧٣] أف١:٥.

[١٠٧٤] انظر تك١:٣، ١١، ٢٦.



يخلقها من خلال الابن، مثلما علّم أيضًا يعقوب الرسول قائلاً «شاء فولدنا بكلمة الحق»[1075]. لذلك فمشيئة الله بخصوص كل الأشياء ـ سواء تلك التي وُلدت مرّة أخرى أو التي أُوجدت لأول مرّة ـ هى في كلمته الذي فيه يصنع ويلد ثانية، ما يبدو صوابًا عنده، كما يكتب أيضًا الرسول إلى تسالونيكي «لأَنَّ هَذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ اللَّهِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مِنْ جِهَتِكُمْ»[1076]. فإن كانت إرادة الله هى في مَنْ بواسطته قد خُلق كل شئ (أى الكلمة)، فمن الواضح أن إرادة الله أيضًا هى في المسيح (الكلمة المتجسّد)، فكيف يكون من الممكن أن يكون قد أتى إلى الوجود (في الزمن) بمشيئة وإرادة الله مثل كل المخلوقات؟ لأنه إن كان هو أيضًا قد أتى إلى الوجود بالمشيئة كما تدّعون، فيتبع ذلك أن مشيئة الله ستكون في كلمة آخر يأتي إلى الوجود حسب مشيئة الله، لأننا أوضحنا أن مشيئة الله ليست في الأشياء التي يخلقها، بل هى في هذا (الكلمة) الذي بواسطته وفيه تأتي كل الأشياء المخلوقة إلى الوجود. وبالإضافة إلى ذلك القول، كان الكلمة هو ابن «بالمشيئة»، له نفس معنى القول إنه «كان وقت لم يكن هو موجودًا». إذًا فليكتفوا بقولهم عنه أنه «كان وقت لم يكن هو موجودًا»، لكي يخجلوا عندما يدركون أن المقصود بهذا هو الأزمنة، ويفهموا أنهم عندما يقولون «بالمشيئة» إنما يضعون الأزمنة قبل الابن لأن المشيئة تسبق الأشياء التي لم تكن موجودة من قبل، كما في حالة كل المخلوقات. ولكن إن كان الكلمة هو خالق المخلوقات. وهو كائن مع الآب، كيف يمكن أن تسبق المشيئة الكائن الأزليَّ كما لو لم يكن موجودًا؟ لأنه لو كانت المشيئة سابقة عليه إذًا فكيف خُلقت كل الأشياء بواسطته؟ لأنه بالحري سيكون هو أيضًا كواحد بين الآخرين، مولودًا ليكون ابنًا بالمشيئة،

[1075] يع١:١٨.

[1076] ١تس٥:١٨.



كما صرنا نحن أيضًا أبناء بكلمة الحق. وبالتالي فكما قلنا، يلزم البحث عن كلمة آخر، وُجِد هو أيضًا بواسطته ووُلِدَ مع كل الأشياء التي صارت بحسب مسرّة الله.

٦٢ـ إذًا لو كان هناك كلمة آخر لله، يكون الابن قد وُجِدَ بكلمة، ولكن إن لم يكن هناك كلمة آخر (وهذه هى الحقيقة)، ولكن كل الأشياء التي شاء الآب أن توجد قد وُجِدَت بواسطته، أفلا يكشف هذا الخبث الشديد الذي لهؤلاء الناس؟ فمع أنهم يشعرون بالخجل من القول إنه «مصنوع» وإنه «خليقة» وإن [كلمة الله لم يكن موجودًا قبل أن يولد إلاّ أنهم يؤكدون بطريقة أخرى أنه مخلوق]، ويروّجون للفظة «المشيئة» ويقولون [لو لم يكن قد أتى إلى الوجود بالمشيئة، فيكون الله قد وُلد الابن عن اضطرار وضد مسرّته] فمَن هو إذًا ذاك الذي يفرض الاضطرار على الله، أيها الملوؤن خبثًا، الذين تحرّفون كل شئ لخدمة هرطقتكم؟ لأنه كما أن الذي هو مختلف في الرأي هو ضد المشيئة، هكذا فإن مَنْ هو بحسب الطبيعة يفوق المشيئة، ويسبقها. فالإنسان يمكن أن، يبني منزلاً بواسطة المشيئة ولكنه يلد ابنًا بحسب الطبيعة. والمنزل الذي يبنيه الإنسان هو خارج عنه وهو قد بنى نتيجة الفكر، أما الابن فهو مولود من جوهر الوالد نفسه وليس خارجًا عنه. لهذا فهو لا يفكر في وجود ابنه «بالمشيئة» لئلا يبدو أنه هو نفسه موجود «بالمشيئة». إذًا فبقدر ما يعلو الابن عن الخليقة، كذلك يعلو ما هو بالطبيعة على ما هو بالمشيئة. وينبغي على هؤلاء، حينما يسمعون عنه ألاّ يقيسوا ما هو بالطبيعة بمقياس المشيئة. وهؤلاء إذ ينسون أنهم يسمعون عن ابن الله، فهم يتجاسرون أن يطبقوا اعتراضات بشريّة على الله مثل (الضرورة) و (اختلاف الرأي)، لكي يمكنهم بذلك أن ينكروا أنه يوجد ابن حقيقي لله. لكن هؤلاء يجاوبوننا ويقولون، هل كَوْن الله صالحًا ورحيمًا، هل هذا يتصل به بواسطة المشيئة أم لا؟ فإن كان بواسطة المشيئة، فينبغي أن نفكر، أنه بدأ أن يصير



صالحًا وأنه كان هناك احتمال بألاّ يكون صالحًا، لأن المشيئة والاختيار يعنيان وجود ميل نحو كل من الطرفين، وهذا الميل يخص، الطبيعة العاقلة. ولكن إن كان من غير المقبول تمامًا أنه ينبغي أن يسمى صالحًا ورحيمًا بالمشيئة، إذًا فليسمعوا هذا الذي قد قالوه هم أنفسهم، لذلك فهو صالح عن الاضطرار وليس بالمشيئة. وأيضًا مَنْ هو الذي يفرض هذا الاضطرار عليه؟ ولكن إن كان من غير المقبول أن نتكلّم عن وجود الاضطرار في حالة الله، إذ هو صالح بالطبيعة، فبالأولى جدًا وبالحقيقة تمامًا يكون الآب أبًا للابن بالطبيعة وليس بالمشيئة.

٦٣ـ ودَعهم يجيبوننا على هذا أيضًا (لأني بسبب عدم حيائهم أريد أن أطرح عليهم سؤالاً آخر، أكثر جرأة ولكن بهدف التقوى، فلتسامحني يا رب). هل الآب نفسه شاء أولاً قبل أن يوجد ثم بعد أن شاء وُجِد أم أنه كان موجودًا قبل أن يشاء؟

فحيث إنهم متجاسرون إلى هذه الدرجة في كلامهم عن الكلمة، لذلك ينبغي أن يسمعوا جوابًا مماثلاً لكي يعرفوا أن وقاحتهم هذه تصل حتى إلى الآب نفسه.

إذًا فإن كانوا سيفكرون هم أنفسهم بخصوص المشيئة ويقولون إنه حتى الآب هو من المشيئة، فماذا كان هو إذًا قبل أن يشاء، أو ما هو الذي اقتناه أكثر ـ كما تظنون ـ بعد أن شاء؟

ولكن إن كان مثل هذا السؤال غير لائق وضار ويصدم السامع بمجرَّد ذكره (لأنه يكفي فقط أن نسمع اسم الله لنعرف ونفهم أنه هو الكائن الذي يكون)، ألَا يكون ضد العقل أيضًا أن يفكر أحد بمثل هذه الأفكار عن كلمة الله، ويقدّم إدعاءات بخصوص الإرادة والمسّرة؟ لأنه يكفي بالمثل أن نسمع فقط اسم الكلمة، لكي نعرف ونفهم أن ذاك الذي هو الله بغير المشيئة، له كلمته الذاتي بالطبيعة وليس بالمشيئة. وكيف لا يكون أمرًا يتجاوز كل جنون أن يفكر الإنسان أن الله الذي يشاء ويعتبر ويختار وله مسّرة صالحة، هو بدون كلمة وبدون حكمة، وهو الذي له كليهما؟ ذلك لأنه يبدو أنه يفكر عن نفسه، ويشاء من



جهة ما هو خاص بجوهره. إذًا فلأنه يوجد تجديف كثير في مثل هذا الفكر، فيكون من التقوى أن نقول، إن الأشياء المخلوقة قد وُجدت «بالمسّرة» و «المشيئة»، أما الابن فلم يوجد بالمشيئة ولم يصر بعدها كالخليقة، بل هو بالطبيعة المولود الذاتي لجوهر الله. لأنه لكونه كلمة الآب الذاتي، فهو لا يسمح لنا أن نحسب إن المشيئة سابقة عليه هو، إذ أنه هو نفسه مشورة الآب الحيّة، وهو القوَّة، وهو خالق الأشياء التي استحسنها الآب. وهذا ما يقوله عن نفسه في الأمثال «لي المشورة والأمان، لي الفهم، لي القدرة»[١٠٧٧]. لأنه رغم أنه هو نفسه الفهم الذي به هيأ السموات[١٠٧٨] وهو نفسه القدرة والقوّة «الْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ الله»[١٠٧٩]، فهو هنا قد غيّر الألفاظ وقال لي الفهم، ولي القدرة. هكذا بينما هو يقول «لي المشورة» فيجب أن يكون هو نفسه مشورة الآب الحيّة، كما قد تعلّمنا من النبي أيضًا أنه يصير «ملاك المشورة العظمى»[١٠٨٠]، ودُعيَ مسّرة الآب الصالحة لأنه هكذا ينبغي أن ندحضهم، طالما هم يفكرون أفكارًا بشرَّية عن الله.

٦٤ـ لذلك إن كانت المصنوعات قد صارت «بالمشيئة والمسّرة» وكل الخليقة خُلِقت بالمشيئة، وبولس دُعيَ ليكون رسولاً «بمشيئة الله»[١٠٨١]. ودعوتنا قد صارت بالمسّرة والمشيئة[١٠٨٢]، وكل الأشياء قد أتت إلى الوجود بالكلمة. إذًا فهو خارج عن كل الموجودات التي قد وُجدت بالمشيئة بل بالحرى هو نفسه مشورة الآب الحيّة،

[١٠٧٧] أم٨:١٤س.

[١٠٧٨] انظر أم٣:١٩.

[١٠٧٩] ١كو١:٢٤.

[١٠٨٠] انظر إش٩:٦س.

[١٠٨١] انظر ١تيمو١:١.

[١٠٨٢] انظر أف١:٥.



والتي بها قد صارت كل هذه الأشياء، والذي به أيضًا يقدّم داود تشكّرات في المزمور الثاني والسبعين قائلاً: «أمسكت بيدي اليمنى وبمشورتك تهديني»[١٠٨٣]. كيف يمكن إذًا أن الكلمة الذي هو مشورة الآب ومسرّته يوجد هو نفسه «بالمسرّة والمشيئة» مثل كل الآخرين؟ إلاّ إذا كانوا كما قلت سابقًا، يكرّرون في جنونهم، أنه قد أتى إلى الوجود بواسطة نفسه أو بواسطة واحد آخر. فمن هو إذًا ذاك الذي بواسطته قد أتى هو إلى الوجود؟ دعهم يخترعون كلمة آخر، ودعهم يسمّون مسيحًا آخر منافسين تعليم فالانتينوس، لأن الكتاب ليس فيه هذا التعليم بتاتًا. وحتى إذا اخترعوا آخرًا، فبالتأكيد يأتي هذا الآخر أيضًا إلى الوجود بواسطة واحد آخر، وهكذا. وبينما نحن نحسب هكذا ونبحث في تتابع هؤلاء (الذين يخترعونهم)، فإن الهرطقة ذات الرؤوس المتعددة التي للكفّار تتضح أنها تؤدي إلى تعدد الآلهة وإلى جنون لا حدود له، التي فيها إذ يرغبون أن يكون الابن مخلوقًا وأنه يوجد من العدم، فإنهم يعنون نفس الشئ بكلمات أخرى، باستعمال تعبير المشيئة والمسّرة، والتي تخص بصواب الأشياء الصائرة والمخلوقة. ألّا يكون إذًا من عدم التقوى أن تُنسب خصائص هذه المخلوقات إلى خالق الكل؟ أليس تجديفًا أن يقال إن المشيئة كانت في الآب قبل الكلمة؟ لأنه لو كانت المشيئة سابقة في الآب، لن تكون كلمات الابن حقيقية في قوله «أَنَا فِي الآبِ»[١٠٨٤]، أو حتى لو كان هو في الآب، فإنه مع ذلك يشغل المكان الثاني فقط، ولم يكن يحق له أن يقول « أنا في الآب» حيث إن المشيئة وُجِدَت قبلْه، والتي بها أتت كل الأشياء إلى الوجود، وهو نفسه وُجِدَ بها حسبما تعتقدون. لأنه رغم كونه فائقًا في المجد، إلاّ أنه ليس هو أصغر واحد من الأشياء التي وجدت بالمشيئة. وكما قد قلنا قبلاً لو كان الأمر

[١٠٨٣] مز٧٢:٢٣ـــ٢٤س.

[١٠٨٤] يو١٤:١٠.



هكذا، كيف يكون هو الرب وهم يكونون العبيد؟ ولكنه هو رب الكل لأنه واحد مع الآب في الربوبية، والخليقة كلها خاضعة له، حيث إنها خارجة عن الآب الواحد، وبينما كانت في وقت ما غير موجودة فقد أتت إلى الوجود فيما بعد.

٦٥- وأيضًا إن كانوا يقولون إن الابن وُجِدَ بالمشيئة، فيجب أن يقولوا أيضًا إنه وُجد بالفهم، لأني أعتبر أن الفكر والمشيئة شئ واحد ولأن ما يشاءه احد هو دائمًا ما يفكر فيه أيضًا. والأمر الذي يفكر فيه فهذا هو ما يشاؤه أيضًا. ولذلك فالمخلّص نفسه قد جمعهما معًا كشقيقين حينما قال «لي المشورة والأمان، لي الفهم، لي القدرة»[١٠٨٥]. فالآن القدرة والأمان هما نفس الشئ (لأنهما يعنيان صفة واحدة)، هكذا يمكن ان نقول إن الفهم والمشورة هما نفس الشئ، الذي هو الرب. لكن هؤلاء الكفّار لا يريدون أن يكون الابن هو الكلمة والمشورة الحيّة بل ينحرفون بقولهم عن الله إن الفهم والمشورة والحكمة هى حالات، أحيانًا تحدث له وأحيانًا أخرى لا تحدث بحسب الطريقة البشرية. ويعملون كل شئ عارضين «الفكر» و «المشيئة» اللذين عند فالانتينوس، لكي يفصلوا الابن عن الآب، ويدعونه مخلوقًا بدلاً من أن يكون هو ابن الآب الذاتي. وليسمعوا إذًا ما سمعه سيمون الساحر[١٠٨٦]: كفر فالانتينوس ليكن معك للهلاك. أو ليصدق كل واحد بالحرى سليمان الذي يقول إن الكلمة هو الحكمة والفهم، لأنه يقول «الرَّبُّ بِالْحِكْمَةِ أَسَّسَ الأَرْضَ. أَثْبَتَ السَّمَاوَاتِ بِالْفَهْمِ»[١٠٨٧]. وهكذا بالفهم هنا، كما هو في المزامير: «بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ»[١٠٨٨]. وكما صنع السموات بالكلمة

[١٠٨٥] أم٨: ١٤س.

[١٠٨٦] انظر أع٨: ٢٠.

[١٠٨٧] أم٣: ١٩.

[١٠٨٨] مز٣٣: ٦.



«هكذا كل ما شاء صنع»[1089]. وكما يكتب الرسول إلى التسالونيكيين «مشيئة الله في المسيح يسوع»[1090] إذًا فابن الله هو «الكلمة» و «الحكمة»، هو «الفهم» و «المشورة الحيّة» ومسرّة الآب هى فيه وهو حق الآب ونوره وقوته.

لكن إن كانت مشيئة الآب هى الحكمة والفهم، والابن هو الحكمة إذًا فالذي يقول إن الابن وُجِدَ بالمشيئة فهو في الواقع يقول إن الحكمة قد أتت إلى الوجود بالحكمة، والابن قد أوجِدَ بابن والكلمة خلق بواسطة كلمة. وهذا يتناقض مع الله وهو عكس ما جاء عنه في الكتب المقدسة لأن الرسول يكرز بالابن انه ليس شعاع مشيئة الآب وصورتها بل شعاع جوهره ورسمه نفسه، قائلاً: «الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ،»[1091]. ولكن إن كان - كما سبق أن قلنا - جوهر الآب وكيانه ليس من المشيئة، فمن الواضح جدًا أن ما هو خاص بكيان الآب ليس من المشيئة، لأنه كما يكون الكيان الطوباوي هكذا ينبغي أن يكون أيضًا المولود الذاتي منه. وتبعًا لذلك فالآب نفسه لم يَقل هذا هو ابني الذي وجد بمشيئتي ولا قال «الابن الذي اقتنيته بمسرّتي» لكن قال ببساطة ابني، وأضاف على ذلك «الذي به سررت»[1092]. ويعني بهذا، أنه هو الابن بالطبيعة، وفيه توجد مشيئتي بخصوص الأشياء التي أسرَّ بها.

٦٦- إذًا حيث إن الابن هو بالطبيعة وليس بالمشيئة، فهل هو كائن بدون مسرّة الآب وبدون مشيئة الآب؟ كلا بالتأكيد، بل الابن هو بمسرّة الآب، وكما يقول

[1089] انظر مز١٣٥: ٦.

[1090] أف٥: ١٨.

[1091] عب١: ٣.

[1092] مت٣: ١٧.



هو نفسه، «الآب يحب الابن، ويُريه جميع ما هو يعمله»[١٠٩٣]، لأنه لم يبتدئ أن يكون صالحاً من المشيئة، ولا هو أيضًا صالح بدون المشيئة والمسّرة. لأن ما يكون عليه بطبيعته فذلك أيضًا هو مسّرته. هكذا أيضًا ينبغي أن يكون الابن، ورغم أنه لم يوجد «من المشيئة» إلاّ أنه ليس بدون مسّرته، ولا ضد رأيه.

فلأن كيانه الذاتي هو بمسّرته، هكذا أيضًا الابن إذ هو من ذات جوهره فهو ليس بدون مسّرته. إذًا فليكن الابن هو موضوع مسرَّة الآب وحبه، وهكذا فليفكر كل واحد بتقوى في مسرَّة الله ومشيئته لأنه بتلك المسّرة التي بها الابن هو موضوع مسّرة الآب، يكون الآب هو موضوع محبة الابن ومسّرته وإكرامه. والمسّرة التي من الآب في الابن هى واحدة، حتى أننا هنا أيضًا يمكننا أن نرى الابن في الآب، والآب في الابن. إذًا فلا يُقدّم أحد مع فالانتينوس من الآن فصاعدًا مشيئة سابقة ولا يُقحم أحد نفسه باستخدام هذه المشيئة في الوسط بين الآب الوحيد والكلمة الوحيد. لأنه من الجنون أن توضع المشيئة والرأي بين الآب والابن. فأن يقال «إنه صار إلى الوجود من المشيئة» هذا يختلف عن أن يقال «إن الآب يحب ابنه ويُسّر به، الذي هو من ذاته بالطبيعة».

لأن القول إنه «صار إلى الوجود بالمشيئة» يعني أولاً أنه في وقت ما لم يكن موجودًا ثم وجد. ويعني ثانيًا أن هناك ـ كما سبق القول ـ ميلاً في اتجاهين، حتى يمكن للمرء أن يفترض أن الآب كان يستطيع حتى أن لا يريد وجود الابن. ولكن أن يقال عن الابن إنه «يمكن ألاّ يكون قد وُجِدَ» فهذا إدعاء كفري يصل حتى إلى جوهر الآب، كما لو كان أن مَنْ هو خاصته، لم يكن موجودًا. هذا هو نفس القول بأن «الآب يمكن أن لا يكون صالحاً» وبما أن الآب هو صالح دائمًا

[١٠٩٣] انظر يو٥: ٢٠.



بالطبيعة، هكذا فهو دائمًا يلد بالطبيعة. والقول بأن «الابن هو مسّرة الآب» و «الكلمة هو مسّرة الآب»، لا يعني هذا وجود مشيئة سابقة، بل يعني إصالة الطبيعة، وخصوصية الجوهر وتماثله. لأنه كما يمكن أن يقول أحد في حالة الشعاع والنور، إنه ليست هناك في النور مشيئة سابقة على الشعاع، بل هو مولود النور الطبيعي بمسرة النور الذي ولده، وليس بالمشيئة والرأي بل بالطبيعة والحق، هكذا أيضًا في حالة الآب والابن، فيمكن أن نقول بصواب، إن الآب يحب الابن ويُسّر به، والابن يحب الآب ويُسّر به.

٦٧ـ لذلك فلا تدعو الابن أنه عمل المشيئة ولا تُدخِلوا تعليم فالانتينوس إلى الكنيسة، بل أن الابن هو المشيئة الحيّة، والمولود بالحق والطبيعة، كالشعاع من النور. لأنه هكذا قد تكلّم الآب «نطق قلبي بكلمة صالحة»[١٠٩٤]، وهكذا الابن بالمثل قال «أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِي»[١٠٩٥]. لكن إن كان الكلمة في القلب، فأين المشيئة؟ وإن كان الابن في الآب، فأين المسرّة؟ وإن كان هو نفسه المشيئة فكيف تكون المشورة في المشيئة؟ وهذا غير مقبول لئلا يأتي الكلمة إلى الوجود بكلمة، والابن بابن والحكمة بحكمة، كما سبق وقلنا مرارًا. لأن الابن هو كل ما يخص الآب، ولم يكن شئ في الآب قبل الكلمة، لكن المشيئة هى في الكلمة أيضًا وبواسطته تتحقّق كل أغراض المشيئة، كما قد أوضَحَتْ الكتب المقدسة، وأرغب في أن الجاحدين ـ إذ قد سقطوا في مثل عدم الفهم هذا، حتى أنهم يفكرون هكذا بخصوص المشيئة ـ أن لا يعودوا الآن يسألون نساءهم اللواتي كن يسألونهن من قبل هكذا قائلين: اهل كان لكِ ابن قبل أن تلديه»؟ وأن يسألوا الآباء « هل

[١٠٩٤] مز٤٤: ١س.

[١٠٩٥] يو١٤: ١٠.



صرتم آباء بالمشورة أم بالقانون الطبيعي لمشيئتكم»؟ أو «هل أولادكم هم مثلكم في الطبيعة والجوهر؟].

لكي يتعلّموا الحياء ربما من الآباء، الذين منهم اتخذوا هذه الفكرة عن الولادة، والذين منهم يرجون أن يحصلوا على معرفة هذا الأمر. لأنهم سيجيبونهم «ما نلده ليس هو مثل مشيئتنا بل مثل ذواتنا ونحن لا نصير والدين بمشيئة سابقة بل أن الولادة هى أمر خاص بطبيعتنا، حيث إننا نحن أيضًا صور لآبائنا». إذًا دعهم إما يحكمون على أنفسهم أنهم مخطئون ويكفّوا عن سؤال النساء عن ابن الله، أو أن يتعلّموا منهن، أن الابن مولود ليس بالمشيئة، بل بالطبيعة والحق. إنه من اللائق بهم والمناسب لهم أن نوضح أفكارهم بأمثلة بشرّية. حيث إن هؤلاء المنحرفين يجادلون في الأمور اللاهوتية بطريقة بشرّية، إذًا فلماذا لا يزال أعداء المسيح في حالة جنون؟ لأن هذا الإدعاء ـ وأيضًا إدعاءاتهم الأخرى ـ قد اتضّح وتبرّهن أنها مجرّد خيال وخرافات مصنّعة وعلى هذا الأساس ينبغي ـ رغم أنهم تأخروا ـ برؤيتهم هاوية الحماقة التي سقطوا فيها، أن يقوموا ثانية وأن يهربوا من فخ إبليس، كما ننصحهم نحن. لأن الحق هو محب للبشر وينادي الكل دائمًا: إن كنتم بسبب لباس الجسد لا تؤمنون بي، فعلى الأقل آمنوا بالأعمال لكي « تعرفوا أني في الآب والآب فيّ»[١٠٩٦] وأيضًا «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ»[١٠٩٧]، وأيضًا «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ»[١٠٩٨]. والرب هو دائمًا محّب للبشر، ويريد أن يعين الساقطين كما يسبح داود في المزمور[١٠٩٩]. لكن الجاحدين لأنهم لا يرغبون في سماع صوت الرب، ولا يحتملون أن يروا السيد

[١٠٩٦] يو١٠:٣٨.

[١٠٩٧] يو١٠:٣٠.

[١٠٩٨] يو١٤:٩.

[١٠٩٩] انظر مز١٤٥:٨س.



مُعتَرَفًا به من الكل أنه الله وابن الله، فهم كتعساء يتجوّلون مثل الخنافس باحثين عن حجج للكفر مع أبيهم الشيطان. فأيَّة حجج إذًا سيستطيعون أن يجدوها بعد هذا؟ ومن أين يأتون بها إلاّ إذا استعاروا تجاديف اليهود وقيافا واتخذوا الكفر من اليونانيين، لأن الكتب المقدسة هى مغلقة بالنسبة لهم وقد دحضناهم كعديمي العقل وأعداء للمسيح بما جاء في كل موضع في هذه الكتب.



فهرس لشواهد الآيات الكتابية الواردة بالهوامش

أولاً: العهد القديم

سفر التكوين:





سفر المزامير:







سفر إرميا:

سفر دانيال:

سفر هوشع:

سفر ميخا:

سفر زكريا:

سفر ملاخي:





إنجيل مرقس:

إنجيل لوقا:











سفر أعمال الرسل:

الرسالة إلي أهل رومية:



رسالة كورنثوس الأولي:

رسالة كورنثوس الثانية:

الرسالة إلي أهل غلاطية:

الرسالة إلي أهل أفسس:





رسالة يعقوب:

رسالة بطرس الأولي:

رسالة بطرس الثانية:

رسالة يوحنا الأولي:



سفر الرؤيا:

فهرس الكلمات الواردة بالنص











(ب)

(ت)

(ج)



